(فهرست الجزء الثانى من فتوح الشام للعلامة الواقدى)

صحيفه

هـــــذا الجزء الثاني من
فتوح الشام للشيخ
الواقدي رحمه
الله تعالى
آمين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه أتوكل وبه أستعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الواقدى رحمه الله تعالى حدّثنى عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش عن جدّه قال لما أسلم أهل اعزاز باسلام قسهم الذى كان معتقدهم عول الفضل ومالك على المسير الى حلب فقال يوقنا أنا والله مالى وجه اقابل به المسلمين لانى كنت قلت قولا ودبرت أمرا فلم يتم لى وانى سائر الى انطاكية فلعل الله أن يظفرنى بالاعداء وينصرنى عليهم فقال له الفضل ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ فلا تحمل قلبك هما فقال ودين الاسلام لا ارجع الا بأمر يبيض الله به وجهى عند اخوانى المسلمين ونظر وقد صحبه مائتان من بنى عمه ممن قد رسخ فى قلوبهم الايمان ولهم عيال واولاد فى حلب فأخذهم يوقنا وسار يريد انطاكية فلما قرب من أرضها أخذ منهم أربعة وأمر الباقى ان يتعوّقوا خلفه أربعة أيام ثم يأتوا كانهم هاربون من العرب ليتم ما دبره فى خاطره وسارهو والاربعة على طريق حازم والباقى على طريق ارتاح وقال لهم الميعاد بيننا انطاكية ففعلوا ذلك وساروا وسارهو الى أن اشرف على دير سمعان المشرف على البحر فوجد هناك خيلا ورجالا يحفظون الطرقات فلما رأوا يوقنا والاربعة معه بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال لهم يوقنا أنا صاحب حلب وقد هربت من العرب فوكل به صاحب الدرك جماعة وامرهم أن يسيروا بهم الى الملك فأخذتهم الخيل واتوا بهم اليه فوجدوه فى كنيسة القسيان يصلى فوقفوا حتى فرغ من صلاته فاوقفوا يوقنا بين يديه

وقالوا

وقالوا أيها الملك ان بطرس صاحب الحرس الذى عند دير سمعان قد وجه بهذا ومن معه اليك
ويزعم انه صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك قال له يا يوقنا ما الذى أتى بك وقد بلغنى انك
دخلت فى دين العرب فقال أيها الملك لقد بلغك الحق وذلك انى ما أسلمت الا مكيدة القوم
حتى أتخلص من شرهم ومن كراهة منظرهم ونتن رائحتهم وانى قلت لهم أسلم اليكم حصن اعزاز
واقتل صاحبها وأخذت منهم مائة سيد من ساداتهم وسرت بهم وأمرت أميرهم أن ينفذ وراءى
الفا حتى اذا صاروا داخل الحصن اقبض عليهم وارسلهم اليك فعجل دارس على ولم يفهم
ما ضمرته ووثق بكلام جاسوسه ولم يثق بكلامى فقبض علينا فأتت العرب ووضعت السيف
فى اهلها وذلك ان لوقا قتل أباه وجل العرب وانا من جملتهم فلما اشتغلوا بالقتال والنهب هربت
أنا وهؤلاء الاربعة وجئنا اليك ولولا محبتى فى دينى ما كنت قتلت أخى يوحنا وصبرت على
قتال العرب وحصارهم سنة كاملة قال الواقدى فاعانته البطارقة والملوك الذى كانوا حاضرين
وقالوا صدق يوقنا أيها الملك وسيظهر لك فعله وعمله وجهاده فانبش وجه الملك لذلك وخلع عليه
من لباسه الذى هو عليه وسوره ومنطقه وتوجه وقال له ان كانت حلب أخذت منك فانى
وليتك على انطاكية واعطاه وظيفة دمشقها وسكندرها يعنى واليها قال الواقدى فسمع
يوقنا له ودعا له فبينما هو كذلك اذ أتى اليه الموكل بجسر الحديد وأخبر الملك انه قد قدم عليهم
مائتا بطريق من فرسان حلب وهم يزعمون أنهم من بيت واحد من الرومية من بنى عم يوقنا
وانهم قد هربوا من العرب فلما سمع ذلك قال ليوقنا أيها الدمشقى والسكندرقم واركب واشرف
على هؤلاء القوم فان كانوا من بنى عمك فاهل بهم وضمهم اليك ليكونوا عسكرك وان كانوا غير ذلك
فأت بهم لارى فيهم ما أرى واياك ان يكونوا من قبل العرب ممن رجع الى دينهم من أهل شيزر
وحماه والرستن وحوسية وبعلبك ودمشق وحوران فقال نعم أيها الملك فركب وركبت معه
الفرسان من الملكية والسريرية وأتوا الى جسر الحديد وامروا أصحاب الدرك أن يأتوا بالمائتين
فلما رآهم يوقنا رحب بهم ونظروا اليه وهو فى ذلك الزى والحشمة وخلعة الملك عليه فترجلوا
وقبلوا ركابه فقال لهم كيف خلصتم من ايدى العرب فقالوا أيها السيد اننا خرجنا مع أمير من
امرائهم وغرنا على منبج وبزاعة فلما رجعنا نريد حلب أخذنا على اعزاز فوجدناهم قد ملكوها
فلما كان الليل تركناهم وأتيناقال الواقدى وهذا كله وحجاب الملك يسمعون فلما حضروا
اخبروا الملك بذلك ودخل يوقنا بهم على الملك فخلع عليهم وأنزلهم وأمرهم ان يكونوا فى خدمة
يوقنا واعطاه دارا باذاء قصره فقال يوقنا أيها الملك أنت تعلم ان هذه الدار لا يدوم نعيمها ان
السيد المسيح شبهها بالجيفة وطلابها بالكلاب يتجاذبونها كما روى عن المسيح أنه رأى طائرا
حسنا مزينا بكل زينة فنزع جلده فرآه اقبح ما يكون منظرا فقال له من أنت قال انا الدنيا
ظاهرى مليح وباطنى قبيح وانما ضربت لك هذا المثل أيها الملك لتعلم أنه ما خلا جسد من حسد
واذا أقبلت الدنيا على أحد كثرت حساده وانا أخاف من الحساد أن يتكلموا فى عند الملك
ويرمونى بالبهتان وبما لا أفعله فان كان الملك يغرمنى فليول هذه الوظائف لغيرى وأنا ما أبرح

من وكابك ثم انه بكى فقال له الملك أيها الدمشتق ماوليتك هذا الامر الا وقلبى وخاطرى واثق بك ومن يتكلم فيك بشئ سلمته اليك تفعل به ماتريد فشكره يوقنا وأراد الخروج الى وظيفته التى ولاه اياها واذا بخيل البريد قد أقبلت من مرعش وهم رسل ابنته زيتونة وانها خائفة من العرب وهى تريد القدوم عليك حتى ترى ما يؤل من الامر وانها تسألك أن ترسل لها جيشا يوصلها اليك فلما سمع الملك ذلك قال ليس لهذا الامر الا الدمشتق يوقنا فقبل الارض وقال السمع والطاعة لامرك فضم اليه ألف فارس ومائتين من أصحابه من المذبحة والقياصرة قال الواقدى فسار بالالفين والمائتين فارس وقد رفع الصليب فوق رأسه وجنبت الجنائب وعليها الرخوت المذهبة وسار يجد السير الى أن وصل الى مرعش وأخذ يتونة ابنة هرقل وهى الصغرى وكان الملك قد ولاها على تلك البلاد وزوجها بنوسطير بن حارس وكانوا يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد قتل على اليرموك من جراحات أصابته قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه فلما أخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها انطاكية فاخذ على الجادة العظمى لعله يلقى أحدا من جواسيس المسلمين أو يرى معاهدا فيرسله يعلم اباعبيدة أنه قد تمكن من الملك ومن البلد فلما وصل مرج الديباج وكان ليلا واذا بخيله التى على مقدمته قد أتته وهم مذعورون فقال لهم مابالكم فقالوا له أيها السيد الدمشتق ان هناك عسكرا نازلا فتقربنا منهم فاذاهم عرب وهم نيام ولاشك انهم مسلمون فقال لهم خذوا أهبتكم وايقظوا خواطركم وانصحوا لدينكم وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن ابنة الملك ولاتسلموها الى أعدائها وكونوا خير جند قاتل عن نعمة صاحبه واذا تمكن الحرب بيننا وبينهم فاعمدوا على الاسر واياكم والقتل واعلموا ان العرب وأميرها لابد لهم أن يقصدوا الملك ومن معه فان أسروا منا احدا يكن عندنا الفداء فقد وجدت فى كتاب خرفناس الحكيم ان من نظر فى عواقب زمانه توشح بوشاح أمانه ومن اهمل أمره خاف حذره ومن اكثر الغدر حل به الامر سيروا على بركة الله قال الواقدى فشرعوا الاعنة وقوموا الاسنة وقصدوا ذلك العسكر فلما أحسوا بهم بادروا اليهم واستقبلوهم وهم ينادون بعيسى ابن مريم والصليب المفخم من أنتم فقال لهم يوقنا من أنتم فقالوا نحن أصحاب جبلة بن الايهم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل عن دابته وسلم عليه وسلمت العرب المتنصرة على الروم فقال جبلة من أين جئتم فقال له من مرعش ومعى ابنة الملك وانتم من أين جئتم فقال جبلة من العمق وقد أتينا بميرة اهلها فلما رجعت ووصلت الى مرج دابق لقيت كتيبة من فرسان المسلمين وهم زيادة عن مائتى فارس وهم لابسون زينا فلما وصلنا اليهم ابتدرونا بعزم شديد وحرب عنيد واذا مقدمهم لا يصطلى له بنار فلقد اباد منا رجالا وجندل منا أبطالا ونحن فى الفى فارس وهم مائتان وكان فينا كالنار المحرقة فما زلنا نقاتلهم حتى اسرناهم بعدما قتل الفارس منهم الفارس والاثنين والثلاثة منا وبقى أميرهم الى آخر الناس فقصدنا جواده بالسهام حتى قتلناه ووقع فهجمنا عليه وأخذناه أسيرا فاذا هو من أصحاب محمد وهو ضرار بن الازور ونحن قاصدون بهم الملك هرقل ليرى فيهم رأيه فاظهر لهم يوقنا الفرح وقال وحق دينى

لقد فزت بالفخر باسرك لهؤلاء وهذا الغلام فلقد بلغنى عنه ما فعل بابطال الشام وفرسان الروم ثم سار القوم جميعا يطلبون انطاكية قال الواقدى رحمه الله تعالى حدثنى الشريد بن عاصم عن شروان بن مجزل عن قادم بن بشر عن زائدة بن معمر قال حدثنا بشار عن عوف عن صالح بن عبد الله عن جده مسروق قال المؤلف وحدثنى هذا الحديث عباد بن عاصم عن عمران ابن حصين قال لما فتح المسلمون حصن اعزاز وترك مالك الاشتر عليها سعيد بن عمر الغنوى والتقى بالفضل بن العباس ورجعا بالغنائم الى حلب استبشر أبو عبيدة بسلامة الناس بفتوح اعزاز فسأل مالكا عن يوقنا فحدثه فيما بينه وبينه سرا وأنه قصد انطاكية ليدخل على كلب الروم بحيلة ولم يكن له وجه يعود اليك به فقال أبو عبيدة الله ينصره ويظفره ويغفر له فلقد ظهر لنا منه ما لم يكن لنا فى حساب ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من أبى عبيدة عامر بن الجراح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الله سبحانه له المنة علينا التى يستوجب بها الحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا مستصعب قلاع الكفر وحصونه وأذل لنا ملوكهم وأورثنا أرضهم وديارهم وان الله سبحانه قد فتح علينا قلعة حلب وأردفها بحصن اعزاز وان البطريق يوقنا صاحب حلب قد أسلم وحسن اسلامه وقد صار عونا للمسلمين على الكافرين من بعد ما قاسينا منه ما الله عالم به فالله يجازيه فلقد نصر الله به الدين ونصح للمسلمين وأباد المشركين وقد دخل انطاكية يدبر حيلة على كلب الروم وقد ألقى بنفسه الى الهلاك فى طاعة الله ورسوله ولقد كتبت هذا الكتاب ونحن معولون على المسير الى انطاكية نقصد طاغية الروم فما بقى حصن سواه لاعدائنا قريبا منا ونحن طامعون بأخذه وأخذ سريره وكنوزه كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزودنا بالدعاء منك فانه سلاح المؤمنين ودمار الكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم انه أخرج الخمس وسلمه الى رباح بن غانم اليشكرى وضم اليه مائتى فارس من المسلمين فيهم قتادة وسلمة بن الاكوع وعبد الله بن بشار وجابر بن عبد الله ومثل هؤلاء رضى الله عنهم فاخذوا الخمس وساروا ثم ان أبا عبيدة دعا ضرار بن الازور وضم اليه مائتى فارس وأمره ان يشن الغارة فركب ضرار وكان معهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار سائرا هو ومن معه ومعهم رجال من المعاهدين يدلوهم على الطرق حتى وصلوا الى مرج دابق وكان وقت السحر فقال لهم المعاهدى ارفقوا على خيولكم فنزلوا وأراحوها بقية يومهم وليلتهم حتى اذا كان وقت السحر فما شعروا الا وخيلة كبستهم فلما وقع الصباح ركب ضرار وركب معه نحو مائة فارس وأما المائة الاخرى فقد دهمتهم خيول المتنصرة فلم يتمكنوا من الركوب فقاتلوا رجالا فنفرت خيولهم ووصل اليهم عدوهم حتى انه قتل كل واحد خصمه وتكاثرت عليهم الخيل فاسروا المائة وأما ضرار فانه صاح بالمائة الثانية

وقال يا فتيان العرب ان أعداءكم قد هاجوكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه أفضل الساعات عند الله فقووا عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال ميسرة بن عامر وكان من جملة من حضر معنا في مرج دابق ربيعة بن معمر بن أبي عوف وهو ابن عمرو بن ربيعة الشاعر وكان ربيعة من فصحاء العرب لا يتكلم الا بالسجع ينظم كلامه بحسن مقاله وكنا نصغي اليه اذا سجع ونحفظ منه فلما سمع ضرار وهو يحرضنا قال يا فتيان العرب لن تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره ووالله لن يدخلها من هو للجهاد كاره ولله في عرض السموات والارض جنة ولكنها محفوفة بالمكاره وأعلى الدرجات درج الشهاده فارضوا عالم الغيب والشهاده فهذا الجهاد قد قام على ساقه وبدر النفاق في اسواقه واختفى بنفاقه في انفاقه أما انتم اصحاب نبي العصر ولم قد يئستم من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفاء نياتكم واياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا غضب الجبار واعلموا أن النصر والثبات جندان منصوران فمن طلب دار البقاء هان عليه الملتقى فصححوا نياتكم تنالوا رحمة ربكم وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا النحور تنالوا الحور وتسكنوا القصور وقوموا الاسنه تنالوا الجنه واعتمدوا على الصبر تنالوا النصر واياكم ان توافقوا الكفار في حلمهم واعدلوا عن طريق قولهم قال العالم بحالهم وفعلهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم قال سمرة بن غانم والله لقد دهشت انفسنا بقوله وحملنا على المتنصرة وضرار ينشد

الا فاحملوا نحو اللئام الكواذب * لترووا سيوفا من دماء الكتائب
وردوا عن الدين المعظم في الورى * وارضوا اله العرش رب المواهب
فمن كان منكم يبتغي عتق ربه * من النار في يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم * ويرضى رسولا في الورى غير كاذب

قال الواقدي ثم حمل ضرار ونحن من ورائه وبذلنا نفوسنا وروينا سيوفنا ورماحنا من المتنصرة وجرى الحرب بما لا يوصف وضرار فيهم كانه النار في الحطب اليابس وجبلة ابن الايهم يتعجب من حملاته وضرباته فامر قومه أن يتصدوا جواده بسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار فتكاثروا عليه وأخذوه أسيرا وأخذوا بقية أصحابه وساروا بدون انطاكية فالتقوا بيوقنا وابنة الملك كما ذكرنا قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه ولقد حدثني معمر بن رواحة عن موسى بن القاسم عن خزاعة بن عمرو عن أبي المنذر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حرب ضرار بن الازور اسيرا فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى أبي عبيدة فاذا هو بأسد قد عارضه فقال سفينة يا أبا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أمري كيت وكيت فقرب منه وهو يبصبص بذنبه حتى وقف الى جانبه وأشار اليه برأسه أن سر فسرت وهو الى جانبي حتى أتى بي الى بلد من صلحنا فتركني

ومضى قال الواقدي فلما وصل سفينة الى الجيش حدث الناس باسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على المسلمين وبكى أبو عبيدة وخالد بن الوليد على أسرهم وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبلغ ذلك أخته خولة فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا ابن أمي ليت شعري في السلاسل اوثقوك أم بالحديد قيدوك ام في البيداء طرحوك أم بدماءك خضبوك وأنشدت تقول

ألا مخبرا بعد الفراق يخبرنا * فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقا * لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم * وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره * وأقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالي الجمع كاسوية * ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم * لثمنا خفافا للمطايا وقلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار مقيد * تركناه في دار العدو ويممنا
فما هذه الايام الامعارة * ومانحن الامثل لفظ بلا معنى
ارى القلب لا يختار في الناس غيرهم * اذا ما ذكرهم ذا كر قلبي المضنى
سلام على الاحباب في كل ساعة * وان ابعدوا عنا وان منعوا منا

قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني عن واصل بن عوف انه قال اجتمع النساء من العربيات ممن كان لهم أسير مع ضرار عند خولة ومن جاءتهم مزروعة بنت عملوق الحميرية وكانت من فصحاء زمانها وكان ولدها صابر بن أوس فيمن أسر مع ضرار فجعلت تندب ولدها وتقول

ايا ولدي قد زاد قلبي تلهبا * وقد احرقت مني الخدود المدامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة * وقد حيت منا الحشا والاضالع
واسأل عنك الركب كي يخبروني * بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادقا * ولا منهم من قال انك راجع
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي * فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله * ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان تك حيا صمت لله حجة * وان تكن الاخرى فالعند صانع

فقالت لهن سلمى بنت سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات ايهذا امركن الله انما أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فاصبرن تؤجرن فسكتن عن البكا قال الواقدي ولما ورد الخمس على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتاب أبي عبيدة مع رباح بن غانم اليشكري وقع

الصائح فى المدينة بقدومه فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا ماتجدد من أمر المسلمين فلما دخل رباح المسجد بدأ بالسلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبى بكر وصلى ركعتين وأتى الى عمرو قبل يده وعرض عليه الكتاب فقرأه على المسلمين فضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على البشير النذير وأخذ الخمس وكتب الى أبى عبيدة يأمره بالمسير الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شئ ورد الجواب مع رباح اليشكرى (قال الواقدى) اخبرنى مازن بن عبد ربه عن مالك بن أسيد عن جده مروان بن الحرير ان الجواب لما ورد على أبى عبيدة سار من يومه يطلب انطاكية قال وأما ما كان من أمر يوقنا رحمه الله وجبلة بن الايهم لعنه الله فانهم ساروا الى انطاكية وسبق البشير الى الملك هرقل بقدوم ابنته مع يوقنا وقدوم يوقنا ومعه المائتا أسير من المسلمين فامر بتزيين البلد والبيع فاظهرت الروم زينتها ودفعت الصدقات الى الفقراء وأخرج موكب الروم الى لقائهم مع ابن أخيه فى زينة عظيمة ودخل القوم وهم فى زيهم وحشمهم وكان يوما مشهورا وقد ترجلت الملكية والسريرية بين يدى ابنة الملك وخرج كل من بانطاكية وقدموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم امامهم وهم مشدودون والروم تشتمهم وتبصق عليهم وقد دارت بهم الرجال والبطارقة ودخلت ابنة الملك الى قصر أبيها (قال الواقدى) ودخل جبلة ابن الايهم ويوقنا على الملك فخلع عليهم وعلى كبار أصحابهم ثم انهم احضروا الصحابة واوقفوهم بين يديه وهم فى الحبال فلما وقفوا صاحت بهم الحجاب الى الارض تعظيما للملك فلم يلتفتوا الى قولهم ولا اعتنوا به فقال لهم الحاجب الكبير مامنعكم أن تعظموا الملك بالسجود بين يديه فقال لهم ضرار لايحل لنا أن نسجد لمخلوق وقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم عن ذلك (قال الواقدى) رحمه الله حدثنى سهل بن برقان رضى الله عنه عن السائب بن حازم عن الحكم بن مازن قال لما وقف ضرار والصحابة بين يدى هرقل خاطبهم من غير ترجمان وأراد الملك أن يسمع بطارقته وحجابه بما كان يحدثهم به حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه جمعهم اليه لما بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد ظهر وقال هذا هو النبى المبعوث الذى بشر به عيسى ابن مريم وهو صاحب الوقت ولا بد له أن يظهر حتى على المشرق والمغرب ثم ان هرقل دعاهم لاداء الجزية فارادوا قتله فاراد ذلك اليوم أن يبين لهم حقيقة قوله وانه أراد بذلك الاصلاح لهم ولحالهم فقال لضرار ومن معه من يخاطبنى منكم عما اسأله من العلم فأشاروا الى قيس بن عاصم الانصارى رضى الله تعالى عنه وكان شيخا معمرا وقد شاهد جميع أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وغزواته فلما أشاروا اليه قال للملك قل ما أنت قائل أيها الملك قال هرقل كيف نزل على نبيكم الوحى أول مبتدا امره فقال قيس بن عاصم سأل هذا السؤال لنبينا صلى الله عليه وسلم رجل من مكة يقال له الحارث بن هشام فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى احيانا مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فينفصم عنى وقد وعيت عنه واحيانا يتمثل لى الملك رجلا

فيكلمني

فيكلمنى فاعى مايقول قال قيس ولقد كان ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وان جبينه لينفصد عرقا فاول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو يتعبد الليالى ذوات العدد فلم يزل كذلك حتى جاءه الملك وقال له اقرأ فقال لست بقارئ فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى وقال لى اقرأ فقلت ما انا بقارى فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى وقال لى اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذنى وغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف بها فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فاخبر خديجة وقال لها لقد خشيت على نفسى فقالت له خديجة كلا لايخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسى المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر والحق وذكر الحديث بطوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا انا بالملك الذى جاءنى بحراء وهو جالس على كرسى بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فانزل الله ياأيها المدثر قم فانذر الآية ثم حمى الوحى وتتابع ولقد كنت معه يوما فى المسجد اذ دخل رجل ومعه بعير له فاناخه بالباب وعقله ودخل وقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام فقال أيكم محمد فقلنا هذا الابيض الوجه فقال له الرجل يا ابن عبد المطلب قد أتيت اسالك مشددا عليك فلا تجد على فى نفسك فقال له سل عما بدا لك فقال بربك ورب من قبلك الله الذى أرسلك الى الناس كافة كلهم قال اللهم نعم قال انشدك بالله الله أمرك أن تصوم الشهر فى السنة فقال نعم فقال الله أمرك ان تأخذ الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وانا رسول من ورائى قومى أنا ضمام ابن ثعلبة احد بنى سعد بن بكير فقال هرقل بحق دينك ما الذى رأيت من معجزاته قال كنت معه فى سفر فاقبل اليه اعرابى فدنا منه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أتشهد ان لا اله الا الله وانى محمد رسول الله قال الاعرابى ومن يشهد بما تقول فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الشجرة وهى بشاطئ الوادى فاقبلت اليه وهى تخط الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات فقالت أنت محمد رسول الله ثم أمرها فرجعت الى منبتها فقال هرقل انا نجد فى كتابنا ان الرجل من أمته اذا عمل السيئة كتبت عليه واحدة وان عمل الحسنة كتبت له عشرا قال قيس بن عامر هذا فى كتابنا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال هرقل اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم الذى بشر به عيسى المسيح هو الشاهد على الناس يوم القيامة فقال قيس هو نبينا قال الله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذير

وداعيا الآية اماشهادته فى العقبى فهوقول ربنا فى كلامه القديم وجئنابك على هؤلاء شهيدا فقال هرقل ان الذى وصفته لك هوالذى يأمر العبادان يضوا اليه فى حياته و يصلون عليه فى حياته و بعدوفاته فقال قيس هونبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال هرقل ان الذى وصفه المسيح يعرج به الى السماء ويخاطبه العلى الاعلى فقال قيس هووالله نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى حقه سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال الواقدى رحمه الله تعالى وكان فى ذلك الوقت بترك الروم وهوراس دينهم جالسا يسمع هذا الكلام فالتفت هذا البترك الى الملك وقال له ايها الملك ان الذى ذكره عيسى لم يبعث بعده ولاقبله بل هى تأويل كاذبة فقال له ضرار بن الازور كذبت فى وجهك وكذبت هذه اللحية الملعونة المخزية يا كلب الروم أنت من أمثالك من يكذب عيسى عليه السلام وينكر بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام اما تعلم ان عيسى قرأه فى الانجيل وموسى قرأه فى التوراة وقرأه داود فى الزبور وان نبينا المبعوث بخير الاديان المشهود له بالنبوة والرسالة فى كتاب الله العزيز وجميع الكتب المنزلة على الانبياء من قبله وهو نبينا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب المكى ولكن حجاب الكفر منعكم عن معرفته فلما ان سمع هرقل من ضرار هذا الكلام قال له لقد اسأت الادب فى المجلس اذ خرفت بعمدة دين النصرانية فمن أنت فقال له قيس بن عامر هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ضرار بن الازور لاتتكلم فى حقه بكلام قبيح فقال الملك هذا الذى بلغنى عنه أنه يقاتل مرة راجلا ومرة فارسا ومرة عاريا ومرة لابسا قال نعم فعندها سكت ولم يتكلم قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه ولقد بلغنى ان البترك لما سمع انواف ضراربه أبدى الغضب بعد الابتسام ولحقه غيظ شديد ماعليه من مزيد وقام من حضرة الملك قال وغضب البطارقة والحجاب لغضب البترك فلما رأى الملك غضبهم خاف على نفسه منهم فقال قطعوه بسيوفكم وامحوا اثره قال فنزلوا عليه بالسيوف وضربوه ضربات شديدة وكانت عدّة تلك الضربات مائة واربعة عشر ضربة الا انها غير قاتلة لما يريده الله من لطفه الخفى فى حياته ونجاته فلما رأى البترك هذه الفعال سكن غضبه وقال اقطعوا لسانه فلما ان رأى يوقنا ذلك الامر وتحقق هذا الكلام منهم قال فى نفسه والله لااترك هذا اللعين يتمكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدّم الى الملك وقبل الارض ودعا بدوام الملك والنعم وقال ايها الملك ان هذا ليس بصواب وان من الرأى السديد عندى ان تترك هذا الغلام حتى يصح فاذا عاد الى صحته اخرجناه الى باب المدينة وصلبناه لتشفى صدور الروم لانه قد أثر فيهم كلامه الذى تكلمه وقد قتل من آبائهم وابنائهم واخوانهم وايضا يبلغ الخبر الى المسلمين باهانته وضربه فيوهنوا بذلك قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه انما أراد يوقنا بذلك ان يخلص ضرارا منه وقال فى نفسه اذا بات تلك الليلة انكسرت حدّة الغيظ من الملك فيطلقه فقال الملك الى يوقنا خذه واحفظه الى

غد فاخذه يوقنا الى داره وافتقد جراحاته فاذا بها كلها سليمة ماقطع له عصب ولا عرق وذلك من لطف الله الخفي ولما ان رأى يوقنا الى جراحاته خيطها وداواها واطعمه واسقاه ففتح عينيه فرأى يوقنا وولده ولم يكن عنده علم بأن يوقنا قد أتى الى هذا المحل ليحتال على الملك فلما ان رآهما قال لهما ان كنتما كافرين فقد سخركما الله لي حتى داويتماني وان كنتما مؤمنين فرحبا بكما وهنيئا لكما ولعل الله ببركتكما يجمع شملي بعجوز في الحجاز قد داعها البكاء والعويل ليلا ونهارا من اجلي واجل اختي خولة وهي في العسكر ولقد كانت تحسب هذا الحساب لانني بقية من مضى لها من الاحباب ولقد خفي عليها خبري وأمري فان قدرتما تبلغاها سلامي وتعلماها مقامي وكيف كان للكافرين كلامي فهي ترسل تعلم امي وتكاتبها بأمري فلما استراح في الليل قال بالله عليكما اكتبا عني ما اقول لكما فكتب عنه ابن يوقنا وهو يملي له ويكتب حرفا بحرف شعرا

الا ايها الشخصان بالله بلغا * سلامي الى أهلي بمكة والحجر
تلقيتما ما عشتما الف نعمة * بعز واقبال يدوم مع النصر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه * فقد خف عني ما وجدت من الضر
بصنعكما لي نلت خيرا وراحة * كذلك فعل الخير بين الورى يجري
ومالي وبين الله موتي وانما * تركت عجوزا في المهامه والقفر
ضعيفة حال مالها من جلادة * على نائبات الحادثات التي تجري
تعودها حب القفار مقيمة * على الشيح والقيصوم والنبت والزهر
وكنت لها ركنا تعد رحاله * واكرمها جهدي وان مسني فقري
واطعمها من صيد كفي ارانبا * من الوحش واليربوع والظبي والصقر
من الضب والغزلان والبهت بعده * مع البقر الوحشي المقيمات في البر
واحمي حماها ان تضام ولم ازل * لها ناصرا في موقف الخير والشر
واني اردت الله لاشئ غيره * وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر
وارضيت خير الخلق اعني محمدا * لعل انال الفوز في موقف الحشر
فمن خاف يوم الحشر ارضى الهه * وقاتل عباد الصليب بني الكفر
كذا جلت يوم الحرب في كل كافر * وجندلته بالطعن في الكر والفر
تقول وقد حان الفراق لحينه * الا يا اخي مالي على البين من صبر
الا يا اخي هذا الفراق فمن لنا * بحسن رجوع قادم منك بالبشر
اذا سافر الانسان عن ارض أهله * فاما رجوع اوهلاك الى الدهر
الا بلغاها عن اخيها تحية * وقولا غريب مات في قبضة الكفر
جريح طريح بالسيوف مشرح * على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
الا يا حمامات الاراك تحملي * رسالة صب لايفيق من السكر

حمائم نجد بلغى قول شائق * الى عسكر الاسلام والسادة الغر
وقولى ضرار فى القيود مكبل * بعيد عن الاوطان فى بلد وعر
حمائم نجد اسمعى قول مفرد * غريب كئيب وهو فى ذلة الاسر
وان سألت عنى الاحبة خبرى * بان دموعى كالسحاب وكالقطر
حمائم نجد خبرى الاخت اننى * قتلت بحد المرهفات من البتر
حمائم نجد عددى عند موطنى * وقولى ضرار قد يحن الى الوكر
وقولى لهم انى أسير مقيد * له علة بين الجوانح والصدر
له من عداد العمر عشر وسبعة * وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفى خده خال محته مدامع * على فقد اوطان وكسر بلا جبر
مضى سائرا يبغى الجهاد تطوعا * فوافاه ابناء اللئام على غدر
الا فادفنانى بارك الله فيكما * الا وا كتبا هذا الغريب على قبرى
الا يا حمامات الحطيم وزمزم * الا خبرا أمى ودلا على أمرى
عسى تسمح الايام منا بزورة * لقلب غريب لا يرام من الفكر

(قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه لما كتب ابن يوقنا هذه الابيات كتب ابوه يوقنا الى ابى عبيدة يعلمه بما يريد ان يدبره وسلمه الى رجل يثق به وبعثه الى المسلمين قال المؤلف حدثنى جابر بن عمران الدوسى ونحن فى أرض يقال لها البلاط اذ جاء معن بن أوس من آل مخزوم ولقد تركه أبو عبيدة فى المقدمة فجاء برجل من الروم فقال لابى عبيدة خذ هذا الباث فهو يزعم انه رسول فاستخبره أبو عبيدة فى السر فقال انا رسول الملك بكتاب فقال ممن قال من يوقنا ومن اسير لكم بانطاكية يقال له ضرار بن الازور فأخذ أبو عبيدة الكتاب وقرأه على من يعز عليه فبكوا من ابيات ضرار وبلغ الخبر اخته فأتت الى أبى عبيدة وقالت يا امين الامة اسمعنى ابيات أخى فقرأ البعض عليها ولم يتمها فاسترجعت وقالت انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فوالله لآخذن بثاره ان شاء الله تعالى وحفظ الناس ابيات ضرار وتداولوها بينهم فكان أشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه حدثنا عبد الملك بن محمد عن أبيه حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عون عن موسى بن عمران اليشكرى عن عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش ان اهل حازم فتحوا قلاع كثيرة وحصونا منها الراوندان وماسواها من قورص وباسوطا ولم يزل أبو عبيدة سائرا بالمسلمين الى ان نزل على جسر الحديد وبلغ الخبر هرقل فتمكن الخوف من قلبه وامر بطارقته للتاهب للقتال ونصب سرادقاته مما يلى جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفتح الملك هرقل خزائن السلاح وفرقها على رجاله وابطاله وخلع على يوقنا وقال له أيها الدمشتق قد وليتك على جيشى هذا كله فكن انت مدبره وسلم اليه صليبا كان فى بيعة القسيسان لا يخرجوه الا فى الايام العظام عندهم وقال له ايها الدمشتق قدم هذا الصليب بين

بذلك واعتمد عـلى نصرته فهو ينصرك فاخذه وسلمه الى ولده وأمره ان يحمله بين يديه فعنـدها ركب الملك هرقل الى كنيسة القيسان ومعه الملوك والحجاب حتى يصلوا صلاة النصر فلما وصلوا وصلى الملك جلس وامر باحضار المائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم ليقربهم قربانا فقبل بوقنا يده وقال له يا عظيم الروم ماولاك الله عـلى البلاد والعباد الا وقد علم ان عقلك يسع ذلك وقد قال ديسقور الحكيم ان للعقل مرقى جليل وصاحبه نبيل لانه عز الانسان ومصباح الانام واعـلم أيها الملك ان العرب قد قصدتنا بعددها وعديدها وقد نزلوا عـلى جسر الحديد ولا بد لنا من القتال والمصاف معهم ولا ندرى عـلى من تكون الدائرة فان قتلت هؤلاء الاسرى ووقع احد منا بايديهم فانهم لا يبقون عليـه والصواب تركهم الى ان نرى ما يؤول من أمرنا فان اسروا من اصحابنا أحدا ومن اعياننا نفاديه به فقالت ارباب الدولة صدق الدمشتق فى قوله قال البترك أيها الملك احضروهم الى هـذه الكنيسة فانها أحسن كنائس بلادنا وأمر النساء والبنات يتزين ويحضرن هنا فاذا هم نظروا الى نسائنا وبناتنا وحسنهن وجمالهن وطيب رائحتهن مالت انفسهم اليهن فيرجعون الى ديننا فيكون ذلك وهنا على المسلمين قال فامر بذلك فلما حضروا رفعت الاقسة اصواتهم بقراءة الانجيل فرفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب الجاحدون وضلوا ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله غيره وكان فى الاسرى رجـل من اليمن من فضلائهم وعلمائهم ممن علم علم الحميريين وقرأ الكتب السالفة وكان اسمـه رفاعة بن زهـير يقول الشعر وينظـم الكلام وانه لما نظر الى الكنيسة ملآنة باهل الكفر ورآهـم يعظمون الصلبان ويسجدون للصور قال الله أكـبر الله أكبر لا اله الا الله كذب العادلون عن الله أصحاب الشـيطان ولا اله الا الله الواحد الرحمن الذى ليس له اب محسوب وانه فرد صمد لا الى شئ منسوب ليس له ضـدّ ولا ندّ ولا جندٌ اوجد الموجودات وصور المخلوقات وخالق الكائنات ودبر الارض والسموات اول لا افتتاح لوجوده وآخر لا عدم لشهوده لا يموت ولا يفنى ولا يزول ولا يبلى لا شريك له ولا وزير له ولا صاحبـة له ولا مشـير له ليس كمثـله شئ وهو السميع البصـير قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت القسوس بعكاكيزها اليه فأشارت الحجاب اليهـم ان لا يكلموه ويتركوه فتفرقوا عنـه فقال له الملك هرقل ما اسمك يا أخا العرب قال ايها الملك وما تريد من اسمى ولست من جنسكم فتستخبرونى فقال البترك صـدق ايها الملك ليس هو من جنسنا ولا له علم ولا خبرة فعلى أى تساله انما هو بدوى يعـلم بسكنى القفار وصحبة الاشرار والحكمة من بلادنا ظهرت وفى حكمائنا اشتهرت لانها نبعت من اليونانيين ووعاها جدودنا السريانيون من أين للعرب حكمة يتوارثونها وعلوم يتدارسونها والفضائل كلها من علمائنا والعـدل فى ملوكنا الاسكندر وبطموس وموريق ويوسطنطيوس وارمويـل وانطاميس وارجاس وجرجس واسطوس واسطانيس وسارعورس النوصيدى وهو الذى بنى انطاكية وسفليوس واريسا وكان نبيا ملكا ويلينوس وهو الذى بنى الرهنا ومنيج واسطيس وكان كاهنا وهو الذى اخـبر ملك زمانه انه قد ولد مولود

يخاطب الرب ويكون له شأن ونبأ عظيم يهلك على يديه افلاطون وهو فرعون ومنا فسطين الحكيم ومعناه فجر العلوم ومنامينو وهو الذى بنى رومية الكبرى وباسمه ومنا سطاينوس وهو الذى وضع الكتاب الاول الذى فيه حوزة الارض بجبالها وبحارها وبنائها وصوانها ووصف امة كل اقليم بالوانها وخواصها ووصف ما فى كل اقليم من معدن ذهب او فضة او جوهر واحصى عيون الارض جميعها باسمائها وجبالها واوديتها وشعابها وغدرانها وعجائبها ومنا ابردروس القلمنسب الرومى وهو الذى يقول لاحشرنى الله مع الذين يقال لهم فى المعاد ادبروا مع ابليس وجنوده الى النار الم تطهر نفسك أيها المسكين الناظر فى كتابى القارى لابى من ادناس الدنيا وشهواتها المظلمة للنفوس المقيمة للحس الروحانى النورانى ان ترقى الى عالم عليين فانظر فى الحكمة فانها سلم العالم الروحانى فن عدمها فقد عدم القرب الى بارئه ومصوره ومنشئه (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وانما تكلم البترك بهذا الكلام بين يدى الملك هرقل وهو يظن انه يطعن فى العرب ليسمع جبلة بن الايهم حكمته وكان جبلة وولده حاضرين وكان بين البترك وبينه عداوة وسببها ان البترك كان بنى له ديرا عظيما وجعل له عيدا فى السنة فتقصده الروم من كل مكان بالنذور والاموال والستور والشموع وكان ذلك كله برسم البترك قال فاعطى الملك لجبلة تلك الارض التى فيها الدير فتغلب جبلة على الدير وبنى حوله مدينة وسماها باسمه وهى جبلة هذه حدثنا سليمان بن عامر عن منصور الجونى قال حجاج بن جريج اخبرنى يحيى بن عمارة بن أبى الحسن قال لما سمع رفاعة ابن زهير كلام البترك تبسم من قوله وقال ايها البترك لقد مدحت أقواما ليس لهم الى الفضل سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل ولا من وحد الملك الجليل الذى ليس له مثيل ولا عديل وما الفضل الا لولد اسماعيل ابن ابراهيم الخليل الذين لهم البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ومنهم السابقة والاقيال والحماة والاشبال الذين ملكوا الارض فى الطول والعرض منهم الملك الصعب الاسكندر الذى ملك قرنى الارض ودخل الظلمات ودخل فى طاعته أهل الارض وبلغ مطلع الشمس ومغربها واذل ملوكها وجعل له منهم جندا واعوانا وسماه الله ذا القرنين ومنهم سبا بن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد وشديد بن عاد وعمرو ذو الاذقان وهو ابن سكسك والمدهد بن عاد ولقمان بن عاد وشبعان بن اكسير بن تنوخ وعباد بن رقيم وهاديل بن عتبان وكان يتكلم بالحكمة ومناجات موسى بن جلهمة بن سياسة بن عجلان بن باقد بن رخ وثمود ابن كنعان ومنا سبا بن يخسب وهو اول متوج منا ثم ولى بعده حمير ثم منا تبع وهو متوج ومنا وائل بن حمير متوج ومنا عاد بن حمير متوج ومنا نبى الله حنظلة بن صفوان من اهل الرس ومنا نفيل بن عبد الديان بن خشدم بن عبد ياليل ابن جرهم بن قحطان بن هود عليه السلام عاش خمسمائة سنة وهو الذى بنى المصانع واستخرج الكنوز وقاد الجيوش وورثه الله علم نبيه حنظلة ابن صفوان وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا اذ جعل الله محمدا صلى الله عليه وسلم منا فنحن السادة وانتم العبيد حدثنا سفيان عن عبد ربه قال اخبرنا رحيم قال حدثنا الوليد بن زياد عن

حزام بن حكيم قال بلغنى ان هذا الرجل يعنى رفاعة بن زهير بن زياد بن عبيد بن سرية الجرهمى كان عالما بانساب العرب واخبارهم وملوكهم وكان طالع كتب هود وصالح وحنظلة عليهم السلام فلما تكلم بحضرة الملك هرقل بهذا الكلام أراد البترك ان يعجزه بسؤال يلقيه عليه فقال ياذا الهمم العالية والقوادح الزكية بم تصل القلوب الى نسيم العقل الروحانى وترقى الى ملكوت اللاهوت والطيور الخفية الغائبة عن الابصار المحيطة بالاقطار وترقى فى رياضات الالباب المصفات من الادناس والافكار النورانية بصفوا كدار الاخلاق المحيطة بالافكار من الهياكل الجسمانية فعند الصفو من مفارقة الكدر تعيش الارواح عيشة الابد الذى لا يصل اليه انحلال ولا اضمحلال فحينئذ يختلط العنصر بالعنصر ويطفو الصفو بالصفو ويرسب الكدر الى الكدر فقال رفاعة بن زهير ما اصبت أيها البترك فى مقالتك قال ولم قال رفاعة كيف تدل القلوب الى علام الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب ام كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الكفر وكيف تجلى الافكار من غوامض الاسرار وهى فى حجب الاغترار اذا تناهت الاهوال الى مفازاتها وقربت الهمم من مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها وعادت متحركات الفكر الى مساكنها وغاليات الاذهان الى اماكنها فانحازت الاشكال عن الاشكال بلطف تأثير الهوى فيها وانسكبت مشرفة على هياكلها من اقطار عناصرها فقال أيها البترك هذا كلام العرب الذى زعمت ان الحكمة ليست من اخلاقهم ولا تباع فى أسواقهم ولقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه سيف ابن ذى يزن الذى بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتكلم بغوامض العلوم الحكمية ووشحه بوشاح شكر النعمة ومن جملة ما قال فصيح من فصحائنا اسمه قس بن ساعدة من جملة ما نطق به من قوله هذه الابيات شعرا

الا اننا من معشر سبقت لهم * ايادٍ من الحسنى فعوفوا من الجهل
ولم ينظروا يوما الى ذات محرم * ولا عرفوا الا التقية فى الفعل
وفينا من التوحيد والفعل شاهد * عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل
يعاين ما فوق السماء جميعها * معاينة الاشخاص بالجوهر المجلى
ونعلم ما كنا ومن أين بدؤنا * وما نحن بالتصوير فى عالم الشكل
وانا وان كنا على مركز الثرى * فارواحنا فى عالم النور تستجلى
وما صعدت كى تستريح وانما * حقيقة ممثول وجلت عن المثل

قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه قال أبو سعيد حدثنا شيبة بن أبى عبد الله بن عيسى عن لقية ابن هند عن عبد الله بن ربيعة قال قلت لرفاعة بن زهير لما تخلص من قبضة الروم ياعم كيف كان البترك يفهم ما تقول وتفهم ما يقول فقال يا بنى ما رأيت افصح من اللعين بلسان العربية ولقد سألت عن ذلك من عبد الله يوقنا فقال اما علمت ان ملوك الروم البطارقه لا يستقيم ملكهم الا ان يتعلموا لسان العربية قال واما حدث رفاعة المسلمين بمناظرة البترك

كتبها كثير من الناس (قال الواقدى رحمه الله) وكان لرفاعة ابن زهير الجرهمى ولد جاهل قال وكان اسرمعه قال وكان قلبه يميل الى الكفر وكان رفاعة يدعو عليه فلما حضروا الاسارى فى كنيسة القيسان واشتغل رفاعة مع البترك بالمناظرة اقبل ولده عامر يحدق بنظره الى البيعة وزينتها وصورها وصلبانها ويتأمل نساء الروم وزينتهن فبادر الى تقبيل الصلبان واشرك بالرحمن فلما رآه أبوه رفاعة بكى وقال يا ويلك أكفرت بعد الايمان يا ويلك طردت عن باب الرحمن يا ويلك كفرت بالملك الديان يا طريد القدرة يا من بعد عن الحضرة فيا ولدى ما بكاءى على فراقك وانما اذا سلكت أنا فى طريق وأنت فى طريق اذا مضيت أنت الى دار الابالسة وحشرت مع الرهبان والشمامسة وتكون فى طبقة النار السادسة وأنا أمضى مع محمد الى دار فيها الارواح مستأنسة يا بنى لا تطلب حياة الدنيا يا بنى لا تختار شهوتها على الاخرة واخجلتى من فعالك اذا وقفت بين يدى العزيز الجبار يا بنى لقد فضحت شيبة ابيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى يا بنى لقد خاب أملى فيك والرجا يا بنى كيف طاب قلبك ان تتبرى من محمد المصطفى يا بنى ممن تطلب الشفاعة غدا وقال يا بنى غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم يا بنى صرت الى الشقا من بعد كونك فى النعيم يا بنى ما تخشى العذاب فى الجحيم ما تستحى من أحمد يوم القيامة أما تعلم ان أباك قد غدا من أجل كفرك فى هموم أين المفر اذا دعاك الله فى اليوم العظيم ويقول يا عبدى كفرت بواحد فرد يا بنى أنت بعزم قيم أما ابوك فانه يبقى فى عيش زميم أسألك يا ولدى بما قد كان فى الزمن القديم من حنتى وتعطفى حال الرضاعة والفطوم الا رجعت الى الذى غطاك بالستر العميم قال فقال له ان ولدك قد أغلق الباب وارخى الحجاب فامر به البترك فحل من الوثاق وأمر به الى جرن ماء المعمودية فغمسوه فيه ودارت به الاقسة والشمامسه وبخروه ووقعت عليه الخلع من البطارقة والملوك ووهب له البترك مركبا وجارية ومنزلا وضمه الى عسكر جبلة ابن الايهم ثم قال البترك ياهؤلاء ما منعكم أن تدخلوا فى ديننا كما فعل صاحبكم قالوا منعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وما نحن من الذين تبدل ايمانهم بالكفر ولو قتلنا فقال لهم البترك طردكم المسيح عن بابه وابعدكم عن جنابه فقال له رفاعة الله يعلم أينا المطرود ومن هو عن رحمة ربه مبعود فقال هرقل يا معاشر العرب قد وصل الينا أن خليفتكم واميركم يلبس مرقعة وقد وصل اليه من أموالنا وذخائرنا ما يكل عنه الوصف فما منعه أن يتزيا بزى الملوك فقال رفاعة يمنعه من ذلك طلب الاخرة والفزع من جبار الجبابرة فقال هرقل ما صفة دار امارته فقال رفاعة مبنية بالطين خالية من الحجاب آنسة بالفقراء والمساكين قال فما بساطه قال العدل والتمكين قال فما سريره قال العقل واليقين قال فما بدلة ملكه قال الزهد والدين قال فما خزائنه قال الثقة برب العالمين قال فمن جنده قال ابطال الموحدين أما علمت أيها الملك ان جماعته قالوا له يا عمر قد ملكت كنوز القياصرة وذلت البطارقة والاكاسرة فهل لا لبست ثيابا فاخرة قال أنتم تريدون زينة الحياة الظاهرة وانا أريد رب الدنيا والآخرة فلما أبدى هذا القول واضمره أشار اليه منادى القدرة وبشر الذين

ان

ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال ثم ان الملك هرقل أمر بهم الى السجن الذى هو فى كنيسة القيسان وخرج الى عسكره ليشرف على الخيام فرأى السرادقات قد ضربت لان البطارقة ضربت سرادقاتها عند خيامه ونوبيا الملوك قد نصبت بازاء كل نوبية كنيسة من الخشب المدهون بسائر الاصانيع والنواقيس على ابوابها وكان زي الروم ذلك وهذه البيع الخشب كانوا يتنافسون فيها وفى صنعتها وتكون معهم فى اسفارهم وعساكرهم وطاف هرقل على عسكره جميعه واراد الدخول الى انطاكية واذا بفوارس تركض اليه فقالت لهم الحجاب واصحاب السرير ماوراكم قالوا ايها الملك جسر الحديد منا وقد حصلت العرب منا داخل الجسر قال فايقن الملك بزوال ملكه وقال وكيف ملكت العرب الجسر والبرجين وفيها ثلاثمائة من البطارقة الشداد قالوا أيها الملك ان المقدم الذى على الابراج هو الذى سلمهم (قال الواقدى رحمه الله) ومن حسن توفيق الله بالمسلمين ان صاحب الملك كان فى كل يوم يمضى الى الجسر ويوصى من فى البرجين باليقظة والحرص الشديد وانه مضى فى بعض الايام على عادته فوجدهم يشربون الخمر وليس عندهم حفظ ولا حرس فأخذهم وضرب كبراءهم وهم بقتل مقدمهم ثم انه امسك عنه خوف الملك فعمل الحقد فى قلوبهم فجاءهم يوقنا فى بعض الايام يتجسس ليدبر فيه حيلة فرآهم حنقين من صاحب الملك فسألهم فانكروا منه فقال لهم اطلعونى على خبركم فقالوا له تعطينا منك امانا فاعطاهم فقالوا نحن نسلم هذا الجسر للعرب فلما صح عنده ذلك قال لهم ما مرادكم قالوا نأخذ أمانا من المسلمين فقال يوقنا أنا اكتب لكم كتابا الى أميرهم بأن يعطيكم امانا وان دخلتم فى دينهم فهو خير لكم فقالوا له وكيف انت دخلت فى دينهم ثم رجعت فقال حاش لله وانما أتيت ادبر لهم على تسليم انطاكية لهم فلما صح عندهم ذلك قالوا ونحن نسلم اليهم الجسر فلما وافقهم على ذلك كتموا امرهم فلما قدم المسلمون مضى اليهم صاحب الجسر من غير أن يعلم به احد وأخذ له ولمن معه امانا وناوله كتاب يوقنا ففرح المسلمون بذلك بأن يأخذوا جسر الحديد من غير قتال فاعطوا للمقدم امانا فلما وصل عسكر المسلمين الى الباب الذي على الجسر فتح لهم فدخلوا فلما سمع هرقل بذلك أمر الناس أن يتأهبوا للحرب قال ففعلوا ذلك قال الواقدي رحمه الله حدثنا ياسر بن عبد الرحمن عن منازل بن نزاف الصيدلانى وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال بلغنى انه لما صار المسلمون بارض انطاكية قال ابو عبيدة لخالد يا أبا سليمان قد صرنا بارض انطاكية بلد كاب الروم والساعة يأتينا عسكره فما ترى من الرأي قال خالد ان الله قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية فأمر اصحابك أن يتأهبوا ويظهروا زينة الاسلام وقوة الايمان وسير كل امير بجيشه ولتكن الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قال ففعل أبو عبيدة ذلك واول من سير سعيد بن زيد احد العشرة ومعه ثلاثة الاف فارس فيهم المهاجرون والانصار وجعله على مقدمة الجيش وسير وراءه رافع بن عميرة الطائى ومعه الف فارس وسير وراءه ميسرة بن مسروق العبسى فى ثلاثة آلاف فارس وسار وراءه خالد فى جيش الزحف

وسار وراءهم أبو عبيدة في بقية العسكر وكان معه عمرو بن معدي كرب الزبيدي وذو الكلاع الحميري وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وابان بن عثمان بن عفان والفضل بن العباس وابو سفيان صخر بن حرب وراشد بن ضمرة وسعيد بن رافع وزيد بن عمرو ومثل هؤلاء السادات وسار وراءهم النساء اللاتي لهم الاسرى وفيهم خولة بنت الازور وعفيرة بنة عفان ومزروعة بنة عملوق وأم ابان بنت عتبة وليس فيهم اشد حزنا من خولة بنت الازور قال الواقدي رحمه الله ومما بلغني انها قالت في اسر اخيها من المراثي المبكيات تقول شعرا

ابعد أخي يلذ الغمض عيني * فكيف ينام مقروح الجفون
سابكي ما حييت على شقيقي * أعز على من عيني اليمين
فلو اني لحقت به قتيلا * لهان على اذ غبر المهون
وكنت الى السلوار طريقا * واعلق منه بالحبل المتين
وانا معشر من مات منا * فليس يموت موت المستكين
واني ان يقال مضى ضرار * وكم في الحرب يقصم للغصون
وقالوا كم بكائك قلت مهلا * اما ابكي وقد قطعوا وتيني

قال فسار أبو عبيدة في مواكبه كما ذكرنا فبينما الروم في خيامها وعسكرها اذ وقع فيهم الصائح بقدوم العرب فو كزوا خيولهم وصفوا صفوفهم فاول من أشرف عليهم برايته سعيد بن زيد وبعده المسيب بن نجيبة الفزاري وبعده ميسرة بن مسروق العبسي وبعده أتى خالد بن الوليد وبعدهم أبو عبيدة في مواكبه فنزل كل أمير بقومه فلما نظر هرقل اليهم وانهم قد نزلوا بفنائه وبنائه ترك على حفظ جيشه صاحبه الاكبر نسطاروس بن روميل وكان من شجعان الروم ودخل الى كنيسة القيسان وجمع الملوك والبطارقة والسريرية والحجاب وقام هرقل فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية ويا بني ماء المعمودية قد قرب ما حذرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من أرض سورية وقد كنت حذرتكم من زوال ملككم ومن هذا المقام فلم تقبلوا مني وأردتم قتلي وهؤلاء القوم قد دخلوا بدار ملككم وراح عزكم فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم وأنفسكم واياكم والفشل لا يلحقكم في الجهاد فقد جاهدت عنكم جهدي واتلفت أموالي وخزائني ورجالي عن دينكم وملككم فلم تساعدني ساعدة ولا أدركت من القوم ارادة فان انتم فشلتم وتقاعستم ولم تجردوا لهؤلاء العرب سيوف العزم والا كان العار عليكم والذلة تصل اليكم ابن ابناؤكم ومن سلف من آبائكم ماتوا كراما غير لئام وسكنت ديارهم العرب اللئام وكنائسهم صيروها جوامع واخربوا البيع والصوامع واذلوا ملوككم واستعبدوا ابناءكم ونساءكم وملكوا قلاعكم واستولوا على حصونكم ومدائنكم وقد مضى ما مضى فاستأنفوا الامر وقاتلوا فكم هلك من الامم قبلكم على ممالكهم وعلى الغيرة على حريمهم ولقد كانت حكمتي نتجت لكم ان تسمحوا منوال المصالحة بينكم وبين هؤلاء العرب فابيتم ذلك لان ظلمة جهلكم قد اطفأت نور الحكمة اما علمتم أنه قد وجد لوح من الحجر على قبر

طيماون تلميذا فيانوس وفيه مكتوب الحكمة سلم العالم الاعلى من عدمها فقد عدم القرب الى بارئه الحكمة حياة القلوب وبغية الاذهان ونزهة النفوس ونور العقول من لم يكن حكيما لم يزل سقيما من تدبر نظر ومن نظر عرف ومن عرف عمل ومن عمل انفتح ذهنه وعقله ومن ترهب عقله صفت نفسه فقام اليه جبلة ابن الايهم وقال يا عظيم الروم انما قتال هؤلاء العرب بقتل خليفتهم عمر فى المدينة فلو أنت أرسلت اليه رجلا من آل غسان يقتله فيكون سبب فشلهم وانتزاع الشام من ايديهم فقال هرقل هذا شئ لا يصح أمله ولا ينقضى أجله لان الاجال مقدرة والانفاس مقررة ولكن هو شئ تطيب النفس عند سماعه فافعل ما أردت قال فارسل جبلة من قومه رجلا يقال له واثق بن مسافر الغسانى وكان جريا مقداما فى الحروب فقال له انطلق الى يثرب فلعلك تقتل عمر فان أنت فعلت ذلك أنا أعطيك مهما أردته من الاموال قال فانطلق واثق بن مسافر حتى دخل المدينة ليلا فلما كان من الغد صلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالناس صلاة الصبح ودعا وخرج الى ظاهر المدينة يتنسم اخبار المجاهدين بالشام قال فسبقه المتنصر وجلس له باعلى شجرة من حديقة ابن الدحداح الانصارى واستتر باغصانها ثم ان عمر قام على ظاهر المدينة حتى حميت الرمضا وعاد وهو وحده فقرب من الحديقة ودخلها ونام فى ظلها فلما نام هم المتنصر بالنزول من الشجرة وجرد خنجره واذا هو باسد قد أقبل وهو بقدر البقر الكبير وطاف حول عمر وجلس عند قدميه يحرسهما وأقام حتى استيقظ فعندها نزل المتنصر وقبل يد عمر وقال له يا عمر قد عدلت فامنت بابى والله من الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم حدثه بامره واسلم على يديه (قال الواقدى) رحمه الله وكانت هذه الفعلة قبل نزول المسلمين على انطاكية حدثنا ابو محمد قال اخبرنى أبى عن حسان عن السدى عن يحيى الواقدى عن شهر بن عباس اليربوعى ان عمر حدثه عن نزول أبى عبيدة بالمسلمين على انطاكية قال وعظ هرقل قومه بكنيسة القيسان واستحلفهم انهم لا ينهزمون أو يموتوا عن دم واحد فحلفوا وخرجوا مع الملك الى عسكره وقد رفعت الصلبان وقرأت القسس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان ورجفوا للقتال وكان المسلمون قد رتبوا صفوفهم ووقفوا كل أمير فى مكانه ونشرت الرايات والاعلام وأشار أبو عبيدة الى ربيعة بن معمر الشاعر وكان ملسنا فصيحا لا يتكلم الا بالكلام المنظوم فقال له يا ربيعة فوق سهام لفظك ووعظك الى المجاهدين وحرض المسلمين على قتال المشركين قال فتقدم ربيعة امام الصفوف وكان جهرى الصوت يسمعه القريب والبعيد فقال أيها الناس الى متى هذه المهلة فتأهبوا للحملة فهذه طيور الارواح قد عولت على فراق أقفاص الاشباح وقد ارتاحت الى بارئها واجابت صوت مناديها وها هى تخاطبنا بلسان اشارتها عن نطق عبارتها وما هذا الوقوف عن بذل انفسكم وقد اشتراها مؤيدكم افركنتم الى حب الحياة الفانية والانفس الدانية وهذه أوقاتكم بالنصر مؤيدة وهمتكم عن طلب زينة الدنيا متحيدة والمواعظ الصادقة بكلام الحق مقيدة اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم

فى بروج مشيدة وهذه طوالع سعودنا بالاقبال طالعة وشجرا مالنا بالتأييد يانعة فلله درهم فلقد ظهرت زهرة نجوم المحبة فى أفلاك راياتهم وتبلج فجر العشق فى سماء سماتهم واشرقت شموس المعرفة فى مشارق عشقهم فلما هموا بالحملة باجمعهم وتصففوا وقدموا هممم النفوس فى رضا الملك القدوس واستبقوا وزاحم بعضهم بعضا ولم يرتقوا توددا من صفا اسرارهم من المؤمنين رجال صدقوا (قال الواقدى) رحمه الله حدثنى زيد بن اسماعيل الصانع عن جعفر بن عون عن عياش بن أبان عن جابر بن اوس قال كنت حاضرا فى مصاف أبى عبيدة على انطاكية حين وعظنا بسجعه ربيعة بن معمر فكان أول من خرج من الروم للبراز شجاع الروم نسطاروس ابن روبيل وهو كانه برج من حديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج اليه دامس أبو الهول مولى بنى طريف فاتح قلعة حلب وهو يومئذ فارس مليس فحملا على بعضهما فلما اشتعلت نار الحرب بينهما عثر جواد دامس فسقط من على ظهره فانقض عليه نسطاروس واخذه أسيرا وقاده ذليلا ورجع الى الميدان فخرج عليه الضحاك بن حسان الطائى وكان يشبه خالدا فى حملاته وخفته فلما برز قال قائل من الروم ممن شاهد قتال خالد فى المواطن وعرفه هذا فارس الشام والمسلمين الذى فتح بلادنا فصار كل من فى انطاكية ينظر اليه وهم يظنون أنه خالد فازدحمت خيل المشركين من كثرة النظر اليه فقطعت حبال السرادقات التى لنسطاروس وغيروا سريره فخاف الغلمان على أنفسهم وسرادقاته على ذلك اذا رآها على تلك الحالة قتلهم ولم يجدوا أحدا يعينهم على رفع السرادق لان كل من فى العسكر مشغول بالفرجة على نسطاروس مع خصمه فاتفق اثنان من الفراشين وكانوا ثلاثة على حل دامس أبى الهول وقالوا له نحن نحلك من وثاقك وتعيننا على شيل عامود هذا السرادق ونعيدك الى الوثاق فاذا جاء البطريق نشفع فيك فانه يخلى سبيلك فقال نعم فحلوه من وثاقه فعندها قبض على الاثنين كل واحد بيد وضرب واحدا بواحد فصرعهما فاتا فهجم على الثالث فقتله وفتح صندوقا من الصناديق فوجد فيه ثياب نسطاروس فلبسها وركب من الطوالة جوادا من خيارها وأخذ بيده قنطارية وسيفا ولثم وجهه وقصد عسكر المتنصرة ووقف الى جانب حازم بن عبد يغوث وهو ابن عم جبلة وكان قدمه على عسكر المتنصرة وجبلة وولده وبنو عمه فى موكب الملك (قال الواقدى) رحمه الله ولم يزل القتال بين نسطاروس والضحاك بن حسان الى ان كل الجوادان ولم يقدر أحد منهم على صاحبه فافترقا وعاد نسطاروس الى سرادقاته ليستريح فوجد السرادق على الارض والفراشين قتلى ولم ير دامس فعلم أن المصيبة من قبله فمضى الى الملك واعلمه بذلك فقال وحق المسيح ما هؤلاء العرب الا شياطين قال وماج العسكر بصنع أبى الهول فقال الملك هو الآن فى عسكرنا وما رأيناه خرج وما هو الا مختف فى عسكر المتنصرة لانه من جنسهم فلما رأى دامس مرج عسكر الروم وان ذلك بسببه اقتبض سيفه على حين غفلة وضرب به حازم بن عبد يغوث فرمى رأسه عن بدنه فبهتت المتنصرة من فعله وامسك الله عنه أيديهم ودهشوا لذلك واطلق جواده وطلب عسكر

المسلمين فلما رأوه صاحوا بالتهليل والتكبير فأتى الى أبي عبيدة واخبره بما وقع له مع القوم فقال لا شلت يداك قال وبلغ الخبر جبلة من قتل ابن عمه حازم فغضب وأتى الى هرقل وصفع له وقال يا عظيم الروم انا لا اقدر على الصبر ولا بد لنا من الحملة على هؤلاء الذين قد تعدوا طورهم وجهلوا قدرهم فاراد الملك يأمرهم بالحملة واذا قد أقبلت عليه خيل تركض فقال لهم ما وراكم قالوا أيها الملك انه قد قدم الى نصرتك قلنطانوس بن سطانوس بن ارمونيا صاحب المدائن ورومية الكبرى وباسم جده سميت وكان قد وضع فيها هيكلا عظيما يسمى أبو سرفيا وكان به صورة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر ولذلك الهيكل سبعة أبواب من الذهب على كل باب هيكل مدور على رأسه شخص آدمي وبيده عدة الواح من الذهب وفي كل عام يغلق منها لوح على الهيكل تلقاء الشمس ثم ينظر كاهن تلك الهيكل في ذلك اللوح فيعلم ما يجرى في الاقليم المختص بذلك اللوح وكان كل لوح مختصا باقليم من الاقاليم السبعة وكذلك لكل هيكل من تلك السبعة هيا كل فيعلمون أهل رومية الكبرى ما يجرى في العالم بما وضعه حكماؤهم الاقدمون وفي وسط تلك السبعة هيا كل قبة مثمنة على ثمانية عواميد من نحاس أصفر مطلية بالذهب محوط به سور مرقط ببياض وفيه بابها الاعظم وعلى رأسها صورة من حجر لا يعلم ما هو بل الحجراسو رفاذا كان استواء الزيتون في مشارق الارض ومغاربها يسمعون من تلك الصورة صوتا هائلا تكاد القلوب تتفطر منه فاذا كان من الغد تاتى من آفاق الارض زرازيرها وهي كل زرزور حامل ثلاث زيتونات واحدة في منقاره واثنان في رجليه فلقونها على رأس تلك الصورة فلا يزالون كذلك حتى يمتلئ ذلك المكان العظيم قال فيعصرون منه زيتهم وما يأكلون من العام الى العام وكان في داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت رومية ولما أراد قلنطانوس الملك النهوض الى نصرة هرقل احتاج الى مال يصرفه على عسكره فاتى الى ذلك البيت المقفل وهم بفتحه فقال له عظماؤه وعظماوس وهو القيم على أمر الهيا كل كافة ايها الملك ان هذا البيت منذ قفل تاريخه سبعمائة سنة وذلك من قبل ظهور المسيح بمائة سنة وسبعين ما احد من اجدادك تعرض اليه ولا أحد ممن ولى أمر هذه الكنيسة الا ويوصى على هذا البيت ان لا يفتح فلا تزل حكمة أسسها من كان قبلك من الحكماء والملوك وقد بنى هذه المدينة واسس هذا الهيكل وهذا البيت هو بيت جدك رسيوى بن قطاوس وبقي في ملكه على ما بلغنا ثلاثمائة سنة وسبعين سنة ووصى كوصية أبيه وتولى عليه أحد اجدادك حتى وصل اليك هذا الملك ولك فيه مائة سنة فلا تزل حكمة اجدادك الذين أسسوها وطلاسما وضعوها قال فاخذه اللجاج في فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيئا الا أنه رأى في البيت صورة القدس ومدن الشام وصفة ملوكهم وعددهم وفي آخرهم صورة ليطن وهو هرقل كانه ينظر في اللوح مكتوب باليونانية يا طالب العلم عليك بكثرة القراءة فانه كلما تكرر مرور النكت على مسامع من يتعلمها كان ذلك أشد لثبوته واحكم لتصريفه اذا العلوم كلها انما تستخرج بالعقل والقياس واما ان يكون بكثرة الرياضة والعلم

مطية التدبير والتدبير موضع العلم والعلم موضع العقل هذا هو المتمم لاشكال العلوم وقد رأينا
فى الحكم والاسرار الخفية ان صاحب الغمامة اذا خيمت على صفحة الارض وحلت الضلالة
خرج صباح الهداية من أرض تهامة فيذهب بظلام الجهل المظلم للحس ويدعو الناس بدينه
الى توحيد الصانع وهو صاحب الجمل الاورق فيذهب بالاديان والملك يضيق لدعوته
السهل والجبل فاذا غلب نوره على كل كثيف فانتقل الى العالم الروحانى وولى بعده رجل
نحيف الصورة قلبه منور بنور الصدق يشيد ملته ويصدق شريعته وويل للشام مما يحل بها
من الرجل الاحور الذاهب بملك قيصر وهو الرجل الكثيف صولته المربعة صورته العدل
صفته والحق منقبته جبته مرقعة وسيفه درته فى أيامه تذهب الدول وتحول وتضمحل وتزول
واوانه اذا فتح هذا البيت المصور بالحكمة المحفوظ بحفظ النعمة فطوبى لمن رسخت الحكمة
فى قلبه وأشرقت مصابيحها فى لبه واتبع الحق وعرفه وجانب الباطل وخالفه قال فلما قرأ
فلنطانوس ما فى اللوح أخذه العجب وقال لعظماوس قيم الهياكل أيها الاب الشفيق ما تقول فى
هذه الحكمة قال أيها الملك وما عسى أن أقول فى حكمة وضعتها العظما وعملت بها الحكماء وانما
العلوم غامضة تصل الى الخبير الجوهرى بنور العقل وانما أرى ان دولة هرقل وها عز دولتها
وانهدت اركان مملكه من ارض سوريا وانتقل ملك الروم الى أرض اسطور يعنى قسطنطينية
وبذلك أخبر مهرابيس الحكيم فى كتابه الذى وضعه وسماه اسلاووس يعنى جواهر الحكمة
ومن جملته اذا ظهر نور اليتيمة المصفاة من الادناس من جبال فاران تصفت الاذهان بنور
حكمته وانصرفت الظلمة المتكاثفة فى سماء الجهل بقوة عزيمته ودعا الناس الى لطيف دعوته
وقادهم بأزمة لطافته فيعلو على الافلاك فويل لارض اليامن صولة صاحبه المتوشح بوشاح
الهيبة المتوج بتاج العقل صاحب فتوح الارض ومذل ملوكها العدل فسطاطه والمرقعة
لباسه وفى زمانه ينكسر الصليب وتخرج الهياكل وتندرج المذابح ويذوب ما بين المعمودية
فلا نجاة من صولته الا باتباع شريعته وصاحبه قال فلما سمع ذلك فلنطانوس من القيم على
الهياكل كتم الامر فى نفسه وقال لا بد لى من النظر الى العرب والمسير اليهم والى نصرة الملك
هرقل وقد وصل الى كتاب البترك وندبنى الى نصرة دين المسيح فان تأخرت حرمنى ثم انه اختار من
جيشه فى رومية ثلاثين الفا وهم الكراجية وولى فى موضعه ولده اسطاليوس وهو مثلث
النعمة واستخرج من بيت الحكمة رايات الاسكندر اليونانى وكانت منسوجة بالذهب واللؤلؤ
التى نشرها يوم فتحت الواحات من أرض باليوس وكانت لا تنشر الا فى يوم واحد فى السنة ببيعة
اياسوفيا وهو يوم عيد الصليب والشعانين قال فلما رفعت على رأس فلنطانوس سار حتى ورد
انطاكية ونزل على باب هاوس ومعناه باب فارس قال وركب الملك هرقل فى موكبه الى لقائه
وضربت سرادقاته بازاء سرادقات هرقل وفرحت الروم وتفاءلت بالنصرة وضربت النواقيس
ووقعت ضجة عظيمة فى جيوشهم وارتفعت اصواتهم وجاءت عيون المسلمين فاخبروهم بقدوم
صاحب رومية فرفع ابو عبيدة كفه الى السماء وقال اللهم ان اعداءك يستنصرون علينا بكثرة

عددهم وترايد مددهم فشتت كلمتهم ودمر جيوشهم وزلزل اقدامهم وعسر ايامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم السفلى وانصرنا كنصر نبيك فى يوم الاحزاب اللهم اردد كيدهم فى نحرهم وانصرنا عليهم قال وأمنت المسلمون على دعائه قال الواقدى رحمه الله حدثنا ابراهيم ابن العلاء عن أبى يوسف الكندى عن أبى جعفر الدارمى عن الربيع بن أنس عن جعفر بن ميسرة قال لى عمى لما قدم صاحب رومية بجنوده خاف المسلمون ولكن ثبتهم الله وبعث ابو عبيدة معاذ بن جبل ومعه ثلاثة الاف وقال له ياصاحب رسول الله ان الروم قد تجمعت من سواحل البحر لنصرة دينها فانهض وشن الغارات على بلاد السواحل واحتفظ أن تؤتى المسلمون من قبلك قال ففعل ذلك معاذ وسار الى جبلة واللاذقية فاحتوش اموالها وأخذ غنائمها ووجد على باب جبلة غنان بن جرهم الغسانى ابن عم جبلة بن الايهم ومعه الف دابة محملة برا وشعيرا لعسكر الكفر وقد جمعها من طرابلس وعكا وصور وصيدة وقيسارية وقد بعث بها قسطنطين بن هرقل الى ابيه فلما وصلت الى مدينة جبلة سلموها العرب المتنصرة لابن عم جبلة وعادوا فوقع بها معاذ رضى الله عنه فاخذها ورجع قافلا الى عسكر المسلمين فلما راوها رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فسأل هرقل عن ذلك فاخبروه بما وقع فغضب على اخذ الميرة التى تقوت بها عساكر اعدائه فقال لبطارقته مابقى بيننا وبين هؤلاء الا المصاف ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم انه امر عساكره بالاهبة للقتال ثم انه ركب والى جانبه فلنطانوس صاحب رومية وصاحب مرعش وصاحب قلعة اسكبادنيس وهى قلعة الروم وصاحب طرطوس وصاحب مصيصة وصاحب قونية وصاحب ماصر وصاحب اقصرا وصاحب قيسارية الروم الاقصى وصاحب قوماط وصاحب انطراته وصاحب طيرزند وجبلة ابن الايهم قال الواقدى رحمه الله واقبل يوقنا يرتب الصفوف فى الحرب فلما وقف كل ملك بجيشه وكل بطريق باصحابه أراد فلنطانوس ملك رومية أن يتقرب الى هرقل بمبارزة العرب فصفع له على قربوص سرجه وقال أيها الملك ماتركت ملكى وأتيت الى خدمتك من مائتين فرسخ الا حتى ارضى المسيح واخدمه بين يديك وان كل عسكرك قد قاتلوا وجاهدوا واريد أبرز فى هذا اليوم الى هؤلاء المحمديين واشفى فؤادك وفؤادى منهم فاراد الملك أن يطيب قلبه فقال له الزم مكانك ولا تخرق بحرمتك وحشمتك حشمة الملوك فأنت أقدم منى فى المملكة فدع غيرك يكون لهذا الامر فما بلغ من شأن العرب أن تخرج أنت اليهم بنفسك فقال فلنطانوس أيها الملك وأى حشمة بقيت لنا مع هؤلاء وقد اهملوا عزنا واذلوا عز ديننا والجهاد مفروض على كبيرنا وصغيرنا أما علمت أيها الملك انه من نظر الى الدنيا بعين المحبة جذبته الشهوات الى العلو فى محبتها والتعلق بزخارفها فاذا فعل ذلك ركب غيم كثافة الجهل على صفحة صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده ومن سارع الى طاعة خالقه بترك شهواته ارتقى الى دار دائرة القدس فى محل الانس وما علم القديم الازلى بركون انفسكم المحجوبة بحجاب الغفلة الى طلب مايفنى سلط عليكم أضعف امة قد اخرجتكم من دياركم وابعدتكم عن اوطانكم وماذاك الا لخلودكم الى الاهواء الجاذبة الى مهاويكم

والى ادراك درك المهالك لانكم حكمتم بغير الحق واجترأتم على الرعية بطلبكم منهم ماليس لكم بحق والجور فى أخذ أموالهم وفساد أموالهم وكثرة الزنا واتباع الخنا فلاجل ذلك لم تنصروا ودارت دائرة السوء عليكم قال ثم تكلم صاحب الملك هرقل الكبير واسمه سروند وصاح عليه وقال له أيها السيد لاتحمل على قلب الملك من كلامك مالا يطيق فى مثل هذه الساعة فقد وعظه من هو اكبر منك فلم يسمع قوله قال فغضب فلنطانوس من صياح الحاجب عليه وكتم أمره الى الليل فلما مضى من الليل ربعه طلب حجابه وخواصه وقال لهم أرضيتم أن يزعق على حاجب هرقل ويوبخنى بين الملوك وأنتم تعلمون ان بيتي أعظم من بيته ونسبه ادنى من نسبي وملكى اقدم من ملكه ولقد قال اسيس حكيم بلاد الذكر المشهور بحكمته وهو الذى وضع المنار الاعظم فى يوم كبير كان بين بلاد الجرامقة وبلاد الانجار وهى مسيرة اثنى عشر يوما ولا يصل الى ارضها الا بعد عناء كبير فاحتفر لها بئرا ووضع فى وسطها عامودا على رأس حجر يدور من صنعة حكمته يسمع له فى حدة النداء من حوله ويرشح له بقدر ما يملا ذلك الجرن العظيم فانه قال لا تسعى بقدمك الى من يراك دونه فتصغر عنده واجعل عز نفسك فى مقابلة كبرياء عجبه فان عزة النفوس تقابل جاه الملوك ولا تصنع صنيعك لغير مستحقه فانها تجلب عليك السوء من قبل ذلك فان ذلك الاحسان لا يزكوا الا عند ذوى الاصول وانه ينهدم عند السفهاء والاراذل لا تصنع اليهم النصيحة فانك أنت تطلب منفعته وهو يريد هوى نفسه باذيتك وقد جئنا من مائتى فرسخ واكثر الى خدمة رجل يرى اننا قد قصدنا داره وتاج عزه واننا نحن من جملة خدمه وان نور العقل المجوهر للحس يمنعنى من اتباع الجهل المظلم للحواس وان نفسى تأبى ذلك والعز محل جليل ومقام نبيل والذل وبيل وصاحبه قليل وقد عولت ان اسير الى هؤلاء العرب واختبر ملتهم فانها هى الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق ومن كان عليها أمن فى معاده من الهول الاكبر فما أنتم قائلون قالوا أيها الملك وكيف تطيب نفسك بترك دينك وملكك وعزك وتتبع هؤلاء وهم لا فضل لهم ولا عندهم حكمة فقال فلنطانوس أما الحكمة البالغة فعندهم مقرها وفى نفوسهم موطنها لان نور توحيدهم صفى اذهانهم ونور ايمانهم ببركة صاحبهم المسمى فى علوم الغيوب لان مغناطيس حكمته الربانية جذب جوهر عقولهم الى متابعته والاقتداء بشريعته ومن اراد أن يلقى الى عالم عليين فلا يقعد على صفحة ارض الجهل أما علمتم ان النور انور من الظلمة والموت نهار الحياة قال فلما سمعوا قوله قالوا أيها الملك نحن ما منعناك عن عزائم يخرجنا عن الذل ومهانة الغلمة فاذا كنت تطلب بنا طريقا يؤدى الى البقاء ويذهب بالشقاء فالحق اتباع الحق ونفى الباطل فنحن لك وبين يديك قال فخذوا على أنفسكم فاذا كانت ليلة غد ركبنا كانا نطوف حول البيت نحرسه ونطلب جيش العرب قال ففعلوا ذلك واخذ فلنطانوس فى أمره قال ابن وهب وابن صالح عن أبى موسى الاشعرى قال لما عزم أن يسير الى جيش المسلمين أتى اليه يوقنا برسالة الملك هرقل فلما أدى الرسالة وهم بالقيام قال له فلنطانوس من أنت من الحجاب

قال

قال انا يوقنا صاحب حلب قال وكيف تركت بلدك قال استولت عليها العرب وحدثه بحديثه فقال فلنطانوس وما الذى ظهر لك من هؤلاء العرب قال ايها الملك انى دخلت فى دينهم واطلعت على امرهم وكشفت سرهم فرأيت القوم لا يستمعون الى الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل من كثرة اجتهادهم ولا يتكلمون بغير ذكر ربهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسى غنيهم فقيرهم الامراء منهم فى زى المساكين والعزيز والذليل عندهم سواء فقال له فلنطانوس فاذا وقفت على سرهم ورأيت فضلهم فما منعك أن تقيم عندهم بينهم فقال يوقنا منعنى من ذلك صحة دينى وصحبة قومى لانى لم ارفراقهم قال قال فلنطانوس ان النفوس الزكية الباقية اذا رأت الحق جذبها جاذب اليقين الى حضرة طلب الاخلاص من المعيشة الذميمة الى ان ترقى الى اعلى عليين قال فخرج يوقنا وقد رسخ كلام فلنطانوس فى قلبه فقال والله ما تكلم بشئ الا وهو منقوش على صفحة صدرى وكلامه يشهد بقبول عقله لصحة دين الاسلام وأقام يوقنا على قلق من ذلك حتى أقبل الليل فأتى الى فلنطانوس فرآه وهو على نية الركوب الى ما ذكرناه فلما وقف بين يديه صقع له فقال له فلنطانوس بأى حجاب حجب الله الظالمين عن اتباع سبيل المتقين فالحق واضح لمن طلبه والباطل خفيف على من اتبعه فقال يوقنا أيها الملك ما معنى هذا الكلام الذى أشرت اليه فقال لو أنك رأيت بعين البصيرة لما رجعت عن ملتهم ولا اردت بدلا غيرهم وانما انت طلبت نعيما يؤول الى الزوال ويفضى بصاحبه الى النكال قال فسكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ومضى ووقف على الطريق الذى يفضى الى المسلمين فركب فلنطانوس وخرج من سرادقه فوجد بنى عمه قد اخذوا اهبتهم وهم اربعة الاف فارس وقدموا عزمهم وساروا يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد تركوا عزمهم وفارقوا دينهم فلما قربوا من جيش المسلمين ظهر لهم يوقنا وبنو عمه المائتان فقال يوقنا لفلنطانوس ايها الملك عولت على ان تكبس المسلمين فقال لا والقديم الازلى وانما أنا قاصد اليهم وادخل فى دينهم وملتهم واكون من جملتهم فمن نظر الى الدنيا بعين الفناء عمل للآخرة فالذى يمنعك يا يوقنا انما نحن عولنا عليه فقال يوقنا أيها الملك لقد جذبك جاذب الحق عن طريق الضلال ثم انه حدثه بحديثه وانه عازم على ان يغدر على الروم فقبله فلنطانوس وفرح بمقالته وقال له كيف تقدر على ذلك وما ارى معك الا نفرا يسيرا فقال ايها الملك ان فى داخل بيتى مائتين من المسلمين من اكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام عشرين الفا من الروم واقد رأيت أن تعود أنت وقومك ولا تستعجل ونبعث رجلا الى أمير المسلمين تخبره بما نحن معولون عليه فاذا كان غد تقف أنت وجيشك حول الملك هرقل وادخل أنا البلد واطلق المائتين اسيرا واعطيهم سلاحا ويحمل جيش العرب وتحمل أنت وعسكرك على مركب هرقل وتقصده أنت بنفسك فتقبض عليه وتكون قد جاهدت واسيرا انا ومن معى فى داخل البلد فنملكها ان شاء الله تعالى وان اردت أن ترجع الى دار ملكك ويكون امرك مكتوبا علينا حول امر جيشك لمن تثق به من بنى عمك قال فلنطانوس ما فعلت هذا ولى نية فى

ملكي ولا في ملك الدنيا بل اذا قضى هـذا الامر ونصر الاسلام قصدت مكة فاحج وازور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارجع الى بيت المقدس فأقيم فيه الى ان اموت فمن يذهب الى امير العرب برسالتي ويخبرهم بما قد عولنا عليه فقال له يوقنا اعلم ان لهم عندنا عيونا وجواسيس ممن هو تحت ذمتهم وأنا اعلمهم بما قد وقع قال فبينما هم في الكلام تحت ستر الليل واذا بشيخ قصد اليهما فتأمله يوقنا فاذا هو عمرو بن امية الضمري ساعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على يوقنا وعلى من معه وقال ليوقنا ان الامير ابا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن الاسلام وانه رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بما كان من امر صاحب رومية وما تحدثتهم به وما وقع له مع قومه وما عزمتم عليه وبشره بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد تفتح انطاكية ويزول عز الروم عنها وينتزع ملك صاحبها (قال الواقدي) رحمه الله تعالى فتهلل وجه فلنطانوس فرحا وازداد ايمانا وقالوا الحمد لله الذي هدانا للاسلام والايمان (قال الواقدي) رحمه الله وذلك أن أبا عبيدة رضي الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول يا أبا عبيدة أبشر برضوان الله ورحمته وغدا تفتح انطاكية صلحا وان صاحب رومية المدائن الكبرى قد جرى من امره كيت وكيت هو ويوقنا صاحب حلب وهم بالقرب منك فانفذ اليهما بنجاز الامر قال فاستيقظ ابو عبيدة وقص رؤياه على خالد وانفذ عمرو بن أمية كما ذكرنا قال فلما سمع فلنطانوس ذلك اقشعر جلده وارتعدت فرائصه وقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله واشهد ان هذا الدين هو الحق اليقين ثم انهم عادوا وطافوا بجيش الملك كأنهم يحرسون فبينما يوقنا قد ذهب باصحابه من عند صاحب رومية وقد قوي عزمهم على ما ذكرنا من امر كبسهم الملك واذا بالحاجب قد التقاه والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكية ومعه ضرار بن الازور ورفاعة بن زهير والمائتين اسيرا وقد عول على قتلهم وان يرمى غدا برؤسهم الى المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك ضاقت الدنيا عليه وقال له أيها الحاجب الكبير أنت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا وبينهم فان انتم قتلتم هؤلاء ورميتم برؤسهم الى المسلمين فانهم لا يقعون باحد منا فيبقون عليه فاتق الله ولا تعجل بذلك ودعهم عندي وراجع الملك في امرهم الى أن نرى ما يؤول امرهم اليه قال فتركهم الحاجب عند يوقنا ومضى الى الملك وأخبره بما قال يوقنا فقال له دعهم عند الدمشقي فرجع اليه وقال له الملك يقول لك احتفظ عليهم فامرهم لك فأخذهم يوقنا وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكية لانه كان قد عول على ان يملك بهم البلد فلما حصلوا في خيمته حلهم من الوثاق وسلم اليهم العدد واخبرهم بما قد عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل فقال ضرار والله لارضين الرب غدا بجهادنا وكانت قد ختمت جراحاته لانه كان له في الاسر ثمانية اشهر وفرقهم مع بني عمه (قال الواقدي) رحمه الله حدثنا أبو محمد عن سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن ايوب عن عبد الله بن مسعود ان الذي أمر باخراج الاسرى لم يكن هرقل وانما كان مملوكه الخاص واسمه تاليس بن رينوس وكان قد البسه تاجه

ومنطقته وكان اشبه الخلق به وقال له كن غدا مكانى فانى اريد ان اكيد العرب وأكمن خلفهم وماذاك الا انه رأى مناما وهو انه رأى فى نومه كان شخصا قد نزل من السماء وقلبه عن سريره وكان تاجه قد طار من على رأسه وكان شخصا يقول له قد قرب ما بعد وقد زال ملكك من سورية وقد ذهبت دولة الشقاق والنفاق وجاءت دولة الوفاق وكان ذلك الشخص قد نفخ فى عسكره فأوقد نارا فاستيقظ مرعوبا وفسر منامه على نفسه بزوال ملكه وكان قبل نزول العرب قد عبى خزائنه وجمع ما يخاف عليه من التحف ووضعها فى المراكب من حيث لا يعلم بذلك احد من دولته وعبى الزاد والماء ثم انه ارسل اهل بيته فى تلك الليلة بعد ما رأى المنام ولم يدع من حريمه واولاده وعياله احدا وبعده امر مملوكه تاليس بن رينوس بما أمره أن يفعله قال فلما ركب تاليس ما كان من امره الا ان قال للحاجب اخرج الاسارى واضرب رقابهم فاخرجهم واخذهم يوقنا كما وصفنا قال حدثنا ياسر عن سليمان بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عروة بن مذعور عن محمد بن على عن عدى عن شعبة بن قتادة عن أبى الصديق التاجى عن ابن سعد قال ما خرج هرقل من انطاكية الا وهو مسلم وذلك انه كتب الى عمر بن الخطاب فى السر من قومه ان بى صداعا لا يسكن فانفذ الى بدواء أتداوى به فارسل اليه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عاد اليه فتعجب من ذلك وأمر بفتحها فاذا فيها مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال هرقل ما اكرم هذا الاسم واعزه حيث شفانى الله به وكانوا قد توارثوا هذه القلنسوة الى أن وصلت الى صاحب عمورية فلما كان يوم المعتصم ونزل عليها عرض للمعتصم صداع فارسل اليه صاحب عمورية بالقلنسوة فلما وضعها على رأسه سكن ما به فامر المعتصم بفتحها فاذا فيها الرقعة ومكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وأما ما كان من امر تاليس فانه اصبح ركب ورتب عساكر الروم عن آخرها ودارت المواكب حول تاليس ابن رينوس وكان كل من رآه يظن انه هرقل ولا شك فيه ودار بموكبه عسكر فلنطانوس صاحب رومية وركب يوقنا ومن معه وهم متنكرون تحت السلاح فكان اول من حمل خالد بن الوليد بجيش الزحف قال وتبعه سعد بن زيد وتبعه قيس بن هبيرة وتبعه ميسرة وبعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وذو الكلاع الحميرى وامثالهم واطبق الناس بعضهم على بعض فلما اشتبك الحرب هجم يوقنا ومن معه وحمل ضرار فلله دره لقد اعطى السيف حقه واخذ بثاره من الروم وكل ما قتل واحدا صاح واثارات اسر ضرار بن الازور وكان قد قصد عسكر المتنصرة هو واصحابه هو ورفاعة ابن زهير يشجعهم ويوبخهم ويقول خذوا بثاركم ممن اسركم واحملوا واياكم أن تفشلوا واعلموا ان الجنة قد فتحت ابوابها وزينت حورها وقصورها واشرف بنيانها ومرح ولدانها وتجلى ديانها ثم صاح يا فتيان العرب ايكم يرغب فى زواج الحور فان بذل النفوس هى المهور ومن يريد عروسا فى الجنان ويقوم فى خدمته الولدان من يرغب فيما قال الملك الديان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان اين من شهد بدرا وحنين مع سيد الكونين أين من يزيل

عن قلبه حجاب الغفلة والرين وافقوا قوما صارت هممهم الى دار الازل فاناخوا بباب من لم يزل محبوبهم فاراد الحق أن يوقفهم على منازلهم ليزيدوا فى حسن أفعالهم فكشف عن سرائرهم فرأوا دارا بناؤها النور قواعدها من الرحمة حيطانها من الذهب والفضة بلاطها المسك ماؤها الحيوان حصباؤها الدر والجوهر ترابها الكافور والعنبر سورها المجيد اللطيف ستورها الكرم أشجارها لا اله الا الله اغصانها محمد رسول الله ثمارها سبحان الله والحمد لله عرضها السموات والارض سقفها عرش الرحمن فلما كشف لهم عن هذه الاسرار اشتاقوا الى سكنى هذه الدار قيل لهم لن تصلوا اليها الا ببذل النفوس فى رضى الملك القدوس ثم خلع عليهم خلع الاحسان وتوجهم بتيجان الرضوان ونشر على رؤسهم رايات الغفران مرسوم على طرزها بقلم السر المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون لقد بزلوا النفوس فى رضى القدوس (قال الواقدى) رحمه الله فبينما ضرار يحمل فى الاعداء ويذيقهم شراب الردا واذا هو بفارس يطحطح الكتائب ويفرق المواكب ويصيح وا ثارات ضرار بن الازور فتأمله فاذا هو أخته خولة فناداها الله درك يابنت الازور أنا والله أخوك فاقبلت عليه لتسلم عليه فقال لها اليك عنى ما هذا وقت سلام وان قتال الكفر أفضل من كلامك يابنت الازور فاجعلى عنانك مع عنانى وسنانك مع سنانى وجاهدى فى سبيل الله فان قتل أحدنا فالملتقى فى المحشر عند حوض سيد البشر قال فبينما هم فى ذلك اذ نظر الى جيوش الروم وقد تقهقرت وفرسانهم قد انهزمت وكان السبب فى ذلك ان صاحب رومية رحمه الله لما رأى الحرب قد اضرمت نيرانها وعلا دخانها حمل باصحابه وقصد تاليس بن رينوس فقبض عليه وهو يظن أنه هرقل فصاح الصائح أن الملك هرقل قد قبض عليه فلنطانوس ملك رومية وغدر به فولت الروم الادبار وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها الا باجنادين واليرموك وقتل من العرب المتنصرة زهاء عن اثنى عشر ألفا وطلب جبلة وولده فلم يرلهم خبرا فقيل انهم واكابر قومهم ركبوا مع الملك هرقل فى المواكب وكان جملة من هرب من سادات المتنصرة مع جبلة وابنه خمسمائة من جملتهم ابن عمه قرطة وعروة بن واثق ومرهف ابن واثق وهمام بن سالم وشيبان بن مرة قال فسكنوا جزائر البحر فنسلهم هذه الافرنج قال وأخذ المسلمون ما كان من السرادقات والخيام والديباج والمتاع والخزائن وأسروا ثلاثين ألفا وقتلوا من الروم سبعين ألفا وولت العرب المتنصرة منهزمين فمنهم من أخذ نحو الدروب ومنهم من طلب قيسارية الى عند قسطنطين بن هرقل فلما وضعت الحرب أوزارها وخمدت نارها جمعوا الاموال والاثقال والاسرى الى بين يدى أبى عبيدة فلما نظر الى ذلك سجد الى الله شكرا وسلم المسلمون بعضهم على بعض وجاء ضرار وأصحابه ويوقنا وفلنطانوس وأصحابه وسلموا على المسلمين وفرحوا بهم فلما وصل فلنطانوس قام اليه المسلمون وقال كبار الصحابة سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه قال فنظر فلنطانوس الى تواضعهم وحسن سيرتهم وكثرة عبادتهم فقال هؤلاء والله القوم الذى بشر بهم عيسى عليه السلام قال فاسلم بنو عمه عن آخرهم

وجاهدوا في الكفار الى أن فتحوا جميع الامصار وبعدها مضى فلنطانوس الى مكة فحج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم المختار وسلم على عمر رضي الله عنه فلما رآه وثب اليه قائما وصافحه هو وجميع المسلمين وعاد الى بيت المقدس فجلس يعبد الله فيه حتى أتاه اليقين (قال الواقدي) رحمه الله ونظر أبو عبيدة الى جيش انطاكية وقد تحصنوا فيها وهم لا يحصون فقال اللهم اجعل لنا الى فتحها من سبيل وافتح لنا فتحا مبينا قال وكان على انطاكية بطريق اسمه صليب بن مرقس وكان جاهلا في رأيه فعزم على القتال من داخل السور فاجتمع أكابر البلد الى البترك في الليل وقالوا له اخرج الى هؤلاء العرب وصالح بيننا وبينهم على ما تقدر عليه قال فخرج البترك الى أبي عبيدة وحدثه في الصلح فاجابه الى ذلك فكان جملة ما صالح عليه أهل انطاكية ثلاثمائة ألف مثقال من الذهب فلما تقرر الصلح قال له أبو عبيدة احلف لنا انكم لا تغدرون بنا فان مدينتكم مانعة كثيرة الجبال والوعر فقال خالد ومن يحلفه فقال أبو عبيدة يوقنا قال فوضع يوقنا يده على رأس البترك فوق يده وقال قل والله والله والله اربعين مرة والا قطعت زناري وكسرت صليبي ولعنتني الشمامسة والديناويون وخلعت دين النصرانية وذبحت الجمل في جرن ماء المعمودية ونجستها ببول مولود من أولاد اليهود وقتلت كل الشهود والا خرقت شدائد مريم وعصبت رأسي والا ذبحت القسوس وصبغت بدمائهم ثوب عروس والا جعلت مريم زانية به والا جعلت في المذبح حيضة يهودية والا اطفأت قناديل بيعة جرجيس وجعلت عزيرا في مقام كالوس و الا تزوجت يهودية ظمية لا تتقي أبدا والا غسلت أثوابي صبيحة يوم الجمعة والا هدمت الكنائس والبيع وأحللت الاعياد والجمع والا عبدت اللاهوت وجحدت الناسوت والا أكلت لحم الجمل يوم عيد الشعانين والا صمت رمضان عاطشا وكنت للحم الرهبان ناهشا والا صليت في ثياب اليهود وقلت ان عيسى دباغ الجلود انه الا نغدر بكم ولا كنا الا معكم (قال الواقدي) رحمه الله فعندها قام أبو عبيدة ودخل انطاكية وكان دخوله لخمسة أيام مضين من شعبان سنة سبعة عشر من الهجرة فدخلها وبين يديه اللواء الذي عقده له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يمينه خالد بن الوليد وعن يساره ميسرة بن مسروق ودخلها والقراء بين يديه يقرؤن سورة الفتح فلم يزل سائرا حتى وصل الى باب الجنان فنزل هناك وخط هناك مسجدا وأمر ببنائه وبه يعرف الى يومنا هذا قال ميسرة بن مسروق فنظرنا الى بلد رطب طيب الهوى كثير الماء والخيرات فاستطابته المسلمون ووددنا ان لو أقمنا فيه شهرا لنستريح فما ترك أبو عبيدة فيه غير ثلاثة أيام ثم انه كتب الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سلام عليك واني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكره على ما فتح علينا ورزقنا من الغنيمة والنصر واعلمك يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قد فتح على المسلمين كرسي النصرانية مدينة انطاكية وكسر الله عساكرها ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل في البحر واني لم اقم بها لطيب هواها واني خشيت على المسلمين أن يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن طاعة ربهم واني معول على المسير

الى حلب وانى منتظر أمرك فان امرتنى أسير الى داخل الدروب فعلت وان أمرتنى بالمقام أقمت واعلم يا أمير المؤمنين ان العرب قد نظرت الى بنات الروم فدعتهم أنفسهم الى التزويج فمنعتهم من ذلك وانى أخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله فعجل الى بامرك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين من يسير بكتابى هذا الى أمير المؤمنين فاسرع بالاجابة زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد مولى عمير بن عوف فقال أنا أيها الامير أوصله ان شاء الله تعالى فقال له أبو عبيدة يا زيد أنت لست مالك نفسك وانما أنت مملوك فان أردت المسير فسل مولاك ان يأذن لك فى ذلك فاسرع زيد الى مولاه عمير فانكب على يديه يقبلها فمنعه من ذلك وذلك أن عميرا كان رجلا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ما يملك من الدنيا سوى سيفه ورمحه وفرسه وبعيره ومزادته وقصعته ومصحفه وكان الذى يصيبه من الغنائم لا يدخر منه شيئا ولا يأخذ الا ما يقوته وكان يفرق الباقى على قرابته وقومه فان فاض شئ يرسله الى عمر رضى الله عنه يفرقه على فقراء المسلمين المهاجرين والانصار قال فلما أراد زيد يقبل يد سيده منعه وقال له ما الذى تريد فقال يا مولاى تأذن لى أن أكون رسولا للمسلمين بشيرا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له عمير بن سعيد تريد أن تكون بشيرا للمسلمين امنعك من ذلك انى اذا لآثم امض فانت حر لوجه الله تعالى وارجو بعتقك ان يجيرنى الله من النار قال ففرح زيد بذلك وعاد الى أبى عبيدة فاخبره ان ببركة كتابه صار حرا فسر ابو عبيدة وسار زيد على نجيب من نجب اليمن دفعه اليه وكان سابقا قال فجعل زيد يطلب أقرب الطرق حتى قدم المدينة ودخلها واذا بها ضجة عظيمة ولاهلها ضجيج وهم يهرعون الى نحو البقيع وقباء فقلت لنفسى ان لهم امرا فتبعتهم لارى ما شأنهم وأنا احسب انهم يريدون حربا فرأيت رجلا فعرفته فسلمت عليه فعرفنى وقال انت زيد قلت نعم قال الله أكبر ما وراءك يا زيد قلت البشارة والغنيمة والفتح قلت ما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب قال انه خارج يريد الحج ومعه ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يحج بهن والناس يشيعونه قال زيد بن وهب فانخت بعيرى وعقلته واسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدى عمر رضى الله عنه وهو يمشى راجلا ووراءه مولاه يقود بعيرا وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده وجفنته عليه والهوادج بين يديه سائرة وعن يمينه على بن ابى طالب وعن يساره العباس بن عبد المطلب ومن ورائه المهاجرون والانصار وهو يوصيهم بالمدينة قال زيد بن وهب فلما وقفت بين يديه ناديت السلام عليك يا امير المؤمنين انا زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد اتيتك بشيرا قال عمر بشرك الله بخير فما بشارتك قلت هذا كتاب من عاملك ابى عبيدة يخبرك ان الله قد فتح على يديه انطاكية قال فلما سمع عمر بذكر انطاكية وان الله فتحها خر لله ساجدا ومرغ خديه على التراب ثم انه رفع رأسه من سجوده وقد ترب وجهه وشيبته من التراب وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر على نعمك السابغة ثم قال هات الكتاب رحمك الله فناولته اياه فلما قرأه بكى فقال له على كرم الله وجهه مم بكاؤك قال مما صنع أبو عبيدة بالمسلمين وبما استعقب رأيه فى الموحدين ثم قال

ان

ان النفس لامارة بالسوء ودفع الكتاب الى على فقرأه على المسلمين الى آخره قال زيد بن وهب ثم رايت عمر قد هدأ من بكائه وقد زاد فرحه واقبل على وقال يا زيد اذا عدت فامعن من اكل اتيانها واعنابها واحمد الله كثيرا فقلت يا امير المؤمنين ليس هذا اوانه قال ثم جلس عمر على الارض ودعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابى عبيدة كتابا يقول فيه ❊ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❊ من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك وانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه واشكره على ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل بنا لطيفا معينا واما قولك لم نقم بانطاكية لطيبها فان الله عز وجل لم يحرم الطيبات على المؤمنين الذين يعملون الصالحات فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله الآية فكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون أبدانهم من نصب القتال ممن كفر بالله واما قولك انك منتظر أمرى فالذى آمرك به ان تدخل وراء العدو وتفتح الدروب فانك الشاهد وأنا الغائب وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب وانت بحضرة عدوك وعيونك تأتيك بالاخبار فان رأيت ان دخولك الى الدروب بالمسلمين صواب فابعث اليهم بالسرايا وادخل معهم الى بلادهم وضيق عليهم المسالك ومن طلب منك الصلح فصالحه وف لهم بما تقدر واما قولك ان العرب ابصرت نساء الروم فرغبت فى التزويج فمن أحب ذلك فدعه ان لم يكن له أهل بالحجاز ومن أراد ان يشترى الاماء فدعه فان ذلك اصون لفروجهم واعف لنفوسهم وما يحتاج ان اوصيك فى أمر فلنطانوس صاحب رومية اوسع عليه فى النفقة وعلى من معه فانه قد فارق أهله وملكه وامره ونهيه والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب ودفعه لزيد بن وهب وقال له انطلق رحمك الله واشرك عمر فى ثوابك فاخذ زيد الكتاب وهم أن يسير فامره ان يقف وقال له على رسلك حتى يزودك عمر من قوته ثم ان عمر اناخ راحلته واخرج له تمرا واعطاه صاع تمر وصاع سويق وقال يا زيد اعذر عمر فهذا ما امكنه ثم ان عمر قبل رأس زيد بن وهب فبكى زيد وقال يا أمير المؤمنين او بلغ من قدرى ان تقبل رأسى وأنت أمير المؤمنين وصاحب سيد المرسلين وقد ختم الله بك الاربعين فبكى عمر وقال ارجو أن يغفر الله لعمر بشهادتك قال زيد بن وهب فاستويت على كور ناقتى وهممت بالمسير فسمعته يقول اللهم احمله عليها بالسلامة واطو له البعيد وسهل له القريب انك على كل شئ قدير قال زيد بن وهب ففرحت بدعوة عمر رضى الله عنه وعلمت ان الله لا يردّ دعوته اذ كان لربه طائعا ولنبيه تابعا فجعلت أسير والارض تطوى لى تحت اخفاف مطيتى فكنت والله فى اليوم الثالث عند أبى عبيدة وقد رحل عن انطاكية وقد نزل على حازم قال زيد فلما وصلت الى عساكر المسلمين سمعت ضجة وجلبة وقد ارتفعت الاصوات فسألت رجلا من أهل اليمن ما سبب ذلك قال فرحا بما فتح الله على المسلمين وهذا خالد قد اتى وكان قد ضرب على شاطئ الفرات وغار بخيله وقد صالحه اهل منبج وبراعة وبالبس

واتى برجالهم واموالهم وفتحها صلحا وقد فتح منبج وبراعة وباليس وقلعة نجم فى العشر الاوسط من المحرم سنة ثمانية عشر من الهجرة وصالحهم بعد ردّ اموالهم على مائة الف وخمسين الف دينار واخذها بعد ان نزل صاحبهم جرفناس وسار بامواله واثقاله وعبيده وخيوله الى بلاد الروم وولى على منبج عباد بن رافع التميمى وعلى الجسر نجم بن مفرح وولى على براعة أوس بن خالد الربعى وعلى باليس بادر بن عون الحميرى وبنى له بها قلعة الى جانب باليس من الشرق وسماها باسمه وعاد خالد بالاموال والاثقال يوم قدوم زيد بن وهب قال فاتيت اباعبيدة وهو جالس وخالد الى جانبه وقد قدم مال الصلح فانخت ناقتى وسلمت عليهم ودفعت الكتاب الى أبى عبيدة ففضه وقرأه على المسلمين فلما سمع المسلمون ما فيه قال أبو عبيدة معاشر المسلمين ان أمير المؤمنين قد جعل أمر الدخول الى الدروب الى وقال أنت الشاهد وانا الغائب وأنا لا افعل شيئا الا برأيكم فما تشيرون على أنا أفعل رحمكم الله فلم يجبه أحد واعاد القول ثانيا فلم يجبه أحد

﴿ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب﴾

فقال معاشر المسلمين هذا الشام قد ملكتموه وملككم الله اياه واخرج عدوكم منه بالذل والهوان واورثكم أرضهم وديارهم كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز فما تشيرون به على ان ادخل فى هذه الدروب وراء أعدائنا فلم يجبه أحد فاعاد الكلام ثم قال ما هذا السكوت افشل بكم بعد الشجاعة أم كسل بعد النشاط أم قد انتقيتم من الحسنات ولم يبق عليكم من الذنوب وان الحسنات لكم كثيرة ولم يبق عليكم خطيئة فارغبة الى الله ان يعينكم على الجهاد فهو خير لكم من الدنيا وما فيها قال فكان أوّل من تكلم ميسرة بن مسروق العبسى فقال أيها الامير انا لم نسكت لجزع لحقنا ولا لفزع رهقنا وانما بعضنا ينتظر بعضا اجلالا وادبا واعلم أيها الامير ان مالنا تجارة ولا عمل غير الجهاد فى أعداء الله وطلب ما عند الله وها نحن لك وبين يديك ومنك الامر ومنا الطاعة لله ولرسوله ولك واما أنا فلا أملك الا نفسى فوجهنى حيث شئت تجدنى طائعا فقال أبو عبيدة معاشر المسلمين من له رأى وحضرته مشورة فليلقها ويظهر ما عنده فقال خالد أيها الامير ان اقامتنا عن طلب القوم وهن وعجز منا فى ديننا وطلبهم هو الغنيمة والنصر من عند الله والذى أشير به أيها الامير ان تبعث الجيوش فى كل درب من هذه الدروب فان ذلك يوهن العدو وتقر به أعين المسلمين قال فجزاه أبو عبيدة خيرا وقال يا أبا سليمان انى قد رأيت ان اعقد لميسرة عقدا واسير معه رجالا لانه هو اول من سارع الى هذا الامر واشار به فيفتح الله لهم الدروب ويغير على ما قرب من البلاد ويرجع فيخبرنا عن خبر البلاد فنعمل على حسب ما نرى فقال خالد هذا هو الصواب فعقد لميسرة وانتخب له من القبائل ثلاثة آلاف فارس من الشجعان والف عبد من السودان وجعل من كل قبيلة نقيبا وجعل على العبيد دامس ابا الهول قال فلبسوا الكمل السلاح وكل

منهم

منهم يقول انه يلقى الكتيبة وحده وجعل أمير القوم ميسرة وقال أبو عبيدة يا ابا الهول كن
انت بجماعتك فى أوائل العسكر ولا تخالف ميسرة فيما أشار به فانه مبارك الطلعة فقال سمعا
وطاعة قال وجهز القوم ثم ان خالدا قال ايها الامير أرسل معهم ادلاء يعرفونهم الطريق
ويكونون لهم عيونا على أعدائهم فطلب لهم من أهل حلب من المعاهدين من يكون ناصحا لهم
فاختاروا لهم أربعة وأعطاهم أبو عبيده وأحسن اليهم وطرح عنهم الجزية وقال لهم فى أى درب
يكون دخول المسلمين فى طلب العدو فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا فى الدرب الاعظم من بلد
قورص ثم انهم قالوا أيها الاميران هذه الدروب ليست كمثل البلاد التى فتحتموها بل هى
بلاد شديدة البرد كثيرة الشجر والمدر والحجر وفيها مضايق وشعاب وأودية وكهوف واعقاب
فقال أهل اليمن سيروا أنتم امامنا فانكم تروا منا عجبا فسار ابو الهول والمعاهدون امامه وسار
ميسرة فى أعقابهم بعدما ودعوا الناس ومضوا وهم بالتهليل والتكبير وقراءة القرآن
والمسلمون يدعون لهم بالنصر والسلامة قال عطاء بن جعدة وسرنا والدليل امامنا حتى أتينا
عقبة حنداس فقطعناها وعبرنا نحو الساجور وأتينا قورص فنزلنا فيها وبتنا فلما أصبحنا
ودخلنا الدروب فوجدنا بها أرضا وعرة وأشجارا ومياها جارية ومضايق ليس للفرس فيها
مجال فهالنا وحشة ذلك المكان اذ ليس للعرب فيه مجال ولا فسحة فقلت فى خاطرى ان
طالت علينا هذه الاودية خشيت على المسلمين ان يظفر بهم عدوهم والادلاء امام المسلمين
وقد تعلقوا فى جبال شامخة صعبة الصعود فلم يبق أحد الا وترجل عن فرسه قال ومشينا حتى
تقطعت نعالنا وسال الدم من أرجلنا فلم نزل على ذلك ثلاثة أيام والادلاء يقولون لنا كونوا
على يقظة فان أخذ عليكم المجاز هلكتم فلما كان فى اليوم الرابع خرجنا الى أرض واسعة وكان
دخولنا الى بلاد الروم فى أول الصيف ونحن مخففون من الثياب ولما دخلنا الى تلك الارض
وجدنا بردا كثيرا ونظرنا الى الثلج وهو على الجبال عن يميننا وشمالنا قال وكان دامس أبو
الهول لم يأخذ معه ثيابا تدفيه فحصل له من البرد ما لا يحصل لغيره فقال قبح الله تلك البلاد
فاذا كان هذا البرد عندهم فى الصيف فكيف يكون فى الشتاء وجعل يرتعد فرآه ميسرة فقال
يا ابا الهول مالى أراك ترتعد فقال أخذنى البرد وليس معى ما يدفينى فدفع اليه فروة فلبسها
فدفى فقال كساك الله من ثياب الجنة (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وساروا الى
أن وصلوا الى أرض طيبة كثيرة المياه قليلة الشجر فنزلوا فيها ثم انهم ساروا فلم يروا أحدا لان
الروم كانوا قد انزاحوا عن البلاد لحذرهم من المسلمين فلما كان فى اليوم الخامس ونحن سائرون
اذ لاحت لنا قرية فقصدها المسلمون واذا هى خالية بل سمعوا أصوات الديوك والغنم خد فلوها
فلم يجدوا عندها مانعا ولا دافعا فعرفنا أنهم توار واعنا فصاح ميسرة وقال خذوا حذركم فان
القوم قد انهزموا فدخل الناس الى القرية فأخذوا ما كان فيها من طعام واثاث ومتاع قال
سعيد بن عامر فرأيت أبا الهول وهو يحمل على عاتقه ثلاثة أكيسة قال وقطعتين فقلت له
يا أبا الهول ما هذا فقال استعد به لبرد هذه البلاد الخبيثة قاتلها أبدا قال وأخذوا ما كان

فى القرية من طعام وعلوفة وساروا الى أن وصلوا الى مرج يقال له مرج القبائل وهو مرج واسع فانبثت الخيل فيه يمينا وشمالا ونزل الجيش هناك وميسرة يراود نفسه فى الرجوع الى حلب وذلك ان أبا عبيدة كان قد أمره ان لا يبطئ عنه وان يكون حذرا فبينما هو كذلك والخيل منبثة والناس آمنون من عدو يدهمهم اذا اقبل بعض الخيالة ومعه علج يقوده فلما وصل الى عند ميسرة قال له ماشأن هذا ومن أين أخذته فقال اعلم أيها الامير انى سبقت أصحابى فرأيت شخصا يلوح مرة ويختفى مرة فاسرعت اليه فأراه هذا فأتيت اليه وسقته اليك قال فتقدم اليه رجل من المعاهدين فسأله فحدثه فأطال معه الكلام والناس سكوت فلما أطال معه قال ميسرة ويلك ما الذى يقول هذا العلج فقال أيها الامير انه يقول الملك هرقل لما ركب البحر وخرج من انطاكية ووصل الى قسطنطينية قصدته الروم من كل مكان من المنهزمين وغيرهم وبلغه ان انطاكية قد فتحت صلحا وانه قتل من كان فيها من المقاتلة فصعب عليه وبكى ثم قال السلام عليك يا أرض سوريا الى يوم اللقاء وقد تجمع عنده من البطارقة والحجاب وغيرهم خلق كثير فقال لهم انى أخاف من العرب أن تدخل فى طلبنا ثم انه جهز ثلاثين ألفا مع ثلاث بطارقة وأمرهم أن يحفظوا له الدروب فقال له ميسرة قل له كم بيننا وبينهم قال يقول لكم ان بينكم وبينهم فرسخين قال فلما سمع ذلك ميسرة اطرق الى الارض لا يرد جوابا ولا يبدى خطابا فقال له رجل من آل سهم يقال له عبد الله بن حذافة السهمى وكان من أبطال الموحدين وشجعانهم وكان له عامود من حديد وكان يقاتل به لا يثقله فى الحرب سواه وكان ذميم الخلقة فقال لميسرة بن مسروق مالى أراك أيها الامير مطرقا الى الارض طراق الحصان لمصلة اللجام والرجل منا يقاتل ألفا من الروم فقال والله يا عبد الله ما اطرقت خوفا ولا جزعا ولكن خوفا على المسلمين أن يصابوا تحت رايتى وهى أول راية دخلت الدروب فيلومنى عمر بن الخطاب وكل راع مسئول عن رعيته فقال المسلمون والله ما نبالى بالموت ولا نفكر فى الفوت لاننا قد بعنا أنفسنا بجنة ربنا ومن يعلم انه ينقل من دار الفنا الى دار البقا فلا يبالى بما وصل اليه من الكفار ثم انه قال أيها الناس أترون ان نلقاهم فى موضعنا هذا او نسير اليهم فسألوا المعاهد وقالوا ان كان موضعهم أفسح من هذا رحلنا اليهم فقال ليس من هذه البلاد بعد عمورية أفسح من هذا المكان فان عولتم على لقائهم فاثبتوا مكانكم وان عدتم الى ورائكم كان خيرا لكم من قبل أن يشرف عليكم عدوكم قال فاعرض ميسرة على العلج الاسلام فابى فضرب عنقه فبينما هم على ذلك اذا اشرفت عليهم الروم فنزلوا بازائهم وكانوا كالجراد المنتشر وكان قد مضى النهار فاضرمت النيران فلما أصبح الصبح صلى ميسرة بالناس صلاة الفجر فلما فرغ قام فى الناس خطيبا فقال أيها الناس هذا يوم له ما بعده وان رأيتم هذه أول راية دخلت الدروب واعلموا ان اخوانكم مطاولون لفعلكم واعلموا ان الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر واسمعوا ماقال نبينا صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ولا تنظروا الى قلتكم وكثرة أعدائكم فقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع

الصابرين

الصابرين فقال المسلمون اركب بنا يا ميسرة على بركة الله والقاهم بنا وانا لنرجو من الله النصر عليهم قال فاستبشر بقولهم وركبوا وانفصلت العبيد من العرب ووقفوا تحت راية أبي الهول وأخذوا على أنفسهم لقتال عدوهم وانتصروا بربهم وهو يوصيهم وجعل على الميمنة عبد الله ابن حذافة السهمي وعلى الميسرة سعد بن أبي سعيد الحنفي وقدم العبيد مع أبي الهول فلم ينطق بكلمة وركب جيش الروم ومدوا صفوفهم ثلاث صفوف كل صف عشرة آلاف وامامهم الصلبان وهم في عددهم وعديدهم فلما استوت الصفوف خرج رجل من الروم من المتنصرة وقرب من المسلمين وقال ان الباغي بغيه يرديه اما كفاكم ما ملكتموه من الشام العظيم حتى اقتحمتم هذه الجبال وانما ساقتكم الآجال وهنا ثلاثون الف عنان وقد حلفوا بالصلبان ان كلا منهم لا ينهزم وان وقع ميتا فان اردتم أن نبقي عليكم فاستسلموا للاسر حتى يحكم الملك هرقل فيكم بما يريد فخرج أبو الهول والراية بيده وقال له صدقت في قولك ان الباغي يرديه بغيه واما قولك انا نلقي اليكم بايدينا لتبقوا علينا فانت اذن باغ بقولك هذا اذ نطقت بغير تجربة منكم وها أنا عبد من عبيد العرب لا قدر لي ولا قيمة عند ذوي الرتب فاقرب مني حتى اجندلك صريعا تخور في دمك ثم ان دامس همز حصانه اليه وطعنه فارداه عن فرسه قتيلا ثم جال على فلوه وهز رايته وقال الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر ونظرت الروم الى أبي الهول وقد قتل صاحبهم وكان من شجعانهم فغضبوا لذلك فخرج اليه آخر فتركه يقرب منه حتى طعنه في نحره أخرج السنان من ظهره ونظر الروم الى ذلك فقالوا هذا عبد من عبيد العرب قد فعل ما ترون قال فلم يجسر أحد يخرج اليه فغار عليهم وقتل من القلب واحدا ورجع قال فحمل عليه صف من الصفوف وهم عشرة آلاف ودهموه بالخيل فحملت العبيد وحملت المسلمون والتقى الجمعان قال ميسرة فلله در العبيد لقد ابلوا بلاء حسنا واستنقذوا أبا الهول من عين الهلاك وهم يقولون نحن عبيد لعباد الله وضربنا مثل الحريق في سبيل الله ونقتل من كفر بالله قال ولم يزل الحرب بينهم حتى قامت الشمس في قبة الفلك وحمي عليهم الحر وافترق الجمعان قال وان المسلمين موقنون بالظفر والنصر والمشركون قد ايقنوا بالهلاك وقد قتل منهم خلق كثير واسر من الروم تسعمائة وقتل منهم زهاء عن الف فلما انفصل الجمعان افتقد المسلمون أبا الهول فلم يجدوه فقال ميسرة ان كان أبو الهول قد قتل أو أسر فقد اصبنا به والى الله تعالى اشكو ما أصابنا من فقد أبي الهول واسر من المسلمين عشرة ثم ان ميسرة قال من فيكم يكشف لنا خبرهم واذا بالروم قد عادوا للقتال وحملوا بجمعهم فقاتلوا قتالا شديدا فكان الرجل من المسلمين يجتمع عليه العشرة والعشرون والخمسون الى أن يقتلوه أو يأسروه وكانت العرب في أربعة آلاف والروم في ثلاثين ألفا فعظم بينهم الحرب وهاج الطعن والضرب فلله در ميسرة بن مسروق العبسي لقد جاهد في الله حق جهاده وهو مع ذلك ينادي أيها الناس اذكروا الدار الآخرة واعلموا انها اقرب لاحد كم من رجوعه لاهله فاستقبلوها استقبال الوالدة لولدها ولا تولوا الادبار عنها فان أصابوا القوم منا فاني اخشى ان ذلك وهن

بنا ثم انه نادى احطموا جفيرات سيوفكم فذلك طريق النجاة قال زيد بن وهب فلم يبق أحد من المسلمين حتى رمى بجفير سيفه فلما رأت الروم ذلك فعلوا مثلنا ورمى كل منهم بجفير سيفه فسميت تلك الوقعة باسمين وقعة مرج القبائل ووقعة الحطمة لاجل حطم اغمدة السيوف قال واقتتلوا حتى ان الرجل يقول ان سيفه مابقى يقطع والمسلمون يبتهلون الى الله والكفار تعج بكلمة كفرهم قال وان المسلمين يطلبون الفرج من الله والسودان تقاتل قتال الموت وكان شعار العرب فى ذلك اليوم النصر النصر وشعار السودان يا محمد يا محمد قال ابن ثابت وكنت قد أخذنى القلق على المسلمين ونحن فى ركب عظيم اذ سمعت فى الروم ضجة هائلة واذا بهم يقاتلون اناسا من ورائهم وهم فى وسط عسكرهم والزعقات منهم قد علت وسمعت قائلا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقلت هذه أصوات الملائكة فانبعث الصوت فاذا هو صوت دامس أبى الهول وهو بارك تحت جحفته ومعه العشرة المأسورون وهم يقاتلون معه ويحمون بعضهم الى ان خلصوا من بينهم وسمعته يقول هذه الابيات

يوثقنى الاعداء فى الحديد ❊ وناصرى وسيدى المبيد
مهلك عاد وبنى ثمود ❊ اغاثنى بعونه الشديد
محمد الطاهر الرشيد ❊ فحل عنى القيد والحديد
ذاك رسول الملك المجيد ❊ صلى عليه الناصر الحميد

قال فحملت المسلمون وكشفوا عنهم فخرجوا وكانهم قد غرقوا فى بحر دم ووالله ماقتل من المسلمين اكثر من خمسين رجلا بواحد او باثنين وقتل من المشركين نيف عن ثلاثة آلاف غير ماقتله ابو الهول وأصحابه فى وسط عسكر الكفر فلما نظر ميسرة الى دامس أراد ان يترجل اليه فاقسم عليه ان لا يفعل وافترق الجيشان فضم ميسرة دامسا الى صدره وقبله بين عينيه وقال له كيف كان أمركم قال اعلم ايها الامير ان الروم كانوا قد تكاثروا على فرسى فقتلوه ووقعت فاخذونى اسيرا وجعلونى فى الحديد وفعلوا باصحابى مثلى وقد أيسنا من انفسنا فلما جن الليل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا بأس عليك يا دامس اعلم ان منزلتى عند الله عظيمة ثم انه مر بيده الكريمة على الحديد فسقط منى وفعل ذلك مع أصحابى وقال لنا ابشروا بنصر الله فانا نبيكم محمد رسول الله وقال لى اقرئ عنى ميسرة السلام وقل له جزاك الله خيرا ثم غاب عنى فانتبهت فوجدت الموكلين بنا نياما مما لحقهم من التعب وقد رموا سلاحهم فاخذنا سيوفهم وطوارقهم وقتلناهم وحملنا فيهم ونصرنا الله عليهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلنا منهم من قتلنا وخرجنا من بينهم سالمين وهذا حديثنا قال فضج المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه ان بطريق الروم كان اسمه جارس فلما رأى ماقد حل باصحابه قال وحق المسيح خاب ملك انتم حماته فان لم تقاتلوا بعزم وشدة والا قتلتكم قال فتحالفوا ان لا ينهزموا او يقتلوا عن آخرهم فلما وثق منهم أمر ان تضرم النيران على شواهق الجبال وامر ان ينفذ النفير الى البلاد باسرها قال فأتت اليه الروم من كل

جانب

جانب فاتى اليه عشرون الفا وان المسلمين لم يكترثوا لذلك فلما كان من الغد صلى ميسرة المسلمين صلاة الخوف وهو اول من صلاها داخل الدروب وأول راية دخلت كانت رايته فلما فرغ من صلاته قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وقال أيها الناس اتقوا الله ما نزل بكم فالصبر عند نزول المصائب وهذه رحمة من الله لنا اذ نحن فى صدور الاعداء وقد دارت بنا هذه الجيوش ونحن لا نقاتل الا بنصر الله لنا وان الامير أبا عبيدة كان قد أمرني ان لا ابعد بكم عنهم ولنا عنهم الآن سبعة أيام وما يظن أبو عبيدة اننا نلاقى جيشا فقال له سعيد بن زيد يا ميسرة ما الذي تريد بهذا الكلام ان كنت تريد انك تحرضنا فنحن اشوق الى لقاء الله من الظمآن الى الماء البارد فقال ميسرة ما أردت بذلك الا مشورتكم وقد رأيت ان ننفذ الى أمير المسلمين رجلا نعلمه بما قد بلينا به وان مدد القوم يزيد فلعله ينجدنا باخواننا فقال سعيد نعم ما قد أشرت به فدعا برجل من الاربعة المعاهدين ووعده بكل خير وأمره أن يأخذ معه آخر وان يسير الى أبي عبيدة ويعلمه أن نفير القوم قد لحقنا من الحصون والقرى وسائر البلاد وقد نزلوا بازائنا وان يحدثه بما قد رأى قال فسار المعاهدى والرجل الى حلب واجهدا نفوسهم فى السير من طرق يعرفونها الى ان وصلا جيش المسلمين فسقطا كأنهم البغال الهرمة من شدة السير والتعب فامروا أن يرش عليهم الماء فلما أفاقا قال لهم ما وراءكم أهلكت الكتيبة قالا لا والله ولكن نفر اليهم العدو من كل مكان واخبراه بما كان من الحرب والقتال وحيث حطموا جفران سيوفهم وكيف أسر أبو الهول وكيف خلص وما هم فيه فقلق أبو عبيدة عند ذلك وقام مسرعا وأتى قبة خالد بن الوليد فوجده يصلح درعه فلما رآه قام اليه قائما وقال له خيرا أيها الامير فاخذ بيده وسار به الى ان أتى رحله وقال للرجلين قوما فحدثا الامير بما عاينتما فحدثاه بما كان من أمر المسلمين فقال خالد ان الله سبحانه وتعالى منذ نصرنا ما خذلنا فلله الحمد على ذلك وقد أمرنا بالصبر على الشدائد فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وقال ان الله مع الصابرين وأما خالد فقد حبس على الجهاد فى سبيل الله ولا نبخل على الله ورسوله فلعل الله ان ينجيني من النار ويرزقني الشهادة ثم اسرع الى خيمته ولبس لامته وقلنسوته المباركة وركب جواده فوقع النفير فى الناس قال فاقبلوا من كل جانب فلولا ان منعهم أبو عبيدة كانوا ساروا باجمعهم فانتخب منهم ثلاثة آلاف فارس وأردفهم بالفين أخر أخبرنا احمد بن هشام عن عياض عمن حدثه قال لما سار خالد بالجيش الى معونة ميسرة بن مسروق ومن معه رفع خالد يديه الى السماء وقال اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا واطو لنا البعيد ويسر لنا كل صعب شديد وسار نحو الدروب قال واما ميسرة ومن معه فانهم دارت بهم الروم من كل جانب وهم يقاتلون فى كل يوم أشد القتال الى ان يقبل الظلام فيفترقون وفى كل يوم يزيد عددهم ومددهم وقد لحق المسلمين من التعب والجراح ما لحقهم ولكن من غير فشل وكانهم قوم قد حجب عنهم الموت باذن الله تعالى (قال الواقدي) رحمه الله حدثنا عمر بن راشد عن الزبيدي قال لما سار خالد ليلحق ميسرة وينجده الى داخل الدروب سجد أبو عبيدة سجدة

اطال فيها وقال اللهم انى أسألك بمن جعلت اسمه مع اسمك وعرفت فضله لانبيائك ورسلك الاطويت لهم البعيد وسهلت لهم كل صعب شديد والحقهم باصحابهم يا قريب يا مجيب قال وميسرة ومن معه منتظرون فرجا من الله يأتيهم ونصرا ينزل عليهم قال عبد الله بن الوليد الانصارى حدثنى ثابت بن عجلان عن سليمان بن عامر الانصارى قال كنت مع ميسرة فى وقعة مرج القبائل ويوم حطمنا اغمدة السيوف والروم تقبل من كل جانب ومكان الى المسلمين ونحن نباكر القتال ونروح رواحا قال سليمان بن عامر فخرج يوما من الايام بطريق من الروم قد لبس درعين وعليه سواعد من الحديد وعلى رأسه بيضة تلمع فوقها صليب من الجوهر وبيده عامود من الحديد كانه ذراع بعير فجال بين الصفوف وطلب البراز وكان أحد الثلاثة المقدمين على الثلاثين ألفا قال فجعل يدعو الى البراز ويطمطم فقال ميسرة للترجمان ما يقول هذا العلف قال انه يذكر انه فارس شديد ويطلب شجعانكم وأبطالكم فقال ميسرة من يبرز اليه فاسرع اليه رجل من المسلمين من قبيلة النخع وعليه درع من دروع الروم وثياب من ثيابهم فقلنا انه من المتنصرة وقد عاد الى الاسلام فجعل العلج يتكلم وهو يظن انه يفهم كلامه فلما رآه لا يبرز اليه حمل عليه وضربه بعموده فزاغ النخعى عنها وعطلها عليه فوقع العمود على رأس جواده فانصرع الجواد براكبه وصار النخعى على قدميه فناداه ميسرة يا اخا النخع ارجع فرجع القهقرى والعلج يطلبه والنخعى راجل والعلج فارس فسار اليه عبد الله بن حذافة السهمى وصاح بالعلج أدهشه فالتفت اليه وسار النخعى الى أن وصل عسكر المسلمين وحمل عبد الله بن حذافة على العلج وحمل العلج عليه وضعب بينهما المجال وصار عبد الله كلما ضرب العلج لا يقطع فيه شيئا والعلج كلما ضرب عبد الله يأخذها بجحفته فتوهن ساعده من ثقل العمود وطال بينهما القتال والتقيا بضربتين فبادره عبد الله بالضربة تحت لحيته فطلب بها نحره فلحق رأس سيفه رقبة العلج فطار رأسه عن بدنه وأراد الفرس ان يرجع الى عسكر الروم فاخذه عبد الله ونزل اليه وأخذ سلبه ورجع الى المسلمين فعظم ذلك على الروم وكان عندهم معظما وعند الملك قال فبرز بطريق آخر وقال هذا صاحب الملك قد قتل ولا بد لى من أخذ ثاره من الذى قتله اما قتله أو اسره وابعث به الى الملك يصنع به ما يريد ثم انه أتى الى البطريق المقتول وراسه طائح عن بدنه فبكى عليه وقال بلسان فصيح معاشر العرب يوشك ان الله سيهلككم ببغيكم علينا وفعالكم بنا فليبرز الى قاتل هذا البطريق حتى آخذ منه ثاره فلما سمع عبد الله بن حذافة هم بالخروج فمنعه ميسرة شفقة عليه لانه اراد راحته وانه قد تعب واراد ميسرة ان يلقاه بنفسه فقال عبد الله يدعونى ايها الامير باسمى واتخلف انى اذا العاجز فقال له ميسرة انى اشفق عليك فقال عبد الله اتشفق على من تعب الدنيا ولا تشفق على من حر النار وعيش عاش فيه رسول الله لا يبرز اليه غيرى ثم برز اليه وتحته فرس المقتول وما غير من لامته شيئا وبيده سيفه وجحفته فلما التقيا ورآى البطريق فرس صاحبه علم أنه قاتله فامهله حتى تقرّ اليه وحمل على عبد الله كانه جبل وقد انهد من علو وتشبث به وجذبه فاخذه أسيرا وذهب به الى قومه وقال اوثقوه

بالحديد واحملوه على خيل البريد واذهبوا به الى الملك فى هذه الساعة قال ففعلوا ذلك وساروا به ورجع البطريق الى الميدان وهو يفتخر بما صنع فاراد ثلاثة من المسلمين كل منهم يريد أن يخرج اليه فقال ميسرة ما يخرج لهذا اللعين غيرى واستدعى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسلم الراية اليه وقال له كن للراية حافظا حتى أخرج الى هذا اللعين فان عدت اخذتها وان قتلنى فاجرى على الله فاخذ سعيد الراية وخرج ميسرة الى البطريق وهو يقول قد سلم المهيمن الجبار بان قلبى قد كوى بالنار على الفتى القائم بالاسحار سيعلم علج الاشرار أنى منه آخذ بالثار قال وحمل عليه وتجاولا طويلا وعظم الامر بينهما وتدانيا وتقاربا وتباعدا وغابا عن الابصار تحت الغبار وكل فرقة تنظر الى صاحبها وتدعو اله ثم انكشفا وهما للتفرق اقرب من التقارب فقال العلج لميسرة بحق دينك ما هذه الراية التى طلعت من وراء عسكركم فلم يلتفت الى كلامه بل قال له وما ذاك على الله بعزيز فقال وحق دينى ما قلت لك الا حقا قال وهو حلف كاذبا فالتفت ميسرة لحرصه أن يأتى الله بالفرج وينظر تحقيق ما قاله اللعين فحمل البطريق عليه ومكن يده منه ليأخذه أسيرا واذا قد طلعت راية خالد بن الوليد وهى مشرقة بالنور وهى فى يد خالد بن الوليد وكبر المسلمون يدا واحدة فمن عظم تكبيرهم ارتجت يد العلج عن ميسرة والتفت البطريق ليرى كيف الخبر فقبض عليه ميسرة وهم أن يقلعه فلم يقدر لانه كان مرفلا فى السرج فجعل يجذبه فلم يقدر وقرب خالد منهم فرفع سيفه يريد أن يضرب به يد ميسرة ليطلقه من يده فاحاد الله السيف عن يد ميسرة ووقع على يد العلج الشمال فقطعها وانخع ميسرة وانثنى البطريق الى أصحابه ويده مقطوعة وهو يئن فالتقاه غلمانه فاخذوه وكووه وأما خالد فانه التقى بميسرة وتساءلا وحدثه بما وقع له مع الروم وكيف أسروا عبد الله بن حذافة السهمى فتأسف خالد واسترجع وقال يؤثر مثل عبد الله بن حذافة والله لا يفارقهم خالد او يخلصه ان شاء الله تعالى وأقام خالد بقية ذلك اليوم فلما كان من الغد أتاهم من جيش الروم شيخ وعليه مسوح السواد حتى وقف بازائهم وأومأ بالسجود فمنعه خالد وقال له ما الذى تريد قال ان كبير هذا القوم يريد صلحكم ويطلق أسيركم ويدفع لكم ما تريدون وترجعون فقال خالد ما نرجع الا على انفصال وأما الاسير اذا لم تطلقوه طوعا اطلقتموه كرها قال انت أمير هؤلاء قال نعم قال أرايت ان تؤخر القتال بقية يومنا هذا وليلتنا فافعل لندبر بيننا وبينكم ويبرد وجع هذا البطريق ونجيبكم الى ما تريدون قال له اجبناكم الى ذلك فرجع الشيخ الى قومه وقال للبطريق قد أجابوا ووضعت الحرب أوزارها ونزل خالد والمسلمون بازائهم فى أمان كلهم واضرم الروم النيران وزادوا فيها وحملوا أثقالهم وساروا من اول الليل فلما كان من الغد ركب المسلمون فلم يجدوا للروم أثرا فعلموا أنهم قد ولوا الادبار فتأسف خالد على ما فاته فاراد أن يتبعهم فمنعه ميسرة وقال له انها بلادهم وهى وعرة وان الصواب رجوعنا الى عسكر المسلمين قال فاخذوا ما تركه الروم ورجعوا منصورين ولكنهم حزينون على أسر عبد الله بن حذافة السهمى وساروا حتى أتوا حلب فالتقاهم أبو عبيدة وفرح بسلامتهم واقبل ميسرة يحدثه بما جرى لهم

وكيف اسر عبد الله بن حذافة فتأسف عليه وقال اللهم اجعل له من أمره فرجا ومخرجا وكتب
الى عمر بن الخطاب يخبره بما وقع له من أمر السرية الى الدروب وما كان من المسلمين واخبره باسر
عبد الله بن حذافة وبعث الكتاب فلما وصل الى عمر بن الخطاب فرح بسلامة المسلمين واغتم
على عبد الله بن حذافة واسره لانه كان يحبه حبا شديدا فقال وعيش رسول الله لاكتبن
الى هرقل بانه يرسل عبد الله بن حذافة فان لم يفعل والا سرت اليه بالجيوش والعساكر ثم انه
كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولا صاحبة وصلى الله على نبيه
محمد المؤيد من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين اما بعد فاذا وصل اليك كتابي هذا فابعث
الى بالاسير الذي عندك وهو عبد الله بن حذافة فان فعلت ذلك رجوت لك الهداية وان ابيت
بعثت اليك رجالا واى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام
على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ثم انه طوى الكتاب وبعث به الى ابي عبيدة
وامره ان ينفذه الى هرقل فلما وصل الكتاب الى هرقل قال له من اين كتابك هذا قال من امير
المؤمنين امير العرب فقراه فاذا هو من عند عمر بن الخطاب قال فدعا بعبد الله بن حذافة اليه
قال عبد الله بن حذافة فدخلت عليه والتاج على راسه والبطارقة حوله فلما وقفت بين يديه
قال لي من انت قلت رجل من المسلمين من قريش قال انت من بيت نبيك قلت لا انا من بني
عمه قال هل لك ان تتبع ديننا وازوجك ابنة بطريق من بطارقتي واجعلك من اخصائي فقلت
لا والله الذي لا اله الا هو لا فارقت دين الاسلام ابدا وما جاء به محمد عليه السلام فقال اجب
الى ديننا وانا اعطيك من المال كذا وكذا ومن الغلمان كذا وكذا ومن الجوار كذا وكذا
قال عبد الله دعا بسفط من الجوهر وقال اذا دخلت في ديني اعطيتك اياه فقلت لا والله
لو اعطيتني ملكك وملك قومك ما فارقت دين الاسلام ابدا ولو اعطيتني كل ما تملكه فقال
اذا لم ترجع الى ديني قتلتك اشر قتله فقلت است افعل ولو قطعتني قطعا ولو احرقتني بالنار
لا رجعت عن ديني فاصنع ما انت صانع قال فغضب من كلامي وقال اسجد لهذا الصليب
سجدة واخلي سبيلك فقلت است افعل قال فكل من لحم الخنزير وانا اطلقك قلت حاش لله
ما كنت بالذي افعل قال فاشرب من هذا الخمر شربة واحدة واطلقك قلت لا والله لا اشرب
ابدا قال وحق ديني لتأكلن وتشربن غصبا ثم امر بي فجعلني في بيت وجعل عندي من ذلك
اللحم والخمر وقال اذا ضربه الجوع والظمأ اكل وشرب واغلقوا على الابواب قال حدثنا عامر
ابن سهل عن يوسف بن عمران عن سفيان بن خالد عن من يثق به ثم ان هرقل كان قد مات بعد
هزيمته من انطاكية بايام قلائل مما دخل على قلبه من القهر ويقال انه مات مسلما والذي
فعل ذلك بعبد الله بن حذافة ولده نسطوس وكانوا القبوه باسم ابيه هرقل قال فلما كان
في اليوم الرابع طلب عبد الله بن حذافة وقال للغلمان ما فعل قالوا لم يأكل شيئا ولم يشرب
وهو على حاله فقال له وزيره ايها الملك اعلم ان هذا الرجل شريف في قومه لا يرى الذل
فكلما تفعله في هذا الرجل تفعله المسلمون اذا قبضوا على ملك منا قال فاستدعاه

وقال له ما فعلت باللحم قال هو على حاله فقال له ما منعك ان تأكل قال فزعا من الله ورسوله وأيضا انه قد حل لى بعد ثلاثة ايام ولكن ما أردت ان تشمت بى الملحدون وودكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما قرأه اعطى لعبد الله مالا كثيرا وثيابا واعطاه لؤلؤا كثيرا هدية لعمر بن الخطاب وبعث معه خيلا الى أن اخرجوه من الدروب ووصل الى حاب الى المسلمين ففرحوا به ثم انه سار الى عمر بن الخطاب فلما رآه سجد لله شكرا وهناه بالسلامة وحدثه بما كان من هرقل وأخرج له اللؤلؤ فلما رآه عمر عرضه على التجار فقالت التجار له هذا ما يقوم ومن قد جاءك به فقالت الصحابة خذه اليك بارك الله لك فيه فقال لا اله الا الله محمد رسول الله اذا كنتم قد جعلتمونى منه فى حل فكيف اصنع بمن غاب من المسلمين ومن فى بطون الامهات واصلاب الرجال من اولاد المهاجرين والانصار والمجاهدين فى سبيل الله ولا طاقة لعمر بمطالبتهم يوم القيامة ثم باعه وجعل ثمنه فى بيت المال حدثنا عمر بن سالم عن عبد الله بن غانم عن أبى بكر بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله قالوا جميعا انه لما فتح أبو عبيدة انطاكية صلحا وكان من أمر سرية ميسرة بن مسروق ما ذكرناه واقام أبو عبيدة بحلب ينتظر ما يأتى اليه من عمرو بن العاص لما مضى الى قيسارية فى خمسة آلاف من المسلمين فيهم عبادة ابن الصامت وعمرو بن ربيعة وبلال بن حمامة وربيعة بن عامر

(ذكر فتح قيسارية الشام بساحل البحر)

قال سبيع بن ضمرة الحرانى كنت مع عمرو بن العاص حين سار الى قيسارية قال فدخلنا قرية من قرى الشام وكان البرد شديدا ونظرنا الى كرومها ونظرت الى كرمة فى دار من دور القرية وفيها عنا قيد مدلاة اكبر ما يكون فأخذنا منها واكلناه فبردنا ولحقنا البرد الشديد من شدة برد ذلك العنقود فقلت قبح الله هؤلاء الملاعين بلدهم بارد وعنبهم بارد وماؤهم بارد وأنا أخاف الهلاك من شدة برد بلادهم قال فسمعنى رجل من أهل البلد فاراد أن يتقرب الى قبلى لاراعيه فقال لى يا أخا العرب ان كنت تجد البرد من العنب فاشرب من مائه قال سبيع ثم انه دلنا على دن كبير فيه خمر فشربت أنا وجماعة من عرب اليمن فسكرنا فجعلنا نتمايل سكرا فاخبر بذلك عمرو بن العاص فكتب الى أبى عبيدة يعلمه بذلك فكتب اليه أبو عبيدة اما بعد فمن شربها فحده عليها واقم حدود الله كما أمر ولا تخش لومة لائم فلما وصل الكتاب الى عمرو دعا بسبيع بن ضمرة وأصحابه فجلدهم بالسياط قال سبيع فلما ضربنى عمرو واوجعنى قلت والله لاقتلن العلج الذى دلنا على الخمر حتى شربناها واكلنا الحد فاخذت سيفى ودخلت القرية اطلب العلج فلما رايته ووقعت عينى عليه اردت قتله فولى هاربا فتبعته وهو يقول ما هو ذنبى عندك فقلت أنت دللتنى على ما يغضب الله حتى اكلت الضرب فقال والله ما علمت انه محرم عليكم قال فنادانى عبادة بن الصامت وقال يا سبيع اياك أن تقتله فانه تحت الذمة قال فتركته ومضى العلج واتى الى بتين وجوز وزبيب وقال كل هذا بدل ذاك فانه يدفيك قال فاكلته فوجدته طيبا فقلت لحاك الله اين هذا كان أول مرة قبل ان اضرب بالسياط (قال الواقدى) رحمه الله

ثم ان عمرا ارتحل فنزل بموضع يقال له محل وبلغ الخبر فلسطين بن هرقل وكان قد أتاه المنهزمون من عسكر أبيه ولجؤا اليه واكتمل جيشه فى ثمانين ألفا ثم انه دعا برجل من المتنصرة وقال له امض واحزر لى عسكر العرب واكشف لى اخبارهم فوصل اليهم ولجأ الى قوم من اليمن وهم يصطلون حول النار فجلس بينهم يسمع حديثهم فلما أراد القيام عثر فى ذيله فقال باسم الصليب كلمة دلها الله على لسانه فلما سمعوا قوله علموا انه متنصر جاسوس للروم فوثبوا اليه وقتلوه ووقع الصائح فى العسكر فسمع عمرو الضجة فقال ما الخبر قيل ان قوما من اليمن وقعوا بجاسوس من الروم فقتلوه قال فغضب عمرو وطلبهم وقال ما حملكم على قتل الجاسوس وهلا أتيتمونى به لاستخبره فكم من عين تكون علينا ثم انها ترجع فتصير لنا الان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ثم انه نادى فى جيشه من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به الى قال وان فلسطين استبطأ الجاسوس فلم يقتله فارسل غيره فاشرف على القوم من فوق شرف عال وحزرهم وعاد اليه فاخبره انهم فى خمسة آلاف الا أنهم كالاسود الضارية أو كالعقبان الكاسرة يرون الموت مغنما والحياة مغرما فلما سمع ذلك قال وحق المسيح والقربان لابد لى من قتالهم فاما ان أبلغ المراد أو أموت صبرا ثم انه جمع عسكره واختار منهم عشرة آلاف فارس شداد وولى عليهم بطريقا اسمه بكلاكون وهو صاحب جيشه وقال سر بهؤلاء فانت طليعة جيشى فسار من ساعته ثم انه عقد صليبا آخر وسلمه الى دمشتق العسكر واسمه جرجس بن باكور وضم اليه عشرة آلاف وقال له الحق بصاحبك فسار فى أثره فلما كان فى اليوم الثانى خرج فلسطين ببقية الجيش وترك ابن عمه قسطاس فى قيسارية يحفظها وترك عنده عشرة آلاف قال بشار ابن عون فبينما نحن نازلون اذ اشرف علينا البطريق الاول فى عشرة آلاف فارس فلما قربوا منا رأيناهم فحزرناهم فاذا هم عشرة آلاف قال ففرحنا وقلنا نحن فى خمسة آلاف وعدونا فى عشرة آلاف فكل رجل منا يقاتل اثنين فبينما نحن كذلك اذ اشرف علينا البطريق الثانى فى عشرة آلاف فقال عمرو رضى الله عنه اعلموا ان من أراد الله واليوم الآخر فلا يرتاع من كثرة العدو ولو تزايد المدد فان الجهاد أوفر متجرا واعز قدرا واى فخرا على عند الله ممن يقتل فى سبيل الله وصفوف الكفار ويكون غدا عند الله يرتع فى مروج الجنة وينال من الله سابغ النعمة والمنة فقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الآية ولو ان الجاسوس الذى قتلتموه لم تعجلوا عليه لاخبرنا بمسير هذا الجيش الينا وكثرته وكنا قد اخذنا حذرنا على انفسنا بالاحوط ولكن أمر الله لا يرد ثم انه جمع ابطال الموحدين وقال قد رأيت ان ننفذ الى أبى عبيدة نعلمه ليمدنا بالخيل والرجال فان هذا جيش عظيم ثم قال أيها الناس من يركب ويسير الى الامير أبى عبيدة ويعلمه بما قد صرنا اليه فلعله ان يجدنا كما نجد يزيد بن أبى سفيان وهو محاصر قنسرين وأجره على الله فقال له ربيعة بن عامر يا عمرو القَ بنا العدو وتوكل على الله فان الذى نصرنا فى مواطن كثيرة ونحن فى قلة ينصرنا اليوم على بقية القوم الكافرين قال فاقتنع عمرو بكلام عامر

بن ربيعة وقال والله لقد صدقت وأمر الناس بالتأهب الى لقاء العدو فركب المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابتهم الجبال والتلال والاوعار والاشجار والاحجار ومن هو فى تلك الارض من العمار وقالوا الهنا ومولانا انا نسمع اصواتا موحدة غير مشركة ولا ملحدة وقد أسمعتنا كلام التوحيد وأريتنا وجوه أهل التمجيد والتحميد الهنا ما اطيب سماع ذكرك ومن لنا ان نوفى بشكرك قال وضجت الوحوش والسباع الى مولاها شاكرة لما أعطاها واولاها ونادت عالم سرها ونجواها يامن جميع الوحوش راضية بما اتاها اخرج رزقها ومرعاها تغدوا خماصا وتروح بطانا الى باب سيدها ومولاها يامن لو توارت دون تحت الاراضين السبع لرآها ولو كانت فى منغلس الظلمات تحت اليم المظلم حبة لرزق عبد لبلغه اياها الهنا انا سمعنا صوات توحيدك فى هذه الارض وما كنا عهدناها ونسمع آيات ما كنا عرفناها ولا سمعناها سبحانك يامن قدرته لاتتناهى ويامن احسانه وفضله لا يتناهى قال فهتف بهم هاتف من الجو وكم لله من مسبح فى الجبال وذراها وتحت تخوم الارض وثراها وفى فلوات البرارى المقفرات وفى قعور البحار الزاخرات ومياهها قال فارتفاع عسكر الكفار لما سمعوا فى الجو هذه الاصوات وكأنما الارض واقطارها وأهلها تجاوبهم وكان فلسطين قد أتى وسمع ذلك ونظر الى جيش العرب وقد زاد فى عينه اضعافا فقال وحق دينى لما اشرفت على القوم ما كانوا فى هذه الكثرة وما كانوا أكثر من خمسة آلاف وقد زاد الآن عددهم وتزايد مددهم ولا شك ان الله قد امدهم بالملائكة ولقد كان أبى هرقل على بصيرة من أمر هؤلاء العرب وليس جيشى هذا باعظم من جيش هامان الارمنى لما القيهم باليرموك فى ألف ألف ولقد ندمت من خروجى اليهم ولكن سوف أدبر حيلة على هؤلاء العرب ثم انه دعا بقس عظيم القدر عند النصرانية وهو قس قيسارية وعالمها وقال له اركب الى هؤلاء القوم وكلمهم بالتى هى احسن وقل لهم ان ابن الملك يسألكم أن تنفذوا اليه أفصحكم لسانا واجرأكم جنانا فابعثوا به ولا يكون من طغاة العرب قال فركب القس وعليه ثوب من الديباج الاسود وعليه برنس من الشعر فركب بغلة شهباء وأخذ بيده صليبا من الجوهر وسار حتى وصل الى المسلمين فوقف بحيث يسمعون كلامه فقال يامعشر العرب انى رسول اليكم من الملك فلسطين بن هرقل يسألكم أن تنفذوا اليه أفصحكم لسانا واجرأكم جنانا وانه يريد صلحكم ولا يبغى قتالكم لانه عالم بدينه بصير بأموره وليس يحب سفك الدما ولا فساد الصور فلا تبغوا علينا فالباغى مقهور والمبغى عليه منصور وقد قال لنا المسيح لا تقاتلوا الا من بغى عليكم وان الملك يريد أن تبعثوا اليه رجلا من افصحكم لسانا واجرأكم جنانا ثم سكت قال فلما سمع عمرو كلامه قال أيها الناس قد سمعتم ماقاله هذا الاقلف فمن منكم يبادر الى مرضات الله تعالى ورسوله وينظر مايتكلم به مع كلب الروم فتقدم اليه بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما اسود طويلا من الرجال كأنه النخلة السحوق بصاص من السواد عيناه جمرتان كأنهما العلق جوهرى الصوت فقال ياعمرو أنا اسير اليه فقال يابلال انك قد حطمك

الحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا انك من جنس الحبش واست من العرب لان العرب لهم الكلام الجزل والخطاب والفصاحة فقال بلال بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تركتنى أمضى اليه فقال عمرو لقد أقسمت على بعظيم اذهب واستعن بالله ولا تهبه فى الخطاب وافصح فى الجواب وعظم شرائع الاسلام فقال بلال ستجدنى ان شاء الله حيث تريد قال فخرج بلال نحوهم وهو كالنخلة السحوق عريض المنكبين كأنه من رجال شنوءة وكان من عظم خلقته اذا نظر اليه أحد هابه وكان لابسا ومشتملا قميصا من كرابيس الشام وعلى رأسه عمامة من صوف متقلدا بسيف ومروده على عاتقه وبيده عصا قال فلما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر اليه القس انكره وقال ان القوم قد هنا عليهم فانا دعوناهم نخاطبهم بعثوا الينا بعبيدهم اصغر قدرنا عندهم ثم قال أيها العبد ابلغ مولاك وقل له ان الملك يريد أميرا منكم حتى يخاطبه بما يريد فقال بلال أيها القس أنا بلال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه ولست بعاجز عن جواب صاحبك فقال له القس قف مكانك حتى أعلم الملك بأمرك وعاد القس الى الملك وقال له أيها الملك انهم قد بعثوا بعبد من عبيدهم يخاطبك وماذاك الا استقلال بامرنا عندهم وهو عبد اسود قال فارسل له رجل يقول له أيها العبد أبلغ مولاك وقل له ان الملك انما يريد أميرا منكم حتى يخاطبه فقال له بلال أيها الرجل أنا بلال بن حمامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست بعاجز عن جواب صاحبكم فقال فلسطين ارجع اليهم وقل لهم بعث اليكم ملك النصرانية ايليق ان تبعثوا له بعبد من عندكم فرجع الترجمان الى بلال وقال له يا اسود ان الملك يقول لك لسنا ممن نخاطب العبيد بل يأتينا صاحب جيشكم والمؤمر عليكم فرجع بلال وهو منكسر وأخبر عمروا بذلك فقال شرحبيل بن حسنة أنا أمضى اليه فقال شرحبيل يا عبد الله اذا مضيت أنت فعلى من تدع المسلمين فقال عمرو الله لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين بخلقه ولكن خذ الراية واخلفنى فى قومى فان غدر الروم فالله الخليفة عليكم فوقف شرحبيل فى مقام عمرو وأخذ الراية وخرج عمرو نحو القوم وعليه درعه ومن فوقه جبة صوف وعلى رأسه عمامة من صنع اليمن مصبوغة صفراء قد أدارها على رأسه كورا وارخى لها عذبة وفى وسطه منطقة وقد تقلد بسيفه واعتقل رمحه وسار عمرو حتى وقف بازاء الترجمان الذى أرسله فلسطين بن هرقل فلما رآه الترجمان ضحك فقال من تضحك يا أخا النصرانية قال من دناءة رؤيتك وحملك هذا السلاح ما الذى تصنع به وتحمله معك وما تريد حربا فقال عمرو ان العرب حمل السلاح شعارهم وهو وطاؤها ودثارها وانما حملت السلاح معى استظهارا ولعلى أن القى عدوا فيكون ذلك حصنا من عدوى واحامى به عن نفسى قال الترجمان شيمتكم ايها العرب الغدر والمكر فكن مطمئن الجانب ثم عطف الترجمان الى فلسطين بن هرقل واخبره حين سمع مقالة عمرو بن العاص وقال أيها الملك ان أمير العرب قد قدم الينا وعليه من اللباس كذا وكذا فتبسم الملك من قول القس وقال قل له يتقدم الينا قال فلما قدم اخذ الملك فى التأهب لقدوم عمرو عليه وزين ملكه واوقف القسس عن يمينه وشماله والحجاب بين

يديه واقبل على الترجمان وقال له ياأخا العرب قد اذن لك الملك فسار عمرو على جواده وعسكر قيسارية يتعجب منه ومن زيه الى أن وقف على قبة الملك ثم ترجل ومشت الحجاب امامه حتى وقعت عينه على فلسطين فادناه ورحب به وبش فى وجهه وقال مرحبا بامير قومه واراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو من ذلك وقال بساط الله اطهر من بساطك لان الله تعالى جعل الارض بساطا واباحنا اياها فنحن فيها سواء وما اريد أن اجلس الاعلى ما اباحه الله ثم جلس على الارض باركا وترك رمحه امامه وسيفه على فخذه الايسر فقال له فلسطين ما اسمك قال اسمى عمرو وأنا من العرب الكرام أرباب الحزم المعظمين فى القول قال فلسطين انك لفتى كريم من عرب كرام يا عمرو ان كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابة وارحام متصلة ونحن وانتم فى النسب متصلون ومن يكونوا متصلين فى النسب ما لهم يسفك دم بعضهم بعضا فقال عمرو ان انسابنا لاحقة من ابينا ونسبنا الاعلى هو دين الاسلام وأما اذا كان اخوان فاختلفا فى الدين كان حلالا ان يقتل أخاه وقد انقطع النسب بيننا وقد ذكرت أن نسبك لاحق بنا فكيف يكون نسبك ونسبنا واحدا ونحن قريش الكرام وانتم بنو الروم قال يا عمرو أليس ابونا آدم ثم نوح ثم ابراهيم والعيص بن اسحاق واسحاق اخو اسماعيل كلاهما ولدا ابراهيم لا يجب على الاخ أن يبغى على اخيه بل يجود عليه فقال انك لصادق فى قولك الذى قلت وان العيص ونحن بنو أب واحد وابونا نحن اسماعيل صلوات الله عليه وان كان نوح عليه السلام قسم الارض شططا حين غضب على ولده حام واعلم ان اولاد حام لم يرضوا بها فاقتتلوا عليها زمانا وهذه الارض التى أنتم فيها ليست لكم وهى ارض العمالقة من قبلكم لان نوحا عليه السلام قسم الارض بين اولاده الثلاثة سام وحام ويافث واعطى ولده ساما الشام وما حوله الى اليمن الى حضرموت الى غسان والعرب كلهم ولد سام قحطان وطسم وجرس وجرجيس وعملاق وهو ابو العمالقة حيث كانوا من البلاد وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العاربة لان لسانهم الذى جبلوا عليه العربية واعطى لحام الغرب والساحل واعطى يافث فيما بين المشرق والمغرب وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ونريد ان نرد هذه القسمة فناخذ ما فى ايديكم من العمارة والانهار عوضا عما نحن فيه من الشوك والحجارة والبلاد القفر فلما سمع فلسطين كلام عمرو بن العاص علم انه رجل مكين فقال له صدقت فى قولك الا ان القسمة قد جرت فان تنقضوها كنتم من الباغين علينا واعلم انه ما حملكم على ذلك واخرجكم من بلادكم الا الجهد العظيم فقال له عمرو ايها الملك أما ما زعمت ان الجهد اخرجنا من بلادنا فنعم كنا نأكل خبز الشعير والذرة فلما رأينا طعامكم واستحسناه فلن نبارحكم حتى نأخذ البلاد من ايديكم وتصيروا لنا عبيدا ونستظل تحت اصول هذه الشجرة العالية والفروع المورقة الاغصان الطيبة الثمار فان منعتمونا عما ذقناه من بلادكم من لذيذ العيش فما عندنا الا رجال اشوق الى حربكم من حبكم الحياة لانهم يحبون القتال كما تحبون أنتم الحياة قال وافحم فلسطين عن جوابه ورفع رأسه الى قومه

وقال ان هذا العربى صادق فى قوله وحق الكنائس والقربان والمسيح والصلبان مالنا معهم ثبات قال عمرو فوجدت الى وعظهم سبيلا وقلت معاشر الروم ان الله عزوجل قد قرب عليكم ما كنتم تطلبون ان كنتم تريدون بلادكم فادخلوا فى ديننا وصدقوا قولنا فان الدين عند الله الاسلام قال فلسطين يا عمرو انا لا نفارق ديننا وعليه مات اباؤنا واجدادنا قال عمرو فان كرهت الاسلام فاعطنا الجزية منك ومن قومك وانتم صاغرون قال فلسطين لا اجيبك الى ذلك لان الروم لا تطاوعنى الى اداء الجزية ولقد قال لهم ابى من قبل فارادوا قتله فقال هذا ما عندى من الاعذار ولقد حذرتكم ما استطعت ولم يبق بيننا حكم الا السيف والله يعلم انى دعوتكم الى امر فيه النجاة فعصيتم عنه كما عصى ابوكم عيص عن امه فخرج من الرحم قبل اخيه يعقوب وانتم تزعمون انكم منا اقرب فى النسب وانا البراء الى الله عزوجل منكم ومن قرابتكم اذا انتم تكفرون بالرحيم انتم من ولد عيص بن اسحاق ونحن من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وان الله تعالى اختار لنبينا الانساب من لدن ادم الى ان اخرج من صلب ابيه عبد الله فجعل خير الناس من ولد اسماعيل فتكلم بالعربية وتكلم اسحاق على لسان ابيه فولد اسماعيل العرب ثم جعل خير الناس كنانة ثم جعل خير العرب قريش ثم جعل خير قريش بنى هاشم ثم جعل خير بنى هاشم بنى عبد المطلب وخير بنى عبد المطلب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فبعثه رسولا واتخذه نبيا واهبط عليه جبريل بالوحى وقال له طفت مشارق الارض ومغاربها فلم أر افضل منك قال فخضعت جوارح القوم حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجلت قلوبهم ودخلت الهيبة فى قلب فلسطين حين سمع كلام عمرو فقال له صدقت فى قولك كذلك الانبياء تبعث من خير بيوت قومها على لسان ربها ثم قال له يا عمرو وهل فى اصحابك رجل بين كلامه سريع الجواب اذا سئل فقال له اعلم انى والله أحب ان امضى وآتيك بهم لتقف على صحة قولى ثم وثب وسار الى عسكره وركب وأتى جيشه فحمد الله المسلمون على سلامته وباتوا يتحرسون فلما صلى عمرو بالناس صلاة الفجر امرهم بالركوب الى قتال عدوهم قال فاسرعوا الى ذلك واستووا على متون خيولهم واصطفوا للحرب والقتال (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا عروة بن زيد عن موسى مولى الحضرمين عن موسى بن عمران وابن مباح قال لما كان يوم الحرب صف فلسطين جيشه ثلاثة صفوف وقدم الماشية وعدل الميمنة والميسرة ورفع الصليب امامه وتقدم امام الجيش فنظر عمرو الى فلسطين وقد رتب عساكره وعزم على الحرب فهيأ المسلمين وصفهم صفا واحدا وجعل فى الميمنة الحماة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شرحبيل بن حسنة كاتب الوحى وصابوب بن جبابة الليثى عن شماله وكان احد فرسان المسلمين فبينما الناس كذلك اذ خرج فارس من الروم وعليه ديباج ودرع وجوشن وفى عنقه صليب من الذهب فحمل حتى خطى برمحه من الميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة ثم الى القلب ثم وقف بازاء جيش المسلمين وركز رمحه بازائه وأخذ القوس بيده وفوق سهمها ورمى رجلا من الميمنة فاثبت السهم فيه فجرحه ورمى

آخر من الميسرة فقتله فنظر اليه عمرو وما قد صنع فصاح بالمسلمين الا ترون الى هذا العلج اللعين وما يصنع بقوسه فمن يكفينا أمره ويزيل عن المسلمين شره فخرج اليه رجل من ثقيف وعليه بردة دنسة وبيده قوس عربية قد فوق سهمها وخرج الى العلج يريده فنظر اليه العلج وليس عليه شئ من الحديد يستره الا فروة دنسة وما معه من السلاح غير القوس فازدرى به وبلبسه وأطلق سهما من كبد قوسه فوقع سهمه فى صدره فاشتبك فى الفروة ووقع غير صائب وكان اللعين ارمى أهل زمانه ما رمى قط شيئا الا نفذ فيه فغضب لذلك وهم ان يرميه بسهم ثان فامتعطه الثقفى بنبلة ورمى بها نحوه فلم يرها لصغرها وخفى موقعها فاشتبكت النبلة فى حلق العلج فخرجت من قفاه فما تمالك العلج الا ان وقع صريعا فاسرع الثقفى الى جواده فاخذه واستوى فى متنه ونزع بيضة المشرك عن رأسه وجعل يسحبه نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له وكلمه فلم يجبه من فرحه بما صنع ثم اقبل الى عمرو فاعطاه اياه فنظرت الروم الى فعل الثقفى فاغاظهم ذلك وجعلوا يشيرون الى السماء فعلمنا انهم يقولون ان الملائكة تنصرنا قال ونظر فلسطين الى ذلك فعظم عليه وقال لبعض البطارقة أخرج الى هؤلاء العرب وحام عن دينك فخرج البطريق وعليه ديباجة خضراء ودرع حصين ومن تحت الدرع جوشن منيع وفى عنقه صليب من الذهب الاحمر ومعه غلام من ورائه يجنب جنيبة وعليه سيفه ودرقته فخرج حتى وقف بين الصفين فجعل يسأل القتال فلما نظر المسلمون اليه اقبلوا اليه ينظرون ولا يخرج اليه أحد فقال عمرو معاشر العرب من يخرج اليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج اليه رجل من العرب وهو يقول انا أكون ذلك فقال عمرو بارك الله فيما تريد وحمل صاحب المسلمين عندما خرج مصمما واستقبله البطريق وجعلا يتجاولان ساعة وهما يتعانقان بالسيوف الى ان حققت لهما ضربتان فسبقه البطريق بالضربة فأخذها الرجل بالدرقة فقدها نصفين وكانت جلد بعير بطانا واحدا فلم يصل اليه من الضربة شئ وضربه الرجل ضربة فى أثرها فقطعت البيضة وسلكها فقهقر البطريق الى ورائه ولم يصل اليه اذى فلما رجعت اليه روحه حمل على المسلم وضربه فجرحه جرحا فاحشا فالوى الى أصحابه فصاح به رجل من العرب من وهب نفسه يرجع من بين يدى عدوه فقال الرجل أما كفاك هذه الضربة حتى توبخنى ان الله لا يلومنى بأن ألقى بيدى الى التهلكة ثم شد جراحه وعظم عليه ما قال ابن عمه فلما خرج قال له ابن عمه الذى خاطبه ارجع فخذ هذه البيضة واجعلها على رأسك فقال ثقتى بالله أعظم من حديدك ثم دلف نحو البطريق وهو يقول شعرا

يقول لى عند الخروج للقا * دونك هذا الترس فاجعله وقا
من علج سوء قد بغى وقد طغى * أقسمت بالله يمينا صادقا
لاتركن البيض فوق المرتقى * وأدخل الجنة دار الفستقا

قال فدعا له المسلمون بالنصر وقالوا اللهم اعطه ما تمنى وحمل على البطريق وضربه ضربة هائلة فوقعت على عاتقه خرجت من علائقه ثم حمل فى جيش الروم فقتل رجالا وجندل ابطالا

ولم يزل كذلك حتى قتل رحمه الله فقال عمرو هذا رجل اشترى الجنة من الله بنفسه اللهم اعطه ماتمنى (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وكان هرقل حين بعث ولده فلسطين الى قيسارية بعث معه بطريقا من البطارقة وكان اسمه قيدمون وكان من أفرس الروم ويقال انه خال فلسطين وقد كان لقى عسكر الفرس وعسكر الترك وعسكر الجرامقة قال وكان اللعين يحفظ سائر اللغات فقال لفلسطين لابد لى من قتال العرب قال وخرج وعليه لامة وخرج مبارزا فلما رآه المسلمون قد خرج وكانه جبل قد انهدم من اعلاه الى اسفله وهو يلمع من بريق الجوهر ضج المسلمون بقول لا اله الا الله فلما وقف فى الميدان اقبل يطمطم بلغته ويطلب البراز فاقبلت العرب يهرعون اليه من كل جانب وكان يريدون قتاله لاجل ما عليه فقال عمرو ثواب الله خير لكم مما عليه فلا يخرج أحد لطلب سلبه فيكون خروجه لاجل ذلك وان قتل مات فى سبيل ما خرج اليه وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه قال فخرج غلام من اليمن ومعه أمه واخته يريدون الشام واخته تقول له يا ابن أمى جد بنا فى السير لنصل الى الشام فنأكل من خيره ونعمه فقال لهما أخوهما انما أذهب أقاتل لمرضات الله عز وجل وقد سمعت معاذ بن جبل يقول ان الشهداء عند ربهم يرزقون فقالت له أخته كيف يرزقون وهم أموات قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يجعل أرواحهم فى حواصل طيور الجنة فتأكل تلك الطيور من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها فتغذوا أرواحهم فى حواصل تلك الطيور فهو الرزق الذى جعله الله لهم فلما كان قتال قيسارية خرج ذلك الغلام الى القتال بعد ان ودع امه واخته وداع الموت وقال لهم نجتمع على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده قناة وهى موصولة كثيرة العقد وتحته جواد هجين فلما خرج الغلام حمل على البطريق من ساعته وطعنه بسنانه قال فاشتبك السنان فى درع البطريق فلم يقدر على انتزاعه فضرب البطريق قناة الغلام بسيفه فقطعها وحمل على الغلام وضربه على هامته فشطرها فوقع الغلام ميتا رحمه الله وجال قيدمون على مصرعه ثم طلب البراز فخرج اليه ابن عمه فقتله البطريق فلما نظر الى ذلك شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه اقبل يعاتب نفسه ويقول تتفرجين على قتل المسلمين ثم خرج والراية بيده التى عقدها له أبو بكر رضى الله عنه يوم خروجه الى الشام فلما رآه عمرو وقد عول على الخروج قال يا عبد الله اركز الراية لئلا تشغلك قال فركزها شرحبيل فوقفت كالنخلة وغاصت فى حجر كانها منه فتفاءل بالنصر وخرج الى لقاء قيدمون والمسلمون يدعون له بالنصر على عدوه فلما رآه البطريق ضحك من زيه وكان للملعون صوت عال وهو ضخم من الرجال وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام بالليل والبطريق فى ميدانه فحمل كل واحد منهما على صاحبه واختلفا بضربتين وكان السابق شرحبيل فلم يعمل السيف فى لامة البطريق شيئا وثبت السيف فى بيضته وحمل قيدمون على شرحبيل فشجه ثم

تواخذا على الجوادين قال سعيد بن روح وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما في المعركة اذ نزل المطر كافواه القرب قال فنزلا عن الجوادين وجعلا يتصارعان في وسط الطين ذلك ان قيدمون حمل على شرحبيل فضرب يده في مراق بطنه فاقتلعه من الارض ورمى به على ظهره ثم استوى على صدره وهم أن ينحره فنادى شرحبيل ياغياث المستغيثين فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من الروم وعليه لامة مذهبة ومن تحته جواد من عتاق الخيل فقصد موضع البطريق وشرحبيل فظن قيدمون انما خرج ليعطيه جواده ويعينه فلما قرب منهما ترجل ومال على البطريق برجليه عن صدر شرحبيل وقال يا عبد الله قد أتاك الغوث من غياث المستغيثين فوثب شرحبيل قائما ينظر اليه متعجبا من قوله وفعله وكان الفارس متلثما ثم جرد سيفه وضرب البطريق ضربة قطع رأسه وقال يا عبد الله خذ سلبه فقال شرحبيل والله ما رأيت أعجب من أمرك وانى رأيتك جئت من عسكر الروم فقال أنا الشقي المبعود أنا طلحة بن خويلد الذي ادعيت النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت على الله وزعمت ان الوحي كان ينزل على من السماء فقلت له يا أخي ان رحمة الله قريب من المحسنين وقد وسعت رحمته كل شئ ومن تاب واقلع واناب قبل الله توبته وغفر له ما كان منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول التوبة تمحو ما قبلها اما علمت يا ابن خويلد ان الله سبحانه وتعالى لما انزل على نبيه ورحمتي وسعت كل شئ طمع فيها كل شئ حتى ابليس فلما انزل قوله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة قالت اليهود نحن نؤتي الزكاة ونتصدق فلما انزل قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون قالت اليهود نحن نؤمن بما أنزل الله في الصحف والتوراة فاراد الله أن يعلمهم انها خاصة بامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي فقال طلحة بن خويلد مالي وجه ارجع الى الاسلام وهم أن يسير على وجهه فمنعه شرحبيل وقال له يا طلحة لست ادعك تمضي بل ترجع معي الى العسكر قال ما يمنعني من المسير معك الا الفظ الغليظ خالد بن الوليد واني أخاف أن يقتلني فقلت يا اخي انه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاص قال فرجع معي فلما قربنا من المسلمين تبادروا الينا وقالوا يا شرحبيل ما هذا الرجل الذي معك فلقد صنع معك جميلا قال ولم يعرفوه لانه كان متلثما بفاضل عمامته فقلت هذا طلحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فقالوا أوتاب ورجع الى الله فقال انا تائب الى الله سبحانه وتعالى قال شرحبيل فاتيت به الى عمرو بن العاص فسلم عليه وبش في وجهه ورحب به قال حدثنا حسان بن عمرو الربعي عن جده ان طلحة بن خويلد لما ادعى النبوة وجرى له ما جرى من الحرب مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وسمع ان خالدا قتل مسيلمة الكذاب وقتل الاسود العنسي أيضا لانه قال انه نبي فخاف طلحة على نفسه من خالد فهرب بالليل ومعه زوجته بالشام واستجار برجل من آل كاب فأجاره الكلبي وأنزله في داره وكان الكلبي مؤمنا وبقي عنده مدة أيام الى ان استخبره عن خالد فحدثه طلحة بجميع احواله مع خالد بن الوليد ووقائعه معه وكيف ادعى النبوة فغضب الكلبي لكلامه وطرده من جواره فاقام طلحة

بالشام وقد تاب من أمره فلما بلغه ان أبابكر الصديق رضى الله عنه قد قبض قال ذهب من
جردت السيف فى وجهه فمن ولى بعده قالوا عمر بن الخطاب قال الفظ الغليظ وهاب أن يمضى
اليه وفزع من خالد بن الوليد ان يراه بالشام فيقتله فقصد قيسارية ليركب فى المواكب
ويطرح نفسه فى بعض جزائر البحر فلما نظر الى جيش فلسطين قد خرج الى قتال العرب
قال أسير مع هذا الجيش فلعلى انكب نكبة واغسل بها شيئا من أوزارى وتكون لى قربة
الى الله تعالى والى المسلمين فلما نظر شرحبيل فى عين الهلكة قال لا صبر لى عنه فخرج واستنقذه
كما ذكرناه فلما وقف بين يدى عمرو بن العاص شكره وبشره بقبول التوبة فقال يا عمرو
انى أخاف من خالد بن الوليد ان يرانى بالشام فيقتلنى فقال عمرو فانى أشير اليك بشئ تصنعه
وتأمن به على نفسك فى الدنيا والآخرة قال وما هو قال أكتب معك كتابا بما صنعت وشهادة
المسلمين فيه وتنطلق به الى عمر بن الخطاب وتدفعه اليه واظهر التوبة فانه يقبلها ويسند بك
الى الفتوح وقتال الروم فتمحو عنك ماسلف من خطاياك فأجابه طلحة الى ذلك فكتب له
عمرو كتابا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما صنع وأخذه طلحة ومشى به الى مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عمر فى المدينة وقيل له هو بمكة قضى حتى وردها
فوجد عمر متعلقا باستار الكعبة فتعلق معه وقال يا أمير المؤمنين انى تائب الى الله عز وجل
وحق رب هذا البيت مما كان منى قال عمر من أنت قال أنا طلحة بن خويلد قال فنفر عمر عنه
وقال يا ويلك ان أنا عفوت عنك فكيف الامر غدا بين يدى الله عز وجل بدم عكاشة بن محصن
الاسدى قال طلحة يا أمير المؤمنين عكاشة رجل أسعده الله على يدى وشقيت أنا بسببه وأرجو
أن يغفر الله لى بما عملته قال عمر وما عملت فاخرج له كتاب عمرو بن العاص فلما قرأه عمر وفهم
ما فيه فرح به وقال أبشر فان الله غفور رحيم وأمره عمر أن يقيم بمكة حتى يرجع الى المدينة فاقام
معه اياما فلما رجع عمر الى المدينة وجه به الى قتال أهل فارس (قال الواقدى) رحمه الله رجعنا
الى الحديث قال لما قتل البطريق قيدمون على يد طلحة ونجى شرحبيل مما كان قد لحقه ورجع
الى عمرو وكان المطر شديدا فقطع الناس القتال ولحق الناس الاذى لانهم أكثرهم بلا أخبية
ولا بيوت والتجؤا الى الجابية وتستروا بدورها وكان من رحمة الله بالمسلمين وقع فى قلب
فلسطين الفزع والرعب لما قتل قيدمون البطريق وكان ركنه ودعامته فتشاور أصحابه
فى الرجوع الى قيسارية وقال يا معشر الروم أنتم تعلمون أن جيوش اليرموك ما ثبتت لهؤلاء
العرب وان أبى قد ولى الى القسطنطينية من خوفهم وقد ملكوا الشام جميعه وما بقى غير
هذا الساحل وانى أخاف ان ندهى من قبلهم ويملكون قيسارية والرحيل أوفق من المقام
ها هنا فاجابوه الى ذلك فلما كان الليل ارتحل القوم والمطر ينزل قال سعيد بن جابر الاوسى
وكان ذلك كله رحمة للمسلمين من الله عز وجل قال فلما كان فى اليوم الرابع ارتفع المطر
وخرجت الشمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال الروم فلم نر لهم اثرا فوالله لقد فرحنا
بطلوع الشمس أكثر من فرحنا برحيل الروم فكتب عمرو بذلك الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عمرو بن العاص السهمي الى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فلسطين بن هرقل قد خرج الى لقائنا في ثمانين الفا من الروم وكان لقاؤنا معهم على موضع يقال له فحل وأخذ شرحبيل بن حسنة وكان الذي ملك اسره قيدمون بن خالة هرقل ثم خلصه الله على يد طلحة بن خويلد الاسدي وقتل قيدمون بن خالة هرقل ثم وجهته بكتاب الى عمر بن الخطاب وقد انهزم عدو الله فلسطين وانا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب مع جابر بن سعيد الحضرمي فلما قرأ ابو عبيدة الكتاب فرح بسلامة المسلمين وسير الجواب وقال اذا قرأت كتابي فانزل على قيسارية وأنا في أثر الكتاب معول على السير الى صور وعكة وطرابلس والسلام ثم سلم الكتاب الى جابر ابن سعيد وأمره بالرجوع

(ذكر فتح صور وعكة وطرابلس الشام وقيسارية)

قال وعول ابو عبيدة على النهوض الى الساحل فقام اليه عبد الله يوقنا وقال أيها الامير اعلم ان الله عز وجل قد أباد المشركين ورفع علم الموحدين واني اريد أن اسير قبلك الى الساحل لعلي أفوز من القوم بغزوة فقال يا عبد الله ان أنت فعلت شيئا يقربك الى الله وتجده بين يديك فافعل فوثب يوقنا قائما وأخذ اصحابه وكان قد انضاف اليه من كان يخدمه بحلب وكلهم رجعوا الى الاسلام وكانوا أربعة آلاف وفي عسكر العرب أيضا ممن أسلم من البطارقة ما يزيدون عن ثلاثة آلاف فارس (قال الواقدي) رحمه الله تعالى ولما انهزم فلسطين الى قيسارية وتحصن بها بعث الى أهل طرابلس أن يبعثوا له نجدة فبعثوا اليه بثلاثة آلاف فارس من البطارقة المعدة وعليهم وال يقال جرفاس قال وساروا يطلبون قيسارية فلما كانوا بالقرب منها نزلوا في مرج ليعلفوا على خيولهم فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم يوقنا وأصحابه وكان قد صحبهم فلنطانوس صاحب رومية وأصحابه وكانوا معولين على زيارة بيت المقدس والمقام بها فلما أشرفوا على المرج وهم بزيهم ما غيروا منه شيئا فلما رآهم جرفاس ركب بنفسه يختبر حالهم فلما قرب منهم سلم عليهم ورحب بهم وقال من أنتم قالوا نحن الذين لجأنا الى هؤلاء العرب واستكفينا شرهم وظننا انهم على شئ فاذا هم طغاة لا دين لهم فهربنا بديننا ونحن أصحاب حلب وقنسرين واعزاز ودارم وانطاكية ونحن قاصدون الى الملك هرقل لنكون في جنابه فلما سمع جرفاس من القوم ذلك فرح بهم وأنس لكلامهم وقال انزلوا عندنا كي تستريحوا ساعة من التعب فلا شك انكم سرتم الليل والنهار وخافت أنفسكم من العرب قال يوقنا أين انتم سائرون قال بعث الينا فلسطين لنكون في طرابلس فقال يوقنا تيقظوا لانفسكم فان امير العرب أبا عبيدة تركناه على نية القدوم الى الساحل فقال جرفاس وما الذي ينفع حذرنا ودولتنا قد اضمحلت وأيامنا قد ولت ولسنا نرى الصليب يغني عن أهله شيئا (قال الواقدي) فنزلوا عندهم ساعة وقدموا لهم من ازوادهم فأكلوا ثم ركبوا وهم جرفاس أن يركب لركوبهم فقال يوقنا اشتغل

باصحابك والبسهم أفخر ثيابهم فان ذلك مما يظهر الرعب فى قلوب أعدائكم (قال الواقدى) رحمه الله حدثنى سليم بن عامر عن نوفل بن عبد الله عن جرير بن البكاء وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال ما دخل يوقنا الى ساحل البحر حتى أتقن الحيلة وذلك أنه قد نزل فيه الحارث ابن سليم من بنى عمه يرعون ابلهم وكانوا فى مائتى بيت من العرب فغار عليهم يوقنا وأخذهم وشدهم كتافا ودخل بهم الى بلاد الساحل فلما جن الليل جمعهم اليه وقال لا تظنوا أنى رجعت عن الاسلام وانما فعلت بكم هذا كى تسمع الروم بسواحلها انى غدرت بالعرب وأخذتهم قال فاطمأنت العرب الى كلامه وقالوا له ان كنت تريد اقامة دين الله فالله ينصرك وبالاعداء يظفرك قال ووكل يوقنا رجالا تسوق الاموال وانما اطمأن جرفاس وأصحابه الى يوقنا لما رأى الاسرى من العرب والجمال والانعام فلما ركب يوقنا وأصحابه ورأى أنهم طالبون لساحل البحر وانكب عن طريق طرابلس وكمن فى الليل على طريق القوم قال وان جرفاس فرق خزائنه التى كانت عنده على أصحابه وقعد حتى جن الليل وأكلت الخيل عليقها ثم ركبوا واستقاموا على الطريق فلما توسطوا اطبق عليهم يوقنا وأصحابه وداروا بهم ولم يمهلوهم بالقتل واخذوهم أخذ بالكف وانتشرت الخيل فى تلك الارض لئلا يكون قد انفلت من الروم أحد فلما حصلوا فى قبضتهم وتحت أسرهم ارادوا أن يطلقوا الحارث بن سليم وأصحابه فقال الحارث انى أرى من الرأى ان تتركونا على حالنا فان ثواب الله قد حصل وصحبوا بنا بلاد العدو فانكم ما تشرفون على بلد من بلاد الساحل الا فتحه الله لكم قال يوقنا هذا رأى صحيح ثم أمر اصحابه ان يستوثقوا من الاسرى وكمن الفين من أصحابه واصحاب فلنطانوس مع الاسرى وهم ثلاثة آلاف فارس وقال اذا جاءتكم رسلى فاقدموا ثم البس اصحابه زى الروم مثل اصحاب قيسارية الذى اخذوهم وساروا نحو طرابلس فلما خرج كل من فى البلد الى لقائهم وكان كتاب فلسطين قد وصل اليهم انى قد بعثت اليكم بثلاثة آلاف فارس مع جرفاس بن صليبا ودخل يوقنا مع اصحابه حتى استقر قراره فى دار الامارة ودخل عليه شيوخ طرابلس والبطارقة واهل الحشمة منهم فلما حصلوا عنده امر بهم وقبض عليهم وقال يا اهل طرابلس ان الله سبحانه قد نصر الاسلام واهله وقد كنا فى غش مظلم نسجد للصلبان ونعظم الصور والقربان ونجعل لله زوجة وولدا حتى بعث الله لنا هؤلاء العرب فهدانا بهم والحقنا ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو النبى المبعوث الذى ذكره فى التوراة وبشر به عيسى المسيح وان الاسلام حق وقوله الصدق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينطقون بالحق ويتبعون الصدق ويوحدون الله وينزهونه عن الصاحبة والولد ويجاهدون فى سبيله وهو الذى امر به انبياءه ورسله فاما ان ترجعوا الى دين الاسلام او تؤدوا الجزية والا بعتكم عبيدا للعرب وهذا ما عندى والسلام قال فلما سمعوا كلامه علموا ان يوقنا احتال عليهم واخذ اصحاب الملك فى الطريق فقالوا أيها السيد نحن نفعل ما أمرتنا به فمنهم من اسلم ومنهم من رضى بالجزية وعدل يوقنا فيهم وبعث الى اصحاب الكمين فحملوا الاسرى فعرض عليهم الاسلام فابوا فامر بحبسهم وبعث الى ابى عبيدة

بالخبر

بالخبر وماجرى له وبعث الكتاب مع الحارث بن سليم من وادى بنى الاحمر وقال ياعبد الله كن للامير مبشرا بهذا الفتح قال سأفعل ذلك ان شاء الله تعالى وسار بالكتاب حتى وصل الى أبى عبيدة وسلم عليه وناوله الكتاب فلما قرأه وعلم معناه فرح وقال للحارث بن سليم الم تأذن لى ان تسير انت وبنو عمك الى وادى بنى الاحمر فمن وصلك الى طرابلس قال أوصلنى القضاء والقدر وذلك ان يوقنا اغار علينا وأخذنا اسرى وحدثنا بحديثهم فعجب من ذلك أبو عبيدة وقال اللهم ثبتهم وأيدهم بنصرك قال حدثنى عامر بن أوس قال أخبرنى بن سالم قال حدثنى موسى بن مالك قال ان عمرو بن العاص لما ارتفع المطر رحل من الجابية ونزل على أبواب قيسارية واما ما كان من أمر يوقنا فانه لما ملك طرابلس واحتوى عليها واستوثق من صورها وأبوابها ترك أصحابه على الابواب وقال لاتدعوا أحدا يخرج من الابواب وكان فى المرسى مراكب كثيرة فرفع آلاتها وأخذها كل ذلك ولا يعلم أحد من أهل الساحل بما صنع قال وبعد ايام جاءت مراكب كثيرة زهاء عن خمسين مركبا فتركهم يوقنا حتى نزل أكثرهم الى المدينة فأمر بهم فأتوا بهم اليه فاستخبرهم عن حالهم وقال من أين جئتم قالوا جئنا من جزيرة قبرص ومن جزيرة اقريطس وقالوا معنا العدد والسلاح مضروبة للملك فلسطين فأوراهم الفرح والسرور وسلم عليهم وقال انى اريد ان اسير معكم ثم أمر بهم الى دار الضيافة وبعث الى قياد المراكب فأنزلهم وقدم لهم السماط فلما أكلوا قال انى اريد ان اسير معكم الزاد والعلوفة وعد السلاح الى خدمة الملك ولكن تقيموا عندى ثلاثة ايام فقالوا ايها البطريق انا على عجل من امرنا ونخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى القواله فقال اريد تنزلوا الشراعات والمقاديف فتكونوا فى المدينة ليطمئن قلبى بذلك ففعلوا والصقوا المراكب بالصور ونزل كل من فى المراكب وما بقى فى المراكب الا ثلاثة رجال فلما دبر هذا التدبير قبض على الجميع فلما كان من الليل سلم طرابلس لبنى عمه وللحارث ابن سليم وفلنطانوس وعمر المراكب برجاله وهم بالصعود اليها واذا عند غروب الشمس قد اقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى الف فارس من اصحابه فلما رآهم يوقنا سجد لله شكرا وسلم على خالد بن الوليد وسلم له المدينة وحدثه بما جرى له وما قد عزم اليه فقال نصرك الله وايدك ثم ان يوقنا ركب من ليلته وسار وكان على صور دمشتق جيش فلسطين وهوارمويل بن نشطة ومعه اربعة آلاف فما اصبح يوقنا الا وهو فى مدينة صور فأمر بالبوقات فضربت والرايات فنشرت ووقف الدمشتق يختبر خبرهم فعاد صاحب البحر اليه فقال هؤلاء أهل قبرص وجزيرة اقريطس قد أقبلوا بالعلوفات والطعام والعدد يريدون قيسارية فى خدمة الملك ففرح أهل صور بذلك وأمروهم بالنزول فنزل يوقنا واصحابه وكان جملة من نزل معه تسعمائة رجل وكان قد استخلصهم لنفسه فصنع لهم الدمشتق طعاما ومد لهم سماطا عظيما واحضر لقوادهم الخلع ويوقنا ينتظر الليل حتى يثور باصحابه وكان جملة من نزل معه تسعمائة رجل كما ذكرنا وترك الباقين فى المراكب وقال ان لم يتم لنا مانريد ولم نظفر بهم فلا تبرحوا من مراكبهم وانفذ الى خالد وأخبره بالقصة (قال الواقدى) رحمه الله ماسمع باعجب

من هذه القصة ولقد حدثني بن مزاحم عن الارقط بن عامر عن عمار بن ياسر اليربعي قال لما حصل
يوقنا والتسعمائة بمدينة صور وأكلوا سماط الملك وخلع على كبرائهم اقبل اليهم في السر رجل
من بني عم يوقنا ممن تحكمت الضلالة في قلبه واحتوى الكفر على أقاليم جسده فاقبل الدمشقي
وحدثه بامر يوقنا وما قد عزم عليه وانه مسلم وانه يقاتلكم مع العرب وقد فتح طرابلس واخذ
البطريق جرفاس صاحب الملك فلما سمع الدمشقي ذلك لم يكذب خبر دون ان ركب باصحابه
وقبض على يوقنا وأصحابه ووقع الصياح وكثر الضجيج وسمع بذلك أصحاب يوقنا فعلموا أن ذلك
بسبب أصحابهم وانه قبض عليهم فاغتموا لذلك غما شديدا وأخذوا على أنفسهم من عدو يقبل
عليهم قال فلما استوثق عليهم الدمشقي ارمويل بن نشطة ووكل بهم ألف رجل وقال سيروا بهم
الى الملك يفعل ما يريد واقبلوا يعنفون يوقنا وأصحابه ويقولون لهم ما الذي رأيتم في دين العرب
حتى تبعتموهم وتركتم دينكم ودين آبائكم قد طردكم المسيح عن بابه وابعدكم عن جنابه فلما هموا
أن يسيروا بهم وقع الصياح من الابواب ونفر أهل القرى ومن كان بالقرب من صور فسألوهم
عن أخبارهم فقالوا قدمت العرب عليكم (قال الواقدى) رحمه الله وكان عمرو بن العاص
لما نزل على قيسارية وجه يزيد ابن أبي سفيان في ألفي فارس الى صور فلما سمع الدمشقي أمر
بالابواب فغلقت وصعدت الرجالة على الاسوار وعمروا الابراج ونصبوا المنجنيقات ودخل
الدمشقي يوقنا الى قصر صور واستوثق منهم لئلا يتم عليه أمرهم وبات القوم يحرسون واضرموا
نيرانهم على الاسوار فاقبلوا يرقصون ويشربون طول ليلتهم فلما كان من الغد أشرف عليهم
يزيد بن أبي سفيان فنظر اليهم الدمشقي فلما رآهم قليلا استحقرهم وطمع فيهم وقال وحق
المسيح لابد لي من الخروج اليهم وهدم هذه الشرذمة اليسيرة ثم لبس الدمشقي الالباس
وأمرهم بالخروج وترك على حفظ يوقنا وأصحابه ابن عمه باسيل قال وكان باسيل هذا ممن قرأ
الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في دير بحيرا
الراهب وكان باسيل قد مضى الى زيارة بحيرا فلما قدمت عير قريش وجمال خديجة بنت
خويلد وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بحيرا الى القافلة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في وسطها والسحابة على رأسه تظله من حر الشمس فلما تبينه قال والله هذه صفة النبي
الذي يبعث من تهامة ثم انتظروا واذا بالقفل قد نزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وحده
تحت شجرة يابسة واستلقى اليها فاورقت الشجرة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
عاين بحيرا ذلك صنع طعاما لقريش واستدعاهم فدخلوا الدير وبقي هو مع الابل ابرعاها فلما
نظر بحيرا اليهم ولم يره في جملتهم قال يا قريش هل بقي منكم أحد قالوا نعم بقي فينا من تخلف لحفظ
القافلة ويرعى الابل قال ما اسم من يرعى الابل قالوا محمد ابن عبد الله قال هل مات أبوه وأمه
قالوا نعم قال هل كفله جده وعمه قالوا نعم قال يا قريش هو والله سيدكم وبه يعظم في الدنيا مجدكم
قالوا ومن أين علمت قال لما أشرفتم على من البرية لم يبق صخر ولا مدر الا خر له ساجدا (قال
الواقدى) رحمه الله فبقي باسيل في حيرة من أمرهم وكتم سره وعلم أن بحيرا لا يتكلم الا بالحق

فلما

فلما وقع يوقنا وأصحابه ووكله الدمشتق على حفظهم قال ان الاسلام هو الحق وقد بشر به بحيرا الراهب ولعل الله يغفر لى اذا حليت هؤلاء القوم (قال الواقدى) من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين انه لما خرج الدمشتق الى لقاء يزيد بن أبى سفيان لم يتأخر أحد من شباب المدينة لا صغير ولا كبير الا وخرج معه وبقيت العوام ينتظرون على الاسوار ما يكون بينهم وبين العرب فلما نظر باسيل الى المدينة وخلوها واشتغال أهلها بالحرب اخذه رأيه على خلاص يوقنا ومن معه فاقبل اليهم بالليل والتفت الى يوقنا وأصحابه وقال أيها البطريق كيف تركت دين آبائك وأجدادك من قبل وعولت على دين هؤلاء العرب وما الذى رأيت من الحق حتى تبعتهم وقد كانت الروم تتخذك عضدا لها وعونا قال له يوقنا يا باسيل ظهر لى من الحق ما ظهر لك من الحق فعرفته وقد هتف بى هاتف يقول لى ان الذى هداك الى دينه يخلصك وبشرنى بالخلاص على يديك قال فلما سمع زاد ايقانه وتحقق ايمانه وقال ليوقنا قد انطق الله على لسانك الحق وان الله تعالى كشف حجاب الغفلة عن قلبى منذ رأيت نبى هؤلاء القوم بدير بحيرا الراهب وهو فى قافلة لاهل مكة ورأيت من دلائله انه لا يسير على الارض الا والشجر تسير اليه والسحابة على رأسه تظلله ولقد استند الى شجرة يابسة فاورقت فى الحال وانبانى بحيرا الراهب انه وجد فى العلم ان جماعة من الانبياء استندوا اليها وجلسوا حولها فلم تورق فلما استند بظهره اليها أورقت اغصانها واينعت فعجبت من ذلك وسمعت بحيرا يقول هذا والله الذى بشر به المسيح فطوبى لمن تبعه وآمن به وصدقه فلما عدت من زيارة بحيرا سافرت الى القسطنطينية بتجارة وغفلت فى بلاد الروم وقت ما شاء الله ثم عدت الى قيسارية فرأيت الروم فى هرج ومرج فسألت عن أحوالهم فقيل لى قد ظهر نبى من الحجاز اسمه محمد بن عبد الله وقد أخرجه قومه من مكة وقد اتى الى المدينة التى بناها تبع وقد ظهر على قومه ونصر عليهم فما زلت أسأل عن اخباره وهى فى كل يوم تنمو وتزيد حتى مات ثم ولى صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ونفذ جيوشه الى الشام فلم يلبث الا يسيرا ثم مات وولى هذا الرجل عمر بن الخطاب ففتح بلادهم وهزم جيوشنا وانا مع ذلك انتظر قدومهم الى هذا الساحل حتى اتى الله بهم فقال له يوقنا وما الذى عزمت عليه فقال عزمت والله ان أفارق قومى واتبعكم فان الحق بين ثم حل يوقنا وأصحابه وسلم اليهم العدد والسلاح وقال ليوقنا اعلم ان مفاتيح ابواب المدينة عندى والعسكر خارج المدينة مشتغل بقتال العرب وليس فى المدينة من يخاف جانبه فانهض على اسم الله فقال يوقنا جزاك الله خيرا فلقد هداك الله الى دينه وسلك بك طريق النجاة وختم لك بخير ويجب الآن علينا ان نظهر انفسنا ونبعث الى فى المراكب حتى ينزلوا الينا ونكون نحن يد واحدة فقال باسيل سأفعل ذلك ثم انه خرج فى حال الخفا وفتح باب البحر ومعه رجل من بنى عم يوقنا وركبا زورقا حتى وصلا الى البحر والمراكب وحدثوهم بما قد كان فاقبل كل مركب برجاله اليهما وساروا الى ان نزلوا الجميع وحصلوا داخل المدينة اعنى مدينة صور واعمى الله ابصار الكفار فلما هموا ان يثوروا قال يوقنا ليس هذا من الراى وانى ممن يهب نفسه لله عز

وجل ويخفى امره ويخرج من الباب ويدور الى عسكر المسلمين ويتوصل الى اميرهم ويعلمه بما كان منا ويكونون على اهبة واذا سمع بنا احد لا يهوله وليصدم جيش العدو فقال رجل من القوم انا اكون ذلك الرجل ثم خرج متنكرا واغلق باسيل خلفه ووصل الى يزيد بن أبي سفيان وحدثه بالامر على اهبته وبما كان من أمر يوقنا فسجد لله شكرا وبعث من ساعته الى المسلمين ليأخذوا على أنفسهم للكبسة على القوم ففعلوا ذلك وأما يوقنا رحمه الله لما علم ان الخبر وصل الى المسلمين قال لاصحابه يصعد منكم خمسمائة رجل الى السور واقتلوا ما عليه قال باسيل ليس هذا رأى فان العوام لا اعتبار لهم ولعل الله يهديهم الى الاسلام ولكن مر اصحابك أن يلزموا مطالع السور حتى لا ينزل أحد منهم ويزعقوا بالامان قال فاستصوب رأيه ووكل الرجال بالمطالع ثم زعق يوقنا وأصحابه بصوت مزعج وقال لا أله الا الله محمد رسول الله فسمع كل من في المدينة ومن على السور ذلك فعلموا ان يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر ووثبوا في المدينة وطارت عقولهم وانزعجت أفئدتهم على أولادهم وأهاليهم فبقوا في حيرة فسمع يزيد بن أبي سفيان الضجة فعلم ان المسلمين قاموا في المدينة فكبر وكبرت المسلمون وهلل الموحدون فسمع الدمشتق الضجة من المدينة فعلم ان يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر وهم الذى فعلوا ذلك فوقع الرعب في قلوبهم ونظروا النيران اشتعلت في عسكر المسلمين وتاهبوا للحملة عليهم فلم يبق لهم صبر وقد انقطعت قلوبهم من أجل أموالهم وأولادهم الذين في داخل المدينة وقيسارية محاصرة وليس لهم مدد من ولد الملك فولوا الادبار واتبع المسلمون آثارهم وملكوا خيامهم وما كان فيها فلما أصبح الصباح فتح يوقنا باب المدينة ودخل يزيد بن أبي سفيان ومن معه من المسلمين واحتووا على أموال الروم ونادى من كان على السور الغوث الغوث فامنهم المسلمون ونزلوا بأجمعهم فقال لهم يزيد ان الله عز وجل قد فتح لنا مدينتكم عنوة وأنتم الآن عبيد فاشئنا حكمنا فيكم ولكن نحن اذا عاهدنا وفينا واذا قلنا صدقنا وقد أعطيناكم الامان من أنفسنا ولكن عليكم الجزية لمن لم يدخل في ديننا ومن اسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فاجاب القوم الى ذلك واسلم اكثر القوم وبلغ الخبر الى فلسطين بان صور قد فتحت فعلم انه لا بقاء له فاخذ الفرصة وانهزم وأخذ خزائنه وأمواله وذخائره وخدمه وركبهم في المراكب بالليل واقلع يريد اللحوق بابيه الى قسطنطينية فلما نظر أهل قيسارية الى ذلك خرجوا الى عمرو بن العاص وصالحوه على ان يسلموا له المدينة فصالحهم على مائة ألف درهم وما ترك الملك من خزائنه ورجاله فاجابوه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح فعندها دخل عمرو بن العاص الى قيسارية وأخذ بقية ما ترك الملك وضرب الجزية عليهم من السنة الآتية كل رجل أربع دنانير وبذلك أمرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعث عمرو جيشا الى صور مع ياسر بن عمار بن سلمة وكان شيخا كبيرا قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والنضير وقتل أخاه يوم حنين قتله مالك بن عون النضيرى فبعثه عمرو الى صور ومعه رجل من أصحابه وصالح عمرو بن العاص أهل قيسارية على مائة ألف درهم وما خلفه فلسطين من بقية ذخائره قال ودخلها يوم الاربعاء في العشر الاول من رجب الفرد سنة تسع

عشرة

عشرة من الهجرة ووصل الخبر الى الرملة وعكة وعسقلان ونابلس وطبرية فعقدوا كلهم صلحا مع المسلمين وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية وملك الله الشام كله للمسلمين ببركة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

﴿ذكر فتوح مصر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي قال زياد بن عامر قال هشام بن عبد الله العنبرى حدثنا سالم مولى عروة بن نعيم اليشكرى قال لما فتح عمرو بن العاص قيسارية صلحا كان لعمر فى الخلافة أربع أعوام وستة أشهر وبلغ الخبر الى أهل الرملة وعكة والمقاو عسقلان وصيدة وغزة ونابلس وطبرية فاتى كبراؤهم وعظماؤهم الى أبى عبيدة واصلحوا أمرهم معه على مال لا يحصى وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية وأنفذ أبو عبيدة لعمرو بن العاص يسير الى مصر بامر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وملك المسلمون اقاصى البلاد ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم قال وسكنها العرب وتفرقوا فى البلاد والمدن ودانت لهم العباد وكل يوم يزدادون فلم يبق فى الشام واعمالها مركز من مراكز الروم الا أخذه المسلمون وتوالدوا وتناسلوا وكثروا ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسحاق الاموى رحمه الله تعالى قال حدثنا يونس بن اعلى قرأت عليه بالخضراء بمدينة عسقلان قال اخبرنا الليث بن سعد قال حدثنا نوفل بن عامر قال اخبرنى يحيى بن ساكن المدنى قرأت عليه يوم الجمعة ونحن عند منبر يونس ابن متى قال لما فتح الله ساحل الشام على المسلمين فى سنة تسعة عشر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبوا بذلك الى أمير جيوش المسلمين أبى عبيدة عامر بن الجراح (بسم الله الرحمن الرحيم) من عمرو بن العاص الى أمين الامة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الله جل وعلا قد فتح ما كان قد بقى من الساحل أخذناها صلحا وهرب منها فلسطين بن هرقل بامواله وعياله ونحن بقيسارية ننتظر أمرك والسلام وكتب أيضا يزيد بن أبى سفيان بما تم ليوقنا فى صور وان الله قد عضد الدين و وصل الكتابان الى أبى عبيدة وقد رحل من حلب يريد طبرية فوصل اليه الخبر وهو نازل على الزراعة فلما قرأ الكتب تهلل وجهه فرحا وضج المسلمون بالتهليل والتكبير وكتب من وقته وساعته الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبشره بما فتح الله على المسلمين به وبما فعله يوقنا ووجه الكتاب مع عرفجة بن مازن فركب ناقته وسار حتى وصل المدينة قال عرفجة بن مازن وعلى من ديباج الروم قباء فاخر وعلى راسى مطرف خز مذهب قال فلما اتيت المدينة ودخلتها يوم الجمعة أول ليلة من شهر رمضان قبل مغيب الشمس وعمر رضى الله عنه قد أتى يريد المسجد فلما بركت ناقتى وعقلتها وجئته لاسلم عليه نظر الى نزرا وقال من الرجل قلت عرفجة ابن مازن فقال يا ابن مازن أما كان لك برسول الله اسوة حسنة وان هذه ثياب الجبارين ومن جعل الله لهم الدنيا جنة وهذا الديباج حرام على الرجال منا لانه لا يصلح الا للنساء وهذا الذى عليك تصدق به على فقراء المدينة أما والله لقد دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهونائم علي سرير مزمل بشريط وليس بين جلده وبين الشريط شئ وقد اثر الشريط فى نعومة جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيت ذلك بكيت فقال لى يا عمر ما الذى أبكاك فقلت يارسول الله ان كسرى وقيصر يعيشان فى ملك الدنيا وأنت رسول الله بهذه المثابة فقال يا عمر اماترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال عرفجة فسلمت اليه الكتاب فلما قرأه تهللت اسارير وجهه قال عرفجة ثم نزلت على خالتى عفراء بنت أبى ايوب الانصارى وبت عندها الليلى فلما اصبحت لم أقدر أن أقابل عمر بذلك الزى فاعطيت الثوب والعمامة لخالتى فباعتهما وتصدقت بثمنهما على فقراء المدينة قال وسرت الى عمر وعلى ثوب من كرابيس الشام كانت تحت ثيابى فلما رآنى تبسم فى وجهى وقال يا ابن مازن مافعلت بديباجتك قلت يا أمير المؤمنين باعتها خالتى وتصدقت بثمنها على المسلمين فقرأ عمر وما تفعلوا من خير يعلمه الله ثم انه كتب الى أبى عبيدة يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة عامر بن الجراح امابعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين وما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنوز قيصر وسيفتح علينا من كنوز كسرى والحمد لله على ذلك كثيرا وقد بلغنى ان بادية الاعراب قد استلذوا بالدنيا وزينتها وقد نصبت لهم شباك محبتها وقد تمسكوا بزبل غرورها ونسوا نعيم الجنة وقصورها ورفلوا فى ثياب الديباج والخزوا كلوا الحلو وخبز الحنطة والهاهم ذلك عن الاخرة وقد بلغنى يا ابن الجراح انهم قد تهاونوا بالصلاة ونسوا المفترضات فجرد عليهم عتاق الخيل ذوات الهمم واغلظ عليهم ولا تكن لهم حامدا فيطمعون فيك ومن اخل منهم بشئ مما فرض عليهم فاقم فيهم حدود الله واعلم بانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته قال الله عزوجل الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وقد قال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوعبيدة امين هذه الامة فاعط الامانة حقها ومن ترك صلاته فاضربه عليها ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بالصلاة و بعظمة الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عزوجل يقول ان بيوتى فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها بالعبادة فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فحق على المزور ان يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم جميع المفترضات افترضها الله على فى الارض الا الصلاة فان الله افترضها على فى السماء واذا قرأت كتابى هذا فأمر عمرو بن العاص ان يتوجه الى مصر بعسكره ويقدمهم عامر بن ربيعة العامرى ومشايخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى بهم عند مشورته وانفذ من قدرت عليه الى أرض ربيعة وديار الجد بن صالح والله أسأله أن يكون لكم عونا ومعينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وسلم الكتاب الى عرفجة بن مازن وأمر له بنفقة من بيت المال قال عرفجة فاخذت الكتاب وسرت به على طريق تيماء فلقيت عند بيت لحم ركبا من اهل وادى القرى فسألتهم عن أبى عبيدة فاخبرونى انه على غباغب وهو طالب طبرية قال عرفجة

فخرجت اطلب الغور والجولان واقصد طبرية قال فالتقيت بابى عبيدة على الاردن فسلمت عليه وناولته كتاب عمر رضى الله عنه فلما قرأه جمع المسلمين وقرأ عليهم فلما فرغ قال ما من رجل ترك الصلاة أو اخل بشئ مما افترضه الله عليه الا جلدته ومن الغد أتى خالد بن الوليد من طرابلس فقرأ عليه الكتاب وانفذه الى عمرو بن العاص وارسل يحثه على المسير الى أرض مصر فلما وصل الكتاب الى عمرو أخذ على نفسه بالمسير وسار معه يزيد بن أبى سفيان وعامر بن ربيعة العامرى وجماعة من الصحابة وسار معه يوقنا فى اربعة آلاف من أصحابه وقد وهبوا أنفسهم لله ولرسوله فسار عمرو على البيداء من وراء العريش قال وكانت أرض مصر وريفها عامرة بالديورة والصوامع وكان دير الزجاج فى مملكة القبط وكان ملكهم يومئذ المقوقس ابن راعيل وكان هذا الملك من أهل الرأى والتدبير والفضل والحكمة وكان تلميذ الحكيم اعاشادمون وهو الذى لما غلبت الحيات على ارض مصر وأخربتها صنع لها جلجلا وكان ان حركها تسمع من مقدار ميل قال فتخرج الحيات من جحرتها فمن هربت نجت ومن وقعت هلكت وكان المقوقس من اعلم أهل زمانه وكانت القبط معه فى عيشة مرضية وكان يتوقع ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حكيم ذلك الزمان بمصر رجلا يقال له عظماوس وهو الذى صنع دواليب الريح ورحى الهواء وكان عمر فى الاجيال واطلع على مكنون الحكم والاسرار وعرف عمل صنعة الاكسير وعمل الذهب والفضة والجوهر والحركات المتحركة من نفسها بهبوب الريح واجناس الاهوية فى اجسامها وكان يجرى فى علمه ان الله يبعث نبيا من ارض تهامة ينشر دينه وتعلو كلمته وتملك أصحابه البلاد فعمل فى ايام راعيل ابى المقوقس هيكلا عظيما على اعمدة من نحاس بمكان يعرف بعين شمس وجعل عليه اشخاصا مجوفة وجعل وجهها الى جهة مصر وكتب عليها بالقبطية اذا دارت هذه الاشخاص الى جهة الحجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس راكب فى بعض الايام للصيد وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انتهى سيره الى عين شمس واذا هو قد سمع اصواتا من الاشخاص قد علت ثم انها حولت وجهها نحو الحجاز فايقن بتلاف ملكه وزواله فعاد من ركوبه وهو قلق ودخل قصر الشمع وجلس على سريره وجمع الاقسة والرهبان وكبر الغيظ وقال لهم يا أهل دين النصرانية اعلموا ان زمانكم قد مضى وهذا النبى المبعوث لا شك فيه وهو آخر الانبياء ولا نبى بعده وقد بعث بالرعب ولا بد لرجل من اصحابه أن يملك ما تحت سريرى هذا فانظروا فى ملككم واصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم ولا تجوروا فى حكمكم وامنوا ضعفاءكم واياكم واتباع الظلم فان الظلم وبيل ومبتغيه وخيم واعطوا الحق من انفسكم ولا يستطيل قويكم على ضعيفكم ومادامت الدنيا لاحد من قبلكم حتى تدوم لكم وكما ملكتموها ممن كان قبلكم كذلك يأخذها منكم من كان بعدكم فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على اعدائكم ومن يريدكم وان اتبعتم اهواءكم تبين هلاككم قال حدثنا اسحاق رحمه الله ورضى عنه عن عبد الملك عن أبيه عن

حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عوف عن موسى بن عمران عن حميد الطويل عن أبي اسحاق الراوي لمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وبايعه الاوس والخزرج كتب الى ملوك الارض وفي الجملة كتابا الى المقوقس ملك مصر وكان الذي كتب الكتاب اليه أبا بكر الصديق رضي الله عنه ونسخة الكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب مصر أما بعد فان الله أرسلني رسولا وانزل على كتابا قرآنا مبينا وامرني بالانذار والاعذار ومقاتلة الكفار حتى يدينون بديني ويدخل الناس فيه وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانية الله تعالى فان انت فعلت سعدت وان انت ابيت شقيت والسلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه قال انس بن مالك فاستخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبعه وكان فصه عليه ثلاثة اسطر السطر الاول محمد السطر الثاني رسول السطر الثالث الله ولا نقش احد على خاتمه كنقشه قال سمرة بن عوف قلت لحميد الطويل اكان لخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فص أم لا قال لا ادري قال وسأل رجل جابر بن عبد الله الانصاري فقال له في أي يد كان يختم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في يده اليمنى ويقول اليمنى أحق بالزينة من الشمال وفص الخاتم في يمينه وقال عبد الله ابن عباس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم في يمينه ثم حوله الى يساره حدثنا أنس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يختم في يساره حدثنا جعفر ابن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا يختتمون في اليسار قال الراوي فلما طبع الكتاب بخاتمه قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر واجره على الله قال فوثب اليه حاطب ابن أبي بلتعة القرشي وقال أنا يا رسول الله فقال له بارك الله فيك يا حاطب قال فاخذت الكتاب من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعته واصحابه وسرت الى منزلي وشددت راحلتي وودعت أهلي واستقمت على الطريق الى نحو مصر فلما أبعدت عن المدينة بثلاثة أيام اشرفت على ماء لبني بدر فاردت ان اردنا في الماء واذا على الماء رجلان ومعهم ناقتان ومعهم رجل آخر راكب على جواد ادهم فلما رأيتهم وقفت واذا بالفارس اتى الي وقال لي من ابن أقبلت والى أين تريد فقلت يا هذا لا تسأل عن ما لا يعنيك فتقع فيما يحزنك ويخزيك أنا رجل عابر سبيل وسالك طريق فقال ما بالك اردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنادم وثار عند محمد بن عبد الله وقد جئت أنا وهذان الرجلان وتحالفنا على أن ندهمه على غفلة فلعلنا نجد منه غرة فنقتله قال حاطب والله لقد أمكنني الله منهم فلاجعلن جهادي فيهم ولو بالخديعة فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب بالخديعة فبينما انا اخاطب الفارس واذا بالراكبين قد وصلا الي وقالا لي بغلظة وفظاظة ويحك لعلك من اصحاب محمد فقلت لهما لقد كادان يتبدل اسكما الطريق عن سبيل التحقيق واني رجل مثلكما أطلب ما تطلبون وأنا قاصد يثرب وقد عولت على صحبتكم لاكون معكم ولكن سمعت

فى طريقى هذا من اثق به ان محمدا انفذ رسولا من اصحابه الى مصر بكتاب فلعله فى هذا الوادى فان وقعنا به قتلناه فقال صاحب الفرس أنا أسير معك ثم انه تقدم امامى وتركنا صاحبيه واقفين ينتظران قال حاطب فلما ابعدت به عن اصحابه وغبنا عنهما قلت ما اسمك قال اسمى سلاب بن عاصم الهمدانى قلت يا سلاب اعلم انه لا يقدر يدخل على يثرب الا من له جنان وقلب وغدر ومكر لان بها سادات الارض وابطالها مثل عمرو على ولكن كيف سيفك قال سيفى ماضى قلت أرنى اياه فاستله من غمده وسلمه الى فاخذت السيف من يده وهززته وقلت سيف ماضى ثم قلت شعر

سيوف حداد يالؤى بن غالب * مواضى ولكن أين للسيف ضارب

فقال مامعنى هذا الكلام قلت يا ابن عاصم ان سيفك هذا من ضرب قوم عاد من ولد شداد وماملكت العرب سيفا مثله ولا امضى من هذا السيف ولكن وجب على اكرامك واريد التقرب اليك بحيلة أعلمك اياها تقتل بها عدوك فقال بذمة العرب افعل ذلك فقال حاطب اذا كنت فى مقام حرب وقتال وخصمك بين يديك وتريد قتله هز هذا السيف حتى يهتز هكذا وتلتئم مضاربه واضرب عدوك على حرفه فانه اسرع للقتل والقطع وملت بالسيف على عنقه واذا براسه طائر عن بدنه فنزلت اليه ومسكت الجواد لئلا ينفلت فيدر اصحابه وتركته مربوطا الى شجرة واسرعت الى صاحبيه واذا هما ينتظرانا فلما رآيانى اقبل احدهما الى فقال ما وراءك واين سلاب فقلت أبشر باخذ الثار وكشف العار واعلم باننا وجدنا رجلين من اصحاب محمد وهما نيام وقد وجهنى سلاب بان يمضى معى أحدكما حتى نتمكن منهما ويقف احدكما ههنا فان هذا الوادى ماخلا ساعة من أصحاب محمد فقال نعم الرأى الذى قد اشرت به وسار معى فلما الثانى غيبته عن صاحبه قلت ما اسمك قال عبد اللات قلت له كن رجلا واياك والخوف فانك اذا رايتنا وقد هجمنا على الرجلين فاستيقظ فقال لابد ان افعل ذلك فقلت له انى ارى غبرة ولا شك ان تحتها قوما ممن صبا الى دين محمد فجعل يتأمل كانه الواله الحيران فعاجلته بضربة على غفلة فارميت براسه عن بدنه وعدت الى الثالث فلما رآنى وحدى تيقن بالشر فقارعنى وقارعته وصدمنى وصدمته الا ان الله اعاننى عليه فقتلته واخذت الراحلتين والفرس واسلابهما ووضعت الجميع عند رجل من اصحابى وكان رفيقا لى من زمن الجاهلية وهو من عبد شمس ثم توجهت اريد مصر ولم ازل الى ان اتيتها فلما وصلت الى باب الملك قالوا من اين جئت قلت انا رسول الى ملككم فقالوا من عند من قلت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا بذاك احاطوا بى واوصلونى الى قصر الشمع بعد ما استأذنوا لى واوقفونى على باب الملك فامرهم باحضارى بين يديه فعقلت راحلتى وسرت معهم عند المقوقس واذا هو فى قبة اكثر الجواهر فى حافتها ولمع الياقوت من اركانها والحجاب بين يديه فأومأت بتحية الاسلام فقال حاجبه يا اخا العرب اين رسالتك قال فأخرجت الكتاب فأخذه الملك من يدى بيده قال فباسه ووضعه على عينيه وقال مرحبا

بكتاب النبي العربي ثم قرأه وزيره الباكامين فقال له اقرأه بالقوى فانه من عند
رجل كريم فقرأه الوزير الى أن أتى الى آخره فقال الملك لخادمه الكبير هات السفط الذى
عندك فأتى به ففتحه واستخرج نمطا ففتح ذلك النمط واذا فيه صفة آدم وجميع الانبياء صلوات
الله عليهم أجمعين وفي آخره صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي صف لي صاحبك حتى كأنني
أراه قال حاطب ومن يقدر أن يصف عضوا من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لابدّ من ذلك قال فوقفت بعدما كنت جالسا وقلت ان صاحبي وسيم قسيم معتدل القامة بعيد
الهامة بين كتفيه شامة وله علامة كالقمر اذا بزر صاحب خشوع وديانة وعفة وصيانة
صادق اللهجة واضح البهجة اشم العرنين واضح الجبين سهل الخدين رقيق الشفتين براق
الثنايا بعينيه دعج وبحاجبيه زجج وصدره يترجرج وبطنه كطي الثوب المدبج له لسان فصيح
ونسب صحيح وخلق مليح قال والملك ينظر في النمط فلما فرغت قال صدقت يا عربي هكذا صفته
فبينما هو يخاطبني اذ نصبت الموائد وأحضروا الطعام فأمرني أن اتقدم فامتنعت فتبسم وقال
قد علمت ما أحل لكم وحرم عليكم ولم أقدم لك الا لحم الطير فقلت انى لا آكل في هذه الصحاف
الذهب والفضة فانّ الله قد وعدنا بها في الجنة قال فبدلوا طعامى في صحاف فخار فأكلت
فقال اى طعام أحب الى صاحبك فقلت الدبا يعنى القرع فاذا كان عندنا شئ منه اثرناه
على غيره فقال ففي اى شئ يشرب الماء فقلت في قعب من خشب قال ايحب الهدية قلت نعم
فانه قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت قال
أيأكل الصدقة قلت لا بل يقبل الهدية ويأبى الصدقة وقد رأيته اذا أوتى بهدية لا يأكل منها
حتى يأكل صاحبها فقال الملك أيكتحل قلت نعم في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين وقال من
شاء اكتحل أكثر من ذلك أو اقل وكحله الاثمد وينظر في المرآة ويرجل شعره ويستاك فقال
المقوقس اذا ركب ما الذى يحمل على رأسه فقال راية سوداء ولواء ابيض وعلى اللواء مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله فقال اله كرسى يجلس عليه اوقبة قلت نعم له قبة حمراء تسع نحو
الاربعين قال فما الذى يحب من الخيل قلت الاشقر الارثم الاغر المحجل في الساق وقد تركت
عنده فرسا يقال لها المرعد قال فلما سمع كلامي انتخب من خيله فرسا من افخر خيول مصر
الموصوفة وامر به فأسرج والجم فأعده هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرسه المأمون
وارسل معه حمارا يقال له عفير وبغلة يقال لها الدلدل وجارية اسمها بريرة وكانت سوداء
وجارية بيضاء من اجمل بنات القبط اسمها مارية وغلاما اسمه محبوب وطيب وعود وند ومسك
وعمائم وقباطي وامر وزيره ان يكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يقول فيه باسمك
اللهم من المقوقس الى محمد اما بعد فقد وصل الى كتابك وفهمته وانت تقول ان الله ارسلك رسولا
وفضلك تفضيلا وانزل عليك قرآنا مبينا فكشفنا يا محمد خبرك فوجدناك اقرب داع دعا الى
الله واصدق من تكلم بالصدق ولولا انني ملكت ملكا عظيما لكنت اول من آمن بك لعلمي
انك خاتم النبيين وامام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته مني الى يوم الدين قال وسلم

الكتاب والمدية الى وقبلني بين عيني وقال بالله عليك قبل بين عيني محمد عني هكذا ثم بعث معي من يوصلني الى بلاد العرب والى مامني قال فوجدنا قافلة من بلاد الشام وهي تريد المدينة فصحبتها الى ان وردت المدينة فأتيت المسجد وانخت ناقتي ودخلت وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشأت اقول شعرا

انعم صباحا ياوسيلة أحمد * نرجو النجاة غدا بيوم الموقف
انى مضيت الى الذى ارسلتنى * اطوى المهامها كالمجد المعنف
حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم * فبدأ الى مثل قول المنصف
فقرأ كتابك حين فك ختامه * فاظل برعدكاهتزاز المرهف
قال البطارقة الذين تجمعوا * ماذا يريعك من كتاب مشرف
قال اسكتوا ياويلكم وتيقنوا * هذا كتاب من نبى لا مصحف
فقال راهبهم وهمت قال لست براهم * انى قرأت بيان لفظ الاحرف
وكل سطر من كتاب محمد * خط يلوح لناظر متوقف
هذا الكتاب كتابه لك جامعا * ياخيرمأمول بحبك نكتف

(قال الراوى) ورجعنا الى الفتوح قال حدثنى أحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمرو السلمى عن محمد بن عبد الله الزهرى عن عبد الله بن زيد الهذلى عن أبى اسحاق الاموى وهو المعتمد عليه فى فتوح مصر وأرض ربيعة والفرس حدثنا عمر بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سواه وكان اصحاب السير قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه وما تجدد من سعد بن أبى وقاص وبنى كسرى نوشروان وتركوا فتوح الشام وأرض مصر فيما بعد وكان قد ارتحل عنهم فتركوه لاجل الزيادة والنقصان فيه وانما انفرد ابن اسحاق لانه انفرد عن مشايخ ثقاة قد وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم فى الرملة بعد الفتوح أحدهم نوفل بن ساجع المخزومى وكان عمه خالد بن الوليد وكان من المعمرين شهد تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم وشهد بعدها الحديبية وشهد يوم اليمامة ومسيلمة وكان مع عمرو بن العاص بأرض مصر فى جميع فتوحها والثانى فهد بن عاصم ابن عمرو بن سهل بن عمرو بن سهيل بن عمرو المخزومى وغيرهما من الثقاة ممن شهد فتوح أرض مصر والوقائع كلها قالوا جميعا ومنهم من قال ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام وكتب الله سلامة المسلمين وسار متوجها يريد أرض مصر فلما كان بمكان يقال له رفيح قال له يوقنا ياعمرو أنت تريد ان تدهم مصر على دون غفلة من أهلها وأنا ممن يمكنني ذلك لان ثواب الله أجل غنيمة فان قلبي ملوث بحب الدنيا وانى كنت ممن اشرك بالله سواه وأنا اجتهد فى الخلاص واقاتل من كنت أنصره على الكفر وعبادة الصلبان والسجود للصور من دون الله وقد أخذت الاسلام بنية وقبول لانه الحق وأريد أن اتقدم الى أرض مصر فلعلى أجد لكم بالحيلة سبيلا فقال عمرو وفقك الله وأعانك وحفظك وصانك قال فسار يوقنا السلام من رفيح يطلب الفرماء ولم يقرب من العريش ولا للقار يا وكلها حصون عامرة وقد سكنها أقوام من العرب

المختلطة وكان يؤدّون المال الى الملك ابن المقوقس بن راعيل وسنذكر فتوحها فيما بعد ان شاء الله تعالى قال وان يوقنا أشرف على الغرماء وكان بها وال من قبل المقوقس اسمه الرندبان والغرماء على جانب بحيرة تنيس من الشرق فرأى يوقنا خياما منصوبة وقبابا مضروبة فلما راوا يوقنا وقع الصائح فركب من كان هناك وكانت الاخبار ترد عليهم كل وقت بما صنع الصحابة فلما بلغهم ان قيسارية فتحت اغتموا لذلك لانه كان فلسطين ابن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس ارمانوسة وكان قد جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها الى بلبيس ثم أنها وجهت حاجبها تميلاطوس الى الغرماء فى الفى فارس يحفظ ذلك المكان حدثنا ابن اسحاق رحمه الله أخبرنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن اسامة بن زيد بن أسلم قال ابن اسحاق حدثنى رجل من القبط رأيته وقد دخل فى دين الاسلام فتقربت اليه وسألته فاخبرنى أنه من قبط مصر من جند المقوقس قلت له كيف كان من أمركم لما سمعتم بقدوم المسلمين من الشام وكسر جيوش هرقل قال لما بلغنا ذلك بعث المقوقس رسله الى جميع اطراف بلاده مما يلى الشام بأن لا يتركوا أحدا من الروم ولا غيرهم يدخل أرض مصر كل ذلك لئلا يتحدّثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب فى قلوب قومه فلاجل ذلك أنه لما دخل يوقنا أرض مصر لم يعلم به أحد فلما ركبوا الى لقائه ورواحشمه وعسكره وكانوا بزى الروم سألوه عن مكانه وكان قد أخبر فى طريقه من حصن حيفا واعلموه انه اشتغل فلسطين عن زوجته ارمانوسة وان أباها قد جهزها وهى على مدينة بلبيس فقال يوقنا ومتى تزوجها قالوا تزوجها والمسلمون على حصار حلب فقال انه قد ركب فى البحر وترك قيسارية وقد أرسلنى حتى آخذها فى المراكب من دمياط قال فلما سمع قوله قال يا يوقنا أنا قد جئت رسولا من الملك فلسطين الى الملك المقوقس حتى يرسل معى ابنته الى زوجها فلما سمعوا كلامه قالوا ان الملكة فى بلبيس وقد انفذها اليه وما منعها من المسير الا خوف العرب وهروب فلسطين من قيسارية فسار يوقنا حتى قرب من بلبيس فنزل هناك وسار حاجبها اليها وعرفها بما قاله يوقنا فقالت على به فأتى اليه الحاجب وأمره بالمسير فركب وركب أصحابه وهم بأحسن زى واتوا الى عسكر ارمانوسة واذا به عسكر كبيرا كثر من عشرة آلاف قال فترجل يوقنا ووجوه قومه ووقفوا على باب قصرها واستأذنوا عليها فاذنت لهم بالدخول فلما وقفوا بين يديها خضعوا لها فامرت لهم بكراسى فوضعت لهم فامرتهم بالجلوس فجلسوا ووقفت الحجاب والمماليك والخدم فقالت الملكة ارمانوسة له من غير ترجمان كم لكم عن الملك فقال شهر فقالت أكان رحل فى المراكب ام قبل رحيله فقال يوقنا بل قبل رحيله وانه ركب منهزما ولما وصلت الى غزا بلغنى انه سار وكان قد قال لى فى السر بينى وبينه لا طاقة لنا بقتال هؤلاء العرب فان أبى هرقل ترك انطاكية وذهب وقد قاتلهم بجميع جنوده واستنصره عليهم بجميع دين النصرانية وانفذ اليهم ماهان الارمنى الى اليرموك فى الف الف فهزموه وقتلوه وانى أريد ان آخذ خزائنى واطلب القسطنطينية ثم انه وجهنى اليك أيتها الملكة لتركبى فى المراكب اليه قال فلما سمعت ذلك أطرقت

برأسها الى الارض ثم رفعت رأسها وقالت انى لااقدر أن اصنع شيئا الا بأمر الملك ابى وانى مرسلة اليه قال فقام يوقنا وصفح لها وودعها ثم خرج من عندها فوجد غلمانه قد ضربوا خيامه فنزل بها وأرسلت اليه العلوفة والضيافة قال ابن اسحاق الاموى رضى الله عنه ولقد بلغنى انه لما جن الليل أتت اليها الجواسيس واعلموها بفتح قيسارية ومدائن الساحل جميعها وبتوجه عمرو بن العاص الى مصر وبحديث يوقنا صاحب حلب وحذروها منه وعرفوها بجميع الاخبار مفصلة وانه هو الذى فتح طرابلس وصور وجبلة قال فلما سمعت ذلك دخل فى قلبها الرعب وعلمت انه محتال فطلبت صاحبها وقالت له مر العسكر بلبس السلاح وان يكونوا مستيقظين فقد جرى من الامر كذا وكذا ثم انها أوقفت مماليكها وغلمانها وقالت لهم اذا دخل هذا الرجل وخواصه اقبضوا عليهم فاذا نحن ملكناهم انخذل عسكر المسلمين فلما رتبت هذا أرسلت تطلب يوقنا فذهب قاصدها اليه وقال له أيها البطريق الاميران الملكة تطلبك لتوصيك ما تقول لابيها فقال له السمع والطاعة ها أنا راكب وأصحابى فذهب القاصد فقال يوقنا لاصحابه اعلموا ان الملكة شعرت بنا والقوم قد عوّلوا على قتلنا فان حصلنا فى أيديهم قتلونا لا محالة وتضرب بنا الامثال لمن يأتى بعدنا فموتوا كراما ولا تلقوا بأيديكم الى القتل بأيدى الكفار وكونوا نصرة لدين الاسلام وما عسى نرجوا من هذه الدنيا الغدّارة التى ماصفت لاحد الا وغيرته بالكدر فاعمروا دار البقاء وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده فلعلكم ترضوه بذلك قال فأخذ القوم على انفسهم واشتدّوا وركبوا وتوكلوا على الله فى جميع أمورهم حدّثنا ابن اسحاق رحمه الله ولقد بلغنى ان الملكة أقامت تنتظر قدومهم لتقبض عليهم فاستبطأتهم فبعثت رسولا ثانيا تستحثهم فقال له يوقنا ارجع الى صاحبتك وقل لها ما جرت بذلك عادة الملوك يبعثون يطلبون الرسل الا لامر يحدث وقد كنت عندها فما الذى تريده نصف الليل منى فعاد الرسول وأخبرها بما قاله فركبت من وقتها وتقدمها حاجبها وأمرت الجيش كله أن يركب ودارت بيوقنا وأصحابه ولم تحدث بشئ الى الصباح فأقبل صاحب المملكة اليهم وقال ما حملكم ان تركتم دين آبائكم وهجرتم دين المسيح وأمه وقد جئتم تحتالون علينا الا وان المسيح قد غضب عليكم فقال يوقنا انّ المسيح عبد من عبيد الله لا يقدر على شئ لانه مأمور مكلف وقد أنطقه الله بذلك وهو فى المهد فقال انى عبد الله وقال وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ومن يؤمر بالصلاة والزكاة ويموت فليس باله انما هو عبد مكلف للعبادة مثل واحد منا وانّ الله لا يتشبه باحد منا وانّ الله لا يشبهه شئ ولا يشتبه بأحد ولقد أضلكم من صدكم عن ذلك وزاغ بكم عن طريق الحق بقوله على الله والمسيح ولقد كنا مثلكم نسجد للصلبان ونعظم القربان ونسجد للصور ونجعل مع الله الها آخر الى أن تبين لنا دين محمد صلى الله عليه وسلم فشفانا من الردا وهدانا بعد العمى وشرح صدورنا للهدى ودين الاسلام هو الدين الواضح وكنا نقول مثل قولكم ان المسيح ابن الله

وان ابراهيم واسحاق كانا نصارى فكذبنا الله بقوله فى كتابه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال سبحانه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وها نحن قد جئنا كم لنجاهدكم الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله واما الجزية واما القتال قال فلما سمع الحاجب كلامه قال لقومه دونكم وهؤلاء فقد جاؤا يريدون قتلكم وأخذ اموالكم وأولادكم وبلادكم وحريمكم قال فحملوا على يوقنا وأصحابه وعمل السيف بينهم بقية يومهم فلما كان من الغد ركبوا وداروا بهم وتصايحت عليهم القبط ودارت بهم الخيل والرجال فبلى يوقنا ومن معه بما لا طاقة لهم به وقتل منهم جماعة وقتلوا هم من القبط خلقا كثيرا ولكنهم صبروا لامر الله وقالوا والله لا نسلم انفسنا أو نموت كلنا فقد حصل لنا ما كنا نطلب من رضى ربنا قال ابن اسحاق رحمه الله ورضى عنه حدثنا سيف بن شريح عن يونس بن زيد عن عبد الله بن عمر بن حفص عن عبد الله بن الحارث قال لما أخبرت الجواسيس أرمانوسة بقصة يوقنا انفذت كتابا الى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وانها مغلوبة معهم وأن العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص وانا منتظرة جوابك قال فلما وصل الكتاب اليه دعا أرباب دولته وقال لهم قد تم من الامر على كذا وكذا فما تشيرون به على قالوا أيها الملك نرى لك من الامر ان تنفذ جيشا الى المملكة تنصرها على عدوها وتنفذ الى جلباب ملك البرية تستنصر به على هؤلاء العرب وتنفذ الى مازع بن قيس ملك البجاه ينفذ لك جيشا وتنفذ الى من بالاسكندرية يأتون والى من بالصعيد يأتون فاذا اجتمعت اليك هذه الامم التى بهم العرب ولا تأمن اليهم فيطمعون فيك فقال يا أهل دين النصرانية اعلموا ان الملك محتاج الى سياسة ومن ملك عقله ملك رأيه ومن ملك رأيه امن من حوادث دهره وليست الغلبة بالكثرة وانما هى بحسن التدبير والله لقد كان قيصر اكثر منى جندا واوسع بلادا واعظم عمدة وقد جمع من بلاد الروم الى اليونانية ومن اقاليمه ومن القسطنطينية ومن سائر البلاد ومن بلاد الاندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما اغنى عنه جمعه شيأ ولا قدران يرد القضاء والقدر عنه واعلموا ان العقل اساس الآدمى المخاطب المكلف المفضل به على سائر ما خلق على الارض فمن ملك عقله ملك امره ومن لم يجد منه حظا كان بجهله ارضى ولن تنال الحكمة الا بالعقل قال الحكيم ماسوسى ان الحكمة مرقى جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها غذاء الارواح وقوت القلوب واعلموا انى لست أتكلم الا بالصدق وانتم تعلمون ان محمدا فى ايامه بعث الينا يدعونا الى دينه فاستدللت على صدق قوله بكتابه وما ظهرت من معجزاته وقد سمعتم انه لما بعث ما سمع احد بذكره الا وخاف منه وقد سمعتم ان القمر انشق له والذراع المسموم كلمه وقال يا رسول الله انى مسموم فلا تأكلنى وقد كلمه الضب والحجر والشجر والمدر وعرج به الى السماء وركب اوج الماء واول من تغلب عليه قومه وحاربه عشيرته حين انكروا قوله وفعله فنصر عليهم وقهرهم وقد تبين لهم الحق فاتبعوه ونصروه وهم هؤلاء الذين فتحوا الشام وما انكرت من امرهم شيأ فانهم يأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التي امر بها ومافى كتابهم شئ الا وفى الانجيل مثله وقد اضلكم بولص واغواكم حين غربكم وبدل شرعكم وسماكم باسم لا يليق بكم وكيف وقد عاد بكم من الطريق الواضح واحل لكم جميع ماحرم عليكم من قبل وهذا هو عين المحال وداعية العمى أن تتعدّوا ماقال نبيكم وكيف ينبغى لروح الله عيسى بن مريم أن يكلمكم بكلام لا أرسله الله اليكم ثم ان بولص قال لكم انه احل لكم الخنزير وشرب الخمر وارتكاب المعاصى ماظهر منها ومابطن فاطعتم أمره وصدقتم قوله وحاشا المسيح أن يفعل ذلك وما كان احد من الانبياء الا على ماجاء به محمد وهؤلاء الحكماء الاولون ما منهم الا من يتكلم بوحدانية الله تعالى وهذا الحكيم دمونا الذى صنع فى برارى الجيم رصادا وجعلها مثلا للامم الآتية وذكر فيها من يأتى من الامم والاجيال الى آخر الزمان او صور الحكماء نفردة به والنسر يعقد رأس الحمل والنسر يقيم فى كل برج ثلاثة آلاف سنة كما قدر بالمقدار الحكيمى وكان قد صور صورة وكتب على رأسها بقلم اليونانية أربعة أسطر الاول من خاف الوعيد سلم مما يريد الثانى من خاف مابين يديه صان دموعه بما فى يديه الثالث ان كنت تريد الجزيل فلا تنم ولا تقيل الرابع بادر قبل نزول ماتحاذر فمن كان هذا كلامهم فكيف صنع سواهم وهذه فريضة هؤلاء القوم المحمديين قال فاطرقوا برؤسهم الى الارض غيظا على الملك قال وما تكلم المقوقس بهذا الكلام حتى أوقف عنده من مماليكه ألف غلام فوق رأسه بالسيوف لانه كان قد سمع ماجرى لقيصر وهرقل مع بطارقته لما جمعهم ونصحهم فوثبوا عليه وأرادوا قتله وأما المقوقس فانه استوثق بمماليكه حتى لا يطمع فيه قال فلما تكلم بذلك قال له وزيره أيها الملك رأيك راجح وأنا أول من يؤمن بما تقول فقال للوزير اكتب الى ابنتى كتابا تأمرها فيه ان تتلطف بالقوم وتعطيهم الامان وتنفذهم الينا حتى نخلع عليهم ونطيب قلوبهم ويكونوا معنا يقاتلون من يريد قتالنا وما أراد بذلك الا ان يسلم مثل يوقنا وأصحابه اذ هم على الحق قال فكتب الوزير الى الملكة كتابا بما قاله ابوها فلما وصل الكتاب اليها وقرئ عليها أمرت أصحابها أن يراجعوا عن قتل يوقنا ومن معه فرجعوا وأرسلت الى يوقنا تعلمه بكتاب أبيها وارسلت اليه الكتاب فلما قرأه قال لرسولها امض اليها حتى أستخير الله تعالى فى ذلك فقال يوقنا لاصحابه ان الله قد كشف حجاب الغفلة عن قلب هذا الملك وقد ظهر له ماظهر لنا من الحق فما الذى ترون من الرأى قالوا نحن نسمع من رايك فقال دعونى هذه الليلة قال فلما جن عليه الليل قام يصلى وأمر أصحابه ان لا ينزلوا من خيولهم مخافة من غدر القوم فبينما هو يصلى واذا بشخص قد دخل عليه فارتاع منه ثم تأمله فاذا هو عمرو بن أمية الضمرى ساعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه يوقنا فرح وكان قد رآه مرارا فقال له مرحبا يا عمرو من اين فقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثنى الى عمرو بن العاص لاحثه على المسير الى مصر فوجدته قد وصل وها هو اليك قريب وقد أرسلنى اليك لاعرفه خبرك فاخبره بما وقع له وقال له امض يا عمرو وادعه يعجل بالمجئ بعيننا

على هؤلاء القوم وحدثه بجميع ماجرى علينا قال فرجع عمرو مسرعا مثل الريح الهبوب الى عمرو بن العاص واعلمه بقصة يوقنا قال فنزل عمرو بن العاص الاثقال ومعهم من يحفظهم وركب وسار بجرائد الخيل وترك مع الاثقال عامر بن ربيعة العامرى فما كان قبل طلوع الفجر الا وهو عند يوقنا فدار بالقوم فلما احس بهم يوقنا كبر هو ومن معه ورفعوا الجميع أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا السيف فى القبط فما طلعت الشمس الا وقد قتل من القبط أكثر من ألف واسر منهم خلق كثير وولى الباقى منهزمين وأخذت ارمانوسة ابنة الملك وجميع مامعها من الاموال والرجال والجوار والغلمان فقال عمرو بن العاص لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل يزيد بن أبى سفيان وهاشم بن سعيد الطاءى والقعقاع بن عمرو التميمى وخالد بن سعيد وعبد الله بن جعفر الطيار وصفوان وأمثالهم ان الله سبحانه وتعالى قد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وهذا الملك قد علمتم انه كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث له هدية ونحن أحق بمن كافأعن نبيه صلى الله عليه وسلم هديته وكان يقبل الهدية ويشكر عليها وقد رأيت بان ننفذ الى المقوقس ابنته وما أخذنا معها ونحن نتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعته يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فاستصوبوا رايه فبعث بها مكرمة مع جميع مامعها مع قيس بن سعد رضى الله عنه

(ذكر فتح مدينة مصر)

قال ابن اسحاق الاموى رحمه الله تعالى ورضى عنه لما ورد المنهزمون على الملك واخبروه بما تم عليهم وعلى ابنته ضاق صدره وبقى متفكرا بما يصنع وليس له نية فى القتال مع الصحابة فبينما هو متفكر اذ جاءه البشير بقدوم ابنته ومامعها فخفف عنه بعض ما كان يجده فلما دخل عليه قيس رفع مجلسه فوق الملوك والحجاب وأرباب دولته وكانوا قد اجتمعوا يهنونه بابنته فلما حضر قيس بن سعد سأله الملك عن اشياء لعل اصحابه ان تلين قلوبهم الى الاسلام فقال ياأخا العرب اخبرنى عن صاحبكم ماالذى كان يركب من الخيل قال الاشقر الاتم المحجل فى الساق وكان اسمه المترجل فقال لقد بلغنا انه كان لايركب الا الجمال فقال قيس ان الله أكرم الابل وشرفها قال لها كونى فكانت واخرج ناقة من الصخر وخص بها العرب من دون غيرهم من بنى آدم وكان يركبها لكونها قد جعلها الله مباركة تقنع بما تجد وتصبر على الحمل الثقيل والسير الشديد وتصبر عن الماء أياما وقد ذكرها ربنا فى قوله فى كتابه العزيز فقال وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزواته غزوة بدر كان معه مائة ناضح من الابل وكان معه فرسان يركب احدهما المقداد بن الاسود الكندى ويركب الآخر مصعب بن عمير ولما لقينا قريشا فى عددها وعديدها فهربوا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يتعقبون فى الطريق وكان عليه الصلاة

والسلام

والسلام وعلى بن أبي طالب ومرشد بن أبي مرشد حليف حمزة بن عبد المطلب وغيرهم يتعقبون شامخا وكان أيها الملك يركب الحمار الذى اهديته اليه ويردف وراءه معاذ بن جبل وعلى الحمار ركاب من ليف وخطامة ليف واعلم يا ملك القبط أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول من رغب عن سنتى فليس منى وكان قميصه من القطن قصير الطول والكمين ليس له ازرار ولقد اهدى اليه ذو يزن حلة اشتراها له قومه بثلاثة وثلاثين بعيرا فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة واهدى له جبة من الشام فلبسها حتى تخرقت وخفان فلبسهما حتى تخرقا وكان له رداء طوله أربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف وكان له ثوب خز يلبسها للوفد اذا قدموا عليه وكان احلى الناس اذا تكلم بكلمة يرددها ثلاثا وكلما رأى قوما سلم عليهم ورأيته كلما تحدث تبسم فى حديثه وكان اذا اجتمع اليه أصحابه وأراد أن ينهض قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك واتوب اليك قلنا يا رسول الله ان هذه الكلمات اتخذتهن عادة قال امرنى بهن جبريل واخرجت لنا زوجته لما قبض كساء وازارا غليظين وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق هذين فقال المقوقس هذه والله اخلاق الانبياء وطوبى لمن اتبعه فان امته هى الامة الموصوفة فى الانجيل فقال بعض من حضر ايها الملك ما تكون امة عند الله افضل من هذه الامة وهم نحن فغضب الملك من قوله وقال وبأى شئ انتم افضل عند الله باكلكم الحرام وارتكابكم الاثام وصنعكم المنكرات وتجنبكم الحسنات وظلمكم فى الرعية وميلكم الى الدنيا اين انتم من قوم عبر عليهم الاسكندر فرآهم ليس بينهم قاض ولا حاكم ولا امير قائم عليهم ولا فيهم من يختص بالغنى دون اخيه بل هم سواء فى كل ماهم فيه اكلهم وشربهم واحد غير متناف ولا متضاد وملبسهم غير متناف ولا متباعد فتعجب الاسكندر منهم وسأل الاكابر منهم عما رآه من احوالهم فقالوا ايها الملك انا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب يا ابن آدم ما خلقت الا من التراب وقد خلوت بما قدمت اما صالحا فيسرك واما طالحا فيضرك فتندم حيث لا ينفعك الندم ولم يكن لك الى الدنيا مرجع فطوبى للكيس العاقل الذى ليس ببليد ولا غافل يتزود الى ما اليه يصير ولا يلق لا تكال على التقصير فبادر الى الخير قبل الموت واغتنم حياتك قبل الفوت وكانك بالحى وقد هلك وترك كلما ملك فلما قرانا هذا اعتبرنا ايها الملك بهذه الموعظة البالغة وتلبسنا باثوابها السابغة وقال ما بال مساجدكم شاسعة نائية وقبوركم دانية فقالوا اما مساجدنا بعيدة ليكثر الاجر بكثرة الخطا وقبورنا قريبة لتذكر الموت فننتهى عن الخطا فقال مالى أرى أبوابكم بغير غلاق قالوا لاننا ما فينا خائن ولا سارق فقال مالى لا أرى فيكم اميرا ولا حاكما فقالوا لاننا ما فينا متعد ولا ظالم فقال مالى لا أرى فيكم معسرا ولا فقيرا قالوا لان رزق الله فينا الكبير والصغير ثم انهم أخرجوا له جمجمتين عظيمتين فقالوا أيها الملك هذه جمجمة رجل عادل سالم وهذه جمجمة رجل ظالم وكلاهما صارا الى هذا المصير ولم يغن عنهم الجمع والتدبير اما العادل فمسرور ريان وأما الظالم فنادم حيران فاز المتقى وخسر الشقى فاختر ما تراه قبل الحين أيها الملك لانك قد ملكت النواصى ونفذ أمرك فى الدانى

والقاصي واستخلفك الله في الارض وأمرك بالقيام بالنفل والفرض فتذكر مرجعك ورمسك واعمل لنفسك واعلم انه لا ينفعك جسدك اذا قبضت روحك واشتمل عليك لحدك فاترك أوامر الشيطان ودواعيه وخذ بأوامر الرحمن ونواهيه ولا يغرنك النعيم فتبقى بالاثم العظيم اذكر أيها الملك مافعل الشيطان بأبيك حين نصب له مكيدته وادار عليه حيلته فنصب له فخ العداوة وغره فيه بحبة البر فقال قيس أيها الملك أتدرى من اولئك قال لا قال هم قوم مؤمنون قال الله عنهم فى كتابه وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقد رآهم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به فلما عاد اخبر أصحابه بهم فقالوا يارسول الله اهم قوم مؤمنون بما أنزل عليك فاراد ان يعلمهم ان امة محمد افضل منهم فانزل الله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال المقوقس لقيس بن سعد يا أخا العرب ارجع الى أصحابك واخبرهم بما سمعت وبما رأيت وانظر فيما يستقر عندكم وبينكم فقال قيس أيها الملك لا بد لنا منكم ولا ينجيكم منا الا الاسلام اواداء الجزية أو القتال فقال المقوقس أنا أعرض ذلك عليهم واعلم انهم لايجيبون لان قلوبهم قاسية من أكل الحرام حدثنا ابن اسحاق رضى الله عنه حدثنا عبد الله ابن سهل عن عدى بن حاطب عن سليمان بن يحيي قال ان الملك المقوقس كان من عادته أنه فى شهر رمضان لايخرج الى رعيته ولا يظهر لاحد من أرباب دولته ولا احد منهم يعلم ما كان يصنع وكانت مخاطبته لقيس بن سعيد فى أواخر شعبان سنة عشرين من الهجرة فخرج قيس من عنده ومضى الى عمرو بن العاص وحدثه بما كان منه قال ابن اسحاق رحمه الله وكان ولى عهد الملك ولده ارسطوليس وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ماتحدث به أبوه ورأى ميله الى الاسلام وعلم أنه لايقاتلهم وربما اسلم وسلم اليهم ملكه صبر الى أن دخل ابوه الى خلوته التى اعتاد ان يدخلها ويختلى فيها كل سنة فجمع ارباب الدولة فى الخفية لئلا يدرى به أحد فيعلم اباه وقال لهم اعلموا انكم قد ملكتم هذا الملك وان أبى يريد ان يسلمه الى العرب لانى فهمت من كلامه ذلك فقالوا ايها الملك أنت تعلم ان هذا الامر مرجعه اليك وانت ولى عهده فاعمل امرا يعود صلاحه عليك وعلينا قال فطلب صاحب شراب ابيه واعطاه ألف دينار ووعده بكل جميل واعطاه سما وقال له ضعه فى شرابه قال ففعل الساقى ما أمره به وسقى الملك فمات فاتى الساقى الى ارسطوليس واعلمه ان اباه قد مات فذهب اليه ودفنه فى الخفية وقتل الساقى وجلس على سرير الملك كانه نائب عن ابيه اذا غاب كعادته فى كل عام ولم يعلم احد بموته هذا ما كان منه وأما عمرو بن العاص فانه ارتحل من بلبيس ونزل على قليوب وبعث الى أهل البلاد والقرى وطيب خواطرهم وقال لهم لا يرحل أحد من بلده ونحن نقنع بما توصلوه الينا من الطعام والعلوفة فاجابوا الى ذلك وارتحل من قليوب ونزل على بحر الحصا فارتجت بنزولهم اليها ووقع التشويش فيهم وعلا الضجيج واغلقوا الدروب والدكاكين ووقف كل أهل درب على دربهم بالسلاح ليحموا حريمهم قال وأما عمرو بن العاص فانه أمر أهل اليمن ومن معه من العربان ان يحدقوا بالبلد وان أهل البلاد أقبلت اليهم بالعلوفة

والطعام والخيرات وهم يردون عليهم من كل فج ثم ان عمرا أراد أن يرسل الى صاحب مصر رسولا وكان عنده غلام له من أهل الرملة وكان اسمه وردان وكان يعرف سائر الالسن فقال له عمرو يا وردان اني أريد ان أرسلك الى هولاء القبط فانك تعرف بلسانهم ولا تظهر لهم انك تعرفه فقال سمعا وطاعة فقال اريد أن أكتب معك كتابا وهم أن يكتب واذا برسول ارسطوليس قد أقبل وقال يامعاشر العرب ان ولى عهد الملك يريد منكم ان تبعثوا اليه رجلا منكم ليخاطبه بما فى نفسه فلعل الله ان يصلح ذات بينكم فقال عمرو ليزيد بن أبى سفيان ولهاشم الطائى ولعبد الله بن جعفر الطيار والنعمان بن المنذر ولسعيد بن وائل اعلموا انى قد ضربت على ملوك الروم ولست أرى من يتكلم مثلى وما يسير الى هؤلاء الا أنا فانى أريد ان اروز القوم وانظر حالهم وما هم فيه من القوة وان لا يخفى على شئ من امرهم فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوى الله عزمك وما عندنا الا النصيحة للدين والنظر فى مصالح المسلمين فافعل ما أردت تعالى فقال اشرحبيل قد قلدتك أمور المسلمين فكن مكانى حتى أمضى الى القوم وآتيكم بما هم فيه فقال له شرحبيل الله يوفقك ويسددك قال فلبس عمرو ثوبا من كرابيس الشام وتحته جبة صوف وتقلد بسيفه وركب جواده وسار ومعه غلامه وردان وساروا الثلاثة الى قصر الشمع واذا هم بالمواكب مصطفة والعساكر واقفة وهم بالدروع والجواشن والعدد وقد أظهروا ما امكنهم من القوة فلما وصلوا الى قصر الملك أخبر ارسطوليس أن قاصدك أتى يا احد من العرب فامرهم باحضاره فدخل عمرو راكبا وهو متقلد بسيفه فاراد الحجاب ان ينزلوه عن جواده فابى وان يأخذوا سيفه فابى وقال ما كنت بالذى أنزل عن حصانى ولا اسلم سيفى فان أمرنى صاحبكم ان أدخل على حالتى والا رجعت من حيث أتيت فاننا قوم قد أعزنا الله بالايمان ونصرنا بالاسلام فما لنا أن نذل لاهل الشرك والطغيان وأنتم طلبتمونا ونحن لم نطلبكم فاعلموا الملك بما قاله فقال ارسطوليس دعوه يدخل كيف شاء فخرجوا اليه وقالوا له ادخل كيف أردت فدخل عمرو وهو راكب حتى وصل الى قبة الملك ورأى السرير والحجاب وقوفا والبطارقة وهم فى زينة عظيمة فلما رأى عمرو ذلك تبسم وقرأ قوله وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال وكان قصر الملك قد بناه الريان بن الوليد بن ارسلاووس وهو الذى استخلف يوسف على مصر بعد العزيز ثم خرب واقام خرابا خمسمائة سنة وما بقى الا اثره فلما بعث عيسى وانتشرت دعوته ورفعه الله اليه وافترقت امته فرقا وادعوا فيه ما ادعوه من الالهية وتقول الكذب ولى مصر رجاليس بن مقراطيس فبنى ذلك القصر الخراب وهو فى وسط قصر الشمع وانما سمى قصر الشمع لانه لا يخلو من شمع الملوك فلما بناه احضر الحكماء الذين كانوا قد بنوا فى بربة اخيم وكان المقدم عليهم قربانس فقال لهم انى قد قرأت كثيرا من الكتب التى قد انزلت على الانبياء من الله وقرأت صحف موسى فان الله يبعث نبيا قوله حق ودينه صدق اخلاقه طاهرة وشريعته ظاهرة وقد بشر به المسيح فما تقولون فيه فقال قربانس الحكيم ان الذى قرأته هو الصحيح قال فمن

يخالف ذلك قالوا نعم قال الحكيم أريد ان اصنع تمثالا من الحكمة ونجعله بيتا للعبادة ونجعل على هيكلها تماثيل يكون وجوهها مما يلي التمثال باعلى قصرك فاذا جاء وقت مبعث هذا النبي يحول كل تمثال وجهه عن صاحبه والذى يجعل على الكنيسة فانه عند مبعث النبي العربي يقع على وجهه ويكون موضع عبادة القوم واقامة شرعهم قال فاخذوا في عمل الحكمة واقاموا التماثيل على ما ذكرنا فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حول كل شخص وجهه عن صاحبه وسقط الذى كان على سطح الكنيسة وهو الجامع اليوم وأما التمثال العالى فبقى على حاله باعلى القصر فلما دخل عمرو بجواده سمعوا من التمثال صوتا عظيما ثم انه سقط على وجهه فارتاع له الملك وأرباب دولته ووقعوا على وجوههم ودخل الرعب في قلوبهم وقالوا بلسانهم ماوقع هذا التمثال الا عند دخول هذا العربي وماجرى هذا الامر عظيم ولا شك انه هو الذى يقلع دولتنا ويأخذ ملكنا فامروا عمرا ان ينزل عن جواده فنزل وترجل وجلس حيث انتهى به المجلس ومسك عنان جواده بيده ويده اليسرى على مقبض سيفه ونظر الى زينتهم وزخرفة قصرهم فقرأ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال اعلموا ان الدنيا دار زوال وفناء والآخرة هي دار البقاء اما سمعتم ما كان من نبيكم عيسى وزهده وورعه كان لباسه الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر وقد قال نبينا صلوات الله عليه ان الله أوحى الى عيسى ان نح على نفسك في الفلوات وعاتبها في الخلوات وسارع الى الصلوات واستعمل الحسنات وتجنب السيأت وابك على نفسك بكاء من ودع الاهل والاولاد وصبح وحيدا في البلاد وكن يقظان اذا نامت العيون خوفا من أمر لا بد ان يكون فاذا كان روح الله وكلمته خوف بهذا التخويف فكيف يكون المكلف الضعيف واول ما تكلم في المهد قال انى عبد الله فاذا كان اقر لله بالعبودية فلم تنسبون اليه الربوبية قال الله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولا اشرك في حكمه احدا جل عن الصاحبة والاولاد والشركاء والاضداد لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ليس لاوليته ابتداء ولا لاخريته انتهاء ولا يحويه مكان ليس بجسم فيمس ولا بجوهر فيحس لا يوصف بالسكون والحركات ولا بالحلول والكيفيات ولا تحتوى عليه الكميات ولا المنافع ولا المضرات ثم انه قرا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا فقال له الوزير اصح عندكم معاشر العرب ان المسيح تكلم في المهد قال نعم قالوا له فهذه فضيلة قد انفرد بها عن جميع الانبياء فقال عمرو وقد تكلم في المهد اطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الاخدود وغيرهم فقالوا يا عربي اتكلم نبيكم بغير العربية قال لا قال الله في كتابه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء قالوا أبعث الله نبيا غير نبيكم قال نعم قالوا من قال صالح وشعيب ولوط وهود قال فلما سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالبطريق للملك ان هذا العربي فصيح اللسان جرى الجنان

ولا شك

ولاشك انه المقدم على قومه وصاحب الجيش فلو قبض عليه لانهزم اصحابه عنا قال وغلام عمرو وردان يسمع ذلك فقال الملك انه لا يجوز لنا ان نغدر برسول لاسيما ونحن استدعيناه الينا فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ففهم عمرو كلامه ثم ان الملك قال يا اخا العرب ما الذى تريدون منا وما قصدنا احد الا ورجع بالخيبة وانا قد كاتبنا والنوبة والبجاة وكانكم بهم قد وصلوا الينا فقال عمرو اننا لا نخاف من كثرة الجيوش والامم وان الله قد وعدنا بالنصر وان يورثنا الارض ونحن ندعوكم الى خصلة من ثلاث اما الاسلام واما الجزية واما القتال فقالوا انا لا نبرم أمرا الا بمشورة الملك المقوقس وقد دخل خلوته ولكن يا اخا العرب ما تظن ان فى أصحابك من هو أقوى منك جنانا ولا افصح منك لسانا فقال عمرو انا الكن لسانا ممن فى أصحابى ومنهم من لو تكلم لعلمت انى لا اقاس به فقال الملك هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك فقال ان أحب الملك ان آتيه بعشرة منهم يسمع خطابهم فقال الملك ارسل اطلبهم فقال عمرو لم يأتوا برسالة وانما ان أراد الملك مضيت واتيت بهم فقال الملك لوزرائه اذا احضروا قبضنا عليهم والاحد عشر أحسن من الواحد ووردان يفهم ذلك ثم ان الملك قال لعمرو امض ولا تبطئ علىّ فوثب عمرو قائما وركب جواده فقال الملك بالقبطية لاقتلنهم اجمعين فلما خرج من مصر قال له وردان ما قاله الملك فلما وصل الى الجيش اقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولون والله يا عمر لقد ساءت بك الظنون فاقبل يحدثهم بما وقع له معهم وبما قالوه وبما قاله وردان فحمدوا الله على سلامته وكان اقبل الليل فلما اصبح صلى عمرو بالناس صلاة الفجر وأمرهم بالتأهب للقتال واذا برسول الملك قد اقبل وقال له ان الملك ينتظرك انت والعشرة فقال عمرو ان الغدر يهلك أصحابه وأهله وان على الباغى تدور الدوائر يا ويلكم ينفذ صاحبكم يطلب منا رسولا فلما اتيته يريد ان يقبض علىّ وقال كذا وكذا فانت يا ويلك ما الذى يمنعنى عنك اذا أردت قتلك ولسنا نحن ممن يخون ويغدر ارجع اليه وقل له انى فهمت ما قاله وما بقى بيننا وبينه الا الحرب قال ابن اسحاق رحمه الله ورضى عنه هكذا وقع له مع القبط وكان عمرو اذا ذكر ذلك يقول لا والذى نجانى من القبط قال وعاد الرسول واخبر الملك بما قاله عمرو فعند ذلك قال اريد ادبر حيلة ادهمهم بها فقال الوزير اعلم أيها الملك ان القوم متيقظون لانفسهم لا يكاد احد أن يصل اليهم بحيلة ولكن بلغنى ان القوم لهم يوم فى الجمعة يعظمونه كتعظيمنا يوم الاحد وهو عندهم يوم عظيم وأرى لهم من الراى ان تكمن لهم كمينا مما يلى الجبل المقطب فاذا دخلوا فى صلاتهم يأتى اليهم الكمين ويضع فيهم السيف قال فاجابه الملك الى ذلك وأقاموا ينتظرون ليلة الجمعة قال واما عمرو فانه ارسل يوقنا الى القرى التى صالحوهم ليأتيه منها بما يأكلونه ويعلفون به خيلهم قال فركب يوقنا الى القرى التى صالحوهم وسار فى عسكره وبنى عمه الى ما يأتى به ومضى نحو الجرف وكان معهم جواسيس الملك فى عسكرهم فأتوا الى الملك واخبروه بما جرى عند المسلمين فعند ها دعا بابن عمه مانيوس وهو المقدم على جيوش مصر وقال له اختر من جيوشنا أربعة آلاف وامض بهم واكمن من وراء عسكر المسلمين من جهة

الجبل واياك أن يظهر عليكم احد وليكن لكم ديدبان فاذا دخل القوم فى صلاتهم احملوا عليهم وضعوا فيهم السيف قال ففعل ماسيوس ما أمره به الملك ومضى فى الليل من نحو مغارة السودان ولم يعلم بهم أحد فلما كان وقت صلاة الجمعة اتاهم الديدبان وأعلمهم انهم دخلوا فى الصلاة وكانوا قد أخذوا بغالا ودوابا وحملوها براً وشعيرا وكان قد قال لهم اذا أردتم أن تحملوا عليهم قدموا الحمول امامكم فانهم يأمنون ويحسبون انها هى التى مضى صاحبهم يأتى بها قال ففعلوا ذلك حدثنا ابن اسحاق رحمه الله حدثنا عمارة بن وهب عن سعيد بن عامر عن سليمان بن ناقد عن عروة عن جابر عن محمد بن اسحاق قال هكذا دبر عليهم القبط وكان بين القوم وبينهم نصف ميل وليس عند المسلمين خبر بما صنع المشركون وكان سعيد بن نوفل العدوى يقول لعمرو أيها الامير ما الذى يمسكنا عن قتال هؤلاء القبط فيقول والله ما تأخرى جزع وانما قد علمتم قصة هذا الملك المقوقس وما هو عليه من الدين والعقل وهو مقر بنبوة نبينا وقد دخل الى خلوته التى انسها لنفسه فى هذا الشهر المعظم وقد بقى منه خمسة أيام و يظهر ونبعث اليه رسولا ونرى ما يكون جوابه فاما الصلح واما القتال قال فبينما هم يتحادثون فى ذلك اذا تاهم رسول من عند ارسطوليس بن المقوقس وقال لهم معاشر العرب ان ولى عهد الملك يسلم عليكم و يقول لكم انى لا أقدر أحدث أمرا حتى يخرج الملك من خلوته وقد بقى له خمسة أيام و يدبر فى رعيته بما يشاء فقال له عمرو قد علمنا ذلك ولولا الملك وما نعلم منه انه يحب نبينا وانه مؤمن به ما امهلنا كم طرفة عين فمضى الرسول قال ابن اسحاق رحمه الله وما بعث هذا اللعين هذا الرسول الا ليطمئن المسلمون وليقضى الله أمرا كان مفعولا واذا جاء القدر لا ينفع الحذر واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه قال الراوى فكان المسلمون قد اطمأنت قلوبهم بذلك الخبر وقربت الصلاة فقام عمرو وخطبهم خطبة بليغة حذر فيها وانذر فلما فرغ اقيمت الصلاة وأقاموا واليهم يرقبون مخافة العدوان يكبسهم فى صلاتهم قال صابر بن قيس ونحن لا نرى أحدا من أهل مصر لا فارسا ولا راجلا قال فاصطففنا خلف عمرو للصلاة وليس يبان لنا عدو نخافه فلما احرمنا وقرأ عمرو وركعنا واومانا للسجود اذا اشرفت الدواب والبغال وعلى ظهورها الاحمال والعسكر من ورائها وهم أهل الكمين الذى كمنه اعداء الله وهم على عدد أصحابنا الذين مع يوقنا فلما رأيناهم ظننا انهم اصحابنا وقد اقبلوا بالعلوفة فرفعوا أصواتهم بالفرح وقالوا جاء يوقنا وأصحابه ولم يكلمهم العدو حتى أتونا ونحن فى الصلاة ووضعوا السيف فينا ونحن ساجدون السجدة الاخيرة ونحن بين يدى الله تعالى قال واذا بالسيوف تقرقع فى لحومهم وما احد منهم قام من سجوده وكان القتل فى آخر صف من المصلين والصف الذى يليه وهم من اليمن ومن بجيلة ومن وادى القرى ومن الطائف ومن وادى نخلة ثم عاد بن عتبة وكنت قد شهدت وقائع الشام وحضرموت واليرموك فوالله ما قتل منا فى وقعة من الوقائع مثل ما قتل منا يوم بحر الحصى فى ارض مصر بالحيلة التى دبرها عدو الله علينا وقال والله ما منا من انحرف عن صلاته ولا حول وجهه عن ربه وقد ايقنا بالهلاك عن آخرنا اذا اشرف علينا يوقنا باصحابه فلما نظر واما حل

بالمسلمين

بالمسلمين صاحوا ورموا ماعلى رؤسهم من العمائم وقال يوقنا لبني عمه والله من قصر منكم عن عدوه فالله يطالبه به يوم القيامة وما ارى الان الاعداء قد غدروا وكبسوا المسلمين فدوروا من حولهم ووضعوا السيف فيهم واحذروا أن ينفلت منهم أحد فحملوا واطبقوا على القبط فدفعوهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القتال بينهم حتى فرغ عمرو من الصلاة هو ومن معه وثاروا ثوران الاسد وركب عمرو ومعاذ وسعيد بن زيد وجميع الصحابة وحملوا في العدو وطحنوهم طحنا قال جابر بن أوس وحلنا بينهم وبين الوصول الى مصر فوالله مانجى منهم أحد وبقوا كأنهم طيور وقعت عليهم شبكة صياد فلما وضعت الحرب أوزارها هنأ المسلمون بعضهم بعضا بالسلامة وشكروا الله على ما أولاهم من نصره واثنوا على يوقنا خيرا وافتقدوا قتلاهم فكانوا أربعمائة وستة وثلاثين قد ختم الله لهم بالشهادة قال واتصل الخبر الى ارسطوليس بقتل ابن عمه ومن معه وانهم لم ينج منهم أحد فصعب عليه ذلك وأيقن بهلاكه فدعا ببطارقته وأرباب دولته وشاورهم في أمره فقالوا أيها الملك انت تعلم ان الدنيا ما دامت لاحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك ومازالت الملوك تنكسر وتعود وما أنت بأكثر ممن انهزم من ملوك الارض وقد سمعنا ان دارنوس بن اردين بن هرمز بن كنعان بن برجوز الطارسي هزمه الاسكندر الرومي سبعين مرة فاخرج الى لقاء القوم واضرب معهم مصافا ولا تيأس وهؤلاء القسوس والرهبان والشمامسة والرهبان والمطران والبترك يدعون لك بالنصر قال فعول على لقاء المسلمين وفتح خزائن أبيه وأنفق على الجند وأعطاهم السلاح وطلب شباب مصر وأمرهم بالخروج وبعث يستنجد بملك النوبة وملك البجاة وأقام مدة ينتظر قدومهم قال حدثنا محمد بن اسحاق القرشي عن عقبة بن صفوان عن عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه قال لما كان من أمر المسلمين ما ذكرنا مما قدره الله عليهم من كبسة عدوهم كتب بذلك عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك واني أحمد الله اليك وأصلي على نبيه اما بعد فقد وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلدة بلبيس مع ابنة المقوقس كذا وكذا ونصرنا الله عليهم ورحلنا الى بحر الحصى وقد كنا صالحنا قوما من أهل قرى بلاد مصر ببلاد يقال لها الجرف حتى يعينونا بالعلوفة والميرة ويجلبوا الينا الطعام واني أرسلت عبد الله يوقنا ليشتري لنا منهم طعاما ومضى في خيله وسرت بنفسي رسولا الى مخاطبة القوم وهموا بالقبض علي ونجاني الله منهم وانهم أكمنوا لنا كمينا من الليل واشغلونا برسول والكمين كان من الليل فلما استوت صفوفنا الى الصلاة كبسوا علينا ونحن في الصلاة فلم نشعر حتى بذلوا فينا السيوف وقتلوا منا أربعمائة وستة وثلاثين رجلا والاعيان منهم ستون ختم الله لهم بالشهادة ونحن الآن في بحر متلاطم امواجه من كثرة القوم والعساكر فأنجدنا يا أمير المؤمنين وأدركنا بعسكر ليعيننا على عدونا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختم الكتاب وأعطاه لعبد الله بن قرط فسار من ساعته وجد في السير الى أن وصل المدينة فقدمها في العشر الاوسط من شوال سنة اثنين وعشرين من

الهجرة فأناخ مطيته بباب المسجد ودخل فراى عمر بن الخطاب عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن قرط فدفعت الكتاب اليه فنظر الى وقال عبد الله قلت نعم قال من أين اتيت قلت من مصر من عند عمرو بن العاص قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فك الكتاب وقرأه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال من ترك الحزم وراء ظهره تباعدت عنه فسحات الخطا ووالله ما علمت عمرا الا حازم الراى مليح التدبير ضابط الامر حسن السياسة ولكن اذا نزل القضاء عمي البصر ثم انه كتب كتابا الى أبي عبيدة وذكر له ماجرى لعمرو بن العاص بمصر وأمره أن ينفذ اليه جيشا عرمرما وانفذ الكتاب مع سالم مولى أبي عبيدة قال عبد الله ابن قرط فأقمت فى المدينة يومين واستأذنته في المسير فزودني من بيت المال وكتب الى عمرو يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغنى ماجرى لكم بمصر من غدر عدوكم كما سبق فى أم الكتاب وكان يجب عليك يا ابن العاص أن لا تطمئن الى عدوك ولا تسمع منه حيلة وما كنت اعرفك الا حسن الرأي والتدبير ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا فاستعمل النشاط فى أمرك ولا تأمن لعدوك واستعمل الحذر فان الامام ما يكون الا على حذر والله يعيننا واياك على طاعته وقد أنفذت الى أبي عبيدة انه يرسل اليكم جيشا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختمه وسلمه لعبد الله بن قرط قال فأخذته وسرت وأنا أجد السير حتى أتيت مصر ودفعت الكتاب لعمرو بن العاص فقرأه على المسلمين ففرحوا بذلك وأقاموا ينتظرون اخوانهم حدثنى ابن اسحاق حدثنى سهل بن عبد ربه عن موسى بن عبد الرزاق قال لما كبس ابن المقوقس جيش المسلمين ورجعت دائرة السوء عليه وقتلوا عن آخرهم وبلغه الخبر بكى على ابن عمه وحلف بما يعتقده من دينه انه لا بد له ان يأخذ بثارهم ثم انه أمر ارباب دولته ان يجتمعوا بالكنيسة المعلقة فى داخل قصر الشمع فاجتمعوا فجلس على سرير عند المذبح وقام فيهم خطيبا فقال يا اهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية اعلموا ان ملككم عقيم وبلدكم عظيم وهذه بلاد الفراعنة ممن كان قبلكم وقد ملكها عدة ملوك ممن احتوى على الاقاليم وملكها مثل الملك المعظم من آل حمير ومثل مستقفان والستق والمحسان وهو بانى هذه الاهرام وماريد بن كنعان ولقمان بن عاد وذى القرنين الملك العظيم وانقضى ملكهم منها ورجع الى سبا وارضها وحضرموت وقصر عمان ثم تولى هذه الارض القبط من آبائكم وأجدادكم اطسليس وبليوس والريان بن الوليد وهو الذى استخلص يوسف لنفسه والوليد وهو المكنى بفرعون وبعدهم طلماوس ثم جدى راعيل ثم أبى المقوقس وجميع ملوك الارض تحسدنا على ملك مصر وهؤلاء العرب الطماعة وليس فى العرب أطمع منهم فانى أراكم قد كسلتم وفشلتم عن لقائهم طمعوا فيكم وفى ملككم كما طمعوا فى ملك الشام وانتزعوه من أيدى القياصرة فقاتلوا عن اموالكم وحريمكم واولادكم واما انا فواحد منكم واعلموا ان الملك المقوقس قد امرنى بلقاء هؤلاء العرب وقال انه لا يظهر اليهم حتى ارى ما يظهر من قومى وارباب دولتى فما تقولون وما الذى اجتمع عليه رأيكم فقالوا ايها الملك انما نحن عبيد

هذه

هذه الدولة وغلمانهـا فانها قد استعبدت رقابنا بنعمتها واحسانها ونحن نقاتل لمحبتها فاما أن نرزق النصر من المسيح واما ان نموت فنستريح قال فشكر قولهم وخلع على اكابرهم وقال لهم اخرجوا واضربوا خيامكم ظاهر البلد مع القوم وطاولوهم بالمبادرة الى أن يأتي الينا نجدة من ملك النوبة والبجاة فاجابوا الى ذلك وأمروا غلمانهم بان يضربوا الخيام خارج البلد فضربوها مع النور والرصد قال ابن اسحاق رفى ليلتهم تلك جاءتهم الاخبار بانه وقع بين ملك النوبة وملك البجاة حرب وانه ما يجيبكم منهم أحد وأخرجوا الملك ارسطوليس سرادقاً عظيماً وسط جيش القبط قال وأخذ المسلمون على انفسهم واقبلوا يحرضون بعضهم ويحرسون قومهم بالنوبة فكان عمرو فى اول الليل يطوف حول العسكر فاذا انتصف الليل ويزيد بن أبى سفيان فى آخر الليل والنور على عسكرهم والاعيان لا تهجع ليهم واصواتهم مرتفعة بالقرآن وبذكر الله وبالصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق فلما وصل كتاب عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة وقرأه على المسلمين قال لخالد بن الوليد يا أبا سليمان ما ترى من الرأى فقال اذا كان أمير المؤمنين أمرك ان تنجد عمرو بن العاص فانجده فقال ابو عبيدة ان الطريق الى مصر بعيد وان انا أرسلت جيشا كبيرا خفت عليه من بعد الطريق ومن المشقة فقال خالد كم جهدك ان ترسل قال أربعة آلاف فارس فقال خالد ان الله كفاك ذلك قال وكيف ذاك يا أبا سليمان قال ان عزمت على ما ذكرت فابعث أربعة من المسلمين فهم مقام أربعة آلاف فارس فقال أبو عبيدة من الاربعة قال خالد انا أحد الاربعة والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر ومالك بن الحارث فلما سمع أبو عبيدة ذلك تهلل وجهه وقال يا أبا سليمان افعل ما تراه فدعاهم خالد واعلمهم بما عزم عليه فقالوا سمعا وطاعة فقال خذوا على أنفسكم فنحن نسير هذه الليلة قال فلما صلى أبو عبيدة بالناس صلاة المغرب قدم الثلاثة الى قبة خالد فركبوا وودعوا أبا عبيدة والمسلمين وأخذوا معهم دليلا يدلهم على الطريق الى وادى موسى والشوبك وأخذوا معهم ما يحتاجون اليه وساروا يريدون مصر فاذا هم يجدون الى ان قربوا من عقبة ايليا واذا هم بخيل ومما يا تزيد على الف فارس فاسرعوا اليهم فاذا هم من ثقيف وطى ومرداس قد وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بن قيس وبشار بن عون قال فلما رأوهم سلموا عليهم ورحبوا بهم واستبشروا بالنصر لما رأوا خالدا وعمارا والمقداد ومالكا وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير وساروا باجمعهم قال حدثنا يوسف بن يحيى عن دارم عن منصور بن ثابت قال كنت فى جملة الوفد الذى وجهه عمر رضى الله عنه مع رفاعة وبشار والتقينا بخالد بن الوليد وأصحابه عند عقبة ايليا وسرنا معهم حتى وصلنا أرض مصر وقربنا وبقى بيننا وبينها يومان فبينما نحن نسير فى بعض الليالى وكانت ليلة مظلمة لا يكاد الرجل ان يبين من شدة الظلام اذ سمعنا حسا بالبعد منا فوقفنا فقال خالد ايكم يأتينا يا فتيان العرب بخبر هؤلاء الذين فى هذا الجيش قال نصر بن ثابت وكنت راكبا فقفزت من ظهر الراحلة وسعيت على قدمى واختفيت حتى الى ان تبين لى جيش كثير فتحققت أمرهم فاذا هم جيش من العرب المتنصرة

وهم يزيدون على ثلاثة آلاف وهم ركبان المطايا والخيل فقلت والله لا عدت الى أصحابى الا بالخبر اليقين قال فاتبعت أثرهم لاسمع ما يقولون وما يتحدثون فمشيت معهم قليلا فاسمعهم يقولون اذل الصليب اعداءنا فانا قد أصابنا التعب ولحقنا الجهد ومن وقت خروجنا من مدين لم نجد أحدا ومصر قد قربنا منها فانزلوا لنأخذ راحة ونريح مطايانا ونعلق على خيلنا واذا بمقدامهم يقول وحق المسيح ما بغيتنا الا فى الخلع والاموال من ملك مصر ولكن اذا عولتم على الراحة فانزلوا قال فنزل القوم على ماء يعرف بالغدير واقبلوا يجمعون الشيح ويضعون لهم الزاد وعلقوا على خيولهم وتركوا ابلهم ترعى قال نصر بن ثابت فعلمت أن القوم من متنصرة العرب فتركتهم واتيت الى أصحابى وحدثتهم بذلك فحمدوا الله كثيرا واثنوا عليه وقالوا لخالد ما الذى ترى فقال أرى أن تركبوا خيلكم الآن وتستعدوا للحرب ونسير اليهم ونكبسهم فانهم قد اتوا الى نصرة صاحب مصر وما أتوه الا بمكاتبة لهم يستنجدهم على أصحابنا قال فسلوا سلاحهم وركبوا الخيل وتركوا رواحلهم مع المطايا والرحال وساروا خيلا ورجالا الى أن قربوا من نيران القوم فصبروا حتى خمدت وناموا وافتسلوا عليهم كتسلل القطا فقال دوروا بالقوم ولا تدعوا أحدا منهم ينفلت من ايديكم فينذر بكم عدوكم قال فداروا بهم كدوران البياض بسواد الحدق واعلنوا بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فما استيقظ اعداء الله الا والسيف يعمل فيهم ووقعت الدهشة فى القوم وهم فى أثر النوم فقتل بعضهم بعضا ووقف بن قيس ومعه جماعة من العبد منهم وبشار ورفقته وكل من انهزم أخذوه فلما أصبحنا رأينا القتلى منهم الفا واسرنا منهم الفا فاعرضوهم على خالد فقال حدثونى من أين جئتم والى أين مقصدكم فقالوا انا قوم من متنصرة العرب وكانا كا أصحاب الشام فلما هزمتم الملك هرقل رحلنا من أرض الشام ونزلنا أرض مدين ونحن على خوف منكم وكاتبنا صاحب مصر وهو المقوقس لعله ان يأذن لنا ان نكون من أصحابه ونكون له عونا عليكم فأجابنا الى ذلك فبعثنا الخيل العربية الى ولى عهده وصاحب الامر من بعده فلما كان فى هذه الايام جاءتنا خلعة ورسالة بالدخول الى مصر فدخلنا اليهم فوقعتم بنا فلما سمع خالد منهم ذلك قال من حفر لاسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبا ثم عرض عليهم الاسلام فابوا فامر بقتلهم فقتلناهم عن آخرهم وقسمنا رحالهم وما كان معهم ووجدنا معهم الخلع التى وجهها اليهم ابن المقوقس ففرقها خالد على المسلمين وفيها خلعة سنية وكانت تقدم القوم فاعطاها لرفاعة وساروا حتى قربوا من الجبل المقطب فرأوا جيش المسلمين فارسل خالد رجلا من قبله وهو نصر بن ثابت وقال له امض الى هذا الملك وقل له ان العرب اصحاب مدين قد أتوك لنصرتك قال فمضى الرجل الى ان وصل الى عسكر القبط فاخذه الحرس وقالوا له من انت قال انا مبشر الى الملك بقدوم العرب المتنصرة الى نصرته قال ابن اسحاق فاخذوا نصر بن ثابت واتوا به الى سرادق الملك فلما وقفت بين يديه نادانى الحجاب ان اسجد للملك ففعلت وانا اسجد لله تعالى حتى لا ينكروا على وكان قد صح عندهم انه من امتنع من السجود فهو مسلم قال فلما رفعت رأسى قال لى الوزير يا أخا العرب أوصلوا أصحابك الى نصرة الملك فقلت نعم وها هم فى دبر

الجبل المقطب قال فلما سمع الملك ذلك امر من حجابه اناسا ان يمضوا الى اقائهم وسرت فى جملتهم
واخذوا معهم الجنائب واظهروا زى الفراسنة وخلع على نصر بن ثابت عوض بشارته وساروا
الى اقاء المتنصرة قال حدثنا عسكر بن حسان عن رفاعة بن اوس عن موسى بن عون عن جده
نعيم بن مرة قال كنت فيمن وجه عمر بن الخطاب من اهل نخلة وكان خالد يحبنى و يقربنى لان أبى
كان يسافر له ببضاعة الى سوق بصرى قال فلما رأى خالد اصحاب الملك وهم قد اتوا قال لى خالد
يا ابن مرة أريد ان اوصيك فقلت بماذا قال اعلم أن العدو قد ارسل يلاقينا وهو يظن اننا من
متنصرة العرب ولا شك ان عمرو بن العاص ومن معه تحفل قلوبهم منا واريدك ان تنزل عن
فرسك وتكمن خلف هذه الحجارة فاذا خلا لك الطريق فانسل نحو عسكر المسلمين وحدثهم
بامرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم فان عمر الا يطمئن لغيرك واقرأه سلامى وقل له يكن
على اهبة فاذا سمع تكبيرنا يأمر اصحابه ان يرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فان ذلك مما يزيد
فى رعب اعدائنا فقال نعم قال وفعلت كما امرنى خالد ونزلت عن فرسى واسلمتها الغلامى دارم
ومضيت نحو الجبل وكمنت بين الاحجار (قال الراوى) وان خالدا امر اصحابه بلبس الخلع
التى ارسلها لهم ابن المقوقس فلبسوها فوق دروعهم ولبس رفاعة بن قيس و بشار بن عون
احسنها وغير خالد زيه والمقداد وعمار ومالك الاشتر قال فلما وصل مقدم جيش القبط قال
خالد لرفاعة و بشار ترجلوا له واصقعوا بين يديه وصلبوا على وجوههم فليس عليكم فى ذلك
حرج واحلفوا بالمسيح والسيدة مريم واياكم والغلط بأن تذكروا محمدا صلى الله عليه وسلم فيفطن
القوم بنا واجعلوا الجهاد نصب اعينكم وتوكلوا على الله فى جميع اموركم قال ففعلوا ما قال لهم
خالد وترجلوا عند رسول القبط وصقعوا قال حدثنا نصر بن عبد الله عن عامر بن همار قال
يا عم اعلم ان الله اذا أراد أمرا هيأ اسبابه وذلك اننا لما اشرفنا على أول ديار مصر نزلنا على دير
يقال له دير مرقص وكان ديرا عامرا بالرهبان فلما نزلنا عليه أشرف علينا اهله وقالوا من انتم
قلنا نحن من اصحاب الملك هرقل ملك الشام وقد جئنا النصرة صاحبكم فانه قد ارسل الينا
ليستفزنا لاجل هؤلاء العرب قال ففرحوا بنا ودعوا لنا وكان كبيرهم والمقدم عليهم فى دينهم
شيخا كبيرا وكان من قسوس الشام وكان من اعلم القوم فى دينهم واعرف الناس بآل غسان
وكانت الضيحا اقطعها هرقل للملك الهاشم بن جبلة وكان قد جعل على جبايتها ولد هذا التى
وكان اسمه نوبلس وان المسلمين لما فتحوا بعلبك وحمص هرب هذا القس بامرأته واولاده الى
طرابلس وركب البحر فى مركب وتوصل الى مصر وبلغ خبره المقوقس فاحضره وسأله عن حاله
فحدثه بامره فخلع عليه وجعله قيما فى الكنيسة المعلقة التى فى قصر الشمع وصار من اصحاب
الملك واقربهم اليه وكان البترك غالب سكناه فى دير مرقص ولا يدخل فى مصر الا فى أمر مهم فلما
نزل عمرو ومن معه عليهم وقتل ابن المقوقس أباه احتاج الى رأى البترك فارسل اليه وانزله فى
الكنيسة وولى البترك مكان هذا القس تونلس بن لوقا فكان فى الدير فلما نزل خالد بن الوليد
ومن معه على الدير قال عامر بن المبارك الثعلبى فاشرف علينا رتأملنا وكان اعرف الناس بخالد

ابن الوليد لانه رآه فى مواطن كثيرة من الشام وكان صاحب حمص قد أرسله رسولا الى أبى عبيدة ليصالحوهم قال فجعل يتفقدهم وينظر فى وجوههم ثم قال وحق المسيح ما انتم من آل غسان وما أنتم الا من عرب الحجاز وقد جئتم لتحتالوا علينا فانى رأيت امامكم الذى فتح الشام وقتل ملوكها وسوف اكاتب الملك بقصتكم ليقبض عليكم فقالوا ما عندنا خبر من الذى تقوله وقد خيل اليك ذلك أما علمت ان المسلمين ما خلوا لنا حالا وقد نهبونا وأصبحنا بالذل بعد العز والفقر بعد الغنا وقد كتب الينا ملك مصر بان نجىء اليه فارسل الينا بالخلع وطيب قلوبنا قال عامر فضحك اللعين من قولى وقال لى ان آل غسان اكثرهم يعرف بكلام الروم وحق دينى ما أنتم منهم وقد صح قولى انكم مسلمون فقلنا له ياويلك لو كنا من الذين تقول عنهم ما كنا نأتيكم بالنهار وكنا نكمن ونسير فى الليل حتى نصل الى أصحابنا وانك استحقرت المسيح اذ جعلتنا من أصحاب محمد فقد وقعت فى ذنب عظيم ثم اننا نزلنا بالقرب منهم فقال أصحابه يا أبا ناليس هؤلاء القوم مما ذكرت فلو كانوا مسلمين ما جسروا ان يدخلوا أرض مصر فى ضوء النهار ولا يقربوا العمران فقال وحق دينى أنا أعرف الناس بهم وانهم مسلمون بلا شك وامتنعوا منهم ولا تخرجوا لهم طعاما ولا ماء وسأنفذ اخبر الملك بذلك ليكون منهم على حذر قال عامر بن هبار وكان من لطف الله بنا ان الرهبان الذين بالدير لما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض فيجب علينا أن نأخذ لنا منهم صلحا فنكون آمنين من غائلتهم ولا نبرح من ديرنا هذا فقال لهم اكبرهم ان أنتم فعلتم ذلك فاننا لا نعلم من ينصر من الفريقين أصحابنا أم العرب فان كان النصر لاصحابنا خفنا من هذا القس ان يعلم بنا الملك بانا صالحنا المسلمين بغير أمره فانه يقتلنا ان هذا اللعين تعلمون انه على غير مذهبنا وهو فى كل يوم يكفرنا لانه نسطورى ونحن يعقوبية فان أنتم اردتم صلح هؤلاء العرب فدونكم وهذا القس فاضبطوا عليه وسلموه لهم وخذوا منهم امانا قال ففعلوا ذلك وقبضوا عليه وأشرفوا علينا وقالوا انا بحق ما تعتقدون من دينكم أنتم من أصحاب محمد أم لا فانا قد قبضنا على هذا اللعين ونريد ان نسلمه لكم وانكم تعطونا امانا فانا قوم لا نعرف حربا ولا قتالا فقال لهم مالك الاشتر يا هؤلاء اما ما زعمتم من صلحنا فانا نصالحكم وما كان امرنا بالذى يخفى ولا نرضى بالكذب فانه أشنع شىء عندنا ولا سيما ان الاسلام يمنعنا من استعماله ولو ان السيف على رأس الواحد منا اذا سئل عن دينه لاجاب به وتكلم بوحدانية الله تعالى ونحن من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولكم الامان وهذا أمان الله ورسوله قال فلما سمع الرهبان من مالك ذلك نزلوا وفتحوا الباب وسلموا لنا القس فقال له خالد يا عدو الله أردت أمرا وأراد الله خلافه ثم انه اعرض عليه الاسلام فابى وقال أنا هربت منكم من الشام ثم اوقعنى المسيح فى أيديكم وما شك الا ان المسيح مسلم فافعل ما أردت فضربوا عنقه قال عامر بن هبار وخرج الينا اهل الدير باجمعهم ومعهم الطعام والعلوفة فاكلنا واقمنا عندهم الى الليل فقال

شيخهم الذى أشار عليهم بقبض القس الرومى لخالد ايها السيد انى قد تفرست فيك الشجاعة فبالله من أنت من اصحاب محمد فقال أنا خالد بن الوليد المخزومى فقال أنت وحق دينى الذى فتحت بلاد الشام واذللت ملوكها وبطارقتها وان صفتك عندى ثم انه دخل الدير واتى ومعه سفط ففتحه واذا فيه بين أوراقه ورقة وفيها صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وزيه وصورته وصورة أبى عبيدة وصورة خالد بن الوليد والسيف فى يده مشهور وقال مازلت اسمع اخبارك كلها فلم عزلك عمر بن الخطاب وولى غيرك فقال خالد اعلم ان عمر هو الامام وهو الخليفة ومهما أمرنا فلم نخالفه فان الله أمرنا بذلك فى كتابه فقال تعالى أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فطاعته فرض علينا لانه يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وانا قد وجهنا اليه من خمس الغنائم من الفتوح كله من الاموال فما ازداد فى الدنيا الا زهدا ولا آثر الدنيا على الآخرة بل مجلسه على التراب ولباسه المرقعة ويمشى فى سوق المدينة متواضعا راجلا فالتواضع لباسه والتقوى أساسه والذكر شعاره والعدل فى الرعية دثاره ومازال يعطف على اليتيم ويرفق بالارملة والمسكين ويرفد ابناء السبيل فظ فى دين الله غليظ على أعداء الله قائم بشعائر الله لا يستحى من الحق ولا يداهن الخلق فقال القس اكانت له الهيبة على عهد نبيكم قال خالد نعم سمعت سعد بن أبى وقاص يقول استأذن يوما عمر فاذن له فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر اضحك الله سنك يارسول الله قال عجبت من هؤلاء اللواتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر انت أحق ان يهبنك وقال لهن ياعدوات انفسكن اتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت فظ غليظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غيره قال فلما سمع القس ذلك قال بركة نبيكم عادت على امامكم وعليكم فقال خالد ومايمنعك عن الدخول فى ديننا فقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء ثم قال لخالد اريد ان أعطيكم من مال هذا الدير حتى تكمل حيلتكم قال وأخرج لهم صلبانا كثيرة فاخذها خالد ودفعها لرفاعة ابن قيس وبشار بن عون وتزيوا بزى الذين قتلوهم من آل غسان وارتحل خالد بعدما وكل بالدير عشرة من أهل وادى القرى لئلا يخرج منهم أحد باخبارهم ويتقربوا للملك بذلك قال وعدنا الى سياق الحديث قال فلما أشرف أصحاب ابن المقوقس عليهم رأوهم وقد لبسوا لامة الملك وعلقوا الصلبان وشدوا الزنانير ورفعوا صليبا فضة كان قد اخرجه لهم القس فلما صقعوا للحجاب ركبوا وساروا حتى وصلوا الى سرادق الملك فترجلوا وقد أخذوا لهم اذنا فاذن لهم فدخلوا ودخل فى الاول رفاعة وبشار وخدموا الملك وسجدوا له ولم يدخل خالد ومن معه ووقفوا مع بقية العرب خارج السرادق وان الملك لما رآهم قال لهم يامعاشر العرب أنتم تعلمون محبتنا لكم وتقربنا اليكم وقد طلبتم ان تكونوا اعوانا على هؤلاء العرب فان صحتم لنا فى دولتنا شاركناكم فى مملكتنا وقاسمناكم فى ملكنا ونعمتنا فقال له رفاعة ابشر أيها الملك سوف ترى

مانبذله فى محبتك يوم الحرب قال فخلع عليه وخرج من عنده وأمرلهم بخيام تضرب فى عسكرهم قال حدثنا عامر بن أوس عن جرير بن صاعد عن نوفل بن غانم عن سهل بن مسروق قال لما قدم الجيش الذى وجهه عمر بن الخطاب مع رفاعة وبشار وكان من أمرهم ما ذكرناه ونظر اليهم عمرو بن العاص ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلوا ينظرون اليهم والى زيهم فقال معاذ لعمرو ما هؤلاء من المتنصرة وان نفسى تأبى ذلك فقال عمرو والله يا أبا عبد الرحمن لقد نظرت بنور الله وانى نظرت فيهم واحدا واحدا رأيتهم زى وادى نخلة وزى وادى القرى وزى الطائف فقال شرحبيل بن حسنة وأنا نظرت اعجب من ذلك انى رأيت خالد بن الوليد فى جملتهم ولاحت لى عمامته وقلنسوته وثيابه التى كانت عليه يوم دخول طرابلس فقال يزيد بن أبى سفيان أنا والله رأيت مالكا الاشتر النخعى وعرفته بطول قامته وركبته على فرسه ثم قالوا الأبدان ينكشف لنا خبرهم على جليته فهم فى الحديث واذا قد أتاهم نعيم بن مرة فلما رأوه تهللت وجوههم فرحا وسرورا فلما وصل اليهم وسلم عليهم وحدثهم بالحديث كله سجد والله شكرا وقال بعضهم لبعض ايقظوا هممكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا سمعتم التكبير فى عسكر العدو بادروا اليهم قال ابن اسحاق ولله فى خلقه تدبير وذلك انه لما جن الليل جمع ارسطوليس بن المقوقس ارباب دولته وقال لهم قد ضاق صدرى من هؤلاء العرب وقال لهم قد غلوا السعر عندنا الان البلاد قد استحلت من خوفهم وان خيلهم تضرب الى الريف من هذا الجانب والى الصعيد من هذا الجانب والنوبة والبجاة ما يأتينا منهم أحد للفتنة التى هى بينهم والرأى عندى ان نحارب هؤلاء العرب صبيحة عيدهم قالوا أيها الملك هذا هو الرأى فقال اخرجوا السلاح وفرقوه على من لامعه سلاح هذا ما جرى عنده وليس عنده خبر بما جرى فى قصره بعده قال ابن اسحاق وكان من حسن تدبير الله تعالى لعباده المؤمنين انه كان للمقوقس أخ شقيقه واسمه ارجانوس وكانا متحابين وكان المقوقس لا يقطع امرا دونه وكانا اذا ركبا لا يفترقان واذا جلسا يجلسان معا على السرير وكان المقوقس قد دخل فى خلوته التى ذكرنا وكان أخوه من محبته قد رتب هناك من يعرفه لما يخرج من خلوته فلما كان فى هذه النوبة استبطأه فاتى الى ابن اخيه فرآه على السرير فقال له ما فعل الملك فقال انه فى خلوته الى الآن وقد رأى ان طالعه ضعيف مع هؤلاء العرب وقد أمرنى ان أكون مكانه حتى يرى ما يريد من قتالهم أو صلحهم قال فكتم ارجانوس الامر فى نفسه وعلم ان اخاه قد قتل وكان ارجانوس ممن يعتقد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويعلم ان دعوته تطوف المشرق والمغرب وان الملوك تضمحل فى أيام أصحابه وسينزلون على البلاد فترك ارجانوس الامر موقوفا ولم يبد ما فى نفسه لاحد فلما خرج ابن أخيه مع العسكر جمع ارجانوس الذين تركهم ابن اخيه لحفظ البلد فى قصر الشمع وقال لهم اعلموا ان العقل هو قوى ابن آدم لان الله قد خصه به دون سائر المخلوقات وان أخى قد قتله ولده لا محالة وقد كان محبا لكم ومشفقا عليكم واعلموا ان هؤلاء العرب قد كان قدامهم من ملكه اعظم من ملككم وما ثبت بين

ايديهم

ايديهم وليس بين دواتكم وبين ان تزول وتضمحل الاان يلتقى هذان الجيشان وان ظفروبكم هؤلاء العرب قتلوكم ونهبوكم وسكنوا فى مساكنكم وايتموا أولادكم فقالوا له أيها الملك فما يكون عندك من الرأى وما تفعل قال انى ارى من الرأى أن تستقظوا الانفسكم وتغلقوا أبواب هذا القصر ولا تدعوا أحدا يدخل عليكم من جند الملك ولا هو بنفسه فانهم لا يقدرون أن يقاتلوكم والعرب من ورائهم وانهم يعدون الى الجانب الغربى ويمضى الى اسكندرية ونعتقب لنا صلحا مع هؤلاء العرب على انفسنا واولادنا وحريمنا ونسلم لهم بعد ذلك فمن أراد يتبعهم ومن أراد يعطيهم الجزية قال فاستصوبوا رأيه وعلموا انه نطق بالحق وكان ارجانوس له فى سرايته ألف مملوك قال فاحتوى على قصر الملك وأخذوا الخزائن والاموال وغلق أبواب قصر الشمع وفعل مافعل وليس عند ابن أخيه خبر الى ان ذهب من الليل نصفه أو أكثر فجاء اليه بعض خدمه وأخبره بما فعل عمه فايقن بتلافه وخروج ملك مصر منه قال فبينما هو فى حيرة من أمره اذ كبر خالد بن الوليد ومن معه فى وسط عسكره فسمع عمرو وأصحابه التكبير فكبروا ووقعت الخذلة على الكفار وحملت فيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيوف فلما نظر ارسطوليس الى مانزل به والكبسة التى وقعت بعسكره لم يكن له دأب الاان ركب وا حدقت به مماليك ابيه وارباب دولته وطلبوا الهزيمة وقصدوا البحر وعدوا الى الجانب الغربى وطلبوا اسكندرية فجازوا على مدينة مريوط وفيها الموبذان الساقى ومعه ثلاثة آلاف من عسكره فلما ان صاح الصائح فى مصر بان الملك انهزم ومابت احد من عسكر القبط وولوا والسيف يعمل فيهم وغرق منهم فى البحر خلق كثير ونصر الله المسلمين انهزموا قال ابن اسحاق حدثنى من اثق به انه قتل فى تلك الليلة من عسكر القبط خمسة آلاف وغنم المسلمون اثقالهم وما كان فيها من الاموال فلما اقبل الصباح اجتمع خالد بالمسلمين وسلم بعضهم على بعض وهنوهم بالسلامة ودخلوا مصر وملكوا دورها واحاطوا بقصر الشمع فاشرف عليهم ارجانوس بن راعيل اخو المقوقس وقال لهم يا فتيان العرب اعلموا ان الله قد امدكم بالنصر وقد فعلت فى حقكم كذا وكذا ولولا حيلتى على ابن اخى لما انهزم منكم وقد ظفرتم الآن ونحن نسلم اليكم على شرط انكم لا تتعرضوا الينا ولا تمدوا ايديكم لنا بسوء ومن أراد منا أن يبقى على دينه يؤدى الجزية ومن أراد أن يتبعكم يتبعكم فقال له معاذ ابن جبل قد نصرنا الله على الكفار بصدق نياتنا وصالح اعمالنا واتباعنا للحق وانا ما قلنا قولا الا وفيناه ولا استعمل لنا الغدر ولا المكر وأنتم لكم الامان على أنفسكم وأموالكم وحريمكم وأولادكم ومن بقى منكم على دينه فلن نكرهه ومن اتبع ديننا له مالنا وعليه ما علينا فلما سمع ارجانوس ذلك نزل اليهم بالمفاتيح فامنوه وامنوا من كان معه فى القصر وجمعوا أكابر مصر ومشايخها وقالوا لهم ان الله قد نصرنا عليكم وقد انهزم ملككم منا وأنتم الان فى قبضتنا وقد صرتم مماليكنا ومن أسلم منكم قبلناه ومن ابى استعبدناه فقالوا أيها الامير ما هكذا بلغنا عنكم قال وما الذى بلغكم عنا قالوا سمعنا عنكم ان الله قد اسكن الرحمة فى قلوبكم وأنتم تعفون عن من ظلمكم وتحسنون الى من أساء اليكم وأنت تعلم اننا قوم محكوم علينا ولو كان الامر الينا

لاتبعنا كم فارفقوابنا وانظروا فى أحوالنا فقال عمرو لاصحابه وللامراء ماترون من الرأى فى امر هؤلاء القوم فقال شرحبيل ابن حسنة تصنع ما امر الله به من العدل فيهم وتحسن اليهم وتطيب خواطرهم فاننا اذا قصدنا غير هذه المدينة فيسمع ايها الامير عنك أهل المدينة الاخرى بما فعلته مع اهل مصر فيسلمون بغير منازعة ولا حرب فقال معاذ بن جبل وخالد بن الوليد والمقداد وعمار ومالك وربيعة ويزيد القول الذى قاله كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعمول به فقال عمرو لاهل مصر قد أمناكم على انفسكم واولادكم وحريكم منة منا عليكم وقد اهدرت عنكم جزية هذه السنة وفى السنة الآتية اخذنا منكم الجزية من كل محتلم اربعة دنانير ومن اسلم منكم قبلناه قال فلما سمع ارجانوس بن راعيل كلام عمرو قال لقد انصفت وان الله بهذا نصركم وقد وقفت الآن على صحة دينكم وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واشهدوا على ان كلما تركه اخى من الاموال والاصول والثياب والمتاع هو هبة منى اليكم بما فعلتم مع اهل بلدى قال فلما نظر اهل مصر الى ارجانوس وقد اسلم دخل اكثرهم فى الاسلام وعمد عمرو الى الكنيسة وعملها جامعا وهو المعروف به الى يومنا هذا وجمعوا الاموال التى اخذوها من وراء القبط المنهزمين ومن منازلهم وما كان فى قصر الملك واخرج الخمس واعطى كل ذى حق حقه ثم كتب كتابا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعث الخمس والكتاب مع علم بن سارية وسلم المال والكتاب له وسير معه مائة فارس وامره بالمسير الى المدينة فاستلم الخمس وسار حتى قدم المدينة وسلم المال والكتاب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما قرأه سجد لله شكرا وامر بالمال الى بيت المال فقال علم بن سارية يا امير المؤمنين ان عمرا يسلم عليك ويقول لك ان القبط كانوا استسنوا سنة فى نيلهم فى كل سنة وذلك انهم كانوا اذا ابطأ عليهم الوفا فى النيل يأخذوا جارية من احسن الجوارى ويزينوها باحسن زينة ويرموها فى البحر فيأتى الماء ويفى النيل وقد قرب ميقات ذلك ولا يفعل عمرو شيئا الا باذنك قال فكتب عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت مخلوقا لا تملك ضرا ولا نفعا وانت تجرى من قبل نفسك وبأمرك فاقطع ولا حاجة لنا بك وان كنت تجرى بحول الله وقوته فاجر كما كنت والسلام وامره ان يدفعه لعمرو بن العاص يرميه فيه وقت الحاجة اليه ثم انه كتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالسلام عليك وانى احمد الله اليك واصلى على نبيه واذا وصل اليك كتابى فاطلب اعداء الله حيث كانوا واياك ان تلين جانبك لهم وانظر فى احوال الرعية واعدل فيهم ما استطعت واطلب العفو بالعفو عن الناس واجر الناس على عوائدهم وقوانينهم وقررلهم واجبا فى دواوينهم واعل رسوم العافية بالعدل فانما هى ايام تمضى ومدة تنقضى فاما ذكر جميل واما خزى طويل ثم انه سلم الكتاب الى علم بن سارية فسار هو ومن معه الى ان قدموا مصر وسلم الكتاب الى عمرو فاما كتابه فقرأه على المسلمين واما كتاب النيل فانهم قد كانوا اعدوا الليالى الوفاء وتوقف النيل على الوفاء وقد ايس الناس من الوفاء فى تلك السنة

فمضى عمرو الى النيل وخاطبه ورمى فيه كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فلما رماه فيه هاج البحر وزاد الى فوق الحد ببركة عمر بن الخطاب وانقطعت عن أهل مصر تلك السنة السيئة ببركة عمر رضى الله عنه حدثنا محمد بن يحيى بن سالم عن عدى بن يحيى بن عوف قال لما بلغنا أن عمرا فتح مصر وأتى الى الكنيسة المعظمة عندهم وجد فى مذبحها بيتا مغلقا واذا فيه صورة من الفضة وامام الصورة شخص آخر وفى يده اعلام وهى على صفة الصورة التى وجدها النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة لما فتح مكة فدعا عمرو بالاقسة وقال لهم ماهذه الصورة قالوا هذه صورة ابراهيم وأبوه آزر فتبسم عمرو وقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فقال معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلقى ابراهيم اباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصنى فيقول آزر اليوم لا اعصاك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى اخزى من هذا فيقول الله حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول له ياابراهيم انظر الى ماتحت قدميك فينظر الى الريح وقد اخذت أباه فتلقيه فى النار قال ثم أمر عمرو بالصورتين فكسرتا وعبر عسكر المسلمين الى الجانب الغربى وقد تقدم خالد فترحل الى نحو الاسكندرية وتقدم على مقدمته عبد الله يوقنا وسار يوما وليلة هو وبنو عمه وهم بزى الروم

❊(ذكر فتوح مدينة مريوط)❊

قال ابن اسحاق وكان قد بلغ الموبذان الذى مع الثلاثة آلاف وهم فى مدينة مريوط وقد حصنها ما حصل فلما قدم عليه يوقنا قال له الموبذان ما الذى اقدمك علينا فقال يوقنا ان المسلمين وجهونى اليك وهم يحرضونك على خلاص نفسك وهم يأمرونك بتسليم هذه المدينة اليهم ولك الامان على نفسك واهلك ومالك ومن أردت ولك الخيار فى المقام تحت يد الاسلام والانفصال فان اخترت المقام فلا مانع يمنعك وان اردت المسير أوصلناك الى اى موضع اردت فلما سمع الموبذان ذلك قهقه ضاحكا وقال وحق دينى ان الغدر شعاركم والمكر دثاركم فلا أفلح من آمن اليكم وأما أنا فلا اخون الملك فى بلده وانا واياه فى ارض واحدة وسوف ابعث اليه بان قدم اليه واساعده عليكم جزاء بما عملتموه من الخديعة وستعلمون على من تدور الدائرة ومن يكون المغبون فى الآخرة وانتم يامعشر الروم قد كفرتم بالمسيح وجحدتم السيدة أم النور وخرجتم من ملة الحواريين واردتم هؤلاء العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد ولن يغنوا عنكم شيئا ووحق المسيح لابعثن بكم الى الملك فيقتلكم على كفركم وكان يوقنا قد ترك جماعته ومضى فى عشرين رجلا منهم لعله يعمل عليه حيلة فلما دخل عليه انزله فى دار الضيافة فوضعوا سلاحهم فلما أكلوا الطعام وتحادثوا وكان قد فطن بهم وأمر غلمانه ان يكونوا على حذر وان يهجموا عليهم فيقبضوهم يريد بذلك أن يرسلهم الى الملك الى اسكندرية ورماهم فى بيت مظلم فى دار

امارته واقام ينتظر غفلة من عسكره وكانوا قد أحاطوا بالبلد ووكل بهم جارية اسمها رينا وهى
أخت مارية التى ارسلها المقوقس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اختها شقيقتها وسلم
اليها المفاتيح لعزتها عنده وقال لها احتفظى عليهم لارى ما أنظر فيهم قال فلما جن الليل
واشتغل عدو الله الموبذان بالشراب قال فصبرت رينا الى أن غرق فى سكره هو ومن معه وناموا
وأمنت على نفسها فأتت الى الباب وفتحت على يوقنا واصحابه وقالت لهم ابشروا الاخوف عليكم
فان الله قد جعل رحمتكم فى قلبى وانا اخت مارية التى اهداها المقوقس لنبيكم وانى أريد منكم
أن توصلونى عند اختى مارية فقال لها يوقنا ابشرى بما يسرك ولكن أخاف عليك من
عدو الله فاترين فقالت والله ماجئتكم حتى سكر ونام فقال يوقنا فعرفينا الطريق التى
نسلكه الى قومنا قالت ان هذا المكان فيه سرب يخرج الى ظهر البلد وهو مبنى من قديم
الزمان وبابه الخارج مبنى عليه قبة على اعمدة وتحتها قبر بين المقابر فكل من رآه ظن انه قبر
وان الذى بنى هذه المدينة امرأة يقال له فعمان بنت عاد وصنعت هذه المقابر التى وراء
التل وهى كأنها قصور مشيدة وكان فيها أناس سكنوها فقال يوقنا افعلى بنا مايقربك الى
الله تعالى ورسوله ولعلك أن تنزلينا من هذا السرب حتى نذهب الى اصحابنا ونأتى بهم من هذا
مادام الموبذان سكران وهو نائم فقالت سأفعل ذلك ان شاء الله تعالى غيرانى أريد ان افتح
لكم باب السرب قبله حتى لاتتعوقوا قال الراوى وقد رأينا اخت مارية مضت واشرفت على
الموبذان فاذا هو ومن معه صرعى من الخمر فتركتهم وعادت الى باب السرب لتفتحه واذا هى
تسمع وراءه حسا ففزعت ووقفت تسمع قال حدثنى عبد الرزاق بن يحيى عن سليمان بن
عبد الحميد عن سفيان الاعمش عن اوس بن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر والاسكندرية
قال لما نزل خالد بن الوليد على مريوط بجيشه تفقد يوقنا وقال لاصحابه انى من وقت بعثته
برسالتى الى مريوط للموبذان ماعاد قالوا أيها الامير انه من وقت مادخل اليه ماخرج
ونحن فى انتظاره فعلم خالد ان يوقنا مقبوض عليه فبات مهموما من اجله وكان خالد
صاحب همة وعزيمة لاينام من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس قد اخذهم
معه من كل اقليم وقد اصطفاهم لنفسه وهو يحسن اليهم وايما ذهب يكونون معه ليأتونه
بالاخبار فبينما هو فى غم بسبب يوقنا واذا هو بواحد منهم قد دخل اليه واعلمه ان ولد الموبذان
قد أتى من اسكندرية من عند ارسطوليس ومعه خلع وهدايا لابيه ومعه خمسمائة فارس
وقد بلغه انكم محاصرون أباه فترك العسكر وما معه بالبعد وانفرد ومعه خادمان وأتى وما نعلم
مايريد قال فلما سمع خالد ذلك قام وأخذ معه غلاميه هماما واربعة ممن يعتقد بهم وابعد
وقعد مع سفح التل من نحو اسكندرية ونظروا الى التل واذا بولد الموبذان ومعه الخادمان
قصدوا الى وراء التل عند تلك المقابر التى وصفتهم رينا ليوقنا وقصدوا القبة فتشهل
خالد وراءهم وفرق جماعته من اربع جهات القبة وكبسهم واذا هم قد فتحوا طابقا
فى وسط القبة فأخذهم خالد فلما رآه ابن الموبذان ارتعدت فرائصه وخاف فقال خالد ان

صد قة وبى

صدقتمونى أمنتكم وان لم تصدقونى رميت رقابكم فقال الغلام أنا أصدقك انا ولد الموبذان وكنت عند الملك فى اسكندرية وقد انفذ معى خمسمائة فارس عونا لابى وحفظا لهذه المدينة فنحن فى الطريق واذا قد جاءتنى الجواسيس بأنكم نازلون على البلد فاوقفت العسكر واتيت الى هذه القبة فقال له خالد وما الذى تريد من هذه القبة الكم فيها سلاح أم مطالب فيه مال قال لا قال فما تريد منها قال الغلام ان أمنتنى قلت لك الحق فقال له خالد قد أمنتك على نفسك فقبل يده وقال يا مولاى اريد امانا لابى ومن يلوذ به فاعطاه فقال اعلم ان هذه القبة على سرب والسرب ينتهى الى دار الامارة ودار الامارة فى وسط هذه المدينة قال فلما سمع خالد ذلك تهلل وجهه فرحا وسرورا وقبض على الغلام وعلى الخادمين وامرهما مع واحد آخر ممن معه ان يفتحوا السرب ففتحوه فارسل هماما الى العسكر وامره بأن يأتى بهم فى السر وان يأتوا معهم بالنار والزيت والقناديل وان يسرع بذلك وكان ذلك التل عال والذين فى المدينة لا ينظرون ما وراءه فلما اقبل همام بما طلبه خالد أوقدوا المسارج ونزلوا فى السرب وابن الموبذان امامه ووصلوا الى الباب واذا بربنا عند الباب تريد فتحه ليوقنا ومن معه فلما سمعت حسهم قالت من أنتم فقال خالد لابن الموبذان ان يكلمهم فقال لهم أنا فلان بن الموبذان افتحى ولا تعلمى أبى قال فلم يبق لها بد ان تفتح الباب ففتحت فصعد خالد ومن معه فقبضوا على ربنا فقالت لهم يا قوم دعونى فانى أردت أن ألتمس اصحابكم وجئت لافتح لهم هذا الباب وانزلهم اليكم وتملكون هذه المدينة من هاهنا وقد اتى بكم رب العالمين وانا ربنا اخت ماريه زوجة نبيكم فلما سمع خالد فرح وقال لها واين اصحابنا فأتت بهم عندهم فحلوا وثاقهم واتوا الى دار الامارة فوجدوا الموبذان لا يعقل على نفسه من الخمر فوكل به جماعة وامر الباقى ان يملكوا الصور وقبضوا على الحرس ونزلوا الى الابواب وكان لها بابان فكسروا اقفالهما وفتحوهما وأرسل الى بقية العسكر فدخلو المدينة والكل فى حكم الليل فلما اصبح الصباح استيقظ الموبذان ومن معه واذا بالمسلمين حولهم وكل من فى المدينة قد اسر فقال له خالد يا عدو الله لولا انى اعطيت لولدك الامان كنت قتلتك اشر قتلة ولكن خذ اهلك وانصرف فاننا قوم اذا قلنا قولا نعمل به ووفى لهم الموبذان ان ولده قد دلهم على السرب فلما خرج الموبذان بأهله قال ولده لخالد يا مولاى ان انا مضيت معه قتلنى ولست اريد بغيركم بدلا وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله فقال له خالد ان قصر ابيك وما فيه فهو لك واعرض خالد الاسلام على اهل مريوط فأسلم اكثرهم ثم ان خالدا قال ليوقنا رحمه الله ابشر من الله بالرضوان والغفران والثواب فبصبرك على الشدائد فتح الله علينا هذه المدينة فقال والله ما فتحها الا بفضله وببركة نبيه صلى الله عليه وسلم فكتب خالد الى عمرو بن العاص يبشره بفتح مريوط ونحن معوّلون على الدخول الى اسكندرية وارسل الكتاب اليه قال ابن اسحاق واقام خالد بمريوط لاجل ذى الكلاع الحميرى لانه مرض معه وكان مرضه شديدا فجلسوا عنده شهرا ولم يفارقه خالد فقدر الله بالوفاة فحزنوا عليه حزنا شديدا عظيما وكان ذو الكلاع ملك حمير وكان قبل دخوله فى الاسلام يركب له اثنى عشر ألف مملوك

سودسوى غيرهم قال أبو هريرة الدوسى رضى الله عنه ولقد رأيته بعد ثلاث الحشمة يمشى في سوق المدينة وعلى كتفه جلد شاة لما قدم من اليمن الى الجهاد فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما مات رثاه ولده تنوخ بما رثى به جبر لابيه سبا بن تحسيب فى الزمن المتقدم فقال شعرا

عجبت ليومك ماذا فعل * وسلطان عزك كيف انتقل
واسلمت ملكك الله طائعا * وسلمت للامر لما نزل
فيومك يوم رفيع النزال * وزورك فى الدهر زور رحل
فلا يبعدنك فكل امرئ * سيدركه بالسنون الاجل
لئن صحبت نائبات الزمان * وشت مع الدهر وجد الامل
لقد كنت بالملك ذاقوة * لك الدهر بالعزعان وجل
بلغت من الملك اقصى المدى * نقلت وعزك لم ينتقل
فطحطحت آفاقه والمدى * وجئت من العرب حوب الدول
حويت من الدهر اطلاقه * ونلت من الملك مالم ينل
وحملت عزمك ثقل الامور * فقام بها حازما واستقل
صحبت الدهور فأنبتها * ومامر عيشك فيما فعل
بنيت القصور كمثل الجبال * ذهبت فلم يبق الا الطلل
نعمنا بايامك الصالحات * ومشربنا بسحبك وبل وطل
نؤمل فى الدهر اقصى المنى * ولم ندر بالامر حتى نزل
فزالت لعمرك شم الجبال * ولم يك حرمك فيها هبل

(فتوح اسكندرية)

قال وتوّل خالد فى المسير الى اسكندرية حدثنا زياد بن اوس الطائى عن معمر بن الرشيد قال لما نزل خالد بعد رحيله عن مريوط قال له عيونه انه لما انهزم ابن المقوقس وأتى الى اسكندرية وبلغه فتح مصر صعب عليه قال وكانت اسكندرية عامرة كان فيها الخلق كثيرا والمراكب فأرسل مراكب وعمرها بالرجال وأمرهم ان يكبسوا سواحل بلاد الشام على المسلمين فقالوا سمعا وطاعة ومضوا الى ساحل الرملة فوجدوا بالليل نيرانا كثيرة فسألوا من كان خبيرا بالبلاد فقالوا هذه نيران المسلمين النازلين هاهنا فقالوا هذه حاجتنا التى جئنا فى طلبها فنزلوا وقصدوها واذا بها ساحلة من حلل دوس بنى عم أبى هريرة وكان معهم طائفة من بجيلة وفى جملتهم ضرار بن الازور وهو مريض وأخته خولة معه تمرضه وكان أبو عبيدة أمرهم بالنزول هناك لاجل كثرة المرعى وهم آمنون مطمئنون من الروم وغيرهم لان دولة الروم قد انصرمت وايامهم قد ولت قال فما فطن القوم الا وقد كبسهم القبط فى حكم الليل

ووضعوا

ووضعوا فيهم السيف فقتلوا منهم رجالا وأخذوا منهم أسارى ومن جملتهم ضرار وأخته وأخذوا ماقدروا على حمله وأتوا بهم المراكب وكان جملة من أسروه من الرجال والنساء والاولاد والعبيد ألفا ومائة فوضعوهم فى المراكب وأقلعوا بهم من ليلتهم وساروا طالبين اسكندرية قال ابن اسحاق وكان أبو عبيدة قد استوطن طبرية لكونها فى وسط البلاد وهى قريبة من الاردن والشام والسواحل وان أبا هريرة قد أتى ليزور قومه فى تلك الايام ويسأل عن حال ضرار وكانوا يحبونه لشجاعته فأتى أبو هريرة ومعه حليف له من بنى بجيلة فأصبحا فى تلك الليلة فى الحى واذا بهم قد أخذهم القبط وبيوتهم مطروحة والرجال مقتولة وآثارهم منبوذة ووجدوا من الذين انهزموا اناسا مجروحين فسألوهم فقالوا ما عندنا خبر حتى كبسنا قوم نصارى وما نعلم من أى الطوائف هم ولم نفق حتى وقعوا فينا بالسيوف فقتلوا ماترون وأسروا الباقين وأخذوهم فى مراكبهم فقال أبو هريرة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وساروا الى ساحل البحر فلم يروا لهم اثرا فلما عوّلوا على الرجوع واذا بلوح من الواح المراكب تلعب به الامواج وعليه شخص فوقفوا له حتى أقبل وخرج الرجل واذا به أمير دوس وحيان بن عم أبى هريرة فلما رآه ترجل له وعانقه وهناه بالسلامة وقال له يا ابن عم ماوراءك فقال هجم العدو علينا ليلا واسرونا وساروا فلما توسطنا البحر بعث الله بريح ففرقت مركبنا وقد نجانى الله على هذا اللوح فقال له ومن اعداؤكم قال من قبط مصر وانى سمعتهم يذكرون اسكندرية كثيرا قال فرجع ابو هريرة يطلب طبرية واتى ابن عمه الى مكان الحلة حتى يلم شعث الناس ويداوى المجروحين فجمع ماتركوه واتى بهم الى الرملة واما ابو هريرة فأتى ابا عبيدة واخبره بما جرى فاسترجع وبكى وقال اعوذ بالله من الساعات الرديئة ثم قال والله لئن وصلوا الى اسكندرية ما يبقيهم صاحبها طرفة عين ويموت ضرار ويمضى دمه هدرا وكتب الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك ويحذره من صاحب اسكندرية وانه أسر ألفا ومائة من جملتهم ضرار وأخته وكانت تداويه وهى عنده فاذا وصل اليك كتابى هذا فاجتهد فى خلاصهم وان وقع فى أيديكم أحد من القبط ففادوهم به ودفع الكتاب لزيد الخيل وأمره ان يسير الى مصر فلما قدم زيد الخيل الى مصر دفع الكتاب لعمرو بن العاص فلما قرأه صعب عليه وكان يحب ضرارا فأرسل الكتاب الى خالد ابن الوليد وكتب اليه يحثه بالمسير الى اسكندرية وانه يفتقد حال الاسرى فلما وصل الكتاب الى خالد وقرأه صعب عليه امر ضرار وأخته خولة حدثنا ابن اسحاق قال حدثنا عاصم بن منصور عن أحمد المروزى عن سلمة عن عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز عن أبيه قال لما اخذت النصارى حلال دوس وضرارا وأخته وعصفت عليهم الريح وغرق المركب الواحد ووصل الباقى الى اسكندرية أوقفوهم امام ابن المقوقس فاراد قتلهم فقال له أرباب دولته أيها الملك لا تعجل عليهم واعلم ان العرب متوجهة اليك ولا بد لنا من قتالهم فان أسر أحد منا ممن يعز عليك يكون عندنا من نفادى به ولعل ان نصالح العرب فاستصوب رأيهم وقال ودوا هؤلاء الاسرى الى دير الزجاج وأرسل معهم ألفى فارس يوصلوهم الى الدير فجاءت عيون خالد

واخبروه بما وقع فقام واخذ معه أصحابه وسار يطلب دير الزجاج فوصل خالد الى الدير قبل وصول الاسارى ومن معهم فلما أحدقوا بالدير أشرف عليهم راهب كبير السن وكان اسمه مباح وكان تلميذ البحيرا راهب بصرى وكان مؤمنا بالله وبأنبيائه فقال له خالد يا راهب كيف ترى الدنيا قال تنحف البدن وتجدد الامل وتقرب المنية وتقطع الامنية قال فما حال أهلها قال من نال منها شيأ أنغصته ومن فاته منها شئ حسرته قال فاخبر الاصحاب فيها قال العمل الصالح والتقى قال فاشر الاصحاب فيها قال اتباع النفس والهوى قال خالد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها ثم قال كيف طابت لك الوحدة قال الفتها قال فهل نلت منها فائدة قال نعم الراحة من مداراة الناس قال فما احسن هذا الاعتقاد لو كان فى دين الاسلام والتوحيد قال فما اعرف غيره قال فما تقول فى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال سيد الرسل وخاتم الانبياء وصفى الاصفياء وحجة الجبار على الورى قال فلم لا تكون فى بلاد الاسلام اصلح لك من ههنا قال قلبى ملوث بحب الدنيا قال خالد اعندك خبر بالعرب الاسرى الذين أرسلهم الملك الى هنا قال لا والله ولكن مر بى البارحة بطريق واسقف واستقوا ماء من بئر هذا الدير فسألتهما من اين تيمما فقالا من اسكندرية وانا رسل الملك كيماويل صاحب أرض برقة وانه ارسلنا الى ملك القبط يسأله انه يرسل له اسرى من عرب المسلمين حتى يراهم ويسمع كلامهم فأجاب انه يرسل منهم جماعة وانا ماضون نعلم صاحب برقة بذلك فقال لخالد لعلكم من المسلمين الذين فتحوا بلاد الشام قال خالد نحن اياهم فقال الراهب ان اخباركم عندى فى كل وقت واعلمك انى رايت نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو فى قافلة قريش وانا عند بحيرا فلما مات بحيرا انتقلنا الى هذا الدير واعلموا ان ما بقى من ارض الكنائس ولا بأرض العقبة ولا بأرض الرمادة ولا احد ولا ديار من راهب ولا قس الا وقدم لزيارتى ويسألونى عنكم وعن نبيكم ويقولون لى انت كنت على طريقهم ورأيت نبيهم وشرحت لهم دينكم ووصلتهم الى ما ظهر من معجزات نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقد جرى بينى وبين راهب منهم بالقرب مناظرة وقال لى ان النبى الذى بشر به عيسى المسيح ابن مريم ليس هذا فقلت له بلى هو والله النبى العربى فقال لى انا سمعنا فى العلم ان الرسول الذى يظهر من ارض الحجاز يعرج به الى السماء وما سمعنا ان هذا عرج به فقلت بلى والله انا سمعت بأنه عرج به الى السماء وخاطب العلى الاعلى واصبح فاعلم بذلك قريشا ثم قال لخالد اعلم ان فى وسط هذا الجبل دير يقال له دير المسيح وقد استولى عليه بطريق ومعه جماعة وهو يقطع الطريق على قوافل العرب وانه منذ زمان قطع الطريق على قافلة وفيها شخص من بلادكم وهو مسلم فأخذ القافلة وعرى أهلها وأطلقهم وقبض على ذلك المسلم وأخذ ماله ووضعه عنده فى العذاب الشديد والرجل يستجير فلا يجار ويقول له ما أطلقك حتى تكفر بالرحمن وتسجد للصلبان ثم انه يأتيه بصورة من نحاس وعلى رأسه عمامة سوداء ويقول له هذه صفة نبيكم وينصبه قباله ويصب فضلة كاسه على رأس هذه الصورة وذلك الرجل

يستجير

يستجير من فعاله قال فلما سمع خالد ذلك أخذ معه شرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة ويزيد ابن أبي سفيان وهاشم بن سعيد والقعقاع ورفاعة وترك بقية العسكر محتاطة بالدير ومضوا الى وسط الجبل فوجدوا الدير فوصلوا اليه واذا بالبطريق قد أقبل ومعه وحش مذبوح وقد قصد الى شجرة بالقرب من الدير وتحتها عين فنزل على العين وصاح بغلمانه فأتوا اليه واضرموا النار وجعلوا يشوون له وهو يأكل ويشرب الخمر وقال لهم هاتوا المحمدى فأتوه برجل قد ركبه الذل وقلبه القهر فلما رآه قال له انت قد غلبتنى بتجلدك على العذاب وحق دينى لا ارفع عنك العقوبة حتى ترجع عن دينك الى دينى فقال له اصنع ما بدا لك فانى أعلم ان الكل بمشيئة الله وبارادته وانى صابر على أمر البلاء وما أرجع عن دين محمد المصطفى قال فهم ان يقوم اليه يضربه فصاح به خالد بن الوليد وحمل عليه وطعنه أخرج السنان من ظهره وقتلوا غلمانه وخلصوا المسلم ونزلوا على العين ولم يكن لاهل الدير شرب الا من تلك العين فأشرف عليهم الرهبان من اهل الدير وقالوا اما نحن أهل سيف حتى نقاتلكم وقد نهيناكم نديكم عن قتل الرهبان فقال خالد سلموا الينا مال هذا البطريق وعياله وأطفاله ونحن نترككم فى ديركم ففتحوا لهم وأسلموا لهم جميع موجوداته وأخذوا الاسير وساروا وسأله خالد من أين أنت فقال انا أمية بن حاتم اخو عدى وقد أخذنى هذا فى أواخر ايام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانى كنت طالب برقة مع قافلة ومعى بضاعة فأخذها وأخذنى وكان أمر الله قدرا مقدورا قال فرجعوا عند أصحابهم ولم يأتوا القبط فالحقوا ان ينزلوا عن خيولهم الا والراهب صاح وقال لهم استعدوا للقاء عدوكم فانهم قربوا منكم فتجهزوا للقاء العدو واذا بهم قد أقبلوا وضجيج الاطفال وبكاء الناس وأنين الرجال وصراخ المأسورات وصياح القبط عليهم يسوقونهم من ورائهم وهمير الفرسان وهفيف الصلبان والعربيات تنادى بالويل والهوان وخولة بنت الازور على مقدمة الاسارى وهى تقول شعرا

جل المصاب وزاد الويل والحرب * وكل دمع من الاجفان ينسكب
ومارت الارض مما قد بليت به * حتى توهمت ان الارض تنقلب
جالت يد القبط فينا عند غفلتنا * واستحكم القبط ما زالت العرب
لهفى على بطل قد كان عدتنا * اليه فعفاف وفيه الدين والادب
قد كان ناصرنا فى وقت شدتنا * اعنى ضرار الذى للحرب ينتدب
فيه الحمية والاحسان عادته * فيه التعصب والانصاف والحسب
لو كان يقدر أن يرقى مراكبه * كان العدو فنى والحرب تلتهب
أو كان خالد فينا حاضرا وطنا * لزال عنا الذى نشكو ونتعب
لو كان يسمع صوتى صاح بى عجلا * مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب

قال فلما سمع خالد نداها قال لبيك لبيك يا بنت الازور قد جاءك الفرج وذهب عنك الحرج فأطبقوا على القبط فما كان ببعيد حتى قتلوا منهم سبعمائة وأسروا ألفا وثلاثمائة

وخلصوا الاسرى وسلموا على ضرار وهنوه بالسلامة ودعوا الراهب بعدما كتب له خالد كتابا بأن له من طعام الاسكندرية صاعا ولكل من سكن الدير من أهله وقبيلته ثم انهم ساروا طالبين الاسكندرية وهم سائقون الاسرى من القبط بين أيديهم قال وكان الملك ارسطوليس لما سمع بأن العرب قد أتوه اخرج عسكره وضرب خيامه خارج باب السدرة قال فلما قدم المسلمون وقع الصائح بقدومهم ووقع الخوف فى قلب الملك وعسكره وقالوا له أيها الملك ما الذى تدبر فى أمر هؤلاء العرب قال وما عسى ان ادبر والخوف قد ملأ قلوبكم وهم طمعوا فيكم ورأوا انكم تنهزمون ولا تخافون العار واذا قاتلتموهم كانت قلوبكم متفرقة وأهواؤكم غير متفقة وقد أسروا رجالكم ولم يرهبوا قتالكم ولا مانع يمنعهم ولو أن اصحابهم الذين ارسلتهم الى دير الزجاج عندى لكنت صالحتهم باطلاقهم ودفعناهم عنا وقد فرطنا ايضا فى الالفين الذين أرسلتهم معهم فلو كانوا فينا لقاتلوا معنا فقال له وزيره أيها الملك هل لك أن ترسل اليهم وتحدث معهم فى أمر الصلح ونحن نسلم اليهم أصحابهم فقال انهم لن يقبلوا منكم رسولا منذ صبأنا عليهم بحر الحصا فبينما هم فى ذلك واذا بصاحب البحر قد أتى اليه وهو الموكل بالمنار وأخبره انه رأى مركبا قد ظهر من قبل الغرب ولا أعلم من أين أتى فقال لا شك انه من صاحب برقة الملك كيماويل وقد انجدنا فأقبل المركب ورمى رواسيه ونزل منه شيخ مهاب مليح الشيبة ظاهر الهيبة وعليه ثياب من الصوف الاسود ونزل معه عشرون شيخا من الاقسة والرهبان فلما نزلوا الى البر جاءتهم الخيول بالمراكب المذهبة والغلمان والحجاب وعظموا شأنهم وأركبوهم وساروا بين أيديهم الى أن أوصلوهم الى الملك وأدخلوهم عليه فقام لهم وعظم شأنهم وأجلس ذلك الشيخ معه على السرير (قال الراوى) وكان ارسطوليس قد أرسل هدية الى الملك صاحب برقة وأرسل اليه يعلمه بما فعله العرب فى مدة قيصر وانهم قد أتونا ومن جملة ما أرسل يقول له أيها الملك اعلم ان الدنيا دار زوال وانتقال فما وهبت الا واستردت ولا فرحت الا واحزنت فالمغرور من تشبث بذيلها واطمأن اليها والسعيد من لبس ثياب الحذر منها وعمل لدار المقر اما ترى أيها الملك الى هرقل ملك الشام كيف هرب وزال ملكه وذلك عندما رمته الدنيا بمصائبها وشتته بسهام نكائبها بعدما كانت فى وجهه مشرقة ولا يخطر له هم الاعداء على بال وما ضربت لك هذه الامثال الا لتعلم ان الدنيا لا تبقى على حال وهؤلاء العرب قد استولوا على البلاد وأذلوا بسيوفهم العباد وقد أقاموا لهم شرعا بالسيوف الحداد وقد ملكوا القياصرة وقد جاءت طائفة الينا واخذوا مصرنا واخذوا املاكنا وحكموا على بلادنا بعدنا ولا بد لهم منك ولا غناء لهم عنك والصواب ان تشمر لهم عن ساق الهم وتنجدنا على من بغى واجرم فنحن جيرانك وكلنا جندك واعوانك والسلام قال الراوى فلما وصلت الهدية والكتاب عرضه على أرباب دولته وقال لهم ما ترون فيما كاتبكم به صاحب مصر والاسكندرية فقالوا له أيها الملك مازالت الملوك يستنصر بعضها ببعض والذى أشار اليه هو الحق وان العرب اذا ملكت ملك القبط فلا بد لهم منا والعبور الى بلادنا فابعث اليه

بنجدة

بنجدة ونكون نحن وهو يدا واحدة فالمسيح يعطى النصر لمن يشاء فأجابه الى ذلك وأمر ابن أخيه اسطفانوس أن يمضى فى اربعة آلاف وأمره ان يسير الى معاونة صاحب اسكندرية ثم انه أرسل خادمه الى عالم أرضهم والمشار اليه فى علم النصرانية وهو البترك واسمه سطيس وكان عمره مائة وعشرين سنة وكان تلميذ زبر وساوزبر وسا تلميذ مرقس ومرقس تلميذ يوحنا ويوحنا أحوى حوارى عيسى المسيح وكان هذا البترك سطيس مؤمنا بالله وموحدا وسمع باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمعجزاته وهو مؤمن من قبل مبعثه وظهوره حتى بلغته أخباره صلى الله عليه وسلم وانه مات فبكى لموته ولزم زاوية الحزن ولم يظهر خبره لاحد مدة من الزمان وكان قد بنى له صومعة وانفرد بها وجعلها على قارعة الطريق فما مرت به قافلة الا واستخبرها عنه ويسأل عمن جلس بعده للمسلمين خليفة فقالوا أبو بكر وبلغه موته وولاية عمر ثم بلغه فتوح الشام وقدوم الصحابة الى مصر وفتحها فلما أرسل صاحب مصر يستنجد صاحب برقة وأرسل أخاه أرسل هذا البترك فى مركب يبشره بقدوم اسطفانوس الى نصرته فلما وصل اليه وبشره فرح بذلك وقال يا أبانا أريد من انعامك ان تسير الى هؤلاء العرب وتختبر دينهم ونبيهم وتدعوهم الى الصلح وتعلمهم ان فى أيدينا جماعة منهم أخذناهم من ساحل الرملة وقد أنفذت بهم الى دير الزجاج فان أرادوا أصحابهم أطلقناهم لهم ونعطيهم شيئا من مالنا واعقد لنا ولهم الصلح بانهم لا يرجعون الينا ولا يتعرضون لنا فقال البترك سأفعل ذلك وانى قد قرأت فى الكتب السالفة فوجدت فيها ان الله يبعث نبيا من أرض تهامة فيعرض عليه مفاتيح الارض وكنوزها فلا يلتفت اليها ولا يعتبرها ناظره ولا يختار الا الفقر على الغنى وان أصحابه يتبعون سنته وأنا استخبر حالهم قبل سيرى اليهم فقال الملك وكيف تستخبر حالهم يا أبانا قال أيها الملك أرسل بغلة من مراكبك وعليها مركب من ذهب وهو مرصع بالمعادن وتأمر غلمانك ان يسيروا بها ويرسلوها نحو عسكر المسلمين فان أخذوها فنعلم انهم يحبون الدنيا ولا يريدون الآخرة وان ردوها فنعلم انهم يطلبون ما عند الله قال ففعلوا ذلك وأرسلوها وكان فى حكم الليل وكان فى الحرس شرحبيل بن حسنة فلما رأى البغلة وما عليها من الزينة ضحك وقال ان أعداء الله يريدون اختبارنا ومعرفة أحوالنا ان كنا نطلب الدنيا أو الآخرة فوالله ما منا من يميل الى ما يفنى وانما بغيتنا فيما يبقى ثم قرأ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم مسك بعنان البغلة وأطلقها نحو عسكر القبط قال فلما رأوها صلبوا على وجوههم وقال الملك والله بهذا انصروا وخذلنا والله ان أبى كان على بصيرة من أمرهم ثم أمر البترك سطيس ان يتوجه اليهم فمضى فلما قرب منهم رأى أقواما قد هجروا الدنيا فمنهم القارئ ومنهم الذاكر لباسهم الصوف صغيرهم يوقر كبيرهم وكبيرهم يرحم صغيرهم وصوت أحدهم لا يعلو على الآخر الذكر كلامهم والقرآن والتقوى

لباسهم والخوف من الله انيسهم فلما دخل على عسكرهم سأل عن أميرهم وصاحبهم فدلوه على موضع خالد فقصد اليه فلما وصل اليه وجده فى ذكر الدين والقيامة فنزل عن بغلته ووقف امامه وأومأ اليه بالسجود فنعه خالد فقال له انت الامير لهؤلاء القوم قال كذا يزعمون أنى أميرهم مادمت على الحق واتباع العدل والانصاف والخوف من الله محسن للمحسنين منهم ومشدد على المسيئين منهم فتى حدت عن هذه الاشياء فلا امارة لى عليهم فقال البترك أنتم والله القوم الذين بشر بكم عيسى بن البتول وان الحق معكم لا يفارقكم قال فأمره خالد بالجلوس فجلس وقال يا معاشر العرب اخبرونى عن نبيكم فقال خالد ان الله اختار من ولد آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار من كنانة قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم عبد المطلب واختار من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وقال لما خلق الله العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وقع آدم فى الزلة رأى على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يا رب ومن هذا قال ولدك يا آدم الذى لولاه ما خلقتك قال يا رب فبحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فقال يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارضين لشفعناك ثم ان الله جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره ووسمه بما وسم به نفسه فقال ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال فى حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وقال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان الله عز وجل رفع ذكره وعظم فخره واعز قدره فقال تعالى ورفعنا لك ذكرك وهذه غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم وقال يا محمد لا أذكر حتى تذكر فمن أحبك فقد أحبنى ومن سبك فقد سبنى ومن جحدك فقد جحدنى ومن انكر نبوتك فما عرفنى وها أنا أشهد على نبوتك فقال عز من قائل ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وقال فى موضع آخر وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله قال فلما سمع البترك ذلك من خالد فرح وقال لقد نجى من اتبعه وخسر من فارقه ثم جدد اسلامه على يد خالد وحدثهم بأمره من اوله الى آخره ثم حذرهم من اخى صاحب برقة وانه واصل ومعه اربعة آلاف فارس وانى قد سبقته فى البحر وهذا الملك القبطى يريد صلحكم ويقول لكم على انكم تصالحونه وعلى ان يعطيكم شيئا من المال ويسلم اليكم قوما من اصحابكم قد اخذوهم من ساحل الرملة فقال خالد ان اصحابنا قد فك الله اسرهم وجمع بنا شملهم وقد نصرنا الله على القبط الالفين الذين كانوا مع الاسارى فاننا اخذنا الفا وثلاثمائة اسير وقتلنا سبعمائة ثم انه عرضهم عليه وعرض الاسلام عليهم فابى اكثرهم واسلم بعضهم فأمر خالد بضرب رقابهم بين العسكرين ثم ان البترك عاد الى صاحب اسكندرية وقال له هؤلاء لا تملك غرتهم لانهم حذرون من اعدائهم وعرفه بقصة اصحابه وانهم هؤلاء الذين ضربوا رقابهم قبالك فقال له يا أبانا ومن أين لهم هؤلاء قال قد وقعوا بهم وخلصوا أصحابهم واسروا من اصحابك الفا وثلاثمائة وقتلوا سبعمائة قال فلما سمع

ابن المقوقس ذلك سقط ما بيده وايقن بتلاف ملكه وقال لارباب دولته وعسكره خذوا
اهبتكم للقتال وكانكم بعسكر الملك كيماويل صاحب برقة وقد أقبل عليكم ونقاتل هؤلاء
العرب بقلوب قوية واسرار نقية ويعطى الله النصر لمن يشاء وباتوا وهم معولون على القتال
قال فلما جن الليل باتوا على ذلك قال ابن اسحاق ولقد بلغنى ان الملك نام بقية ليلته فرأى
فى منامه كان شخصا اشقر عريض الصدر كانه قد خرج من حمام ومعه شخص آخر مليح الوجه
حسن الخلق وسيم بسيم وفى عينيه دعج وله نور يسطع كانه قمر فقال ابن المقوقس للاشقر من
أنت قال ابن العذراء البتول أنا المسيح ابن مريم وهذا الذى بشرت به من قبل مبعثه هذا
محمد رسول الله العربى الامى من آمن به فقد اهتدى ومن جحد نبوته فقد اعتدى وقد جئنا
لنصرة أصحابه ومقامنا على القبة قال ابن اسحاق رحمه الله ولقد بلغنى ان برج القبة مما يلى
باب البحر وذلك ان الاسكندر لما بنى الاسكندرية وسماها باسمه كان الخضر وزيره وهو الذى
بنى الباب الاخضر وصنع تلك القبة باسمه ورسمه وكان يأوى اليها فصار ذلك الباب
مشتهرا به الى يومنا هذا قال ثم ان عيسى عليه السلام قال للملك فى نومه ان كنت من امتى
فاتبع شريعة هذا النبى وذهب عنه فلما أصبح حدث أرباب دولته بما رأى فى نومه فقالوا
أيها الملك هذه أضغاث أحلام وما كان المسيح بماشى العربى وهو عدوه وانما الشيطان
قد خيل لك ذلك فلا تلتفت اليه قال فاصغى الملك الى كلامهم ثم انه أمر عسكره بالقتال
فركبوا وصافقوا المسلمين وأما الملك فانه نظر الى برج القبة واذا بالقبة ساطع منها نور فدخل
الوهم فى قلبه مما رأى فى منامه وقال والله ما هذا النور الا نور المسيح ومحمد وان هذا هو
الحق لا شك فيه حدثنا ابن اسحاق حدثنا عامر بن بشر عن الاحوص قال كنت فى خيل
خالد بن الوليد يوم قتالنا على اسكندرية قال لما وقفنا فى ميدان الحرب وقف يقاتلنا فارس
وهو بطريق عظيم الخلقة وعليه لبس يلمع وتحته جواد عربى فنادانا بالعربية بلسان فصيح
وقال يا عرب انصرفوا عنا فانا لا نريد حربكم وقد ملكتم منا مصر والصعيد وأكثر الريف وقد
بقى فى أيدينا هذه الجهة وما نحن ننازعكم فيما أخذتموه منا ونحن لا نقلد كم البغى ونصالحكم
صلحا نعود منه عن ظلم أنفسنا ونعدل فى رعيتنا وان أبيتم صلحنا القيناكم باسرار نقية
وقلوب للجهاد قوية فنردكم على أعقابكم منهزمين وفى أذيال الذل متعثرين لانه ما عدا أحد
على أهل هذا الدين الاذل وانهزم لاننا قوم لنا الكنائس الاربع والصوامع والبيع
والقسوس والرهبان والمذبح والقربان والانجيل والصلبان ثم سكت عن كلامه (قال الراوى)
وكان هو الملك ابن المقوقس فكان أول من بادر الى رد جوابه شرحبيل بن حسنة كاتب
وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لقد افتخرت بما يؤدى صاحبه الى البوار ويعقبه
سوء الدار يا ويلكم اتفتخرون علينا بالشرك والطغيان وعبادة الصلبان والكفر بالرحمن ونحن
أولوا التقى والايمان والفوز والرضوان والقبلة والقرآن والحج والاحرام والصلاة والصيام
والاجتهاد والاحترام ديننا أفضل الاديان ونبينا المبعوث بالمعجزات والبيان وبالآيات

والبرهان والمنزل عليه القرآن ومن اتبعه نال من ربه الغفران ومن جحد صحبته باء بغضب الملك الديان الذى كان ولا مكان ولا دهر ولا زمان ولا وقت ولا أوان شهد لنفسه بالربوبية ولصفاته بالازلية ولذاته بالاحدية والملكه بالابدية سلطانه قاهر وكرمه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم وعرشه رفيع وصنعه بديع ليس بوالد ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه أجل معدود خضعت الاعناق لعظمته وخشعت الاصوات لهيبته وعنت الوجوه لعزته وذلت الاقوياء لقوته لا يحصى نواله ولا يفنى كماله ولا تبيد نعمه وافضاله يا ويلكم كيف طاب لكم الكفر بالهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا له ولدا من خلقه وبريته وتسجدون للصلبان فى دار مملكته ولا تفزعون من عظمته ثم انه قرأ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ثم قال شرحبيل ان لله عبادا لو اقسموا على الله ان يدكدك لهم هذا السور لفعل وكانت اشارته الى سور المدينة فغار السور فى الارض وبانت المنازل والدور قال فارتعدت فرائص الملك لما عاين ذلك من عظيم القدرة فالوى عنان جواده الى عسكره وأفئدتهم قد طارت وافكار القبط قد حارت فلما جن الليل أخذ الملك خزائنه وأمواله وحريمه وعياله وركب فى المراكب وسار يريد جزيرة أقريطش فلما اصبح الصباح وقع الصائح بالمدينة بأن الملك قد انهزم فاجتمع الاكابر وقالوا ان الملك قد انهزم وما لنا من يدفع هؤلاء العرب قال فخرجوا باجمعهم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا بين يدى خالد وقالوا ان الله قد نصركم بحق وأيدكم بصدق وانا نريد منكم ان تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينا بعين الرحمة والعدل سنة من كان قبلنا معكم من الروم فقال خالد ما فعل ملككم قالوا انهزم بأهله وماله فى البحر فقال نحن قوم قد اسكن الله الرحمة فى قلوبنا ونصرنا بمعالم ديننا وأظهرنا على أعدائنا وفضلنا على سائر من كان قبلنا من الاجناس فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ونحن نجريكم على أحسن عوائدنا مع سائر من فتحنا بلادهم وقد أمسكنا عنكم ولو أردنا أن نملك البلد بالسيف لهان علينا ولكن خير الناس من قدر وعفى ونريد منكم مائة الف مثقال ذهبا صلحا عن انفسكم واهاليكم وندعوكم بعد ذلك الى الاسلام فمن اجاب منكم كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن عدل عن ذلك اخذنا منه الجزية عن السنة الآتية من كل رجل وغلام بلغ الحلم اربعة دنانير ونشرط عليكم شروطا بأن لا تركبوا دابة ولا تعلوا دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا أصواتكم عليهم ولا تبنوا كنيسة ولا صومعة ولا ديرا ولا تجددوا ما دثر وتلقوا المسلمين بالذل والانكسار وتسارعوا فى قضاء حوائجهم وما يريدون من اصلاح شأنهم ولا تعدلوا عن تعظيم اهله ومن اذنب منكم ذنبا حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وان لا تشدوا الزنانير على خصوركم اظهارا لدينكم وان لا تظهروا ناقوسا ولا صليبا ولو آمنتم بالله ورسوله لكان خيرا لكم فقالوا ايها الامير ما نترك ديننا فقر واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله

قالوا

قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ فقالوا ايها الامير نريد ان تولى علينا رجلا منا حتى يجمع المال الذى تقرر علينا ويلمه بالعدل وليكن معه رجل منكم من أصحابك فقال خالد انى لا اعرف أحدا من اجاويدكم اختاروه لانفسكم برضاكم حتى اوليه عليكم فاشاروا الى رجل منهم اسمه شيعا بن شامس وكان مقدما فى القبط فولاه خالد على جمع المال ورياسة البلد وندب معه قيس بن سعد وأوصاهم وقال خذوا من كل واحد ما يحتمل حاله ومن كان معسرا ضعيفا دعوه واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا تظلموا يتيما ولا فقيرا ولا أرملة فتعجب القبط من حسن وصيته وكلامه ثم دخل القوم واجتمعوا فى دار الامارة وبعث شيعا غلمانه يجمعون الناس قال حدثنا جرير بن عاصم عن نعيم بن موسى الدارانى عن سليمان بن عوف عن جده مازن بن سعيد قال وقع القسط على أهل اسكندرية فكان أكبرهم فى الحشمة وأعزرهم فى المال يزن عشرة قراريط وأوسطهم حالا يزن قيراطين ولقد اتى برجل من أغنيائهم اسمه براس لايدرى ما يملك من المال والدبش والغنم وكان ابخل أهل زمانه فقال له شيعا قد وجب عليك فى هذا المال دينار قال وحق المسيح ما انا بالذى يؤديه ولومت وان تصدقت به كان أفضل من عطيتى للعرب فقال له قيس بن سعد ان الذى نأخذه منكم صونا لانفسكم وحفظا الدمائكم ونحن ما نأخذ على وجه الصدقة منكم بل نأخذه حلالا لا حراما باو يلك لو دخلنا مدينتكم بالسيف الست كنت أنت أول من قتل ومالك أول ما نهب وقال له شيعا خذلك الله ولعنك كل من فى اسكندرية يعلم انك كنت أولا فقيرا لا تقدر على شئ من امور الدنيا وقد آتاك الله من فضله و وسع عليك رزقه فقال اليس ورثته عن آباء كرام واجداد عظام ومالله على من فضل قال فغضب قيس وقام اليه وقرعه بمقرعة كانت معه وقال له كذبت يا عدو الله ورسوله الفضل والحمد والمنة لله لانه رزقنا من فضله واسبغ علينا من نعمه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال قيس اللهم انه جحد نعمتك فازلها عنه قال فوالله ما مضى يومه حتى جاء الخبر بان اغنامه قد هلكت جميعها و بساتينه يبست وداره قد تهدمت وأمواله ذهبت قال قيس الله أكبر هذا والله حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة يحدث انى قال ان ثلاثة من بنى اسرائيل كان أحدهم ابرص والآخر اقرع والآخر اعمى فبعث الله اليهم ملكا فاتى الابرص فقال له أى شئ أحب اليك فقال الجلد الحسن والابل فاتى الاقرع فقال له أى شئ احب اليك قال الشعر الحسن والغنم واتى الثالث فقال له أى شئ أحب اليك فقال النظر والبقر قال ثم ان الملك مسح بيده على جلد الابرص فعاد احسن جلدا واعطاه ناقة عشراء فبارك الله له فيها حتى ضاقت بابله الديار وأما الاقرع فاتاه ومسح بيده على رأسه فانبت الله له شعرا حسنا واعطاه نعجة

عشراء فتوالدت الى ان ضاقت بها تلك الديار ثم أتى الاعمى ومسح بيده على عينيه فعادت
أحسن عينين واعطاه بقرة عشراء فتوالدت الى ان ضاقت بها تلك الديار قال ثم اتاهم
ليمتحنهم فأتى الابرص فقال له كنت ابرص وانت فقير ولا تملك شيأ فاعطنى مما آتاك الله
من هذه الابل ناقة اتسبب عليها قال ما كنت فقيرا ولا ابرص وانما ورثت هذا من آبائى
قال فذهب الى الاقرع وقال له مثل ما قال للابرص فقال مثل ما قال الابرص فذهب الى
الثالث وقال له مثل ما قال لاصحابه فاجاب بان قال بسم الله والله لقد صدقت فاذهب الى
هذا البقر فاقسمها بينى وبينك فقال له بارك الله لك فى مالك وقد رد الله صاحبيك كما كانا
فانهم كفروا نعمة الله قال الراوى وجمعوا المال ومضوا به الى خالد وبنى فيها المساجد
واخذ كنيستهم العظمى فجعلها جامعا وترك لهم أربع كنائس وكتب الى عمرو بن العاص
اعلمه بفتح اسكندرية ففرح وركب وترك موضعه اباذر الغفارى وذهب الى الاسكندرية
وبنى فيها جامعا فى الربض وهو معروف بجامع عمرو الى يومنا هذا

❋(ذكر فتح مدينة دمياط وما والاها)❋

قال الراوى وأتت اليه أهل رشيد ونوة والمحلة ودميرة وسمنود وجوجرة ودمنهور وابيار والبحيرة
وصالحوه على بلادهم ثم انه بعث المقداد ومعه أربعين فارسا وهم ضرار ورافع وشاكر ونوفل وراجح
وعامر وفارس وعروة وسهل وعمرو وكعب وسعيد ويزيد وصعصعة وغيرهم وأمرهم بالمسير الى
دمياط وأمر عليهم المقداد بن الاسود الكندى فساروا الى البراس وواد دمياط وكان بها خال
الملك المقوقس وكان عسكره اثنى عشر الفا وكان قد حصن البلد وجمع فيها من آلة
الحصار من الزاد وغيره قال فلما اشرف عليه الصحابة ونظر الى قلتهم ضحك وقال ان قوما
ينفذون الينا منهم أربعين ليملكوا بلدنا انهم لفى عجز وقلة عقل قال وكان ولده الاكبر فارسا
مشهورا فى جميع بلاد النيل وكان اسمه هربرا وكان يثق به وبشجاعته وبراعته وليس فى عينيه
الفرسان شيأ فلما رأى الصحابة وهم أربعون قفز اليهم وهو لابس لامة حربه وطلب البراز
فخرج اليه ضرار بن الازور وحمل عليه فطعنه فقتله وحمل على عسكر دمياط فالجأهم الى
حيطان البلد وهو كانه النار فى الحطب فاستعاذ منه الجيش ثم ان خال الملك وكان اسمه
البسامرك اجتمع بارباب دولته وقد صعب عليه قتل ولده وكان عندهم حكيم يعتقدون
به وبرأيه ويعتمدون على عقله فاحضروه وقالوا له أيها الحكيم العالم ما الذى
تشير به علينا فى أمر هؤلاء العرب فقال أيها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استضاء به
أحد الا هداه الى سبيل نجاته وقاده الى معالم مصالحه وهؤلاء القوم لا تذل لهم راية ولا تلحق
لهم غاية قد فتحوا البلاد واذلوا العباد واشتهر امرهم وعلا ذكرهم وفشى خبرهم وعلت كلمتهم
وطافت الارض دعوتهم فما أحد يقدر عليهم ولا يصل اليهم وما نحن باشد من جيوش الشام
ولا أمنع بلدا وهؤلاء قوم قد أيدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة فى قلوبهم فما عاهدهم
فما عاهدوا واعهدا وخانوا وما حلفوا يمينا فلا كذبوا وقد بلغك ماهم عليه من الدين والصيانة

والصدق

والصدق والامانة والراى عندى ان تصالحهم لتنال بذلك الامن وحقن الدماء وصون الحريم ودفع الامر العظيم ونكون قد صالحناهم ودفعناهم بشئ من مالنا قال فلما سمع البامرك ذلك من الحكيم امر بضرب عنقه فلما عرف الحكيم ان المنية قد غشيته قال اللهم انى برىء مما يشركون بك لا شريك لك ولا ولد لك ولا صاحبة لك وانا اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فلما سمع البامرك كلامه ضربه فقتله وامرهم بان يأخذوا على أنفسهم للحرب فلما كان من الغد خرجوا الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم قال وكان للحكيم ولد ورث فضائل أبيه وكان فيه فطنة وعقل وتدبير فلما قتل أبوه اظهر الفرح والدعة للملك البامرك وقال لقد اراحنى الملك منه ومن شره فبلغ البامرك ماقاله ابن الحكيم فارسل اليه وخلع عليه وطيب قلبه فلما كان الليل قال والله لآخذن بثار أبى من هذا اللعين ومن أولاده وكانت داره ملاصقة للسور فنقب نقبا واسعا وخرج منه وقصد الصحابة فلما رأوه قالوا له من انت قال ان أبى قد قتل من أجلكم وقد نقبت نقبا وخرجت منه فقوموا على بركة الله وعونه حتى تملكوا المدينة منه فقال له ضرار ياويلك ان الذى بعثك بهذه الحيلة أراد قتلك اما علمت ان الحذر شعارنا واليقظة دثارنا وهم بقتله فقال له المقداد أمهل ياضرار وفقك الله الى الخير ووقاك الالم والضير ثم قال المقداد انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يشير الى شخص بين يديه وكان يقول على زى هذا الغلام وكانما اتأمل الى هذا الغلام فرأيته على ماهو عليه الآن وكان على وسطه منطقة من الاديم وفيها حلق فضة وهى تحت أثوابه ثم ان المقداد قال ياغلام اكشف عن اثوابك فكشف عن اثوابه واذا المنطقة بعينها فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام المسلمون وصافحوه ومضى الغلام امامهم الى ان دخل بهم النقب وسعوه بايديهم حتى دخلت خيولهم ثم ردوا الحجارة والطين والبناء على حاله واعمى الله أبصار القوم عنهم فلما كان الغد نظر أعداء الله فلم يروا للصحابة اثرا ولا خبرا فضجوا بكلمة كفرهم وماجوا وقالوا هربت العرب ووقع الصائح فى العسكر فظهر أهل البلد ليقفوا على صحة الخبر ولم يبق فى البلد سوى النساء والاطفال قال ابن اسحاق وكان للحكيم بنو عم ثمانون رجلا وان ولده طاف عليهم بالليل واعلمهم بما فعل فاقبلوا معه واسلموا عن آخرهم فلما كان من الغد وخرج كل من فى البلد فبادر بنو عم الحكيم واخوته الى الابواب فاغلقوها واعلنوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فوقعت الخمدة على النساء والصبيان واستوثق القوم من المدينة بالثمانين رجلا فامسكوهم الابواب وخرج الصحابة رضى الله عنهم ورفعوا اصواتهم يكبرون ويدعون الله عز وجل فلما نظرهم أهل البلد علموا انهم قد ملكوها وان الذى فعل ذلك بنو عم الدير جان الحكيم وقد اغلقوا الابواب وقفلوها وملكوا السور فوقف الملك ينظر الى مافعله الصحابة وعلم ان المدينة أخذت منهم وكان فى أولاده ولد عاقل لبيب كامل الذات والصفات وافر العقل وكان منذ نشأ يتبع العلماء ويجالسهم ويطلب العلم ومنذ ملك عقله ما أكل لحم خنزير

ولا كشف على محرم ولا سجد لصورة ولا لصليب وكان همه ان يبنى صومعة و ينفرد فيها فلم يمكنه أبوه من فرط محبته له وكان لا يستطيع فراقه وكان هذا الغلام اسمه شطا وكان يحب ان يسمع اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبحث عنها فلما نظر الى الصحابة وقد ملكوا منه البلد وشطا عن يمين أبيه نظر شطا الى الصحابة والى زيهم والى نور الايمان وهو ساطع منهم قال فشخص شطا نحو السماء ببصره وصاح وسقط عن قربوس فرسه بوجهه قال فارتاع ابوه وجميع عسكره من تلك الصيحة فلما افاق قال له أبوه يا بنى ماوراءك قال ظهر والله الحق وبان وقد تبيت لى حقيقة الايمان وقد نظرت الى عسكر هؤلاء العرب وعليهم نور عظيم ومعهم رجال عليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب وبينهما قبتان معلقتان فى الجو بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال مارأيت احسن من وجوههم ولا شك انهم الشهداء ورأيت فى احدى القبتين حورا لو برزوا لاهل الدنيا لماتوا شوقا اليهم وان الله تعالى ما كشف عن بصرى وأرانى ذلك الا وقد أراد لى الخير وما كنت بالذى بعد هذه الرؤيا يبقى على الضلال ولا اتبع المحال وانا اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وحرك جواده وقال من أحبنى من رجالى وغلمانى يتبعنى قال فتبعه من القوم ألف رجل ولحقوا بالصحابة والقوا سلاحهم واعلنوا بكلمة التوحيد قال فلما نظر البامرك الى مافعل ولده شطا قال والله مافعل ولدى شطا ذلك الا وقد رأى الحق ولست اشك فى عقله ودينه ثم انه اسلم ولحق بولده فلما نظر أرباب دولته الى ذلك قالوا اذا كان الملك و ولده قد اسلما فاخوفنا نحن فاسلموا جميعا على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المدينة فمن اسلم تركوه ومن أبى أخرجوه الى بلاد الارياف قال وفتح المقداد النقب الذى دخلوا منه وأمر ببنائه بابا فسماه باب اليتيم وهو ابن الحكيم وترك عندهم المقداد رجلا من الصحابة يعلمهم شرائع الاسلام وهو يزيد بن عامر رضى الله عنه ورجع المقداد وأصحابه الى اسكندرية وحدثوا عمرا بما فتح الله عليه من دمياط ففرح بذلك وكتب كتابا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بفتح مريوط والاسكندرية ودمياط ورشيد وفوّة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وابيار والبحيرة وبعث الكتاب مع عامر بن لؤى

(ذكر فتح جزيرة تنيس)

قال حدثنى زياد عن حميد الطويل عن يونس بن الصامت عن نصر بن مسروق قال لما فتحت دمياط وكان من أمرها ما كان قال البامرك لولده يا بنى ان الله قد أنقذنا من نار الجحيم وقد هدانا الى الصراط المستقيم وذلك لسابقة سبقت لنا فى القدم وهذه تنيس بالقرب منا وهى جزيرة ولا يمكن التوصل اليها الا فى المراكب والصواب اننا نكاتب صاحبها اباثوب وندعوه الى الله والى دين نبيه فان اجاب والا قصدناه والله ينصرنا فقال شطا هذا هو الرأى وانا اكون الرسول اليه بنفسى فقال يا بنى اعزم على بركة الله وعونه قال فركب شطا فى مركب وأخذ معه أربعة من غلمانه الخواص فلما نظر يزيد بن عامر الى ذلك قال وانا اسير معكم

الى صاحب تنيس فانه لوسألك عن ديننا ومعالمه لم يكن عندك به علم بان تكلمه و نحن بحمد الله مافينا من يتكبر ولا من يتجبر وما طلبتنا الا الآخرة والعمل بما يقربنا الى الله ثم سار معه يزيد بن عامر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا الى جزيرة تنيس وفيها رجال يحفظونها فلما نظروا الى شطا وغلمانه و بينهم رجل بدوى قالوا من أنتم قال لهم شطا انا ابن الملك البامرك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئنا كم رسلا قال فارسلوا منهم واحدا يستأذن لهم فأذن لهم أبو ثوب قال فنزلوا فى الزورق واذا به قد أرسل لهم دواب ليركبوها فامتنع يزيد من الركوب ووافقه شطا على ذلك وساروا كلهم رجالا الى أبى ثوب فاستأذنوا عليه فأذن لهم فلما دخلوا قصر أبى ثوب واذا به فى حشمه وخدمه وزينته والحجاب والغلمان بين يديه وهو فى مرتبة امارته وكان قد تكبر وتجبر منذ نزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصر ومنع المال والخراج ان يؤديه للمقوقس وولده وقد اجتمع عنده مال عظيم فلما دخل عليه يزيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشطا وغلمانه نظروا الى أبى ثوب وغلمانه وتجبره بدأ يزيد بالسلام فقال السلام على من اتبع الهدى انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى (قال الواقدى) حدثنا ابن سالم عن جرير بن أحمد عن ابن عيينة عن ابن جرير وكان اعلم الناس بقصة فتوح مصر والمغرب قال كان هذا أبو ثوب من أرض العريش من متنصرة العرب من آل غسان وهو قريب جبلة وكان صاحب مال ورجال وانه لما وقعت الهزيمة على الروم وفتح الشام وانهزم الملك هرقل وهرب معه جبلة هرب معهم هذا أبو ثوب بماله وأهله واخوته الى أرض الجفار ونزل فى البرية ما بين العريش ورفح وان المقوقس خرج فى بعض الايام يريد الصيد فى عسكره فانتهى فى مسرحه الى أرض العريش فانطرد قدامهم وحش كبير فطلبه الملك وتبعه ولم يتبعه أحد من عسكره وهو وراءه وحده الى أن رماه فى حلل العرب فى حلة ابى ثوب فقام اليه وعظمه وبجله وعلم انه الملك فمسك ركابه وانزله فى بيته وذبح له الاغنام ووضع له الطعام وتلاحق الجيش قال فاضافهم أبو ثوب ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع ركب فى خدمة الملك وشيعه وعاد فلما دخل المقوقس الى مصر أمر وزيره بان يكتب الى أبى ثوب بولاية تنيس واعمالها وارسل له الخلع والاموال والمماليك والغلمان فلما وصل اليه منشور الملك وخلعه فرح ابو ثوب وركب وسار الى العزمة وركب منها فى المراكب الى تنيس فلما مكث فى ولايته بعث الى أهله واخوته فاتوا اليه فولى أخاه ابا سيف على جزيرة الصدف وولى اخاه الثانى اباشق على جزيرة الطير وولى ولده الواحد على دينور فلما طال عليه الامر طغى وتجبر ومرت الايام والليالى حتى قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض مصر فمنع دفع الخراج الى مصر والى المقوقس وولده ورأى نفسه فى تلك الجزيرة فتحصن بها وقال ما أحد يقدر ان يصل الى فلما قدم شطا ويزيد بن عامر ونظر اليهم أبو ثوب أظهر الاعجاب والتكبر ولم يلتفت اليهم ولم يحسر أحد من جماعته ان يأذن لهم بالجلوس فلما نظر الى ذلك يزيد بن عامر قرأ ان الارض لله

يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وجلس وجلس الى جانبه شطا ونظر يزيد الى سرير أبى ثوب فاذا هو من الذهب وفيه صورة النخلة ومن تحتها صورة مريم والمسيح فى حجرها قرأ فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا الى قوله قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قال فلما سمع أبو ثوب كلام يزيد التفت اليه بغضب وحنق وقال ماهذا الكلام الذى نطقت به قال يزيد هذا كلام الله جل جلاله الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا تفنى عجائبه ولا تنفذ غرائبه ولا تبدل كلماته ولا تمل آياته فقال مامعنى الذى ذكرت فنطقت به وما تفسيره فقال يزيد أما قول الله اخبارا عن عيسى حين قال انى عبد الله فانه يعلم الخلق انه عبد الله وليس بولد جل الواحد الاحد الفرد الصمد اما قوله آتانى الكتاب معناه اعلمكم الاحكام واعرفكم الحلال والحرام وأما قوله واوصانى بالصلاة والزكاة انى مامور بالطاعة والخدمة والزكاة مثلكم فان فى مالى حقا لله وأما قوله والسلام على يوم ولدت ويوم أموت يعلمهم انه يموت ومن يموت لا يكون له العزة والجبروت وأما قوله ويوم ابعث حيا فيعلمهم انه واياهم مبعوثون الى يوم القيامة ووقوف يوم الحشر والندامة ولو كانا الهين لكان لهما ارادتان ووقع الخلاف بينهما وان الحكمة غير ذلك وهى على وحدانيته شاهدة قال فلما سمع أبو ثوب من يزيد بن عامر هذا المقال قال لقد مثلتم بالاباطيل وغرقتم فى بحر الاضاليل فقال يزيد الله اعلم من هو تائه فى تيه المحال مشرك بالملك المتعال الذى لا سماء تظله ولا ارض تقله ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ولا ضياء يظهره ولا ظلام يستره ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان كل يوم هو فى شأن اما لكم بصائر اما منكم من ينظر ويعتبر فى قدرة الله القادر اما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار واقبال الليل اما آن لكم ان تنزهوه اما آن لكم ان توحدوه اما سمعتم بمن تعبدونه وتبرؤن اليه وتعظمونه فان المسيح قد أقر له بالعبودية وتبرأ من الربوبية وقال انى عبد الله ولقد بشر بنبينا قبل مبعثه وعرف بنى اسرائيل بقربه من الحق وكرامته أما سمعتم بمعجزاته وما ظهر من دلالاته أما انشق له القمر اما كلمه الضب والحجر اما خاطبه البعير والشجر اما هو أطيب بيت من مضر قال فعجز أبو ثوب عن رد الجواب ولم يكن له ما يزيل حجته الا ان قال ليزيد بن عامر لقد علمنا ما فعل ولكنه كان ساحرا وان كان قولك هذا حقا فادع الله وتوسل اليه بمحمد ان يسقينا الغيث فان جاء الغيث علمنا ان قولك ليس فيه شك ونؤمن بالله ونصدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال يزيد بن عامر ان الله يقدر على ما ذكرت فان الله على كل شئ قدير ان العبد المخلص اذا دعاه اجاب دعوته ولكنه يفعل ما يشاء وأنا اتوسل الى الله بخير خلقه وصفيه وهو الفعال لما يريد ثم ان يزيد قام وخرج من مجلس أبى ثوب فقال له الى أين قال ادعو الذى

لو

لوشاءانزل عليكم رجزامن السماء ثم قرابل اتبع الذى ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى
من اضل الله ومالهم من ناصرين قال حدثنا عاصم عن ووهيم عن ابن جبير قال انما طلب ابو
ثوب الغيث واقتصر عليه لانه كانت له مزرعة بالبعد من النيل ولا يقدران يسقيها
ولا يصل اليها ماء وكانت قد اشرفت على الهلاك واليبس وكانت منه ببال وكان قد غرس
فيها من جميع الثمار والاشجار وصنع لها مصانع تمتلئ بماء المطر فيسقيها منها وقت الحاجة
اليها وكان المطر قد أمسك عنها والمصانع نشفت فلما خرج يزيد الى البحر توضأ وصلى ركعتين
ثم رفع رأسه نحو السماء وقال اللهم انك قد امرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة فقلت وانت أصدق
القائلين واذا سالك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الدع اذا دعان وقد دعوت
كما أمرت فاستجب كما وعدت ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك قال ابن
جبير لقد بلغنى ممن أثق به ان يزيد بن عامر مابرح يدعو حتى ارتفع السحاب من الجو ووقف
وقفة الخاضع ورفع جناح السائل الواضع وارتفعت سحابة وتألفت والرعد يصول حولها
صولة الغاضب وهولها بصوت البرق يزجر بصلصلة وقعقعة هريرة وهو على ذلك سيره
ومسيره وقد أحاطت بالسحابة ملائكة الرحمة متطوقة بنطاق الخدمة يسوقونها من
خزائن رحمته ويجذبونها بازمة القهر الى ملك ابديته وهو واضع اجنحة عبوديته موسوم بوسم
يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته والركام يسرى ويسرع اسراع الرجل يسبح من يسجد
لجلاله فترى الودق يخرج من خلاله فاذا هى أشرقت وتكاملت بالماء ووسقت والبرق من
أركانها قد انشقت هبت عليها رياح قدرته من مواضع خزائن رحمته وهو الذى يرسل
الرياح نشرا بين يدى رحمته فعندها تفتح مصابيح أبوابها وترفع سترحجابها فهمت بدموع
اشجانها على يدى خزانها فتستبشر الارض عند ورودها وتنتظم عقود الزهر عند ورودها
فى جيد وجودها وتخرج كنوز ذخائرها فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد
موتها قال ونزل المطر يسكب بقية يومهم وليلتهم فلما كان من الغد حضر يزيد بن عامر مجلس
أبى ثوب وقال له كيف رايت صنع الله الصانع المتكفل بأرزاق العبيد قال فضحك أبو ثوب
وقال ان سحركم لعظيم وان مكركم لجسيم وان سحركم يفعل أكثر من هذا فقال انما ذلك رحمة
من الله قد أبر من اقسم باسمه عليه فلما رأى نزول المطر وظهرت بركاة صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال على سبيل المكر الآن تحققت ان دينكم الحق وقولكم الصدق وأنا مؤمن بالله
مصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف اعرض دين الاسلام على أهل جزيرتى
وأصحابى وأهل الكنائس وابنى المساجد وآمر بالمعروف وانهى عن المنكر فقال يزيد ان
أنت فعلت ذلك ارشدت وان نافقت فان ربك لبالمرصاد ثم خرج من عنده هو ومن كان معه
شطا وغلمانه ومضوا الى دمياط الى البامرك وحدثوه بما كان من أبى ثوب فقال والله
لقد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين فالبثوا أياما قلائل حتى وصل الخبران أبا ثوب جمع من سائر الجزائر وهو قادم

عليهم فلما سمع البامرك بذلك قال ليزيد بن عامر ما الذى ترى من الرأى فى امر هذا العدو فقال يزيد نستعين بالله ونتوكل على الله ومن قاتلنا قاتلناه قال ابن اسحاق وان البامرك أرسل ولده شطا الى البراس ودميرة وطناح وما تحت يده يطلبهم فجاؤا من كل جهة وكتب يزيد الى عمرو بن العاص يعلمه ان أبا ثوب قد جمع الجموع فلما وصل اليه الكتاب أرسل اليهم هلال بن اوس بن صفوان بن ربيعة أحد بنى لوى ومعه الف فارس وأمره بالمسير الى دمياط وذلك فى العشر الاول من شعبان سنة عشرين من الهجرة وكان لعمر بن الخطاب فى الخلافة اربع سنين ونصف اما ما كان من ابى ثوب فانه لما نفر اليه العساكر اخرجهم بظاهر تنيس فكانوا عشرين الفا من الرجال ومن الخيل خمسمائة فارس من القبط ومتنصرة العرب وعدا هم فى المراكب واتوا نحو دمياط فخرج اليهم شطا بن البامرك فقتل منهم رجالا وجندل ابطالا وانه اشترى الجنة من الله بنفسه ولم يزل يقاتلهم بقية يومه ثم انه عاد من قتال اللئام الى الصلاة والصيام ولم يزل على قدم الخوف والوجل وهو منكس الراس من الخجل من الله تعالى عزوجل فلما مضى اكثر الليل وطلع نجم سهيل اضطجع فلما كان وقت الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو باكى العين فقال له ابوه يا بنى ما الذى ابكاك فقال رايت شيأ فى منامى ابصرته وسمعت منه كلاما وعاينته وحفظته وحررته والدنيا هى طالق وانى بعون ربى واثق ولا شك انى لك مفارق فقال ابوه اعوذ بالله يا بنى ما هذا الكلام ولعل ان ذلك أضغاث احلام فقال لا والله ما هى أضغاث أحلام لكنه امر من الملك العلام الذى اجرى الاقلام وخلق الضيا والظلام وبعث سيد الانام بشرائع الاسلام وانى رايت فى منامى كان ابواب السماء قد فتحت وانوار الهداية قد سطعت ولمعت ثم تفتحت ابواب السماء الثانية ثم رايت ملائكتها سجودا على جباههم لا يقومون وركعا لا ينتصبون وقياما من هيبة ربهم لا يقعدون وباكين لا تنشف لهم دموع ثم رايت كذلك سماء بعد سماء الى السماء السابعة ثم رايت قبة من زمرد اخضر وفيها قناديل من الجوهر وهى تسرج من الانوار وتوقد من غير نار وفيها اربعون حوراء عليهن حلل ما رايت قط مثلها ولا ابصرت شكلها بوجوه تفتن الانس وفى ارجلهن نعال الياقوت الاحمر يطأن بها على النمارق والزرابى فصاحت بى احداهن وهى كبيرتهن وقالت يا مفتون بدار الدنيا اما آن لك ان تذكرنا فقد خلقنا الله لك منذ خلقك وجعل مهرنا منك الجهاد فى مرضاة رب العباد وقد الفت الجفا وما هكذا صنع اهل الوفا وقد نفد الميقات وانقضت الساعات والاوقات فتيقظ من المنام وارحل الى دار السلام وقالت انظر ما اعد لك وللشهداء قال فنظرت واذا بقباب معلقة حيث لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم فى كل قبة مثل ما رايت فقلت ما هذه القباب فقالت هذه قباب قوام الليل والشهداء يأوون اليها فى جنة المأوى ثم انها جعلت تقول

أنت يا مفتون دوما ❊ فى الدنا ثم المنام
فدع النوم وبادر ❊ مثل فعل المستهام

وابك

وابك بالوجد دواما * بدموع وانسجام
ثم نح ياذا كثيرا * فى نهار وظلام
ايها اللائم دعنى * لست اصغى للملام
فى عروس قد تبدت * فاقت البدر التمام
طرفها يرشق باللحظ * مصيبا كالسهام
ولها صدغ منير * مثل نون تحت لام
أحسن الاتراب قدا * فى اعتدال وقوام
مهرها أن قام ليلا * وهو باك فى الظلام
يا عمادى ورجائى * ومنائى والمرام
فاستمع منى قولى * ثم فكر فى النظام
وغدا بادر لحرب * والى ضرب السهام
مسرعا تأتى الينا * بعد ترحال الظلام

فقال أبوه اعلم ياولدى ان من المنام مايصدق ومايكذب فلا تشغل نفسك بما رأيت فقال لا والله ياأباه مابقى لى فى الدنيا طمع ولم يزل باقى ليلته يبكى ويتضرع ويقوم على اقدام الخشوع ويتخضع واجفانه بالدوام تدمع الى أن اصبح الصباح وأشرق بضيائه ولاح فودع شطا أباه وأهله وخرج الى الحرب فتعلق به أبوه وقال له يابنى بحقى عليك لاتبلنى بفراقك فقال شطا دع عنك العتاب فقد قرب لقاء الاحباب فعندها قامت ابيه على المواسم وانهل الدمع الساجم ودنا الفراق وقامت الاشواق وجرى دمع كل عين واقبل البامرك يودع ولده ويقول يابنى ان صح منامك وضربت فى دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن طريقة الوفا واقرئ سلامى على النبى المصطفى فبرز شطا الى مقام الحرب ودعا للبراز فخرج اليه واحد فقتله وثانى وثالث حتى قتل اثنى عشر فارسا قال ابن اسحاق فلما رأى أبو توب مافعل شطا بفرسانه لم يطق الصبر دون ان خرج اليه بنفسه وكان من الفرسان المذكورة فلما ساوى شطا فى الميدان قال له ياشطا كيف تركت الدين المستقيم وعدلت عنه واصغيت الى هؤلاء اللئام واتبعت دين الاسلام لقد حمل فيك القوم واستوجبت العتب واللوم يافتى عد الى الدين الصحيح والقول الرجيح وهو دين المسيح فاى شئ رأيت من هؤلاء المساكين حتى اتبعت دينهم فلما سمع شطا كلام أبى توب اقبل عليه مغضبا وقال له يالئيم أتأمرنى ان ادع الدين المستقيم الذى كان عليه الخليل والكليم وانى لى بذلك وقد رأيت الليلة مالى من الكرامة عند الله وقد طلقت الدنيا ثلاثا فلما سمع أبو توب كلامه حمل عليه ومد سنانه اليه فالتقاه بقلب قوى وجنان جرى وعزم مضى وحسام سرى وتقاتلا نصف نهار فعطش شطا فاراد الله أن يطيب قلبه فكشف عن بصره فرأى القبة التى رآها فى المنام والحوراء التى انشدته الابيات وفى يدها كاس من شربها لايفنى ولا يسقم وفيه من رحيق المختوم وهى تقول ياشطا هذا شراب من شرب منه لا يسقم

ولا بقى والساعة تصل الينا وتقدم علينا قال فلما نظر شطا الى ذلك وسمع منها ما قالت صاح الله أكبر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واخذه الزمع والبكا خوفا من الله فقال له أبو ثوب مم بكاؤك قال رأيت كذا وكذا فضحك أبو ثوب من كلامه وحمل عليه فتقاتلا شديدا أعظم من الاول الا أن أبا ثوب سبق شطا بطعنة فى صدره أطلع السنان من ظهره فخر صريعا فلما نظر البامرك الى ولده مطروحا لم يأخذه صبر دون ان حمل عليه هو وأصحابه قال واظلمت آفاق تلك الارض من الغبار وترادف العثار فوقعت الهزيمة على البامرك واصحابه فالجأهم الى ابواب دمياط وطمع فيهم عدو الله أبو ثوب واذا قد أتاهم هلال بن اوس بن صفوان بن ربيعة فوضعوا أيديهم فى ابى ثوب واصحابه وهم ينادون بالتهليل والتكبير وتحاموا اصحاب البامرك وحملوا من قبلهم قال وأما أبو ثوب واصحابه فانهم ايسوا من انفسهم قال فهم فى ذلك اذا التقى يزيد بن عامر بابى ثوب فقال له يا عدو الله أما تعظت بآيات الله أما ظهر لك الحق من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واطبق عليه فأخذه أسيرا وصاح الصائح ان أبا ثوب اسر فاستسلم قومه للقضاء فاخذوهم عن آخرهم بعد ما قتل منهم خلق كثير ثم انهم عزوا البامرك فى ولده شطا فقال احتسبته عند الله فقال له يزيد بن عامر ان فى الجنة درجات لا ينالها الا الصابرون قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون قال ابن اسحاق ودفنوا شطا فى ثيابه بعد ما صلوا عليه ودفنوه فى موضع قتله قال فلما كان من الغد أقبل البامرك الى يزيد بن عامر وقال رأيت الليلة ولدى فى النوم وهو فى القبة والحور بين يديه فقلت ما فعل الله بك قال قبلنى باحسن قبول وجاد على وانزلنى بجوار الرسول حدثنا ابن اسحاق حدثنا عمر ابن الاسقع عن جده عامر بن خويلد قال قتل شطا فى ليلة نصف شعبان فجعل الله تلك الليلة موسما فى كل سنة وذلك انه لما قتل لم يبق أحد الا زار قبره تلك الليلة وان هلال بن اوس نزل واحضر ابا ثوب واعرض عليه الاسلام فاسلم واسلم من الاسرى اناس وابى منهم أناس وبقوا على دينهم واقروا عليهم الجزية ودخل المسلمون فى المراكب الى تنيس وبنوا موضع الكنيسة جامعا وبنوا فى جميع الجزائر جوامع واخرج أبو ثوب الخمس من ماله وأموال قومه وبعثوه الى عمرو بن العاص مع أموال مع قتل وان هلال بن اوس نزل على التل الاحمر ظاهر تنيس وأقر أهل الجزاير فى اماكنهم فقالوا أيها الامير قد امنتنا من جانبك وبقى علينا الخوف من جانب آخر قال هلال من أين قالوا من اصحاب القلعة المكنية الغرما قال واين هى قالوا على جانب بحيرة تنيس مما يلى شرقها وفيهم أقوام وعليهم الصامت بن مرة من آل مرداس فلما سمع هلال ابن أوس ذلك مضى اليها بجميع من معه فلما وصلوا اليها أشرف عليهم الصامت بن مرة وامر اصحابه أن يرموهم وكان بها ألف رجل وغالبهم رماة النبل فرموا عن قوس واحد الف سهم فسمتها العرب من الغرما فاقام عليها هلال بن اوس عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو يعلمه بما وقع ويستنجده فارسل اليه المقداد بن الاسود الكندى فى خمسمائة من عسكر

الاسلام

الاسلام وأرسل معه ثلاثة آلاف ممن اسلم من القبط

(ذكر فتوح الغرما والبقارة والقصر المشيد)

قال فلما نزل المقداد على الغرما تاهب أهلها للقتال فنزل الصامت بن مرة الى ما نزل به فعلم انه بيد القوم لانه ليس له ناصر ولا معين فصالح المقداد على أن يؤدى لهم أربعة آلاف مثقال من الذهب وأربعمائة ناقة والف راس من الغنم وان يمهلوه الى تمام السنة فان شاء دان الى الاسلام والا ارتحل باماله فأجابه المقداد الى ذلك وارتحل المقداد وهلال بن اوس ونزلوا على البقارة وكان عليها الباقر بن الاشرف فاسلم هو ومن معه ومضوا الى القصر المشيد ففتحوه صلحا ثم ارتحلوا ونزلوا على الورادة وكان اسمها الواردة فسلمها أهلها وارتحلوا الى العريش فصالحهم أهلها وكذلك أهل رفح وبيسدا ومياس ونخلة وعسقلان قال ابن اسحاق حدثنى يوسف بن عبد الاعلى قراءة عليه بجامع الرملة سنة مائتين وعشرين من الهجرة قال حدثنى موسى بن عامر عن رفاعة عن جده عبد العزيز بن سالم عن أبى يعلى العبد عن طاهر المطوعى عن أبى طالب الفشارى عن وهبان بن بشر بن هزان قال سمعت الشرح كله عن محمد بن عمر الواقدى وهو يومئذ قاضى بغداد فى الجانب الغربى

(ذكر فتوح ديار بكر وارض ربيعة)

حدثنا عدنان بن يحيى الحارثى عن معمر الجونى ومن طريق آخر عن ابن عمير التيمى والابتدا عن المهلب وطلحة ومحمد قالوا جميعا أو من قال منهم انه لما فتح الله الشام على يد أبى عبيدة عامر ابن الجراح وعلى يد خالد بن الوليد وفتح أرض مصر على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمى كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة يقول له بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عامر بن الجراح سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فقد اجهدت نفسك فى قتال الكفار وسارعت الى رضا الجبار وقدمت لك ما تجده يوم عرضك ولم نرمنك يوما معرضا عن اداء فرضك وقت بسنة نبيك وجاهدت فى الله حق جهاده تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك فاذا قرأت كتابى هذا فاعقد عقد العياض بن غنم الاشعرى وجهز معه جيشا الى أرض ربيعة وديار بكر وانى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يديه واوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد فى طاعته ولا يلحقه التوانى فى الجهاد ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين وما أمر به سيد المرسلين مما أنزل الله عليه رب العالمين يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم كتب كتابا آخر الى عياض بن غنم بالولاية والمسير الى أرض ربيعة الفرس وديار بكر قال وبعث بالكتب مع ساعدة بن قيس المرادى وزوده من بيت مال المسلمين وأمره بالمسير فسار الى أن ورد على أبى عبيدة فى طبرية فسلم اليه كتاب عمر وسلم الكتاب الثانى الى عياض بن غنم الاشعرى فلما قرأه أبو عبيدة قال السمع والطاعة لله ولامير المؤمنين

وهيأعياضا بمسيره الى الجهاد وعقدله عقدا على ثمانية آلاف منهم ألف صحابي من جملتهم خالد بن الوليد والنعمان بن المنذر وضرار بن الازور بن سابق وضمرة وعمرو بن ربيعة وذوالادغار بن قيس والحكم بن هشام واليسع بن خلف وطلحة وعامر بن بهرام والمقداد ابن الاسود وعمار بن ياسر وعبدالله بن يوقنا وكانوا قد قدموا على أبي عبيدة بعد فتوح مصر وكان قدومهم فى شهر شوال سنة ست وعشرين من الهجرة وسار عياض بن غنم من طبرية فى ثمانية آلاف يريد الجزيرة وعلى مقدمته خيل سهل بن عدى فلم يزل سائرا حتى نزل على بالس وكان خالد قد فتحها صلحا فاقام عليها وسرح سهيل بن عدى الى الرقة فنزل على حصارها وكان عليها بطريق اسمه يوحنا وكان من قبل صاحب رأس العين وكان قد استعد للحرب وعبى آلة الحصار فلما رأى أهل الرقة أن صاحبهم معول على الحصار اجتمع بعضهم ببعض وقالوا اى شئ أنتم بين أهل الشام وأهل العراق ولا مقام لكم بين يدى هؤلاء القوم قال فمشوا الى عياض بن غنم بالصلح فرآى أن يقبل منهم فبعث الى سهيل بن عدى أن يصالحهم على ماوقع عليه الاتفاق وارتحل عياض بن غنم عن بالس ونزل على الرقة البيضا وفى ذلك قال سهيل بن عدى

وصادفنا الفراة غداة سرنا * بجود الخيل والاسل الطوال
أخذنا الرقة البيضاء لما * رأتنا الشهب تلمع بالتلال
وازعجت الجزيرة بعد خفض * وقد كانت تخوف بالزوال
سنقصد راس عين بعد حين * واجدى حملتى جيش الضلال
وقصدك ياسهيل تبيد جيشا * وتقتل فى البطارق لاتبالى
فنحن اولو التقية والمعالى * ونحن الصابرون لكل حال
صحابة أحمد خير الموالى * رقى العلياء وارتب العوالى
الى رب السماء دنا علوا * وخاطبه شفاها بالمقال

(ذكر فتح القلعتين زبا وزلوبيا)

(قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه ولما فتحت الرقة صلحا عول عياض بن غنم على المسير الى رأس العين وكان يملك يومئذ الجزيرة ملك من ملوك الروم يقال له شهرياض بن فرينون وكان جيشه مائة ألف وتحت يده فى معاملته من العرب المتنصرة السلطان ابن سارية التغلبى وهبيرة وهم ثلاثون ألفا من الابطال وانهم لما اتصلت لهم الاخبار بفتح الرقة وان المسلمين قاصدون اليهم مع عياض بن غنم وخالد والمقداد أتوا الى الملك شهرياض برأس العين وقالوا له اعلم ايها الملك ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد اتوا ديارنا وقصدوا نحونا ونحن علينا الطالب اكثر منكم ومطلب القوم اننا ندخل فى دينهم فاضرب خيامك ظاهر البلد واظهر بجيشك حتى نلقاهم فاما لنا واما علينا فاجابهم الى ذلك وقال غيرانى أخاف ان تنهزموا عنى

فأعطوه

فاعطوه رهاين واستوثق منهم ورتب آلة الحصار واخرج الخزائن والاموال ورتب الحرس
على الاسوار وزاد فى عمق الخندق وعرضه وارسل الى جملين وكفرتوتا ودارا وماروين وحران
والرها وتل مرزت والسن والموزر واقام ينتظر عياض بن غنم قال حدثنا عبد الله بن اسلم عن
عاصم بن عبد الله عن بن اسحاق الاموى عن يزيد بن أبى حبيب عن راشد مولاه قال لما عول
عياض ابن غنم الاشعرى على المسير الى رأس العين الى قتال الملك شهرياض بعث قبل مسيره
اشعث بن عونام وعبد الله بن غسان الى القلعتين المعروفتين بزبا وزلوبيا فقال عبد الله يوقنا
لعياض بن غنم اعلم أيها الاميران هذين القلعتين اللتين ذكرتهما حصينتان منيعتان احداهما
من الجانب الشرقى والاخرى من الجانب الغربى وهما كانتا تحت ولايتى وان صاحبهما
كان من قبلى وهو أحد بنى عمى واسمه اشفكياص بن ماريه باسم أمه وكنت قد زوجته
ابنتى فأخذت فى صداقها الحصن الشرقى من الفراة وقد رأيت بأنك تأمرنى بالتقدم على
هذين الحصنين حتى احصل فى القلعة الغربية فان فتحتها كانت الاخرى فى قبضتنا فقال له
لله درك يا عبد الله لقد نصحت الاسلام وأهله فجزاك الله خيرا أحسن ما جازى به أولياءه سر
على بركة الله وعونه فاذا استقر بك المكان ثلاثة أيام أنفذ اليك شعيبا وعبد الله ومن معهم
من المسلمين و بعد الفتح ان شاء الله تنزلون الينا فقال يوقنا استعنا بالله وتوكلنا عليه ثم انه أخذ
معه من صناديد جماعته مائة ولم يأخذوا معهم ثقلا سوى جنيب من الخيل واحد وسار من
أول الليل وترك عياض بن غنم على الباسل فجدوا السير بقية ليلتهم فلما كان قبل الفجر
اشرفوا على الخانوقة فوجدوا فيها ألفا من الارمن وهم بالعدة الكاملة فلما أشرف عليهم
يوقنا ومن معه وهم يتحدثون بلغة الروم انسوا بهم وسألوهم عن خبرهم فقالوا هذا البطريق
المعظم يوقنا صاحب حلب قد هرب من العرب وأقبل لنصرة صاحب هذه القلعة فلما سمعوا
بذلك فرحوا وصقعوا بين يدى يوقنا وأرسل المقدم عليهم خيالا وأمره بالسرعة ليبشر
اشفكياص بقدوم يوقنا اليه وهروبه من العرب وانه يستأذن عليه فمضى الرجل وأخبر
اشفكياص فأطرق الى الارض ثم قال لوزيره وحق المسيح والانجيل ما جاء الا ينصب علينا
ويملك هاتين القلعتين منا كما فعل بطرابلس وصور وما انا بالذى يأمن اليه فما ترى أيها
الوزير قال ابن اسحاق ولقد بلغنى ان هذا الوزير كان من أهل القراءة وكان اديبا عاقلا لبيبا
ممن قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وقرأ ملاحم دانيال وكان منذ بعث النبى صلى الله
عليه وسلم يسكن فى دير مرتهبا وهو ما بين الشرو حلب فتعبد فيه زمانا طويلا حتى شاع ذكره
بين أهل دين النصرانية ثم بعد ذلك أخبر الروم بأنه قد وقع بحافر من حوافر حمار المسيح
فكانت الروم ينذرون له النذور والصدقات وشاع خبره وسماذكره فسمى ذلك الدير بدير
حافر وانه فى بعض الايام خرج من ديره الى مزرعة له هناك واذا برجل من البدو قد عبر وهو
راكب على ناقة وكان الحر قد اشتد فأوى الى ظل حائط الدير واناخ ناقته وعقلها ونام
والراهب ينظر اليه فلما غرق فى نومه أتت حية من مزرعة الراهب وفى فمها باقة نرجس فجعلت

تروح عليه حتى استفاق وذلك الراهب ينظر اليه فلما أفاق أتى اليه وسلم عليه وقال له من أى الناس أنت قال من العرب قال الراهب قد علمت ذلك وانما أسألك عن دين قال دين الاسلام الذى كان عليه انبياء الله كلهم عليهم أفضل الصلاة والسلام فقال لعلك على دين هذا الرجل الذى فى أرض الحجاز قال نعم قال ابن اسحاق وكان البدوى ورقة بن الصامت المزنى بن أخت رواحة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حضر غزوة تبوك وحضر يوم السلاسل وكان أديبا لبيبا شاعرا لا يتكلم الا بسجع وكان أبو عبيدة قد وجهه لما كانوا فى حصار قلعة حلب الى صاحب الرقة يدعوه الى الاسلام فقال الراهب وكان اسمه شوجوان بن كربان قد بلغنى انكم تقولون ان ما خلق الله خلقا أعظم ولا أكرم ولا أرحم من محمد وتركتم آدم ونوحا وابراهيم واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وداود وسليمان وعيسى فاريد ان تبين لى حقيقة ذلك فقال ورقة بن الصامت اسمع ما أقول ولا تتبع الفضول اما علمت ان عالم الملائكة أجمعوا بمعرفة البيت المعمور ووقع بينهم الجدل فى تصاريف الامور وافتخر الكروبيون على الروحانيين والمسبحون على المقربين فزاحمهم ابليس بدقة عبادته ومشيد مبانى رهانته فقال انا المخلوق من ضرام النار البارع فى خدمة العزيز الجبار اين انتم من وقوفى على أقدام الاهتمام مائة الف عام وتعبدى فى السموات واكنافها وبروجها واعرافها وأوساطها واطرافها وجبال الارض واكنافها فعارضه جبريل بالامتحان والابتلاء وصرفه عن حجة الافتخار والادعاء وقال له ما أنت فى الافتخار الا فى الحضيض المحضوض ان لله نبيا فى عالم الملكوت محبوب قد طال اشتياقنا اليه ووددنا فى الخير فعما يريد وجعل نهاية عبادتنا الصلاة عليه فأيقن من المفاخر بالنزول ومن اطلاق شمس وعاثه بالاقوال وقال رب فهل الى لقائه من سبيل والى الوصول اليه من دليل فقال جبريل اقطع مسافة الامنية وخض بحر الاعتراف بعزار بوبية وثق بحبال العز المكين فانك لخدمة من كون من نور التكوين عليه منقوش بقلم التمكين انك لمن المرسلين فخلع ابليس لباس العمل واستعمل اجنحة الامل والقى قلادة الادعاء ونكس تاج الكبرياء واستعد لقوادم الطلب وداخله من قول جبريل غاية العجب وجعل همة عزمه تحصيل السبب وتحذر من سوء المنقلب وقال بالله العجب انا مع صدق طويتى فى المعاملة والانابة وخلوص سريرتى فى طلب الزيادة يكون أحد مثلى أو يبلغ درجة فعلى وكيف ذلك واذا رفعت رأسى بالتسبيح أعاين ما حول العرش واذا سجدت لعظمة الله انظر ما تحت العرش فنودى أتفتخر علينا بجواهر طاعتك وتوفر اسباب بضاعتك ونحن وفقناك لطاعتنا ومعاملتنا وشمل اطراف أرضنا وسموا تنا من قوالك على خدمتى من جعلك معلما الملائكتى وعزتى وجلالى لولا أحمد ما خلقت ملكا ولا اجريت فلكا ولا انرت قمرا ولا امضيت قدرا ولا اسرجت شمسا ولا أقررت عرشا ولا بسطت فرشا ولا خلقت جنة ولا نارا ولا فجرت انهارا ولا بحارا ولا جعلت النجوم طوالع ولا غوارب ولا الدنيا مشارق ولا مغارب ولكن طر بأجنحة عجل فى طلب الايثار حتى يميز الله بين الجنة والنار قال فسار بفلك طالب النجوم على قدم مطايا التفريد حتى

اخترق بين العرش والكرسي واخترق كل جني وانسي وكلما مر بفناء من الفنائي رأى معني من المعاني وذلك انه لما رأى اصنافا من الملائكة على اختلاف الاحوال من الاجتهاد والطاعة والاعمال وجميع عباد الله الشاكرة موقوفة على خدمة سيد الدنيا والآخرة فلما علم معنى عبادتهم وتحقق آثار ارادتهم زاد به الاعجاب فاستعظم وجود ذلك في عالم التراب وقال أي رب اني أجده وانا ديه أم كيف التوصل الى سبيل ناديه فقال اطلب نهر السلسبيل فهناك تجد الى نظره سبيل فسار تحت مشيئة القدر الى ان وصل الى النهر فرأى ضوءا يلوح واسراره بصفات ما فيه تلوح ودار به المقربون والروحانيون والمسبحون والصافون والراكعون والساجدون وقد ب عبادتهم دائرة على الاستغفار لانه صاحب الافتخار وكلما سبحوا وسجدوا يستغفرون للذين آمنوا قال فانتظم في ملكهم واسلك سبيل مسلكهم لتفوز بالنظر في جملة من حضر واذا بنور أحمد قد تعلا ومن سرادقات قصره تجلى فسجدت الملائكة له بمعنى عظيم وقالوا انك لعلى خلق عظيم فردما غشيه النور الوارد ونطق لسان جسده بما في جسده من ذا الذي ملأ الاكوان بعبادته وافتخر على الملائكة بخالص مجاهدته واذا بالنداء معاشر الملائكة دعوا النظر الى العاني وحققوا النظر الى الفضائل والمعاني فأحدقت الملائكة نحو القصر بالاعين واذا في جوانبه أربعة أعين فقالوا يارب العزة قد تركنا المعنى فما حقيقة هذا المعنى قال هذه العيون عيون انهاره وسيوف انصاره ومعالم سنته بحساب نسبته وابواب علمه ومقر حكمه وزينة دينه واعلام يقينه وأول عين هي عين التصديق والعين الثانية هي عين التحقيق والعين الثالثة عين النور والحياء والتوفيق والعين الرابعة عين العلم والتشريق فعين التصديق لصديقه وعين العدل لفاروقه وعين الحياء لصهره ورفيقه وعين العلم لاخيه وشقيقه فانظروهم بعين التبجيل والوقار واكثروا لهم الدعاء والاستغفار فانا الذى قلت فيهم الصابرون والصادقون والقانتون والمستغفرون بالاسحار فلما علم شرجون كلام ورقة بن الصامت لم يرد عليه جوابا ولا ابدى له خطابا غير انه عرف الحق فكتمه ولم يزل شرجون في الدير حتى أخذ المسلمون حلب فانتقل الى اشفكياص فاستوزره قال فلما استشاروه في أمر يوقنا قال له اعلم أيها الملك ان يوقنا من الملوك وابناء الملوك وقد قرأ الكتب وأخوه كان افضل منه في الدين وقد صحب هؤلاء العرب واطلع على سرائرهم ونظر الى دينهم وربما انه علم عند النظر ان دين المسيح أفضل من دين هؤلاء العرب وقد هرب من ايديهم اليك فان كان الرجل قد أتى بغير حمل ولا ثقل فاعلم انه هارب من القوم اليك فيجب عليك أن تخرج الى لقائه وتعظم شأنه وترفع مكانه فلما سمع اشفكياص ذلك خرج بعسكره الى لقائه وبقى الوزير في القلعة قال فسمعت ابنة يوقنا ان اباها قد أتى فنزلت تسعى في سرب لها تحت الارض مع جوارها وخدمها وقصدت القلعة الثانية فوجدت اشفكياص قد خرج الى لقاء أبيها والوزير شرجون في مرتبة وزارته فقام اليها وصقع بين يديها وخدمها فجلست تحدث معه فقال لها خذى على نفسك بالحذر فان الملك قد خرج واخاف

ان يبطش هذا اللعين بأبيك واعلمى انه ماتبع هؤلاء العرب الا وقد تحقق عنده ان دينهم الحق وقولهم الصدق فقالت له الجارية فما تقول انت فى دين القوم قال هو والله الحق والدين الصدق وانى كنت كاتم هذا السر فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت والله لقد رضيت لنفسى مارضيه أبى ولكن انت اكتم هذا عنى (قال الواقدى) رحمه الله وان اشفكياص التقى بعبد الله يوقنا وسلم بعضهما على بعض وترجل كل منهما لصاحبه وشكى كل واحد منهما مايجده من الشوق ثم ركبا وسارا الى القلعة فنزل يوقنا فيها ومن معه واتت ابنته وسلمت عليه وبكت وبكى واما اشفكياص فانه معول على القبض على يوقنا فقال أيها الملك كيف رأيت هؤلاء العرب فى دينهم وعدلهم وسياستهم فى ملكهم فقال يوقنا ان القوم يزعمون انهم لايريدون ملك الدنيا وانما يريدون ملك الآخرة ومع ذا انهم ملكوا الشام وأرض مصر وما تغيروا عن طباعهم وانفسهم الدنية وأول الامر وآخره انهم اظهروا الناموس حتى ملكوا البلاد ولما كشفت اسرارهم وتحققت اخبارهم ورأيت بيان ماهم عليه هربت منهم وبعدت عنهم بعد انى ظننت انهم على الحق ونصحت لهم وملكتهم طرابلس وصور وغيرهما وانطاكية وقد علمت ان المسيح قد غضب على اذ تركت دينه وما أمر به من القربان وما وصى به المريحا المعمدان ولست أظن ان لى تطهيرا من دون الذنوب ومساوى العيوب ثم انه أظهر البكاء والتوجع والشكوى فلما عاين اشفكياص مافعله وسمع كلامه انطلى عليه وقال له أيها الملك اذا كنت قد ندمت على قبيح فعالك ورجعت الى الدين الصحيح بقلبك فأبشر بقبول التوبة وزوال الحوبة واعلم ان باب التوبة مفتوح وعلم القبول لاهل الندامة يلوح وقد قرب عيد الصليب وبقى له عشرون يوما وهذا أمرناقس الراهب بدير السكرة وهو من أعظم أهل دين النصرانية فسر اليه فيغمسك فى ماء المعمودية فتخرج نقيا من الذنوب فقال يوقنا افعل ذلك ولكن من يضمن ان يعيش فعند ها قامت ابنته وضعت وقالت والله يا أبت ما أدعك تمضى حتى أتملى منك بالنظر وقبلت يد اشفكياص وقالت ياسيدى أريد أن تاذن لابى أن يصير معى الى حصنى فقال هو الليلة عندى وليلة غد يكون عندك فعلم يوقنا انه لابد من الاكل معه ولابد فى سماطه من لحم خنزير ولابد من الخمر فقال أيها السيد انما كنت وأنا فى نعمتك وخيرك فقال شرجون لاشفكياص أعلم أيها الملك ان الملك يوقنا كثير الشوق الى ابنته ولهم زمان ماراوا بعضهما وما يخفى عليك ذلك والصواب ان يكون الليلة عندها وليلة غد يكون عندك فقال افعلوا ذلك قال فأخذت أباها ونزلت فى السرب الى القلعة الشرقية وعبر أصحابه اليه فى المركب فلما جن الليل قالت الجارية لابيها يا أبت كيف تركت العرب بعد صحبتك لهم ونصحك لدينهم أرأيت ان القوم على باطل وان دينك الاول أفضل منه فرجعت اليه فقال يوقنا أى بنية والله ما اتيت اليك الا من شفقتى عليك وقد افترقنا فى الدنيا وأخاف أن يكون الفراق فى الآخرة عنك وقد علمت وتيقنت ان هذين الحصنين نصب عين المسلمين وأنت تعلمين ان قلعتى كانت أمنع من كل قلعة بالشام وقد ملكتها العرب ونزعت

ملوكوا

ملو كهاعن أرضهم و بلادهم فاتق الله يابنتى فى نفسك واعملى لخلاص نفسك من الزبانية والجحيم الحامية والخلود فى الهاوية وارجعى الى الله من قريب واكفرى بدين الصليب فوالله ماثم دين أفضل من دين الاسلام وعليه كان المسيح والانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما أغر بالنصارى وحيدهم عن طريق الحق رجل يقال له بولص كان من اليهود اغواهم عن الطريق المستقيم وشرع لهم الضلال القديم حتى كفروا بما جاء به الخليل ابراهيم وهؤلاء العرب قد اتبعو ما أمر الله به وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولديهم القول الراجح والفضل الصالح انهم طلقوا الدنيا ثلاثا وطلبوا بعد الاجتماع اشتاتا فارضى لنفسك مارضى أبوك به لنفسه فقالت والله ماقلت شيئا الا وانا به عارفة وقد رضيت لنفسى مارضيت لنفسك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال ففرح باسلامها ثم قال أى بنية ما الذى نصنع فى أمر هذا الكافر اللعين الفاجر قالت والله لقد قال لى الوزير شرجون انه مصر على قبضك وقال انك ما أردت الا التنصب عليه فقال يوقنا اذا كان لامر كذلك فاصنعى لنا سماطا وسيرى اليه استدعيه هو وخواصه فانا آمر اصحابى أن يقبضوا عليهم وعليه اذا اشتغلوا بالطعام والشراب فاذا فعلنا ذلك كانت القلعتان فى قبضتنا ونسلمهم الى اصحاب نبينا ثم انى أريهم اننا هربنا منهم الى أن نحصل فى قرقيسيا فلعل الله أن يفتحها علينا على أيدينا وهذا هو الرأى قال الواقدى رحمه الله تعالى فلما ذهب الليل وأتى النهار امرت جماعتها بصنع الطعام والحلويات وغيرهما فلما صنعوا ذلك وصفوا الموائد وعليها من كل حار وبارد ونزلت فى السرب وقصدت اشفكياص فى قلعته ووقفت بين يديه وصقعت له فقام لها اعظاما وقال لها كيف الملك يوقنا واحواله فقالت أيها الملك انه ما نام الليل وهو متفكر فى القيامة واحوالها والجحيم وما لها واقد أراد اليوم المسير الى مدينة قرقيسيا وان يقصد الراهب المعظم قرياقوس وقد اخرته الى ان تحضروا معه على السماط وتمضى انت وهو الى جرجيس حتى يرجع الى دينه وقد جئت اليك لتحضر سماطى وضيافتى أنت واصحابك وخواصك وتأكلوا من طعامى وتشربوا من شرابى ومدامى والكل من فضلك وانعامك واحسانك وتجبر خاطرى قال فابى اشفكياص مما دخل على قلبه من يوقنا اذ لم يبت عنده وخاف ان يقبضه فقال له الوزير شرجون أيها الملك ليس هذا برأى واذا امتنعت نفر قلبه منك وما يدريك أيها الملك انه ندم على ما سلف منه وقد أقر بالذنب واعترف وانك اذا أكلت سماط ابنته ودعوتهم أنت الى سماطك وبعد ذلك تفعل فيهم ما شئت قال وكان هذا الكلام من شرجون لاشفكياص سرا من ابنة يوقنا فقام عند ذلك وقال لوزيره احفظ مكانى حتى أعود اليك ولم يكن له ولد يرثه فى الملك قال فاخذ معه خواصه من قومه وحجابه وبنى عمه ونزل فى السرب والجارية امامهم وجوارها بين يديه بالشمع وقد علم الوزير انه ما بقى يعود اليه بعدها فلما حصل اشفكياص فى قلعة زلوبيا وثب لقائه يوقنا واصحابه وكان قد اوصاهم بما يفعلونه فلما وقعت العين فى العين واقبل يوقنا اليه ليعانقه ضمه الى صدره وقبض عليه قبضة الاسد على فريسته وفعل اصحابه كما فعل وضربوا فى الحال رقابهم ولم ينتطح فيها شاتان

ولم يعلم بما فعلوه احد ثم نزلوا من فورهم من السرب ومضوا الى زبا فوجدوا اشرجون ينتظرهم فلما رآهم تبسم واعلن بكلمة التوحيد وقال لله درك يا عبد الله لقد شرح الله صدرك للايمان وأرضيت الملك الديان فجازاه يوقنا خيرا وملك قلعة اشفكياص وجعل يدعو بالرجال و يعرض عليهم الاسلام فمن أسلم تركه ومن أبى تركه وضمن بعضهم بعضا حتى لا ينهزم أحد منهم ويروح الى صاحب قرقيسيا ويخبره بما صنع يوقنا وبعد أيام اشرف عليهم عبد الله بن غسان وسهيل بن عدى فى الفى فارس فاوراهم يوقنا التمنع والاعراض وناصبهم للقتال خمسة أيام وقد عرفوا ان ذلك منه حيلة وأرسل اعلمهم فى السران القلعتين فى يده والليلة اسلمهما اليكم وأظهر الهرب الى قرقيسيا فلعل الله ان يفتحها على يدى فلما كان من الليل أمر شرجون أن يسلمهما اليهم ثم ان المسلمين اعلنوا بالتهليل والتكبير ووقع الصائح من كل جانب واشهروا القواضب وكان فى يومه هذا قد وصل من صاحب قرقيسيا بالهدايا والتحف الى يوقنا ويهنيه بالسلامة والخلاص من العرب والرجوع الى دينه فقبل يوقنا الهدية وانزل الرسول فى خيام أصحابه وكانوا قد ضربوا لهم وطاقا فى الجانب الشرقى فلما صار أصحابه المسلمون فى قلعة زبا اظهر يوقنا الفزع والهلع وقال وحق دينى ما هؤلاء العرب الا شياطين ثم انه اخذ بعض ثقل ابنته فى الليل وساروا يطلبون قرقيسيا ففى ذلك قال طريف بن احد بنى ربيعة بن مالك وهو سائر صحبة المسلمين الصحابة رضى الله عنهم هذه الابيات

* اتينا الى أرض الفرات مع الزبا * ونحن نروم الروم من كل فاجر
* وقدامنا ليث الحروب وسهمها * همام شجاع قاتل كل قاصر
* واعنى بيوقنا عليه تحية * يناصب للاعدا بحيلة غادر
* وقاتل ابناء الصليب وحزبهم * بحد حسام ماضى الطقع باتر
وصاح على الملعون قرم زلوبيا * فاورده فى الحال سكنى المقابر
* وملكنا فى القلعتين كلاهما * بسعد واقبال ونصرة قادر
سيحظى غداة البعث يوم معاده * بروح وريحان وحور قواصر

حدثنا سيف بن عمرو التميمى قال حدثنا الانصارى عن المهلب عن طلحة عن محمد بن ابى الدقيلى بن ميسور قال لما كان من أمر يوقنا واشفكياص ماذكرناه وأورى من نفسه الهرب سار مع ابنته وأصحابه والرسول معهم يرومون قرقيسيا وهم منهزمون فوصلوها مساء وقد دخلوا به على شهرياض واعلموه بأخذ القلعتين وكيف فعل معهم العرب فايقن بهلاكه واخذ بلاده فقال له يوقنا أيها السيد لا تخف فنحن نقاتل بين يديك حتى نموت وان نزلت العرب علينا يريدون حصارنا الا ريك العجب بقتالهم ولن يصلوا اليك بسوء فوثق بقوله وخلع عليه وطيب قلبه وانزله بدار جواره وبعث شهرياض من ليلته الى خاله وهو يومئذ ملك أرض ربيعة برأس العين فارسل يتنصر به على العرب ويعلمه ان العرب قد أخذوا قلعتى زبا وزلوبيا وان الرجل المعظم يوقنا ملك حلب قد هرب منهم بعد خدمته لهم وهو عندى فسار الرجل الرسول الجديد مريع

ومنه

ومنه الى المجدل الى رأس العين فوجد رسول شهرياض الملك باعظم تحصين واعد آلة الحصار وزاد فى عرض خندقها ونصب خيامه ومضاربه على مغاربها وعلى طريق النقب وهو معول على لقاء عياض بن غنم ومن معه وقد جمع عنده سائر عرب الجزيرة من بنى تغلب وغيرهم وقد صنع لهم سماطا واستدعى بامرائهم وهو نوفل بن مازن والفريد بن تغلب بن عاصم والاشجع بن وائل وميسرة بن وائل وميسرة بن عاصم وحزام بن عبدالله وقارب ابن الاصم وقال لهم يافتيان العرب لم تزل ترعى صغيركم وكبيركم وحركم وعبيدكم وقد ابحنا كم أرضنا ترعوا فى حزنها وسهلها ونرضى منكم بما تؤدون الينا من أوباركم فانتم آمنون وهؤلاء بنو عمكم قد ملكوا الشام ومعاقله وأرض مصر وما معها ولم يكفهم ذلك حتى اقبلوا الينا يريدون ان يزاحمونا على ملكنا ويخرجونا من أرضنا وقد علمتم ان القوم ان ظفروا بكم لا يبقون عليكم ولا يرضون منكم الا ان تدخلوا فى دينهم أو تقاتلوا عن دينكم وأهلكم وأموالكم فكونوا يدا واحدة لا ينفصل منكم شئ كما كان جبلة ابن الايهم وآل غسان مع الملك هرقل فان نحن نصرنا على القوم فالارض لنا ولكم على السواء وان كانت الاخرى فنموت على دين واحد ويبقى ذكرنا الى الابد قال فاجابوه الى ذلك وتحالفوا وتعاقدوا ان يموتوا على سيف واحد فأعطاهم الاموال والعدد والسلاح وصاروا معه قال ثم ان رسول صاحب قرقيسيا قدم عليه واعطاه كتاب ابن اخته شهرياض فلما قرأه وفهم ما فيه وانه يطلب منه النجدة أرسل اليه يوريك الارمنى وهو الذى بنى تل المؤزر والسن وتل عرب وعابدين والسوائد فارسله ومعه أربعة آلاف فلما قدم الارمنى ومعه أربعة آلاف فارس الى قرقيسيا وكانوا قد قطعوا جسرهم الذى كان على الخابور وكان الجسر على أعمدة حديد وعليها سلاسل وعلى السلاسل أرواح وكذلك أيضا من ناحية الفرات وحفروا حول مدائنهم خندقا عميقا عريضا وحصنوا مدائنهم غاية التحصين وأقاموا ينتظرون عسكر الصحابة رضى الله عنهم

❁(ذكر فتح قرقيسيا)❁

ولما ملك عبدالله بن غسان القلعة الغربية حين سلمها اليه شرجون بامر يوقنا وترك يوقنا العرب وهرب الى قرقيسيا دلهم الراهب شرجون على الطريق نحو السرب الى القلعة الشرقية فملكوها واحتووا على ما كان لاشفكياص فيها وبعثوا الى عياض بن غنم وأرسلوا يعلموه فى السرّ بما صنع يوقنا فدعوا له المسلمون وشكروه وأرسلوا يقولون لعبدالله بن غسان والى سهل بن عدى احتفظا على ما فى القلعة الثانية ولا تأخذا منها قيمة الدرهم الواحد حتى يسلمه يوقنا البتة واتركا فى القلعة من يحفظها واطلبا قرقيسيا وانزلا عليها والسلام قال فلما وصل الكتاب اليهما فعلا ما امرهما به عياض وولوا على القلعة الغربية الاخوص بن عامر ومعه مائة فارس وعلى الشرقية زياد بن الاسود فى مائة فارس ومضى عبدالله بن سهل الى قرقيسيا فحال بينهما وبينها الفرات فدلهم بعض سكان تلك الارض على المخاضة فعدوا فى الليل واصبحوا على ارض واحدة مع اعداء الله وارسلوا الى ماجن والمحولة والبديل والصور وبعثوا اليهم الامان واقروهم

في منازلهم وقالوا ان كانت لنا فقد احسنا فيكم الصنيع وان كانت علينا انصرفنا عنكم مشكورين على عدلنا فيكم قال فاجاب القوم الى ذلك وباعوا عليهم الميرة قال حدثنا هلال بن عاصم عن يحيى بن جبير عن سوار بن يزيد قال لما بعث عبد الله بن غسان الى أهل تلك القرى وطيب قلوبهم ثم انه بعد ايام بعث سهل بن اساف التميمي وكان من الصحابة الاول ومعه مائة من المسلمين ليأتوهم بالطعام والعلوفة من ناحية ماسكين فسار سهل ومن معه فلما وصلوا الى السمسانية شن عليها الغارة واستاق أموالها فخرج عليه نوفل بن مازن في خمسمائة فارس واستخلصوا منهم ما أخذوه ووقع بينهم القتال فحملوا باسرار صافية ونيات سامية وافعال نامية وقلوب تنزهت بالايمان والسنة تنطق بذكر الرحمن ولم يزالوا في قتال الى ان قتل من المسلمين ثلاثون وانهزم سبعة وأربعون وأسر سبعة وعشرون من جملتهم سهل بن اساف بن عدى وحدثوا أصحابهم بما كان من المتنصرة ومنهم فعظم ذلك قال الراوى حدثني نوفل بن عامر عن سالف بن عاصم عن سالم الدوسى قال كنت مع سهل بن اساف حين قدمنا على السمسانية وخرج علينا نوفل بن مازن قال والله لقد قاتلنا قتالا شديدا ما شهدنا مثله حتى كان من أهل الهزيمة ما كان قال سالم بن عبد الله لما اسرهم نوفل بن مازن شدهم في الحبال واقرن بعضهم الى بعض ورجلهم عن خيولهم وسار بهم يطلب رأس العين فاخبروه ان الملك شهرياض على مرج الطير من جانب المنقب فقصد اليه ومعه من بنى عمه أربعون رجلا وساقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن أوقفوهم بين يديه وحدثوه بامرهم فامر بضرب رقابهم فضرب رقابهم وكان آخر من بقى اميرهم سهل بن اساف وكان احسن الرجال وجها قال فشفع فيه بعض البطارقة فوهبه له وكان ذلك البطريق اسمه توتا بن لورك وهو صاحب كفرتوتا فاخذه واتى به الى قصره في كفرتوتا قال فنظرت اليه ابنته فسألت اباها عنه فقال اى بنية ان المسيح قد طرح رحمة هذا الشاب في قلبي فسألت الملك فيه فوهبه لى فخذيه اليك فاخذته وادخلته في بستان قال فلما كان في بعض الايام دخلت البستان فنظرت الى سهل ابن اساف وهو يقرأ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود فلما سمعت قراءته أخذت بمجامع قلبها فقالت ما افصح هذا الكلام واطيبه والينه للافهام فقال لها هذا كلام الملك العلام الذى انزله على سيد الانام فقالت الجارية اما محمد فهو نبيكم لا محالة فيه فمن هؤلاء الذين قال فيهم اشداء على الكفار قال هو صاحبه ووزيره ابو بكر الصديق رضى الله عنه اشداء على الكفار هو صاحب هذا الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر بن الخطاب رحماء بينهم هو كاتبه وصهره عثمان ابن عفان تراهم ركعا سجدا هو اخوه وابن عمه وصاحب سيفه على بن ابى طالب فقالت له الجارية وكان اسمها ابريتا وكانت تكتب بقلم التوراة والانجيل وتتكلم بكلام العرب وكثيرا ما كانت تسأل علماء دينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعطيها احد منهم خبرا حتى وقع بيدها سهل بن اساف فقالت من هؤلاء الذين ذكرت قال هم الذين قالوا وصدقوا وقاتلوا

فحققوا

فحققوا وركبوا نجب السوابق فوفقوا وساروا فى بادية الطلب فلم يرفقوا وكما لاح لهم علم الافضال تشوقوا ونودوا فى سرائرهم رجال صدقوا ثم انه انشد يقول شعرا

رجال من الاحباب تاهت نفوسهم * ينادونه خوفا ويدعونه قصدا
* وقاموا بليل والظلام معس * الى منزل الاحباب فاستعملوا الكدا
* يحثون حث الشوق نحو مليكهم * وقصدهم الفردوس كى يرزقوا الخلدا
* أولئك قوم فى العبادة اخلصوا * فتاهوا به شوقا وماتوا به وجدا

فقالت له الجارية لقد سمعت من نيسا راهب دير قنا ان الله ينشر دعوة نبيكم فى المشرق والمغرب ويملك المشرق والمغرب وانهم يفضلونه على الآباء والامهات والاخوة والاخوات وانهم بعد موته يسيرون اليه واذا ذكر يكثرون الصلاة عليه فقال لها سهل بن اساف اما علمت انه كان فى حياته يدعولهم ويستغفر لهم ولمن دخل فى دينه واقربه ولقد كانت زوجته عائشة رضى الله عنها تقول كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما مضى الثلث الاول والفلك يدور بالنجوم والسماء تزهو بالكواكب والمردة تحرق بالشهب الثواقب وسرادق الله قد مدّ جناحه واحال الظلام دلهامه فبينما أنا فى وادى الوتين ساكنة وبجانبى أفضل مرسل واكرم من ابتهل وتوسل واذا به قد قبضنى وبكلامه الشريف ايقظنى وهو يقول ايتها العين المتكحلة بعين السبات الغافلة عن موارد الهبات هبى من منامك واعملى ليوم حمامك فقد قام اولوا الالباب ومرغوا خدودهم على الاعتاب وفى التراب قالت فقمت معه للخدمة ووقفنا نشفع للامة الى ان برق بارق الصباح وانفلق فالق الاصباح فقال هلمى للصلاة والاستغفار وطلب العفو من العزيز الغفار قالت فوافقته على ما أراد وبلغنا القصد والمراد فلما سكت عن تسبيحه وفاح طيب ريحه رايته وهو يتنفس ويقرع بسبابته جوهر سنه فقلت يا سيد الوجود وطيب الاباء والجدود ان العرب لا تقرع سنها الا لامر مهم أولشان مهم قال تذكرت حال العصاة من أمتى والمخلصين فى محبتى وذكرت قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فقلت يا رسول الله اما انزل عليك قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فوالله ليغفرن لك ولامتك لقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى انت الذى خلق السموات والارضين والعرش والكرسى من أنوارك وانت الذى ربط براق القرب ببابك أنت الذى اخترقت معالم الملكوت وحملت الى حضرة القرب والجبروت وانت الذى أوتيت ليلة القدر وانت صاحب البطحاء والحرم ولانت لك الاحجار وسلمت عليك الاشجار وانشق له القمر ليلة الابرار وانزل عليك يا أيها النبى جاهد الكفار أنت صاحب عرفات ومنى والمخصوص بالشكر والثنا وسوف يبلغك الله فى امتك المنا اما وعدك ربك بالمقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود وبالكرم والجود ورونق السعود على امتك ممدود وسحاب التوفيق عليهم يجود ولواء أصحابك بجواهر قبولك منضود وعليه مرقوم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فكيف تخاف على امتك نزول الباس وقد فضلوا على سائر الناس بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس يا سيدى أنت تعلم ان أباك آدم

تشفع بك فتاب الله عليه ونوح سأل بك نجاه الله من الغرق وابراهيم مع علو قدره بك انجاه الله من النار والحرق وموسى مع تقربه ومكانته بك سأل ربه ان يشرح صدره وييسر أمره قال الراوى وماذكر سهل للجارية هذه المناقب الا لانها ترجع الى دين الاسلام قال فلما سمعت كلامه قالت فما جزاء من يدخل فى دينه ويقول بقوله فقال يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وتمحى عنه سيئاته ويكون جزاؤه الرضوان فى الجنان ثم قرأ قوله تعالى ومن يعمل سوءً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال فلما سمعت الجارية ماتكلم به سهل وقع بقلبها وصغت اليه بلبها قالت انا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ففرح سهل باسلامها فقالت له اكتم أمرك الى الليل حتى أخلصك وأسير معك الى عسكر الاسلام قال الراوى حدثنا صاعد بن عدى الفهرى عن أبيه انه سمعه وهو يحدث الناس بالمدينة وقد أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه باموال رأس العين وخزائن الملك شهرياض قال وان الجارية مضت واستدعت بجوارها واخذت من مال أبيها الف دينار فلما جن الليل فتحت باب السرب بعد ما تحسست فرأت كل من فى قصر أبيها نياما فاتت الى سهل وحلته من وثاقه وقالت له قم على اسم الله وبركة نبيه فقام سهل بن اساف الى الباب واعطته لامة حرب ولبست هى مثلها وخرجا من الباب واذا هما بجوادين فركبا وخرجا وسارا مقدار فرسخين عن كفرتوثا واذا هم بحس الخيل وراءهم فقالت ان كانوا من الروم فعلى مخاطبتهم وان كانوا من العرب المتنصرة فعليك مخاطبتهم قال فوقفوا غير كثير واذا بالقوم عدتهم ثلاث وعشرون فارسا وعليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب قال فتاملهم سهل واذاهم أصحابه الذين قتلوا بحضرة الملك قال فدنا منهم سهل وسلم عليهم وقال سبحان الله الم اشاهد قتلكم قالوا نعم اما علمت ان الشهداء احياء لا يموتون وانما هى نقلة من دار الى دار وان الله قد بعث بارواح الشهداء فى هذه الليلة لتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الليلة ليلة النصف من شعبان فقال لهم انى اريد المسير معكم وفى صحبتكم قالوا انك لا تقدر على ذلك وقد بقى من عمرك احد واربعون ليلة وتلحق بنا واما هذه الجارية فقد اعد الله لها فى الجنة ما اعد لاوليائه وقد بنى لها قصرا من الجوهر والياقوت الاحمر على شاطئ نهر الكوثر ستوره معلقة وبالانوار مرونقة وقبابه مزوقة واسرته موضونة وفرشه مرفوعة واباريقه مصفوفة زواياه محفوفة وحلله منسوجة وحواشيه بحسن الوفاء مسروحة على ابوابه مكتوب بقلم السر المكنون أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون فلما سمعت الجارية قولهم قالت فبم استوجبت هذا النعيم قالوا بتوحيدك الرب العظيم وتصديقك النبى الكريم قال فصاحت صيحة فاذا هى ميتة قال سهل فنزلت فدفنتها وغابوا الشهداء عنى وسرت الى المسلمين فحدثت عبد الله بن غسان وسهل بن عدى بذلك فازداد المسلمون يقينا بذلك وعاش سهل بعدها احدا واربعين يوما ومات رحمه الله حدثنا صفوان بن عامر عن خويلد بن ماجد عن عبد الرحمن بن النعمان عمن حدثه عن فتوح الشام وارض ربيعة والفرس قال لما نزل عسكر المسلمين على قرقيسيا مع عبد الله وسهل قال خندق المسلمون على انفسهم خندقا وتركوا لهم

موضعا

موضعا يدخلون منـه ويخرجون قال واتصلت الاخبار بعياض بن غنم وهو بجانب الرقة وهو يتروى بمن يسند أمره به بشهرياض وجنوده او بحران وازها فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه اتترك جيشا قد تهيأ واحتفل لقتالك وتمضى لسواه والرأى ان تلقى هـذا العدو فاذا أنت هزمتـه واوقعت الهيبة هناك اقصـد من شئت من البلاد فانها تفتح ان شاء الله تعالى قال تعول عياض عـلى ذلك واذا قد اتته جواسيسه وأخبروه انه قد تهيأ لحربكم الملك شهرياض ونوفـل وطرياماس صاحب دارا والموزر وصاحب جلين وارمانوس صـاحب تل سمـاوى وارجو صاحب البارعية وشهرياض صاحب ماردين وروديس صاحب حران وازها وقـد صارت جريدتهـم مائتى ألف وقد ضمنوا الملك لقاءكم وقالوا لا نلقى العـدو الا باهالينا وأولادنا وأموالنا وحريمنا حتى لا ينهزم منا أحد وقد تقدم اليكم الارمن وبعدهم الروم وهم دون الفرات فلما سمع عياض ذلك بعث اليهم الوليد بن عقبة ووصاه بما أراد قال فقدم على بنى تغلب وجمع امراءهم وهـم نوفل بن مازن وعاصم والاشجع وميسرة وحزام وقارب وقال يا فتيان العرب اعلموا ان من نظر فى العواقب أمن من المعاطب وليس أنتم أحـد سنان ولا أقوى جنان ولا اجرى فى الحيوان ولا اوسع ميدان من بنى غسان وليس فيكم من يشبه جبلة بن الايهـم وكان فى ستين ألفا وقـد نصرنا الله عليهـم وقتلنا ساداتهـم والصواب ان ترجعوا الينا وتكونوا من حزبنا قال فاجابوه باجمعهم الا طائفة اياذ الشمطا فانهـم ارتحلوا الى بلاد الروم ووصل عرب بنى تغلب الى جيش عياض بن غنم مسلمهم وكافرهـم فرحب بهم وطيب قلوبهم وقال لهـم يا معاشر العرب ان الله سبحانه وتعـالى قد أراد بكم خيرا بوصولكم الينا وانتزاعـكم عن عبدة الصليب وقـد بر بكم الله اعزاز دينـه وشرف نبيه وقـد وعـدنا وعده الحق بملك كسرى وقيصر واخـذ كنوزهما وما كان ينطق عن الهوى وقال الله فى حقنا ولقـد كتبنا فى الزبور من بعـد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون قال فأسلم كافرهم وبقوا جميعهم مسلمين قال الراوى اخبرنا سيف عن خالد بن سعيد قال لما علم عياض بهروب اياذ الشمطا الى بلاد الروم كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فأرسل عمر رضى الله عنه الى هرقل وولده قسطنطين يقول لهما ان لم تصرفوهـم عن أرضكم لا فنى كل نصرانى عنـدنا قال الواقدى فلما وصلت رسالة عمر الى هرقـل وولده نفذهـم اليـه قال وعزم عيـاض عـلى لقاء الملك شهـرياض وأما ما كان من شهرياض صاحب قرقيسيا فانه جمع بطارقته وقال لهم اعلموا انه قد بلغنى عن من تقدم من الملوك انهـم كانوا يحيشون الجيوش ولا يستغنون عن الحيل وأنا أريد فى غداة غد ان اخرج الى لقاء العرب فاذا اصطفت الصفوف رجلونى عن جوادى واشهروا عـلى سلاحكم كانكم تريدون قتـلى فاقول لكم أنا معتذر انما اردت ان اجرب خبرتكم لدينكم وظننت انه قد اخـذكم الخوف من هؤلاء فاذا سمعتم منى ذلك فارجعونى الى اجلالى واعظامى ثم ناوشوهـم الحرب فاهرب انا اليهم وأقول لهم انى اردت ان اسلم كالمدفهاش القوم على كما رأيتم وهموا بقتلى وقد جئت اليكم راغبا فى صحبتكم فاذا آمنونى وغفلوا عنى أقتل أميرهـم فى الليل وأنا أعلم ان القوم بعده يهون عـلى

أمرهم ثم اعول على انهزامهم فقال له وزيره الارمنى وكيف تسمح بنفسك وتلقيها فى اضيق المسالك وان أنت فعلت ذلك لا نأمن عليك من العرب ويعتبنا خالك ويقول لنا كيف تركتموه مضى الى العرب فقال عبد الله يوقنا لقد صدق السيد فى قوله وكيف نتركك تمضى اليهم وأنا ادبر لك هؤلاء القوم تدبيرا يكون أقرب من هذا واهون قال شهرياض والوزير الارمنى وما هو هذا التدبير أيها الملك قال ان نخرج غدا باجمعنا ونلقاهم ونريهم الجد من انفسنا ونقاتل بحسب الطاقة ثم ننهزم الى المدينة ونستوثق من أبوابها ونصعد على السور فربما تقربوا منا فلا نقاتل فاذا فعلنا ذلك طمعت العرب فينا ودنوا منا واعلموا ان فى عسكرهم جماعة من الروم ممن صبا الى دينهم فربما تقربوا منا فاذا أرادوا ذلك كتبنا اليهم نطيب قلوبهم ونرسل رسولا فى طلب الصلح ونقول ارسلوا الينا عشرة من عقلائكم حتى نرى ما تريدون منا ولعلنا نعتقب منكم صلحا فاذا فعلوا ذلك وحصلوا عندنا قبضنا عليهم وشهرنا سيوفنا عليهم ونقول لهم اما ان ترحلوا عنا والا ضربنا رقابهم فان القوم اذا أرادوا الجد منا طلبوا اصلحنا باصحابهم ورحلوا عنا والعرب اذا قالوا قولا وفوا به فان هزموا الملك شهرياض واحتووا على بلاده دخلنا بعدها تحت طاعتهم وارتحلنا عنهم الى بلاد الروم قال وانما أراد يوقنا بهذا الكلام امرين أحدهما ان يبرأ عندهم من التهمة حتى يطمئنوا اليه والثانى ان يحصل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة فى المدينة فيحتال ان يكونوا تحت يده ليثور بهم فيملك بهم المدينة فقال له وزيره الارمنى وان كان العرب يبعثون الينا صعاليكهم او مواليهم فنقبض عليهم ونعدهم بالقتل فلا يلتفتون الى ذلك ويقع الجد منهم فى قتالنا ولا يرحلون عنا فكيف نصنع قال فأراهم يوقنا انه غضب وحول وجهه وقال وحق المسيح لقد دخل رعب القوم فى قلوبكم ولن تفلحوا بعدها أبدا ووحق ما اعتقده لقد قاتلتهم فى قلعتى بحلب قتالا سارت به الركبان الى سائر البلدان مدة سنة كاملة ولولا ان عبدا اسود من عبيدهم اسمه دامس الهول وعشرين معه نصبوا حيلة على حتى ملكوا قلعتى لما قدروا عليها أبدا وكانوا قد نزلوا على بجميع عسكرهم وابطالهم فكيف بكم وما نزل عليكم الا شرذمة يسيرة وبلدكم حصين ليس ناليه قتال الا من موضعين من صوب الجبل ومن الغرب وما لكم عذر ومن أراد رضى المسيح والاجر قاتل عن دينه وصان أهله وحرمه عن هؤلاء العرب وان خفتم ان القوم يرسلون الينا مواليهم أو من لا له عندهم قدر ولا شان فانا أعرف الناس بهم وبفرسانهم وابطالهم ومواليهم وخاصة أصحابهم فانفذوا مع رسولكم كتابا باسماء لقوم الذين اريدهم منهم المقداد والنعمان وشرحبيل بن كعب ونوفل وعبد الرحمن بن مالك والاسود بن قيس وخالد بن جعفر وابن قيس وهمام بن الحارث ومالك بن نوبة وسلامة بن عامر قال فضحك الوزير الارمنى وقال وحق دينى ان العرب لا يسمحون بهؤلاء قط الا ان يطلبوا رهاين منكم فقال يوقنا ما افشل رأيكم واضعف قلوبكم انفذوا الى القوم فان أجابوا كان ببركة السيد المسيح وان طلبوا رهاين أرسلنا من اضعفنا من اهل المدينة ومن أولادهم والبسناهم افخر الثياب وقلنا هؤلاء اكابرنا أى أهل المدينة قال شهرياض وحق القربان

ما نفعل

ما نفعل الامام ترتنا ثم انه أمر بطارقته وارباب دولته أن يأمروا الناس بالتأهب للحرب ففعلوا ولبسوا اسلاحهم واعتدوا للقتال وأمر سهل بن عدى واصحابه بالركوب فركبت العرب وخرجت من باب الخندق واستقبلوا العدو بهمم عالية وقالوا اللهم انصرنا عليهم كنصر نبيك يوم الاحزاب وعبوا اصفوفهم ثم وعظهم وقال فى آخر وعظه ها أنا حامل نحو طاغية الروم وصليبه فاتبعونى فان فتح الله بقتله هواه واخذ صليبه فالقوم لا ثبات لهم فقالوا أيها الامير لقد دعوتنا الى شئ هو احب الينا فاحمل حتى نحمل قال محمد بن عبد الله فحمل هو ومن معه على عسكر قرقيسيا وكان أمير المسلمين عبد الله بن غسان وسهل بن عدى فلقد قاتلوا قتالا شديدا وجاهدوا فى الله حق جهاده وبذلوا رماحهم وسيوفهم فى اعداء الله والتقى عبد الله بن مالك الاشتر بزنبك الارمنى فلما عاين زيه علم انه من ملوكهم فطعنه فى صدره اخرج السنان من ظهره والتقى النعمان ابن المنذر بشهرياض وقد طحطح الجوع فحمل النعمان ولم يعلم بانه صاحب البلد بل عرف انه من الملوك فحمل عليه النعمان وهو يقول هذه الابيات

وانا القوم فى الحروب ليوثها * وتنفرمنا عند ذاك اسودها
نحامى عن الدين القويم نصونه * ونرغم اصناف العدى ونذودها
لنا الفخر فى كل المواطن دائما * باحمدنا الهادى فذاك سعيدها
ملكنا بلاد الشام ثم ملوكها * الى ان تبدى بالنكال عديدها
وسوف نقود الخيل جردا سوابقا * الى شهرياض الكلب ذاك شديدها
ونملك دارا ثم جلين بعدها * كذا رأس عين والجيوش نقودها
ونمضى الى حران ثم سروجهم * كذاك الرها للساين نبيدها
وانى أنا النعمان ذاك بن منذر * ابيد ليوث الحرب ثم اسودها

ثم اطبق عليه وفاجاه بطعنة فالقاه صريعا فلما نظر جيش قرقيسيا الى هلاك ملكهم انحرفوا الى مدينتهم وتحصنوا فى بلدتهم وخافت ارمانوسة ودخل الرعب فى قلبها ثم انها قالت للعبد الصالح يوقنا يا عبد المسيح ما بقى لى أحد سواك سوى ملكنا ويدبر حالنا فقال ايتها الملكة أنا لك وبين يديك ثم انها خلعت عليه وعلى اصحابه وقالت اعلموا ان هذه المدينة والمملكة لكم فقال يوقنا يجب علينا أن نقوم بحقها ونقاتل بين يديها ثم انه رتبهم على الاسوار فدنا المسلمون ورجالهم وهم يرمون بالمقاليع فكانت حجارتهم لا تخطى ابدا وكان المقدم على الرجال والموالى المنذر بن عاصم ولم يكن بالحجاز ولا باليمن قاطبة ارمى منه بالمقاليع وكان من قوة ساعده اذا خرج حجره يجاوز البرج الاعظم فلم يزل يرمى فيه كل يوم فيصيب الرجل والرجلين فسمته العرب برج المنذر وكانوا قد ضايقوا أهل قرقيسيا تضييقا شديدا فقالت ارمانوسة أين ما وعدت به الملك شهرياض من تدبيرك فى هؤلاء العرب فقال انا فى هذا الامر متفكر ثم انه صعد على السور مما يلى المسلمين ونادى يا معاشر العرب قد طال الامر بيننا وبينكم ولا تسلم لكم الا أن تهزموا الملك وتملكوا رأس العين ونحن لكم بعد ذلك واطلبوا منا من

المال ماتريدون فقد علمنا انكم اذا قلتم فعلتم ووفيتم قال فلما رآه عبد الله بن غسان وسهل ابن عدى والصحابة ونظروا اليه علموا انه يريد ان ينصب حيلة على أهل قرقيسيا فقال سهل بن عدى يا عدو نفسه مكرت بنا وتممت منصوبك علينا بدخولك فى ديننا حتى اطمأننا اليك ثم غدرت ورجعت الى دينك الاول فاين تهرب منا وتولى عنا ونحن لك فى الطلب وسوف نملك هذه المدينة بالسيوف ونضرب عنقك وهذا أيضا من تمام الحيلة فقال يا معاشر العرب لقد صحبتكم وخدمتكم ومارأيت منكم الا خيرا ولكن طالبتنى نفسى بدينى فرجعت اليه والآن فقد مضى ما مضى وهذه المدينة مالكم اليها وصول ولا تقدرون عليها لانها حصينة وفيها رجال الحرب والقوت عندنا كثير ولكن انفذوا الينا منكم عشرة من امراء اصحابكم ممن تثق بهم فيحلفون لنا ونحلف لهم اذا فتحتم رأس العين سلمنا هذه المدينة اليكم ويكون الصلح بيننا بقية هذه السنة فقد بقى منها أربعة اشهر اولها شهر رمضان فقال له عبد الله بن غسان قد اجبناك الى ذلك فمن هم العشرة الذين تريدهم حتى نرسلهم اليك فقال اريد المقداد بن الاسود والاسود مولى قيس وخالد بن جعفر ورواحة ابن قيس وهمام ابن الحارث وسلامة بن عامر وابن نعيم فهؤلاء نريدهم فانه لا يقع الصلح الا بهم قال فوجه عبد الله الذين ذكرهم له يوقنا قال وفتح لهم الباب فقال له عبد الله نحن ما نسمح باصحابنا بلا رهاين فمضى يوقنا الى الملكة ارمانوسة واخبرها ان القوم يريدون رهاين فقالت أرسل لهم من اولاد السوقة قال يوقنا أيتها الملكة ان الحيل فى الحرب من عند العرب خرجت والملوك من شأنها اذا قالت قولا وفت به واعلمى انه قد قال حكيم الفرس اذا كان الغدر طباع قوم فالثقة بكل احد عجز واعلمى ان اهل بلدك فيهم روساء وملوك وهم يعظمون شأنك بعد بعلك الملك ولكن ينظرون اليك بعين التأنيث وينظرون الى بعين الغربة ولا هيبة لى عندهم وربما سمعوا بصلحنا مع العرب فلا يملكونا من ذلك ولا يتم لنا ما نريده وربما يرسلون يستنجدون علينا بمثل ملك الموصل وصاحب الهنكارية ويعظم الامر قال فما الذى تراه من الرأى قال الرأى ان نبعثهم رهاين عند العرب وانما فعل ذلك يوقنا حتى لا يتعرض له متعرض فى المدينة واذا سلمهم لا يكون فيها رئيس من روسائها فاجابته الى ذلك وانفذت الروساء منهم رهاين الى عبد الله بن غسان فلما وصلوا اليه دخل العشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حصلوا فى المدينة أمرهم الى البرج الكبير وهو المعروف ببرج المنذر وانما فعل ذلك حتى لا يعصى من فى البرج لان فيه مال اهل البلد فلما حصلوا هنالك رجع الى الملكة ارمانوسة وقال قد حصلتهم فى البرج وغدا نوقفهم باعلى البرج ونقول لهم اما أن ترحلوا عنا او نقتلهم قالت وكيف نصنع برهايننا ان نحن فعلنا باصحابهم ما ذكرت يفعلوا باصحابنا كذلك قال لها يوقنا اذا كنت تفزعين على أهل البلد فصالحى القوم قالت دبرنا بحسن رأيك فقال السمع والطاعة وأنا أمضى الى هؤلاء العشرة مع ما وصاهم به أميرهم وننظر ما الذى يطلبونه منا ثم انه مضى الى الصحابة وحدثهم بما عزم عليه من تسليم البلد وقال لهم اذا سمعتم الضجة فدونكم ومن فى البرج ثم رجع الى أصحابه ورتبهم على السور ولم يترك معهم أحدا من اهل البلد فلما أظلم

الليل

الليل سار عبدالله يوقنا مع اصحابه المائتين واعلنوا بالتهليل والتكبير وبادروا الى الباب فتحوه وارسل الى عبدالله بأن يأتى اليهم بعسكره فاتوا ووضعوا السيف فى اهل البلد فما أفاق أهل قرقيسيا الاوالمسلمون قدتمكنوا منهم القواضب فقصدوا البرج الاعظم فثار عليهم العشرة الصحابة فعلمت الملكة ارمانوسة ان الحيلة قدتمت عليها من قبل يوقنا وسمعت أهل البلاد ينادون الغوث الغوث فامنهم عبدالله بن غسان وسهل بن عدى واحتووا على مافى المدينة وأخذوا جميع ما كان فيها من الاموال ومافى البرج الاعظم من الذخائر فاخرجوا منه الخمس وقسموا الباقى على المسلمين واعرضوا عليهم الاسلام فمن أسلم منهم وهبوا له أهله وماله ومن أبى ضربت عليه الجزية ثم اجتمع الذين أسلموا أتوا الى الامراء وقالوا نحن قددخلنا فى دينكم فسلموا لنا كرومنا وبساتيننا فقال لهم عبدالله بن غسان وسهل بن عدى هى بحكم الامام يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى يسكن فيها من ارادو يأخذ خراجها ممن هى فى يده فان حكم الخراج والخمس والجزية بأمر الامام يأخذ حاجته منه ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين (قال الراوى) واسلمت ارمانوسة ومن كان يلوذ بها فاقرهم عبدالله فى أماكنهم واحسن اليهم غاية الاحسان وجددلهم الامان كل ذلك ليتصل الخبر باهل البلاد فيدخلوا فى الاسلام قال عطية بن الحارث وكان ممن أدرك ذلك قال كان فتح قرقيسيا أول ليلة من شهر رمضان سنة اثنين وعشرين من الهجرة وبنوا الكنيسة العظمى وهى بيعة جرجيس جامعا ولم يبرحوا حتى صلوا فيه واطلقوا الرهبان وتسلم ولايتها شرحبيل بن كعب فى مائة وخمسين رجلا وعولوا على المسير الى ماكسين والتفت الامير الى عبدالله يوقنا وقال مرابنتك أن ترجع الى قلعتها فقد جاءت الوصية الينا من قبل الامير عياض قال فعادت والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

(ذكر فتح ماكسين والشمسانية)

قال حدثنى زهمان بن رقيم عن الصلت بن مجالد عن الفيل بن ميسور قال لما ارتحل عبدالله عن قرقيسيا ونزل على ماكسين ففتحها صلحا على أربعة آلاف درهم من نقد بلادهم والف حمل طعام حنطة وشعير فقلقوا من ذلك فترك لهم النصف وكذلك أهل الشمسانية ثم نزل على عربان فجاؤا اليه وصالحوه صالح به أهل ماكسين ثم ارتحل الى المجدل فلكها واقام بها ينتظر ما يرد عليه من اخبار أميره عياض بن غنم وهو نازل على نهر البلخ فكتب اليه يعلمه بما فتح الله على يديه فلما وصل الكتاب اليه كتب اليه ان الزم مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام قال سهل بن مجاهد بن سعد لما فتح الله على يد عبدالله بن غسان أرض الخابور صلحا واقام بالمجدل انشد قيس بن أبى حازم البجلى هذه الابيات

اقتنا منار الدين فى كل جانب * وصلنا على اعدائنا بالقواضب
ودان لنا الخابور مع كل أهله * بفتيان صدق من كرام العرايب

هزمناهم لما التقينا بماسح * وثار عجاج النقع مثل السحائب
وكل همام فى الحروب نخاله * يكر بحمل فى صدور الكتائب
وجندل وفد الروم فى كل جانب * تركناهم فى القاع نهبا الناهب
ومازال نصر الله يكنف جمعنا * ويحفظنا عن طارقات النوائب
فلله حمد فى المساء وبكرة * ومالاح نجم فى سدول الغياهب

(ذكر فتوح قلعة ماردين)

قال حدثنى سوار بن كثير عن يوسف بن عبد الرزاق عن الكامل عن المثنى بن عامر عن جده قال لما فتحت مداين الخابور صلحا بلغ قتل الملك شهرياض صاحب أرض ربيعة وعين وردة وراس العين فعظم عليه وكبر لديه فجمع أرباب دولته وهو نازل على أرض الطير وقال لهم هذه ثلاث مداين من بلادنا قد ملكت وقلعتان والعرب المتنصرة قد مضت عنا فقال له البطريق توتا أيها الملك انه لابد للعرب منا ولابد لنا منهم ويعطى الله النصر لمن يشاء غير انه كان من الرأى انك لو زوجت ابنك عمودا الملكة مارية بنت أرسوس بن جارس صاحب ماردين ومرين يعنى لاعانتنا قلعة المرأة (قال الراوى) وكان السبب فى بناء القلعتين المذكورتين ان هذا الرجل ارسوس بن جارس كان من أهل طيرزند وكان شجاعا بطلا مناعا وكان اول من بنى المملكة بارمينية وكان منفردا بطيرزند وكان يغار فى بلاد الروم حيث شاء حتى كتب أهل تلك البلاد الى الملك الاعظم يستغيثون من يده فارسل به الملك هرقل من انطاكية الى دار ربيعة وقال له ابن لك حصنا تسكن فيه فلما توسط أرض جبل ماردين نزل تحته ونظر واذا على قلة الجبل موضع نار وكان فيه عابد من عباد الفرس وكان مشهورا عندهم بالعبادة وكانت الهدايا تقبل اليه من اقصى بلاد خراسان والعراق وكان اسمه دين فلم يعر به ارسوس حتى صادقه وكان يحمل اليه الهدايا والتحف وكان العابد لا يحتجب عنه ولم يزل معه حتى انه وقع به منفردا فقتله وغيبه فلما عدمه أهل تلك الارض قالوا مات دين ثم ان ارسوس بنى بيت النار وجعله حصنا وكانت له ابنة يقال لها مارية فلما رأت اباها بنى له مكانا وتحصن فيه بنت هى أيضا قلعة بازائه وحصنتها وجعلت فيها اموالها وذخائرها ورجالها وكانت كلما خطبها أحد ترده دونها لانها من بيت المملكة وكان بالقرب من قلعتها دير بسفح الجبل وفى الدير راهب قد انقطع فيه وكان من اجمل الناس وجها وكان اسمه فرما قال فاتت اليه زائرة فلما رأته وقعت محبته فى قلبها فلم تزل تتردد اليه وتجاسر عليه الى أن صارت بينهما صحبة فسلمت نفسها اليه فحملت منه فلما تكامل حملها ولدت فى خفية ولدا ذكرا فسلمته الى دايتها وقالت لها انظرى كيف تفعلين بهذا الغلام فانى لا احبه ولا أريد قتله لانه ان علم أبى بقصتى قتلنى ثم اخرجت لها ذخاير نفيسة وجعلتها فى قماطه وخيطت عليها وقالت من وقع به ينفقها على تربيته ثم انها افتقدت بدنه واذا على خده الايمن شامة سوداء بقدر الظفر ورأت أذنه اليمين وفيها زيادة قال فاخذته الداية ونزلت به ليلا ومعها خادم وكان مطلعا على اسرار المملكة

فانت

فاتت به الى أسفل القلعة فى الطريق الاعظم وهناك عامود من رخام وغالبه غائص فى الارض وهو قائم وعلى رأس ذلك العامود قاعدة من الرخام فوضعت ذلك المولود على القاعدة خوفا عليه من الوحش ان يقربه فيأكله ثم رجعت هى والخادم الى القلعة (قال الراوى) رضى الله عنه وكان من قضاء الله وقدره ان صاحب الموصل الملك الانطاق قد بعث رسولا لشهرياض ثم الى ارسوس بن جارس صاحب ماردين فجاز سحرا فى الطريق الذى فيه العامود فسمع بكاء الطفل فدنا منه وهو على جواده فنظر عصابة الذهب فاخذه وسلمه الى جارية كانت معه فى السفر وقال لها احتفظى على هذا المولود فلا شك ان له شأنا ثم اوصل الرسالة الى صاحب ماردين وارتحل الى رأس العين وأعاد الجواب على الملك شهرياض واجرى الله على لسانه بأن حدث الملك شهرياض بقصة الطفل الذى وجده على العامود فقال اعطنى اياه فانه ليس لى ولد يرثنى ويخلفنى فى ملكى فدفعه اليه فاخذه الملك ودفعه للخواص والدايات فربوه الى ان ركب الخيل ونشا وترعرع فسماه الملك عمود وسماه الناس ولد الملك وتربى فى النعمة وتعلم طريقة الملوك من ركوب الخيل والرماية والقتال والمعالجة والصراع الى ان سما ذكره وانتشر فى الناس فخره وكان لا يأوى الى عين وردة بل أكثر زمانه فى الصيد والقنص وبنى له قصرا على رأس المغارة يأوى اليه وسمى القصر باسمه عمود وليس عند امه مارية خبر بما فعل الزمان به وانقضت الايام واندرجت الاعوام حتى قدم عسكر المسلمين يريد فتح أرض الجزيرة فلما شاور الملك أرباب دولته فى أمر العرب اشار عليه توتا ان يزوج ولده عمودا من الملكة مارية فانها لا تصلح الا له وهى بكر ولها من العمر ثلاثون سنة وقد خطبها الملوك وابناؤهم فلم ترض بهم لانها تراهم دونها وأنت اذا طلبتها لولدك لم يمتنع من ذلك أبوها ويفرح بمصاهرتك فاجابه الى ذلك وبعث الى أرسوس بن جارس هدية عظيمة وقال لتوتا كن انت الواسطة فى ذلك فسار توتا الى ارسوس وسلم عليه ودفع اليه الهدية فقبلها وتحدث معه فيما ذكرناه فاجابه الى ذلك وطلب منه الصداق مائة ألف دينار والبارعية وجملين وعشرين أميرا من العرب ليقتلهم قربانا للمسيح ليلة زفافها فاجابه توتا الى ذلك فركب ارسوس الى قلعة ابنته ودخل عليها واعلمها بالخبر فرضيت فخرج من عندها وجمع القسوس والشمامسة وزوج ابنته لعمود وليس عندهم خبر من احكام القدر (قال الراوى) ورجع توتا الى الملك شهرياض واعلمه ان الامر قد انبرم واعلمه بما اشترط عليه ارسوس من القلعتين البارعية وجملين ومائة ألف دينار وعشرين أميرا من العرب ليتقرب بهم ليلة زفافها ففرح بذلك وانفذ الاموال وقال اذا زفت عليه سلمت الى أبيها القلعتين ثم انه طلب عمودا واخبره انه قد زوجه ابنة ارسوس بن جارس وقال له اعلم يابنى ان من جملة الصداق عشرين من فرسان العرب فتجهز وخذ العسكر واقصد العرب وأمر ان يخرج معه توتا الوزير ورودس صاحب حران وقال لهم ان قدرتم أن تكبسوا العرب فافعلوا ومضوا ومعهم عشرون ألفا (قال الروى) واتت عياض عيونه وأخبرته بما جرى وانهم قد اقبلوا اليك وهم رودس صاحب حران وصاحب

كفر توتا وعامود بن الملك فى عشرين ألفا وهم يريدون كبسكم فى الليل فاستيقظوا لانفسكم قال فجمع عياض وجوه الصحابة واستشارهم فقال خالد بن الوليد اكتب من وقتك الى عبد الله ابن غسان وسهل بن عدى ان يسيروا الينا من وقتهم وتعلمهم بما قصد العدو فيكونون منهم على حذر فاذا قربوا منهم يكمنوا لهم حتى يعبروهم ويصير أصحابنا من ورائهم ونكمن نحن عن يمينهم وشمالهم ثم نطبق عليهم فقالوا كلهم هذا هو الرأى المصيب وخرج خالد فى الفين وكتب فى الحال الى عبد الله وسهل فامرهم باللحوق بعسكر خالد ويوصيهم بما يفعلون وبعث الكتاب مع سراقة ابن دارم فوصل اليهما فى يومه على ناقة له فلما وصل وقرأ الكتاب ارتحلوا من ساعتهم واطلع الصحابة على الخبر فركبوا وانفذ عبد الله عيونه يتجسسون له خبر العدو (قال الراوى) واما خالد فانه انفصل عن عياض فى الفين ولم يأخذ بهم على الجادة بل أرسل القاعين يمين الطريق وأمر عليهم ابن سعد والقاعين يسار الطريق مع خالد وأمر سعدا ان لا يبعد عن الطريق وأرسل عيونه (قال الواقدى) انه لما سار عمود وتوتا وورودس فى العشرين الف فارس فلم يزالوا سائرين الى ان بقى بينهم وبين عسكر عياض بن غنم عشر فراسخ فنزلوا فى مكان يستريحون ويعلقون على خيولهم ويلبسون لامة حربهم (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه وسار جيش عبد الله بن غسان من ورائهم وسار خالد بن الوليد عن يمينهم ونجيبة بن سعد عن يسارهم وليس عند الروم خبر من ذلك فلما علم خالد ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احدقوا بالقوم أرسل اعلم المسلمين ان يتأهبوا الى وقوع الصوت قال فتأهبوا ثم ان خالدا أخذ خمسمائة من أبطال المسلمين وترك خمسمائة مع عدى بن سالم الهلالى وقال له اذا رأيت الحرب وقد اشتعل نارها وتطاير شرارها فاخرج من كمينك ثم ان خالدا قصد جيش العدو بمن معه وتظاهر لهم ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير قال فسمعت الروم أصواتهم فلبسوا سلاحهم ولم يركب منهم سوى رودس وأصحابه وهم خمسة آلاف ولم يكن فيهم مستيقظ سواه وتوتا مشغول مع عمود قال وان صاحب حران استقبل خالدا واستصغر شأنه لما رآه فى شرذمة قليلة فطمع فيه واشتغلت الروم بالنظر اليهم وقالوا رودس يكفينا أمرهم قال فبينماهم ينظرون اذ صاح خالد بعبد والله رودس وانحط عليه انحطاط السحاب وهو يقول هذه الابيات

وانا لقوم لا تكل سيوفنا * من الضرب فى اعناق سوق الكتائب
سيوف دخرنا ها لقتل عدونا * واعزاز دين الله من كل خائب
قتلنا بها كل البطارق عنوة * جلاء من كل حائب
الى ان ملكنا الشام قهرا وغلظة * وصلنا على أعدائنا بالقواضب
انا خالد المقدام ليث عشيرتى * اذا همهمت اسد الوغا فى المغالب

وفاجأ رودس بطعنة فالقاه على وجه الارض فاوثقه غلامه همام وحمل فى أصحابه هو ومن معه قال فهم فى ذلك اذ خرج عليهم نجيبة بن سعد وعدى بن سالم وأشرف من بعدهم عبد الله بن غسان فامتلأت الارض بالزعقات وارتجت سائر الجهات

وصدموهم على الخيل الاعرابيات ونادوا باسم جبار الارض والسموات واطبقوا عليهم من كل جانب وكان التوفيق للصحابة مصاحبا فالحقت الروم ان تركب على خيلها الا والسيف يعمل فيها فقطعوهم وفرقوا اموالهم واستوثقوا منهم اسرى وأخذوا عمودا وتوتا فكانت الاسارى أربعة آلاف والقتلى ألفا وسبعمائة وستة وستين وولى الباقى الادبار فوصلوا الى الملك شهرياض فاعلموه بما وقع فضاقت عليه الارض بما رحبت وعلم ان دولته قد انقرضت وان ايامه قد اضمحلت ومضت فاحضر من بقى من ارباب دولته فاستشارهم بما يفعل فقالوا ايها الملك ان مقامنا على رأس العين سفه فان بيننا وبين حران والرهان وسروج بعيد فطمع العرب فى بلادنا بل الرأى ان نرحل ونتوسط البلاد وتكون قلاعنا اقرب منا والميرة تصل الينا من كل جانب فان كانت لنا وانهزمت العرب اخذنا عليهم سائر الطرقات وان كانت علينا انهزمنا الى ماردين وقلعة مازر وكفر توتا وقصدنا جملين وتل توتا والبارعية وتل سماو وتل القرع والصور ودجلة الجبل ونأمن على انفسنا قال فاجابهم الى ذلك وارتحل من برج الطير وقصد رأس العين ورتب آلة الحصار وترك فى المدينة عشرة آلاف فارس مع مرتودس وكان من الفرسان المشهورة وهو مزوج بابنة الملك شهرياض فلما رتب امره رحل الى مرج رغبان حدثنا أبو يعلى عن طاهر المطوعى عن ابى طالب بن مليحة عن وهبان بن بشر بن هزارد قال قرأت الفتوح من اوله الى آخره بجامع الرصافة على احمد بن عامر الحوفى واحمد قرأ على سعدان ابن حاصب وابن حاصب قرأ على يحيى بن سعيد المروزى ويحيى قرأ على ابى عبد الله ابن محمد الواقدى وهو يومئذ قاضى الجانب الغربى قال لما نزل الملك شهرياض على مرج رغبان بجيوشه ارتحل عياض فى أثره بعد ما كتب بخبر الوقعة وفتح زبا وزلوبيا والخابور الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسأله الدعاء وبعث الكتاب والخمس وما اخذه من القلاع وارسله مع حباب بن صهبان وضم اليه مائة فارس فسار الى المدينة واما عياض ابن غنم ومن معه من عساكر المسلمين فانهم تبعوا شهرياض الى أن نزلوا مع العدو بمرج رغبان قال فنزلوا فى مقابلتهم قال واتصلت الاخبار بارسوس بن جارس صاحب ماردين باسر محمود فاحضر ابنته اليه وقال لها اى بنية اعلمى ان بعلك قد اسر وهو ابن الملك ونحن نخاف العار بان يقال مارية ابنة ارسوس ما كانت موافقة على ابن الملك وانه لما تزوج بها اسر وقد حرت فى أمرى فقالت له مارية يا ابت وحق المسيح لقد قلت الحق وتكلمت بالصدق فما عندك من الرأى قال لها وما عندك انت قالت اريد ان اتنكر وادخل الى عسكر المسلمين وآتى أميرهم واقول له انى قد اتيت اسلم على يديك لرؤيا رأيتها وهو انى رأيت المسيح فى النوم ومعه الحواريون وكأنى أشكو للمسيح ما نزل بنا منكم وكأنه يقول لى اسلمى فان القوم على الحق وقد جئتكم لاسلم أملكنكم قلعة أبى وتتركونى انا فى قلعتى فاذا قال اميرهم فكيف تملكينا قلعة ابيك وهى امنع الحصون واحصن القلاع فاقول له يرسل معى من فرسانهم مائة فارس من صناديدهم وادخلهم فى قلعتى واجعلهم فى صناديق وارسلهم الى قلعة أبى واسير معهم

الى ولى قلعة ابى واقول هذه الصناديق فيها اموالى واريد اجعلها فى خزانة ابى فاذا حصل القوم عندى رميتهم فى المطامير واقول لهم لست ادعكم حتى ترسلوا الى أميركم يرسل الى بعلى فقال لها أبوها انك تريدين ان تلقى نفسك فى الهلاك وان العرب لا تتم عليهم الحيل لانهم هم اربابها قالت وان طالبوا منى رهاين فاذا وقع الفدا باصحابهم طلبت الرهاين مع بعلى فقال لها دبرى ماتريدين فلعل ان يكون فيه المصلحة قال فنزلت فى الليل وقصدت مرج رغبان ومعها خادم واربع مماليك يسوقون بغلتها وعليها من الهدايا والتحف والظرف قال فلما وصلت الى تنيس التقت بغلمان أبيها وحاجبه ومعهم اربعون أسيرا من العرب منهم عبد الله بن غسان وامثاله قال وكان السبب فى ذلك ان عياض بن غنم لما ارتحل يطلب رأس العين مع هؤلاء السادة الذين مع عبد الله بن غسان بحسب العادة فى سيرهم الى حران وسروج والرها ليأتوا بالطعام والميرة للعسكر فساروا فلما توسطوا البلاد التقاهم السايس بن نقولا وجرجيس بن شمعون وقد اقبلا بميرة عظيمة لعسكر الملك شهرياض ومعهم ثلاثة آلاف غائصين فى الحديد فلما رأوا قلة المسلمين طمعوا فيهم فاقبلوا واطبقوا عليهم من كل جانب فاخذوهم قبضا بالكف واحضروهم بين يدى الملك شهرياض فهم بقتلهم فقال له وزيره أيها الملك ليس هذا براى لان ولدك عمودا فى يد العدو ورودس صاحب حران وتوتا صاحب الحجاب فان انت قتلتهم قتلوا اصحابك وولدك والصواب انك ترسلهم الى قلعة ماردين يعنى قلعة المرأة وتسلمهم الى الملكة مارية يكونون عندها فاذا طلبتهم العرب تقول لهم انهم فى قلعة ماردين وليس هم فى أسرنا ونحن لا نبالى بمن هم عندهم فيكون اعظم لحرمتك وهيبتك فاستصوب رأيه وارسلهم الى مارية مع حاجب ابيها فالتقت بهم على تنيس كما ذكرنا فامرت الحاجب ان يوصلهم الى قلعتها ففعل ثم انها سارت حتى انها اتت الى عسكر المسلمين فى حكم الليل فكان يطوف فى العسكر سهل بن عدى ونجيبة بن سعد فى جماعة فلما رأوها اتوا اليها وسألوها عن حالها فقالت اريد أميركم فاتوا بها الى عياض بن غنم فلما وقفت بين يديه قدمت له الهدايا وهمت ان تسجد له فنهاها وقال ان الله قد أعزنا بالاسلام وانقذنا من الضلال بمحمد صلى الله عليه وسلم فازال عن قلوبنا الغل والحسد واتباع الهوى وشرفنا بالتحية ونزهنا ان يسجد بعضنا لبعض وما يرغب فى ذلك الا الجبابرة من ملوك الارض وان الله يقول العظمة ردائى والكبرياء ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ابالى ومارية تفهم مايقوله فلما انتهى قالت أيها الملك ان الله بهذا نصركم علينا قال لها فمن أنت قالت انا مارية بنت ارسوس بن حارس صاحب ماردين وان الذى بايديكم اسير هو بعلى ولا صبر لى عليه وهو عمود فلما كثرت فكرتى فيه واشتد شوقى اليه رأيت المسيح فى نومى والحواريين وقد امرنى باتباعكم وقد اتيت اليكم بهذه النية بأن اتبع دينكم واسلم لكم القلعتين قلعتى وقلعة ابى على شرط ان تبقونى فى قلعتى ولا تغيروا من أمرى شيئا واقيم انا وبعلى فيها وأكون الحاكمة على اهل بلدى قال فتبسم عياض من قولها وقال يا مارية اما انك ما اتيت الينا الا لتنصبين علينا بسبب بعلك وكيف يكون هذا بعلك وهو ولدك وحديثه كذا

وكذا

قال فلما سمعت الجارية الحديث من عياض بن غنم انخطف لونها وتغير كونها وقالت له
ياسيدي ومن اين لك هذا وان عمودا ولدي وهو ولد الملك شهرياض قال لها رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الليلة وحدثني بذلك كله فقالت اني اريد ان أراه فان كان ولدي فان لي
فيه علامة فأمر عياض بن غنم بحضوره فأتي به سعيد بن زيد فلما نظرت اليه ووقعت عينها
عليه ورأت الشامة التي على خده وزيادة اذنه ورأت عصابتها ومافيها من الجواهر صاحت
صيحة عظيمة اذهلت من حضر وترامت عليه والتزمته وقالت ولدي لاشك فيه وقد صدق
محمد صلى الله عليه وسلم في قوله قال ونظر الغلام الى أمه فتحرك الدم في بدنه فغشي عليه من
البكاء فلما افاق بكا بكاء شديدا هو وامه فلما سكتا قال لهما عياض قد يجب عليكما ان توحدا
الله شكرا على ما انعم عليكما فانه يزيد الشاكرين ورحمته قريب من المحسنين ولا يردّ بأسه عن
المجرمين ليس له حدّ ولا قبل ولا بعد هو الاوّل وعليه المعوّل وهو الآخر وله المفاخر قال
فلما سمع عمود ماقاله عياض قال والله مافي قولك زور ولا محال وانا أشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال فلما نظرت مارية أمه اليه وقد أسلم وافقته
في الحال وعرجت عن طريق المحال وشهدت لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة فقال عياض بن
غنم ومن حضر من المسلمين تقبل الله منكما اسلامكما ووفقكما واعلما ان الله قد طهر قلوبكما
وغفر ذنوبكما فاستأنفا العمل ولكن كيف السبيل الى هذه القلعة المانعة فقالت اشرفان
اصحابكم اسرا عند حوران وقد وجههم شهرياض الى لافدي بهم منكم هذا الغلام عمودا وقد
سيرتهم الى قلعتي وها انا أسير اليهم واحصلهم في قلعة أبي وافك أسرهم واملك بهم القلعة ان
شاء الله تعالى فقال لها عياض لقد وفقك الله في كل حال وصرف وجهك عن المحال ولقد
صعب على اسر اصحابنا ولكن قد طاب قلبي بما قلت من الصواب فدعي ولدك عندنا
وترجعين الى ابيك فاذا رأيته فقولي له قد تمت حيلتك علينا فاذا حصلت عند اصحابنا فافعلي
مافيه الصلاح فقالت السمع والطاعة ثم ودّعت زوجها أي ولدها والمسلمين وسارت من ليلتها
الى ماردين فوجدت أباها قد نزل الى خدمة الملك الى مرج رغبان ووجدت الحاجب الذي
كانت معه الاسرى قد اوصلهم الى قلعة أبيها وتركهم تحت قبضته وكان هذا الحاجب من
عقلاء الناس ممن قرأ التوراة والانجيل والزبور وكان راهبا في مبدئ أمره وكانت له صومعة
على عمود رخام قائم طويل وصنع على رأس العامود قائمة عظيمة وعقد عليها قبة وكان يصعد
اليها بسلم ابرسيم معلق باعلى القبة وله سكان في الارض فاذا حصل في القبة انتزع السكان
واخذ السلم اليه فشاع خبره وغاذ كره بالعبادة والرهبانية فلما توجه الى بلادهم وفتحت
الخابور صلحا اجتمع حول ذلك العامود أمم وقالوا يا ابانا ما الذي تشير به علينا فان العرب
قد توجهت الينا وقد فتحوا الشام واكثر العراق وحصلوا في ارضنا فما الذي نصنع قال
فاطلع عليهم من القبة وقال يامعاشر النصرانية مازالت النعم عليكم ظاهرة وباطنة مطمئنين
في البلاد وقد ذلت لكم رقاب العباد ونصركم المسيح على سائر الامم وردّ عنكم سائر الامم ومهد لكم

الارض فى الطول والعرض اذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتردون المظالم الى اهلها وتحكمون بالحق وتتبعون شريعتكم وتزجرون أنفسكم عن اكل الحرام واتباع الزنا فلما غيرتم غير بكم وفى انجيل يحيى وانجيل مرقس مكتوب من اتبع سنن الحق وعود لسانه طريق الصدق وفعل باوامر ربه والزم نفسه بما يعنيه ولم يبخس الناس أشياءهم وداوم على صلاته وعمل باوامر شريعته ولم يتبع هواه بلغه زهده ما تمناه ومن جار وبغى وظلم وتجبر وحاد عن طريق الحق كان فناؤه عاجلا ولنفسه بيده قاتلا وخربت داره وجداد خاره وكان الخوف شعاره والجحيم دثاره وفى التوراة مكتوب لا تظلموا انه لا يحب الظالمين وقد بلغنى ان فى القرآن مكتوب ان الله لا يصلح عمل المفسدين فاصلحوا ذات بينكم واجعلوا تقوى الله نصب عيونكم وقاتلوا عن اهليكم وحريمكم واتبعوا شريعة نبيكم واخرجوا الى جهاد عدوكم فان الجهاد اليوم افضل من جميع العبادات المأمور بها فانه من جاهد اعداءه كانت الجنة مأواه الا وانى نازل الى صومعتى هذه فلا يتخلف أحد منكم ثم انه ارسل سلمه ونزل فلما رأوه وقد نزل أقبلوا عليه بالسلام وقبلوا يديه ورجليه فاتى بهم الى كنيسة دمائر وكنيسة باذا فصلى بهم ودعا ثم أمرهم بالجهاد وقصد دير ملوخ وهو قبله من دار عبديدان الروم وكان فيه راهب فناداه باسمه وقال له ليس هذا وقت العبادة فنزله من صومعته وسار الى نصيبين فخرج الى لقائه الملك قرقيا قس فترجل اليه وصافحه وسار بين يديه الى البيعة وزار دير يعقوب وهرع أهل نصيبين فوعظهم وامرهم بالجهاد وقصد رأس العين وبلغ خبره لارسوس بن جارس فلما اسر عبد الله بن غسان ومن معه بعثهم مع الراهب ميتا بن عبد المسيح والتقته مارية فى الطريق كما ذكرنا وامرته بان يسير بهم الى قلعتها فلما ابعد عنها لقى أباها فى عسكره فسأله عما هو فيه فاخبره ان الملك شهرياض ارسله بهؤلاء الاسرى فقال له من انت قال انا ميتا بن عبد المسيح فلما سمع ارسوس قوله فرح به وقال وحق دينى لى زمان ارقبك ولست استغنى عن رأيك ولكن انطلق بهؤلاء الى قلعتى وتولى انت حفظهم حتى يأتيك أمرى وخذ هذا خاتمى فانطلق بهم واوصلهم الى القلعة ووضعهم فى الاعتقال وتولى حفظهم بنفسه وجعل ينظر الى حسن عبادتهم وجودة تلاوتهم فاقبل عليهم وقال لهم اخبرونى كم فرض عليكم فى اليوم والليلة فقال عبد الله بن غسان خمس صلوات فمن اتى بها بركوعها وسجودها على الكمال لا يرد على النار قال الله تعالى فى كتابه حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الصلاة صلة ما بين العبد وربه فيها اجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة الرزق وراحة الابدان وستر بينه وبين النار وثقل فى الميزان وجواز على الصراط ومفتاح الجنة وهذه الصلاة فرضت على جميع الامم فلم يؤدوها وقصروا فيها حتى فرضها الله علينا فادیناها والصلاة جامعة لجميع الطاعات فمن جملتها الجهاد وان المصلى مجاهد عدوين نفسه والشيطان وفى الصلاة الصوم فان المصلى لا يأكل ولا يشرب وزاد على الصيام التمسك بمناجاة ربه وفى الصلاة الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام والمصلى قصد رب البيت وزاد على الحج بقربه من

ملكوت ربه قال الله تعالى واسجد واقترب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم جميع المفترضات افترضها الله تعالى فى الارض الا الصلاة فان الله افترضها فى السماء وانا بين يديه وقال يا محمد هذه الصلاة افترضتها على جميع الانبياء واما امتك فقد سلمتها اليهم وجعلت جميع الطاعات كلها فيها وقال صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل وقال لى يا محمد قم فاصنع مثل ما اصنع فتقدم وصلى ركعتين وقال لى يا محمد هذه صلاة الصبح وهى أوّل صلاة صلاها ولذلك سماها الاولى ثم صلى به مرة أخرى اذ صار ظل كل شئ مثله وقال له هذه صلاة الظهر ثم صلى العصر فى أوّل وقتها وقال هذه صلاة العصر ثم صلى به مرة أخرى اذ صارت الشمس مصفرة ثم صلى والشمس قد غربت وقال هذه المغرب ثم صلى به عند مغيب الشفق وقال هذه العشاء الاخرى ثم صلى المرة الخامسة والفجر قد طلع وقال هذه صلاة الصبح وقال نبينا فرضت الصلاة مثنى مثنى فزيدت فى الحضر وتركت صلاة السفر على حالها فقال ميتا لعبد الله بن غسان يا أخا العرب فما معنى رفع أيديكم فى الصلاة للتكبير فقال الا ترى ان الغريق يتعلق لما يجد شيئا يتعلق به لينجو من الغرق وكذلك العبد فى الصلاة فهو غريق فى بحار الخطايا والمعصية يرفع يديه ويقول يا رباه خذ بيدى فانى غريق فى بحار الخطايا والمعصية هارب منك اليك وأما معنى القراءة فى الصلاة فهو عتاب بين العبد وربه وأما الركوع فمعناه انا عبدك وقد مددت عنقى اليك وأما الرفع من الركوع وقول العبد ربنا لك الحمد يعنى على عتق رقبتى من الذنوب يقول الله تعالى بقول العبد أنا عبدك قد اعتقتك من الذنوب واما معنى السجدة الاولى ووضع الجبهة على الارض كانه يقول منها خلقتنى والرفع منها أخرجتنى والسجدة الثانية وفيها تعيدنى والرفعة الاخرى ومنها تخرجنى تارة أخرى واما معنى السلام على اليمين معناه اللهم اعطنى كتابى بيمينى ولا تعطنى كتابى بشمالى ولما حضرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته قال من حافظ على الصلوات الخمس كانت كمثل نهر عذب يغتسل فيه أحدكم كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شئ فكذلك الصلوات الخمس لا تبقى على العبد خطيئة فلما سمع الراهب ميتا كلام عبد الله قال اشهد انكم على الحق وان دينكم حق وقولكم صدق ثم اسلم وبعد بقليل وصلت مارية لما علمت ان الصحابة فى قلعة ابيها فلما صارت فى أعلى القلعة ونزلت فى دار ابيها باتت على قلق بسبب الصحابة فلما كانت من الغد دخل عليها ميتا وسلم عليها فقالت له يا ميتا ما الذى صنعت بالعرب قال استوثقت منهم حتى يرى الملك فيهم رأيه فقالت والله ما قصرت ولكن اجعلهم معنا فى البيعة حتى يروا حسن عبادتنا وقراءتنا الانجيل فلعلهم أن يدخلوا فى ديننا فقال السمع والطاعة ثم انه نقلهم الى البيعة فلما كان الليل أتت البيعة فرأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى القيود ولم يكن هناك سوى ميتا فقالت له يا ميتا أنت من علماء ديننا وما يخفى عليك الحق وقد اطلعت على دين هؤلاء القوم فالحق معنا او معهم فقال ايها الملكة ليس على الحق من غطى الحق الحق مع هؤلاء العرب والذى قد جئت فيه فانجزيه من قبل ان تعلميه فلا تقدرى عليه وقد رأيت بيان صدق القوم وصدق دينهم

حتى جمع الله بينك وبين ولدك عمود قال فلما سمعت كلام ميتا بقيت باهتة فيه فقالت له
ومن اين لك هـذا قال رأيته فى نومى وحدثتها بما كان كانه كان حاضرا فسجدت شكرا لله فلما
رفعت رأسها وثبت قائمة وحلتهم من وثاقهم ودفعت اليهم السلاح وامرت ميتا ان يكرمهم
وقالت له انا ادبر كيف نقبض على الوالى ونملك القلعة ثم انها سارت الى قلعتها وولت عليها من
هى به مطمئنة الفكرة واخرجت منها ماتخشى جانبه واستوثقت منها وامامينا فانه جعل
الصحابة فى البيعة فى بيت المذبح وقال لهم اذا كان فى غداة غد واتى الوالى واصحابه الى الصلاة
فاخرجوا عليهم فان الله ينصركم عليهم قال الراوى فلما كان الصبح اقبل الوالى وخواصه ليصلوا
وضربت النواقيس واتى القس ليفتح باب المذبح ويقرب القربان فلما فتح الباب خرج عبد الله
ابن غسان وصحابه الاربعون وكبروا تكبيرة واحدة ارتعدت لها القلعة ومافيها وبذلوا السيف
فيهم فقتلوهم عن آخرهم واحتووا على القلعة ومافيها وسمع أهل الربض التكبير فعلموا انهم
قد ملكوا القلعة فولوا على وجوههم هاربين قال فلما سمعت مارية التكبير والصياح علمت
ان قلعة أبيها قد ملكت فغلقت ابواب قلعتها وارسلت من تثق به الى عياض بن غنم واخبرته
بما جرى فشكر الله على ذلك ووصل اكثر المنهزمين الى الملك شهرياض واعلموه ان قلعة
ماردين ملكها العرب فصعب عليه وايقن بتلاف ملكه ووقع الرعب فى قلبه وقلوب عسكره
وبلغ ارسوس الخبر ان قلعته ملكت وخزائنه أخذت فكتم امره الى الليل واخذ من يثق به
وسار يطلب حران فوصل اليها فى الليلة الثانية فلما قرب من الباب قام اليهم الحرس
فصاح بهم أصحابه وقالوا افتحوا هذا البطريق رودس يعنون بطريقهم الاول وقد تخلص
من العرب ففتحوا لهم فدخل ارسوس وملك المدينة وفشى الخبر فى تلك البلاد ان ارسوس
صاحب ماردين قد ملك حران بالحيلة فقصد اليه جميع من يطلب الديوان فصار عنده
جيش عظيم

(ذكر فتوح الرها وحران)

قال الراوى وكان لرودس هذا صاحب حران المقبوض عليه ولد وكان قد قبض أبوه عليه لانه
خاف منه وكان شجاعا اسمه ارعوك فقبض عليه وحبسه فى العمق وكان له أم اسمها ست
العسكر وهى صاحبة سميساط وكانت قد مضت الى زيارة اهلها وهى غضبانة لاجل قبض
ولدها فلما بلغها ان ارسوس ملك حران صعب عليها وركبت من سميساط وجاءت العمق
واختلت بولدها واخبرته ان حران ملكها ارسوس فاخرجته وسلمت اليه الاموال وقالت انفق
على الفرسان واجمع لك جيشا وامض الى هذا الرجل الذى فعل ما فعل قال فانفق المال
واتت اليه الرجال وبقى فى جيش عظيم وعبر الفرات وقصد حران وبلغ ارسوس الخبر فخرج الى
لقائه والتقى الجمعان وكان قدم امام جيشه بطلا من الارمن اسمه ارجوك فى ثلاثة آلاف
فوقعت الهزيمة على الارمنى حدثنا عبد الله بن اسيد قال حدثنا سالم بن ربيعة عن عدلان
التميمى عن محمد بن عمر الواقدى قال لما بلغت الاخبار الى عياض بن غنم بسير ارجوك الارمنى

الى

الى ارسوس احضر عياض رودس صاحب حران واخبره بما انتهى اليه من خبر ارسوس وكيف
ملك حران وان ولده يريد ان يلقى ارسوس وانى قد عولت على قتلك الان تدخل فى دينه
فقال ان انت اطلقتنى سلمت اليك ما تحت يدى من القلاع وعلى اخلاص حران لان اهلها
يحبونى لانى كنت محسنا فى حقهم وانا أقول انهم اذا رأونى سلموا الى البلد وانا أسلمها اليكم
على انك تعطينى السويدا ونصيبين الصغرى وانا اعطيكم الجزية كل عام قال فاجابه الى ذلك
وامر عبد الله يوقنا ان يستحلفه فحلف واجاب الى ذلك فاطلقه وبعث معه يوقنا فى جماعته ورد
على رودس خيامه وثقله وجماعته واستلوا من الليل من مرج رغبان طالبين حران فلما قربوا
منها ارسلوا عيونهم فوجدوا العسكر نازلا خارجا منها وعسكر ولده بازائه غير انه قد اسرار جوك
واخذه ارسوس وان عسكره باق على حاله وقد بعث اليهم ارسوس رسولا يدعوهم وان يكونوا
من حزبه وينعم عليهم وان ينزل بهم وبعسكره على الرها ليأخذها وتصير من تحت يده قالوا حتى
نرى لانفسنا فى ذلك قال الراوى فلما قدم رودس ويوقنا ونظرا الى العسكرين والنيران تتقد قال
رودس ليوقنا هذه النار القريبة لاشك انها العسكر ولدى فارسل اليهم من يختبرهم فسار
الرجل وعلم من هم وعاد فاخبره ان القوم معولون على ان يحلف لهم ارسوس وان يكونوا من
جنده وقد تقرر الحال على ان فى غداة غد يخرج فى مائة فارس من اصحابه الى دير فرها بين
الرها وحران ومن عسكر ولدك خمسون من اكابرهم ويتعاهدون هناك قال فلما سمع يوقنا ذلك
تهلل وجهه فرحا وقال لرودس ابشر فقد صار القوم فى قبضتنا ثم مضوا يطلبون الدير وكانوا
بالقرب منه ثم ان يوقنا ارسل غلاما له وكان نجيبا قد رباه وكان اسمه شامس
وكان لبيبا فقال له يا شامس انطلق الى صاحب الرها وهو كيلوك وقل له ان مقدمى من صاحب
ارجوك قد بعثونى اليك لكى يكونوا من رجالك فانك منهم واليهم وارسوس من الروم وان رجالا
منا يأتون الى دير فرها وارسوس معهم حتى يحلف لهم ويحلفون له ويريد منك ان تخرج فى مائتين
وتكمن لنا بالقرب من الدير فاذا قدمنا فاخرج علينا قال فانطلق شامس الى ان قدم على
صاحب الرها وحدثه بما أتى اليه صاحبه يوقنا وكان من قضاء الله وقدره ان الحيلة التى
دبرها يوقنا وبعث بها الى صاحب الرها قد بعث بها اكابر جيش ارجوك فلما قدم شامس
عليه من قبل يوقنا وحدثه بالحديث الذى ذكرناه تأكد عنده ذلك وخرج فى اربعمائة من قومه
فى اكمل سلاح وساروا طالبين دير فرها قال وكان يوقنا قد كمن بالقرب منهم واختلس شامس
واتى الى يوقنا واخبره بانهم مكمنون فى المكان الفلانى وهم منكم قريب قال واما ما كان من
أمر ارسوس فانه لما ارسل رسوله الى الارمن بن عسكر ارجوك اتى رودس وقال لهم انه يحلف لهم
ويحلفون انهم لا يخامرون عليه ووقع الاتفاق على ان يكون الحلف فى دير فرها فلما كان
آخر الليل مضوا وهم متباعدون من بعضهم خوفا من الغدر وكان خاطرهم طيبا بصاحب
الرها بما قرروا عنده ثم انهم قبل خروجهم اعلموا ألفا من شجعانهم بان ينسلوا من العسكر
فى خفية وان يلحقوهم ليكونوا عونة لصاحب الرها وقالوا لهم لا تتكلموا دون ان تروا صاحب

الرها قد خرج عليه بكمينه فاذا خرجتم فازعقوا بشارة كانكم من أصحابه حتى يطمئن اليكم فاءمل ان تقبضوا عليه حتى يخلص أميرنا ارجوك قال فانسلوا من اول الليل ولم يعلم بهم أحد قال الراوى ولما اشرف ارسوس على الدير واذا به قد خرج عليه مائتا فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المقدم عليهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وكان السبب فى ذلك ان عياض بن غنم لما بعث رودس ويوقنا معه وأصحابه ساءظنه من جانب رودس وقال لقد فرطت واذهبنا ولى الله مع عدو الله قال خالد أيها الامير لا تشغل سرك من قبل رودس فان ملوك الروم اذا قالت وفت ويرون فى ذلك العار ان يقول أحدهم قولا ولا يفى به فقال يا ابا سليمان انه لا يجب لنا ان نغفل عن صاحبنا ومن معه ثم انه ارسل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى مائتى فارس وساروا ما بين حران فالتقوا فى طريقهم بارسوس وهو خارج الى الدير فقبضوا عليه وعلى من كان معه واما يوقنا فانه قبض على كيلوك صاحب الرها وكمن الى الليل وتوجه الى الرها فلما قربوا منها وقد لبسوا الثياب التى كانت على صاحب الرها ولبس جماعته ثياب جماعة صاحب الرها فلما قربوا منها وكانوا قد أوقدوا لهم مشاعل ففتحوا لهم الباب فدخلوا فلما حصلوا داخلها رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين فما جسر أحد من العوام ان يتكلم واحتوى يوقنا على ما كان فيها من ذخائر وتحف وخزائن كيلوك وأمواله وترك عليها من يثق به بعد ما قبض على من يخافه من رؤسائها واكابرها وكان قد استأمن ابن عم كيلوك فامنه فدله على جميع ما كان لكيلوك ثم أخذه امامه وساروا ما بين حران فوجدوا رودس قد فتحها وذلك انه لما قبض عمرو بن معدى كرب على ارسوس سار رودس ومعه بقية عسكر المسلمين حتى وصل الى حران ونادى الناس الذى على السور فلما عرفوه فتحوا له الباب وصفقوا له وساروا معه الى دار امارته فملكها واتى له عظماء البلد وهنوه بالسلامة فقام فيهم خطيبا وقال لهم اعلموا ان الله انقذنى وانجانى وقد جرى من حديثى كذا وكذا وانى عاهدت امير القوم ان اسلم اليهم هذه المدينة ويولينى على نصيبين الصغرى والسويد وحلفت له على ذلك وانى سوف اوفى بعهدى واشهدكم ان كل دين يخالف دين الاسلام فهو باطل وانا أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال فلما سمع أهل حران ذلك قالوا لقد أراد الله بك خيرا ونحن نوافقك على اسلامك فاسلموا الا قليلا منهم

(ذكر فتوح قلعة رأس العين)

قال الراوى حدثنا ربيعة بن هيثم عن عبد الله التنوخى عن عبدان بن عطية قال ما اسلم أهل الجزيرة الا لاجل حران فلما رآهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخلوا فى الاسلام قالوا اللهم ثبتهم على دينك ولا تمكن من بلدهم عدوا واعادوا الكنائس مساجد وجوامع وسلموا الصحابة ما حول حران والرها تسليما واتى يوقنا من الرها الى حران واجتمع باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى أمر الرها وكيف يكون حكمها فقال سعيد بن

زيد انك قد اخذت هذا البلد بحيلتك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقد صار كل من فيها عبيدا للمسلمين هم وأموالهم فقال يوقنا انتم تعلمون ان اكثر الجزيرة ما ملكتموه وثم الى الآن حصون موانع والصواب ان تصنعوا جميلا وخيرا يعلوا به ذكركم ويرتفع به فخركم فقال له سعيد اذا كان الامر على ما ذكرته فاتركوهم على حالهم حتى ترى ما يرى فيهم الامير عياض ابن غنم قال ففعلوا ذلك ثم ان الاخبار اتصلت بالملك شهرياض ان حران والرها وسروج والسخن واكساس والعمق قد صارت كلها للعرب فايقن بزوال ملكه فدخل الى رأس العين هو ومن يثق به وصلوا فى بيعة نسطوريا وهى الجامع اليوم فلما فرغوا من صلاتهم قال يا معاشر الروم اعلموا ان العرب قد شاركونا فى بلادنا وقد صار لهم معاقل يجتمعون فيها وتقوم باودهم ويصل اليهم منها الميرة والعلوفة وتجيئهم منها الاموال والخابور كلها لهم وبحكمهم وما بقى بيننا وبينهم الا هذا المصاف فان كان لنا فلا مقام للعرب بيننا وان كان للعرب فالبلاد لهم من دوننا وقد رأيت رأيا فيه السداد فقالوا وما هو قال ارى ان اماطلهم بالمصاف ونكتب للملكين المعظمين سقروزعفرة فلعلهم ينجدوننا بعسكرهما ونكاتب الملك حوفناس بن فارس ونكاتب الملك الانطاق صاحب نينوى وبلادها والى الحبر بن صاحب الهنكارية فاذا ارسلوا الينا عساكرهم نستعين بالمسيح ونلقى المسلمين والله يعطى نصره لمن يشاء فقالوا هذا رأى جيد فكتب الكتب وارسل الرسل الى الملوك المذكورة وعاد الى عسكره (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه وما منع عياض بن غنم عن حرب القوم الا انه رأى ان البلاد تفتح لاصحابه دون قتال فلم يستعجل لانه قد قوى ظهره بالبلاد التى فتحت وايضا انه كتب الى أبى عبيدة بن الجراح يطلب منه خبرا يأتيه قال ووصلت كتب الملك شهرياض الى أصحاب الاقاليم فامنهم الاعين عسكر النصرته قال ووصل مكتوبه الى صاحب اخلاط وكان له بنت ذات جمال فائق وكانت من الشجاعة على جانب عظيم وكانت اسمها طاريون وكان مستقرها بجبل سموه باسمها وكان كل من خطبها الا ترضى به الا ان تلقاه فى الميدان فان قهرها كانت له زوجة قال وانها غلبت جميع خطابها وكان من جملة من خطبها غلام اسمه سوسى ابن سلنطور صاحب جبل السناسنة وكان قد قدم الى اخلاط بهدية من ابيه الى ابيها فقالت هى على شرط معروف فبارزته فى الميدان فقهرته وجزت ناصيته ومرت الايام والليالى فلما بعث الملك شهرياض يستنجد الملوك وارسل الى صاحب اخلاط فارسل اليه أربعة آلاف فارس وامر عليهم ابنته طاريون وقال لها اى بنية قد قدمتك على الجيش واريد منك ان تظهرى على العرب ما كنت تظهرين به على الفرسان حتى تشكرى عند امة المسيح قال وارسل معها ملك السناسنة نجدة وهم ألف رجل وكان المقدم عليهم ولده فسار فى صحبتها وكان الغلام قد كمل شأنه وحسن كماله وابتدر هلاله ولم يكن أحد فى زمانه يوصف بجماله فلما نظرت طاريون الى حسنه وجماله نظرته بعين المحبة فوقع قلبها فى سكة عشقه فسيرت رجالها مع رجاله (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه واحسن ما رأيت فى هذا الفتوح انه كان لهذه الجارية ابن

عم اسمه برغون وكان يحبها ولا يستطيع ان يسمع بذكرها وكان من أهل الشجاعة والشدة
وكان تحت يده من المعاقل حيران والمعدن وابرون وقف وانطرو يدليس وارزن وانه سار
ينجد شهرياض فى ثلاثة آلاف فلما عبر جيش ابنة عمه طاريون بيدليس اهتم لها واكرمها
واهدى لها الهدايا والتحف وسار معها الى أن عبروا حصن كيفا واخذوا طريقهم على الموزر
ونزلوا على حصن يعرف بالهتاح على طريق النهز وكان لابن عمها عيون يطلعونه باخبارها قال
فلما نزلت على النهر ارسلت الى الغلام سوسى الذى تحبه وهى تقول له اعلم ان المحبة الصادقة
لا تكون الا بعد العداوة المفرطة وقد ندمت على مافات وما كان منى اليك وقد عزمت على
انه بعد رجوعنا من قتال العدوان ترسل الى أبى وتطلبنى منه ولكن اريد منك ان تصل الى
ليلا فى خفية من ابن عمى برغون حتى احلف لك وتحلف لى انك ترسل الى أبى وتطلبنى منه
واحلف لك انى لا أريد سواك وبعثت بهدايا مع بعض خدمها وارسلت معه شيئا من الهدية
والحلوى وارسلت مثلها لابن عمها ولكل أمير صحبها حتى لا ينكر عليها قال وان ذلك الخادم قد
علم بما جرى وكان هذا الخادم قد ربى ابن عمها على كتفه وكان يحبه محبة شديدة فاعلمه بما
وقع من حديثها مع الغلام سوسى بن سلنطور وهى تريد تجتمع به الليلة حتى تحلف له انها
ماتريد غيره قال فكتم برغون امره فلما جن الليل طلب عظماء جيشه وقال لهم اعلموا انى
ماوليت عليكم الا وقد علم المسيح ان عقلى اوفر من عقلكم قالوا أيها الصاحب اعلمنا بما تريد
حتى نقبل قولك ونطيع أمرك قال يا قوم اعلموا اننا سائرون على غرة وعن قليل ترون الخيل
تنوشنا والرماح تحوسنا قالوا وكيف ذلك قال لان العرب لا تنام ولا ترام وقد عاد النصر اليهم
واعلموا ان الملك شهرياض ليس باعظم همة ولا أعظم جنودا من هرقل ولا من ملوك الارض
وقد ملكت العرب دولتهم واخذوا معاقلهم واحتازوا املوكهم وانا اعلم ان شهرياض لا ثبات له
مع العرب يوم المصاف وقد ملكت بلاده وهى حران والرها وسروج والبيرة والخابور وقد اخذوا
ماردين وقلعة ماردين يعنى قلعة المراة وأخذوا أرسوس وابنته مارية وكانكم بالعرب
قد ملكت ديار شهرياض وعادت اليكم وملكت دياركم وسبت حريمكم واعلموا ان الحق مع
العرب وانهم اذا قالوا قولا وفوا به ومن أسلم اليهم امن على نفسه وأهله وماله سواء رجع الى
دينهم أو أقام على دينه واعلموا ان بقلبى النار من هذه الجارية طاريون وقد ارسلت اليها لتكون لى
أهلا واكون لها بعلا فابت ذلك وهى تحب ابن ملك السناسنة فان تزوجت به وصار وايدا
واحدة أخذوا معاقلنا وملكوا حصوننا ولا يكون لنا معهم مقام وقد رأيت اننى فى هذه
الليلة اقبض عليها ثم انه أخبرهم بما حدثه به الخادم قالوا أيها الملك اذا أخذتها اى أرض
تؤويك وأى حصن يحميك قال نقصد الى عسكر العرب ونأخذ لنا منهم امانا قالوا اذا كنت
عولت على ذلك فاعزم قال فخذوا على أنفسكم وتاهبوا للرحيل ففعلوا (قال الواقدى) رحمه
الله تعالى ورضى عنه فلما جن الليل تزيا برغون ابن عمها بزى الغلام سوسى وسار الى

سرادق

سرادق الجارية فلما رأته ظنت انه سوسى فوثبت اليه قائمة وسلمت عليه وصقعت له
وكانت قد ابعدت الحرس عنها والغلمان والحجاب حتى لا يطلع أحد على سرها قال ثم انها تحققت
انه ابن عمها فاستحت منه ووجلت فلم يمكنها الا انها تخدمه باعظم خدمة فقال لها يا طاريون
ظننتى انى لا اقف على سرك ولا ابحث عن امرك يا ويحك أى مناسبة بين الروم والارمن حتى
انك ملت الى ابن ملك المناسبة وتركت مثلى ثم انه مال عليها بشدته وقبض عليها والقمها
اكرة وكتفها وخرج بها الى عسكره فوجد اصحابه قد لبسوا وركبوا ورموا المضارب وشالوا اثقالهم
فلما وصل اليهم حملها على بغل وساروا وانظر اصحاب سوسى الى رحيل برغون فقال لهم امهلوا
أنتم بالرحيل الى ان يطلع الفجر فان هذا طريق ضيق تزدحم فيه الخيل والبغال قال ففعلوا
ذلك وجد برغون فى السير فما اصبح الا وهو على مرج السور فنزل هناك واما الغلام سوسى فانه
لم يمض الى الجارية ولا سأل عنها ولا سار اليها الا انه خاف ان يكون ذلك منها مكرا به فتقبض
عليه فلما اصبح امر غلمانه بالرحيل وركب وأتى الى سرادق الجارية طاريون فوجد قومها
ينتظرون خروجها من سرادقها فدخل عليها خادمها وخرج وقال لهم ان الملكة ما كان من امرها
ولا سبب لغيبتها قال فهاج اصحابه وارادوا الرجوع فقال لهم صاحبها ان عدنا الى الملك فلا نامن
ان يرمى رقابنا ويقول كيف غفلتم حتى أخذت ابنتى من بينكم وما عندكم خبر وما أخذ
الملكة الا برغون ابن عمها الان فى قلبه منها شيئا ثم انهم ركبوا وجدوا فى طلبه قال وان برغون
لما نزل فى مرج السور واستراح وهم بالمسير واذا بالقوم قد أشرفوا عليه وهم يزعقون يا ويلك
اترك الملكة من يدك قبل حلول منيتك فاستقبلهم هو ومن معه من بنى عمه وأقاربه فعندها
قال لبنى عمه اعلموا ان العرب ما نصروا على أعدائهم الا بالصدق فى دينهم وقتالهم عن دين الله
واعلموا ان هؤلاء القوم الذين طلبناهم لا يخلون لاسيما اذا علموا انا قصدناهم واردناهم من
غير قهر لكن من طريق العقل ان دينهم أفضل من ديننا الا انهم يشيرون الى الله بالوحدانية
ونحن نسجد للصلبان والصور ونقول ان للخالق زوجة وولدا وهو واحد احد فرد صمد وقد
بلغنى انهم يقولون انه من قتل منهم صار الى الجنة ومن قتل منا صار الى النار لاننا عندهم من
الكفار فان كنتم تريدون النصر على أعدائكم فاقروا الله بالوحدانية وقولوا لا اله الا الله محمد
رسول الله قال فاعلنوا بكلمة التوحيد فدوت من اصواتهم الجبال والتلال والرمال والشجر
والحجر فلما سمع اعداء الله ما نطقوا به علموا انهم دخلوا فى دين الاسلام فتقدم سوسى وقد داروا
ببرغون وأصحابه وقال له يا ويلك يا برغون أما كفاك ان تكون غادرا حتى تكون بدين
النصرانية كافرا اتظن ان برجوعك الى دينهم ينصرونك علينا وابن العرب وما يصل صاحبك
اليهم الا ونحن فرغنا منك وقتلنا كم أشر قتلة الى آخركم فقولوا لمحمد ينصركم ثم انهم حملوا على
برغون ومن معه فاستقبلوهم بنية صادقة وهمم متوافقة واعلنوا بكلمة الحق والصلاة على
سيد الخلق وبذلوا صوارمهم فى الاعداء واردوهم شراب الردا وقصدوا نحو اعدائهم وطلبوا
بجهادهم منازل الجنة وطلقوا الدنيا ثلاثا وكانوا يمشون فى ظلمات ثلاث فانقدح نار شوقهم يزداد

صدقهم فاحرق زرع الكفر فاصبح هشيما تذروه الرياح فلما أضاءت لهم الافكار ولاحت لهم لوائح الانوار لم يجدوا من يشار اليه بالوحدانية ويوصف بالالهية وينعت بالازلية الا الواحد القهار فركضوا فى ميدان الاعتذار ونادوا بلسان الاقرار آمنا بالله الواحد القهار فلما سرحوا خواطر الافتكار فى اسرار الاعتبار قالوا كيف عبدنا سواه وما ثم لنا معبود الا اياه فوا خجلتنا اذا وقفنا بين يديه يوم العرض عليه فبأى عمل نلقاه وبأى بضاعة نقصد رضاه فأشار اليهم منادى الايمان من القرآن وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم فلما رحلوا فى عسكر الطاعة وخافوا من هول يوم الساعة وجعلوا ارجل رجائهم فى ركب اقبالهم وساروا فى موكب عزهم وجلالهم واشرقت شموس اسلامهم فى فلك استسلامهم وانقضت بازات افراحهم من جوارحهم ومنادى جهادهم يناديهم يا اخيار سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال الراوى ودارت بهم الاوغاد وشرعوا نحوهم الصعاد واشرف برغون وأصحابه على الهلاك واذا باب السور قد فتح وخرج منه مائة فارس كالليوث العوابس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وينادون يا من تعلقوا بكلمة التوحيد ابشروا بالنصر والتأييد ها نحن قد لبينا دعوتكم وخرجنا لنصرتكم وسوف نخلصكم من الامر المهول نحن أصحاب الرسول (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه وكان هذا السور حصنا من الحصون وكان قد سلمها ميتا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أرسل عياض بن غنم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فى مائة فارس ليأتوه بالميرة وكان فيهم المقداد بن الاسود وضرار بن الازور وسعد بن غنيم الاسدى ومعمر بن ماجد السلمى وبارى بن مرة الغنوى وهلال بن عامر الانصارى وعيينة بن رافع الجهنى وخضر بن يعشور الفزارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم أجمعين فلما وصلوا الى السور تلقاهم طالوت صاحب الحصن وأنزلهم وأكرمهم وأمر لهم بالطعام وأقاموا عنده ثلاثة ايام حتى جاء برغون وكان من أمره ما كان فلما سمعوهم يكبرون قالوا هؤلاء قد دخلوا فى ديننا وقد وجب علينا نصرتهم فخرجوا كما ذكرنا وحملوا على أعداء الله ونصروا برغون ومن معه وانهزموا فى الليل الى مرج رغبان الى الملك شهرياض فاخبروه بما جرى عليهم قال فايقن بذهاب ملكه قال فلما اصبح برغون أتى الى الصحابة وشكر الله اذ نجاه ومن معه على ايديهم وقد ازدادوا ايمانا وحدث الصحابة بما كان من أمرهم وسار معهم الى عياض بن غنم فلما جازوا على ماردين نزل اليهم ميتا وكان قد بلغه ما جرى فسلم عليهم وهناهم بالسلامة وقال لبرغون وأصحابه ان كنتم تريدون الثواب الجزيل من الملك الجليل فتمموا اسلامكم بما القيه عليكم فقال برغون وكيف العمل قال ميتا انزل هاهنا أنت ومن معك فاذا غربت الشمس سيروا على بركة الله وعونه واقصدوا كفرتوثا فاذا جئتم اليهم ليلا فقولوا لاهلها نحن قد وجهنا الملك اليكم لحفظ المدينة فاذا صرتم داخلها فثوروا على اسم الله وبركة نبيه قال ففعل ذلك برغون وجلس الى أن جن الليل وارتحل بجيشه وثقله وودعوا الصحابة وساروا بالميرة وسار برغون الى أن وصل الى كفرتوثا وكان آخر الليل والفجر بدر فلما وصل اليها أمر اصحابه أن يرفعوا

اصواتهم

أصواتهم بذكر شعارهم حتى لا ينكر منهم القوم وجاءت الاثقال والبغال وسمعوا أهل كفرتوتا ضجة العسكر فاشرفوا عليهم من أعلى السور وسألوهم من أنتم قالوا نحن من عسكر الملك شهرياض وقد بعثنا لنكون عونا لكم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه واعجب ما فى هذه القصة ان الملك شهرياض قد بعث اليهم يعرفهم انى مرسل اليكم جيشا مع الحاجب فاذا وصلوا اليكم افتحوا لهم الباب فان العرب فى آثارهم قال فلما وصل اليهم برغون ومن معه وقالوا لهم نحن من عسكر الملك فتحوا لهم ودخلوا ولم يتكلم حتى انه نزل فى دار الامارة فلما استقر به الجلوس وثق من الابواب وصعد الى الصور وأمر أهل البلدان يستريحوا الان الملك قد وصانى بالحرس على البلد فقالوا له أيها السيد ان كتاب الملك قد جاءنا بما قلته بأن لا يتولى حفظ البلد الا الحاجب قال فلما سمع برغون قولهم علم ان الملك يريد أن يرسل لهم جيشا فقال لهم انصرفوا الى منازلكم واياكم أن يظهر منكم أحد فى الليل فانى ان وقعت بأحد منكم قتلته قال فانصرفوا ولم يبق عنده سوى الوالى الذى كان من قبل توتا هو وغلمانه فقبض عليهم برغون وضرب رقابهم وتركهم فى بعض الابراج المهجورة وقال لاصحابه كونوا على حذر فان شهرياض يريد أن يرسل جيشا الى هذه المدينة فاذا رأيتموهم قد وصلوا فانزلوا وافتحوا لهم الباب درقه الباب الواحدة وكلما دخل فارس ابعدوا به عن الباب وانزلوه عن فرسه وخذوا عدته وكتفوه والقوه فى البرج قال فبينما هو يوصيهم اذ وصل الجيش وهم ألف فارس والمقدم عليهم صاحب الملك الكبير فصاحوا عليهم افتحوا الجيش الملك فتبادرت أصحاب برغون ففتحوا درقة الباب الواحدة وقالوا لا نمكن أحدا يدخل الا واحدا واحدا مخافة من يوقنا واصحابه فانا نخاف أن يدخلوا فى جملتكم فبقى كلما دخل فارس رجلوه بعد ان يبعدوا عن الباب ويأخذوا سلاحه وجواده ويكتفوه الى أن ادخلوا الالف والحاجب بعدهم فلما اجتمعوا نادوا باعلى اصواتهم الله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر قال فارتج كفرتوتا ووقع الرعب فى قلوب أهلها وعلموا انهم ملكوا بلدهم فلم يجسر أحد منهم أن يظهر فى المدينة ومن ظهر قتل فلما اصبح طلب برغون اكابر البلد ومشايخها وبطارقتها فلما حضروا قبض عليهم وانفذ الى عياض بن غنم يعلمه بما صنع فلما وصلت اليه الرسالة سجد لله شكرا وكان عبد الرحمن بن أبى بكر واصحابه لما وصلوا بالميرة اخبروا المسلمين والامير بما وقع وان برغون مضى الى كفرتوتا فكان منتظرا لما يأتى اليه من خبره فلما جاءه الخبر بالفتح حمد الله تعالى وتفاءل بالنصر (قال الواقدى) رحمه الله قال عياض بن غنم للصحابة اركبوا ودونكم والقوم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأمر خالد بن الوليد أن يكون بأصحابه فى الميمنة من القوم وأمر عمر بن سالم ان يكون على يسار القوم وقال لهم لا تخرجوا حتى تشب نار الحرب وتشتعل بالطعن والضرب فاحملوا واعتمدوا على السيوف فانها أقرب للحتوف وليكن شعاركم التهليل والتكبير واقطعوا أجل امنيتكم من الحياة الفانية وارغبوا فى العيشة الراضية واياكم والميل الى دار الفرار فانها محل النوائب والثبور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقفوا بهممكم وقوف قوم

غذوا بحلاوة وصاله فصانوا أمرهم بالوقوف على طاعته فهاموا وتجردوا فى الليل لخدمته وقاموا فاثنى عليهم اذ بحبه هاموا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قالوا فسار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الجهات التى ذكرنا وزحف الموحدون ونشرت الرايات والبنود وتواعدوا اللقاء فى اليوم الموعود وقالوا الهنا ما لنا سواك من نصير فانت نعم المولى ونعم النصير قال ووقع الصائح فى عسكر الروم ان المسلمين قد زحفوا واشرفوا قال فتبادروا الى القتال وتمسكوا بقول المحال ولبسوا وتدرعوا وعن الآخرة تزعزعوا والى الصليب تضرعوا ورفعوا رايات الطغيان وتلت عليهم الانجيل القساقس والرهبان وفتحت لهم أبواب النيران عندما أشركوا بالرحمن وصار على جيشهم من الكفر شبه الدخان و. ارامامهم الشيطان وعلا منهم الضجيج ووقعوا فى أمر مريج فلما نظر المسلمون الى كثرة من اجتمع من قومهم استسلموا لحكم القضاء وقالوا نرضى بما قدر وقضى فنودوا من سرائرهم قد اشترينا منكم النفوس فاصبروا لحكم الملك القدوس ولا تولوا الادبار فقد سبق الحكم وطرى وخط القلم فى اللوح وجرى وكتب بامر الله ان الله اشترى قالوا اما الذى اشتراه من له المنة قال انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقالوا نحن نريد التسليم لنصل الى جنات النعيم قيل لهم انهضوا الى سوق المبيع فقد دهبت بشائر الربيع وتجلى لقبض ارواحكم البصير السميع فسبحوه وسجدوا ورفعوا اصواتهم بتوحيده ومجدوا فلما ايقنوا بالوصال طلع لهم سهيل الحال وازهرت شجرة الاحوال واستدار لهم رقيبه فى فلك التيسير وناداهم انى بما تعملون خبير فلما سمعوا منادى الافكار يناديهم بالعشى والابكار بذلوا نفوسهم وارضوا قدوسهم وجاهدوا واجتهدوا وحملوا واقتصدوا ونهلوا من نهر الشهادة ووردوا ولم يزالوا فى حرب الاعادى وموارد الاجتهاد فى معانى ميادين الجهاد حتى خرجت الكمنا وهبت عواصف رياح الفنا فذعروا ابما كان شيده الكفار من البنا وانتشرت استار ما املوه من الامانى والمنا فقتلت بينهم الصناديد واصبحوا صرعى على وجه الصعيد وناداهم منادى التهديد ان عذابى لشديد وما هى من الظالمين ببعيد ولم يزالوا فى قتال الكفار الى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاستار والمسلمون يقولون ياليتنا دام لنا النهار ولا غابت عنا جيوش الاعتكار واذ قد ظهر لهم على اطناب سرادق القتار ولا الليل سابق النهار قال فلما مضى الليل بغياهبه واقبل الصباح بجانبه فبادروا الى الحرب والطعن والضرب ولم يمهل بعضهم لبعض دون ان وقعت الحملة على المسلمين فانهزم الجناح الايمن وكان فيه اخلاط العرب قال وانهزمت ميسرة العدو ووقع فيهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القتال فيهم وعليهم الى الليل فانفصلوا فلما كان اليوم الثالث تولى الحرب خالد بن الوليد ورتب الناس ترتيبا جيدا وجعل فى الميمنة باهلة وطى وجعل فى الميسرة عديا ونميرا وفزارة وفى الجناحين كندة وعاملة ومرة وفى القلب ابطال الانصار من ذوى الشدة والانتصار وجعل راية الميمنة بيد عامر بن سراقة وراية الميسرة بيد ضرار بن الازور وراية الجناح الايمن بيد عبد الرحمن الاشتر وراية القلب بيد عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق فلما رتبهم قال لهم اتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا انه متكفل بتأييدكم ونصركم وايا كم ان

تولى

تؤتى المسلمون من قبلكم واتبعوا سنن الذين فتحوا الشام من قبلكم فمن ولى الادبار كان مأواه النار وغضب عليه الجبار واعلموا ان الله فرض عليكم الجهاد وقتل الاعداء واعلموا ان الاحب الى الله تعالى جل جلاله قطرتان قطرة دم جرت فى سبيل الله وقطرة دمع جرت من خشية الله وهذا اليوم له من الاجر ما لا يعد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا فى هذه المواطن كما ثبتم فى المواطن البكار واياكم والفشل فتذهب ريحكم وقوموا شريعة نبيكم واعلموا ان الله مع الصابرين ولا يضيع أجر المحسنين وها أنا أنفرد بجماعة من اخوانكم الى صليب القوم ولست براجع الا بحطم من حوله من الكفرة والمشركين قال جل ذكره وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاذا رأيتم صليب القوم قد هوى الى الارض فاحملوا ولا تمهلوا قال فلما وعظهم خالد رتب كل صاحب راية فى موضعه وانتخب من انتخب من ابطال المسلمين وقال للناس اذا رأيتم الصليب قد وقع فاحملوا والله ينصركم وحمل هو ومن معه وقصدوا لواء شهرياض وصليبه الاعظم فاردهم عن حملتهم كثرة العساكر (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه ولقد بلغنى ممن اثق به انهم لما حملوا طحطحوا العساكر وزعزعوا الدثاكر وازالوا الابطال عن مراكزها والبطارقة عن مراتبها وما اعتمدوا الا على السيوف واستقبلوا بها الصفوف فلما رأى شهرياض فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى التاج عن رأسه وزعق بالبطارقة والاراجنة والقياصرة وقال يامعشر الروم من بنى الاصفر اعلموا أن ما بين ذهاب دولتكم الا هذا اليوم فاما أن تقاتلوا عن دينكم وحريمكم وملككم وذراريكم واولادكم والا أخذت منكم فاياكم أن تولوا الادبار فمن تولى غضب عليه المسيح وادخله النار (قال الراوى) وبلغنى أن فى ذلك اليوم وصل اليهم بتركهم الكبير المشار اليه فى دينهم ومعه كل قس وشماس ورهبان بأرض الجزيرة جاء ليحرض الروم على القتال وكان هذا البترك اسمه دين الديروم وكان يسكن بدير يقال له دير قرقوت وانهم وصلوا قبل أن تحمل المسلمون فوعظهم بين الصفوف وقال من انهزم منكم حرمته فلا يقبله المسيح أبدا ثم انفصل عن القوم هو ومن معه وتعلوا على رابية تشرف على القوم ورفعوا الصلبان وفتحوا الاناجيل واشركوا بالملك الجليل (قال الواقدى) حدثنا عبد الله بن مالك عن موسى بن أبى العام عن الاشعب عن يحيى قال حدثنا بشر بن عامر وكان ممن حضر وقعة مرج رغبان وكانت الوقعة يوم الثلاثا ثالث شهر صفر سنة سبعة عشر وكان شهرياض قد أرسل الى رأس العين وسائر بلاده فاتوا بحريمه وحريم سائر الاجناد والبطارقة واولادهم وأقامهم يوم المصاف على أبواب الخيام وقال لهم ما من امرأة الا ترفع ولدها وتصيح باسم بعلها وأخيها وانما فعل ذلك ليثبتوا فى القتال فاوقعوا الصياح من كل جانب وعمات القواضب وثبت الروم ثباتا عظيما لاجل حريمهم واولادهم ولاجل البترك ووقف فى مقابلتهم رجال من اليمن يرمونهم بالنبل وأما خالد بن الوليد لما حمل باصحابه وهو يريد صليب القوم سمع عياض بن غنم وهو يقول هذه الابيات

سنحمل فى جميع اللئام الكواذب * ونفرى روساءهم بالقواضب

ونهزم جيش الكفر منا بهمة * تطول على أعلى الجبال الرواسب
وننصر دين الله فى كل مشهد * بفتيان صدق من كرام الاعارب
فيا معشر الاصحاب جدوا وجندلوا * وكروا على خيل كرام المناسب
قدونكموا قصد الصليب وبادروا * لترضى اله الخلق معطى المواهب

قال ثم قصدوا الصليب وكان اللعين شهرياض لما صف الصفوف واقام حول الصليب الاعظم اثنى عشر ألف فارس كلهم لبس الزرد وترك امامهم حسكا من الحديد حتى لا يصل اليهم أحد فلما حمل خالد واصحابه وقربوا من الصليب داست خيولهم على ذلك الحسك فانكبت على وجوهها ووقعوا عن ظهورهم فانكبت عليهم الروم بغيظهم وحنقهم فاخذوهم بالاكف لانهم وقعوا من ظهور خيولهم من الحسك فاخذوهم عن وارتفعت العطاعط من كل جانب وعملت المرهفات القواضب فلما نظر الامير عياض بن غنم ما نزل بخالد ومن معه صعب عليه واشتد لديه وقال لنفسه يا ابن غنم ما يكون عذرك بين يدى الله وقد مضت هذه السادة تحت رايتك فصاح باعلى صوت يا معاشر المسلمين احملوا ولا تمهلوا وأيقظوا هممكم وعجلوا واستخلصوا السادة من الاسر واطلبوا من الله النصر قال فلما صاح عياض أوقفوا خالدا ومن معه امام الصفوف فتاسف بن وضاح بن مجيد بن نافور بن عمر بن سالم بن النابغة الذبيانى وكان من أفصح الناس لسانا واجراهم جنانا واحدهم لسانا واعلمهم بيانا وكان حليفا لخالد بن الوليد رضى الله عنه فبرز يومه عبرج رغبان وقال أيها الناس ان الصبر والثبات جندان فلا يغلبان وهذا يوم يا له من يوم وما ترون من نخوتكم ومروءتكم ودينكم ان تدعوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يد الاعداء فاستنقذوهم من الردى واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا ان ترك الاشياء النفيسة لا يليق الا بالانفس الخبيثة أما تحققتم ان الدنيا تؤول الى الزوال والفناء والآخرة هى دار النعيم والبقاء اما علمتم أن الهمم العلية الروحانية والاشباح الجسمانية عولت على الانتقال من الدنيا الساحرة الى دار الآخرة وقالوا لابد من الرحيل لان البقاء فى الدنيا قليل فتزودوا يا معاشر الارواح فقد قرب الرواح والقصد منكم قد عرفناه ومرادكم قد فهمناه وان سفركم سفر شاق يحتاج الى زاد ورفاق قالوا فما الزاد الذى نكثر منه ولا نعدل عنه قيل لهم الزاد الاوفى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قالوا اما هذا الزاد فنا من يقدر عليه ومنا من لم يقدر عليه قيل اياكم والتعرض لهذا السفر بغير اعمال واعلموا اليوم لا بيع فيه ولا خلال فلما تزودوا وخلصوا من جيفة الدنيا وتخلصوا اخلع عليهم خلع الانعام وتوجوا بتاج العز والاكرام وجعل لهم الفردوس منزلا وقال فى حقهم كانت لهم جنات الفردوس نزلا واسمعوا ما قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قال فعندها حملوا باسرار صافية وهمم وافية وطعنوا فى صدور الرجال ورفرفت على رؤسهم طيور الآجال ووضعوا السيف فى الروم وجعلوه عليهم يوم ميشوم قال ولم يزل القتال بينهم بقية يومهم الى الليل وانفصلوا عن القتال ورجع المسلمون وهم متأسفون على أمر خالد ومن معه فانهم لما وقعوا فى الاسر وانفصل الناس من القتال

وجن الليل ارسلهم الملك شهرياض الى رأس العين مع حاجبه نقيطا بن عبدوس ومعه ألف فارس وأمره أن يسير بهم فى الليل ويجد بهم فى السير وان يسلمهم الى والى رأس العين قال فسار بهم ولم يطلع الفجر الا وقد وصل بهم الى رأس العين وأرسل من يعلم الوالى بالقصة فخرج فى موكبه للقائهم ووقع الصائح فى رأس العين بقدومهم فما تخلف أحد وكان لهم يوم مشهود فالقاهم الوالى فى الكنيسة العظمى التى هى جامع اليوم واوثقوهم فى الحديد قال حدثنا فاهم اليشكرى عن بشار بن عدى عن سراقة بن زهير عن خزيمة بن عازم عن جده عبد الله بن عامر قال وانه لما فتح الرها وحران وسروج صلحا اجتمع يوقنا بروديس ومعهم أصحابهم فقالوا اعلموا ان الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا هذه البلاد وان رأس العين مدينة عظيمة واهلها قد استعدوا للقتال وآلة الحصار وربما صعب أمرها وعسر فتحها على المسلمين وانى لمعول ان أهب نفسى لله واسير مع اصحابى فلعلى أن احصل فى داخل المدينة ولعل الله ان يفتحها على يدى قال له سعيد بن زيد قوى الله عزمك وسدد أمرك قال وعول على المسير فى تلك الليلة واذا بعيون المسلمين قد اقبلت الى حران يخبرون أنه قد أتى عاصم بن رواحة المتنصر فى خمسمائة فارس من قومه من اياذا الشمطا وكان قد وصل مع قومه الى قسطنطينية وقد ورد على الملك هرقل كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأن يبعدهم عن دياره فابعدهم من ارضه فتفرقوا فى كل موضع وأتى منهم عاصم بن رواحة الى هذا الملك شهرياض فى خمسمائة فارس وكان الملك يحبه ولما وصل الى البرية كتب الى الملك يعرفه انه خرج من بلاد القسطنطينية وأتيت قاصدا الى بلادك وخدمتك وبعث الكتاب مع رجل من بنى عمه اسمه رفاعة بن ماجد فوصل الى الملك واعطاه الكتاب ففرح الملك بقدومه وأمره أن يعجل فى الحضور وارسل الى والى رأس العين بأن يخلى له دارا ينزل فيها اذا قدم مع اصحابه فلما سمع يوقنا ذلك الخبر من عيونه فرح وقال من أى طريق ياتون قال من طريق سروج وبقى بينكم وبينه ليلة واحدة فخرج يوقنا ومن معه وصحبهم عمرو بن معدى كرب وسعيد بن زيد ومن معهم وكمنوا لهم فى موضع قد علموا انهم لابد لهم من العبور فيه فلما ضرب الليل سرادقات ظلامه ونصب على الخافقين اعلامه اذا اقبلت خيول القوم وسمعوا حسهم فصبروا حتى توسطوهم من كل جانب وقصد كل واحد واحدا فاخذوهم عن بكرة ابيهم ولم يفلت منهم واحد واحتووا على اثقالهم ورحالهم ورجعوا الى كمينهم ونزلوا عن خيولهم فقال لهم سعيد بن زيد من أميركم حتى أخاطبه فاشاروا الى عاصم بن رواحة فقال له سعيد بن زيد يا ابن رواحة أى مناسبة بينكم وبين الروم حتى لزت بهم وملت الى جانبهم وتركت العرب العرباء فانت منا والينا وحسبك حسبنا ونسبك نسبنا الان انمار واياذ وربيعة ومضر كلها ترجع الى نذار بن معد بن عدنان وان الله قد اختارهم لسكنى حرمه وجوار بيته وقد كنا نعبد الاصنام ونقسم بالازلام ونتبع طرق الحرام حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين وامره بالمقام فى دار الخيزران ثم دعاهم الى عبادة الملك الديان وقال لهم أنتم من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل وقد فضلكم

بارئ النسم بسكناكم البلد الحرام والبيت المعظم وزمزم والمقام قال وأراكم على الاصنام عاكفين وبالازلام حالفين وفى ثياب الكفر رافلين أما لكم عقول تردكم أما لكم بصائر تصدكم أما انتم من ذوى الحكم الراجحة أما انتم من ذوى الاراء الشامخة الهذا خلقتم أم به أمرتم نحتم من الاحجار الاصنام وسلكتم طريق الفجار وكفرتم بالواحد الجبار الذى اذخر البحار واجرى الفلك الدوار وخلق الليل والنهار اما تشكرون الصانع الذى جعل النجوم طوالع وكل اليه راجع قالوا يا محمد من أمرك ان تسب آلهتنا وتسفه احلامنا قال يا قوم العلم أمرنى والعقل بصرنى أما علمتم انه من نظر فى المصنوعات وتدبر علم ان لها صانعا لا يتغير فالنظر فى المخلوقات حكمة والتفكر فى صنعه والاقرار بوحدانيته نعمة والايمان به رحمة قالوا فمن تعبد قال اعبد الذى فطرنى وصورنى وشرح خاطرى ونور بصائرى وخلق المخلوقات وقدر وصنع المصنوعات وانزل الارزاق بقضاء وقدر ليس فى مشيئته كيف ولا فى اقضيته حيف يقول ولا يتلفظ ويريد ولا يظهر ويسمع ويبصر تعالى عن المكان والاين والشبيه والبين وقال لا تتخذوا الهين اثنين اما علمتم يا ابن رواحة ان ديننا هو الحق وقولنا هو الصدق وما بعث الله نبيا الا وامر أمته باتباع دين الاسلام قال الله فى القرآن ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وانت تعلم الآن انكم فى قبضتنا واسرنا فان آمنتم بالله وصدقتم برسالة نبيه صلى الله عليه وسلم كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وان ابيتم ضربنا اعناقكم قال فلما سمع عاصم بن رواحة ذلك من كلام سعيد بن زيد قال وان نحن رجعنا الى قولكم واتبعنا دينكم يغفر لى ربنا ما سلف من الاشراك فى ربوبيته والسجود لغيره قال سعيد نعم لان الاسلام يهدم ما كان قبله وجميع ما كنتم فيه لا يطالبكم الله به وتخرجون من الذنوب كما خرجتم من بطون امهاتكم الى الدنيا ثم تلا قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فلما سمع عاصم كلام سعيد قال أنا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما نظر اصحاب عاصم اليه وقد اسلم اسلموا عن آخرهم ففرح المسلمون بذلك وقالوا قد وجب علينا ان نطيب قلوب هؤلاء القوم ثم ساروا الى حران وانزلوهم وخلعوا عليهم فقال يوقنا الآن فتحنا راس العين ورب الكعبة فقال سعيد فكيف ذلك يا عبد الله قال سوف اريك بيان ذلك ثم انه قال لعاصم بن رواحة فى السريئة بينه اريد منك ان تشدنى كتافا انا واربعين من اصحابى وتجعلنا فى ظهور الجمال التى تحمل اثقالكم وتركب هؤلاء السادة يعنى الاربعين الذين هم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسير وامن لمتكم هذه الى راس العين وتقولوا لواليها لما عبرنا الفرات خرج هؤلاء علينا فنصرنا المسيح عليهم فقتلنا من قتلنا واسرنا هؤلاء واتينا بهم اليكم واياك ان تمكنه ان يقتل واحدا منا واذا اراد ذلك تقول له ان المصاف بين يدى الملك وبين

العرب ولا ندرى من يؤخذ من أصحابنا فيكون عندنا الفداء وتترك اصحابك بحران قال عاصم ولم لا نسير باجمعنا وباصحابى كلهم فقال يوقنا ان الاسلام لم يتمكن بعد من قلوب القوم ونخاف ان أحدا منهم يغمز علينا فيفسد علينا حالنا والثقة بكل أحد عجز فقال والله لقد صدقت فى قولك فنزل بنى عمه الخمسمائة فى حران وانما قال يوقنا ذلك ودبره ليكونوا على سبيل الرهاين قال فركب يوقنا ومعه الاربعين من بنى عمه وتزيا الصحابة بزى اباذ الشمطا وخرجا من حران فى الليل وطلبوا راس العين فلما وصلوا الى مكان يعرف بملوا واذا بقرع حوافر الخيل فاخفوا امرهم حتى وصلوا اليهم واذا هم بار بعمائة عبد اسود وخمسين وهم يقرؤن القرآن وبعضهم يسبح فاستقبلهم سعيد ابن زيد ومن معه وكبروا مثل تكبيرهم وتقربوا منهم فاذا هم موالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وا.قدم عليهم دامس أبو الهول رحمه الله وكان السبب فى ذلك أى قدومهم انه لما بعث عياض بن غنم كتابا الى أبى عبيدة يستنجده على القوم ويعلمه بمن قد اجتمع من الكفار برج رغبان فلما قرأ الكتاب أرسل دامس ومن معه لنصرة الاسلام وكانوا بسميساط وبلادها ومنذ فتحوها استمروا بها حتى جاءهم كتاب أبى عبيدة فترك دامس على سميساط وبلادها من يثق به وجاء فى العدة التى ذكرناها فلما التقاهم سعيد بن زيد سلم بعضهم على بعض وفرحوا باجتماع الشمل ونظر دامس الى الجمال وعليها يوقنا واصحابه فقال اظفرتم بهؤلاء فى طريقكم فقال سعيد هذا يوقنا عبد الله واصحابه قد باعوا نفوسهم لله قال فلما سمع أبو الهول كلام سعيد سجد لله على قربوس فرسه واتى الى عبد الله يوقنا وسلم عليه فقال له مرحبا بقوم قد طلقوا الدنيا بتاتا زهدا وطلبوا مرضاة الله ثم انه قال لسعيد بن زيد يا صاحب رسول الله اشركونا معكم فى هذه الحيلة قال نعم ولكن اسحبوا هذه الجمال واخفوا الدروع والعدد واحتزموا فوقها وسوقوا الجمال امامكم كانكم عبيدنا فانه لا ينكر عليكم من رآكم قال ففعلوا كما أمرهم سعيد وأخفوا سلاحهم فى وسط الجمال واقبلوا على سوقها فلما وصلوا الى الزليخة نزلوا هناك ولبسوا وتدرعوا ونشرت الاعلام والصلبان التى كانت مع اباذ الشمطا وداروا بيوقنا وأصحابه وجعلوهم بينهم وساروا حتى قربوا من رأس العين فبعث سعيد رجلا من خلفائهم الى والى رأس العين يبشره بقدوم عاصم بن رواحة واباذ الشمطا فلما وصل اليه الرسول خرج بالموكب الى لقائهم وقد اعلمه الرسول بقدوم يوقنا اسيرا ومعه أربعون من أصحابه فصاح الصائح بذلك فما بقى أحد الا وخرج امام الوالى والتقوا بالصحابة وهم بزى أصحاب اباذ الشمطا وقد داروا بعاصم بن رواحة وكان الوالى يحبه ويعرفه فترجل اليه وترجل عاصم وتعانقوا واقبلت المواكب يسلم بعضها على بعض فقال الوالى كيف أخذت هؤلاء وهذا المارق يعنى يوقنا قال له انا لما وصلنا الى الفرات وعدينا خرج علينا برجاله فقاتلناه وقاتلنا فنصرنا المسيح عليهم بعد ما قتلنا منهم خمسين رجلا واخذنا هؤلاء وانهزم الباقى قال ففرح الوالى واقبل على يوقنا يوبخه بالكلام وهو لا يرد عليه والروم تشتمه وتسبه وهو لا ينظر اليهم ولا يكلمهم الى ان دخلوا رأس العين وأمرهم ان يجعلوهم عند الاسارى فى بيعة نسطوريا وان يحتفظوا بهم حتى نكاتب الملك ويرى

فيهم رايه قال فجعلوهم عند خالد واصحابه ثم ان عاصم قال للوالى أنت تعلم ما بيننا وبين هؤلاء القوم من العداوة وان كانوا عربا مثلنا ونخاف انك تجعل على حفظهم أحدا من الروم أومن الارمن وان يحدثوا معهم باطلاقهم وتدخل المضرة على الملك وعليكم والصواب ان تجعل بعضنا فى البيعة وبعضنا خارجها فانه من اتى الى الجهاد لا يركن الى الراحة فانه من تعب فى الدنيا قليلا استراح فى الآخرة طويلا قال فاستصوب الوالى رأيه وأنزله فى البيعة هو واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واضاف يوقنا الى خالد قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه فحصل ستمائة فارس من المسلمين قال الراوى فلما استقروا فى البيعة وجن الليل قام سعيد بن زيد الى خالد وسلم عليه و بشره بالفرج فقال يا ابن زيد لقد علمت بذلك منذ قبل ان يوقنا داوتى به ومعه اربعون فنظرت بنور الايمان فعلمت صحة ذلك قال وان الوالى بعث الى الملك يبشره بأخذ يوقنا ومعه اربعون من اصحابه وقدوم عاصم بن رواحة و معه خمسمائة من اصحابه فلما بلغه الخبر أمر بالبوقات فضربت فسمعت المسلمون بذلك فقالوا ما ضربت البوقات الالامر مهم واذا اقبل عباد ابن بشير وهو متنكر وأتى الى عياض بن غنم فلما رآه قام اليه وسلم عليه وقال يا ابن بشير بم تبشرنى اقرالله عينك فلم يرد عليه شيئا حتى خلا به وحدثه بجميع ما جرى فلما سمع عياض بشارة عباد بن بشير سجد شكرا لله فقال عباد إن الاميران سعيد بن زيد ومن معه يسلمون عليك وعلى من معك و يقول لك انجز المصاف فأمل ان يفتح على يديك فا بينك و بين فتح راس العين الا أن تهزم القوم وقد فتحت فقال عياض توكلنا على الله فلما جن الليل جمع أصحاب الرايات وحدثهم وقال لهم لا تعلموا أحدا مخافة من جواسيس الروم ولا تخلوا يصبح الصباح الا وأنتم على اهبة الحرب قال فما اصبح الصباح الا والمسلمون قد اخذوا اهبة الحرب فلما طلعت الشمس وانبسطت على الارض علت على الخيل ركابها وحملت باصحابها وشب من الحرب نارها وطار شرارها وقطعت الجماجم واسعرت الملاحم وصالت اسودها وتعفرت خدودها وصبرت على شدة حالها وحانت منها احوالها وتدانت آجالها فهم فى الحرب متوافيون وفى العدد والعديد متقاربون وفى الزحف الى الفزع مختلفون وانجاج ثائر والدم فائر والاسلاب مطروحة للضباع ولحوم القتلى رزق للطير والسباع ولقوة العمائم تشتكى منها الاسماع والشمس تنحرم منها الجسوم والنفوس والحرب قد أخذت أمرا بقطع الآجال وقد شمرت عن ساق وسروال والوطيس قد حميت جوانبها واستحبت عين مجانبها والصفوف تدانت الى الهياج وقد غبيتهم غيم العجاج وكل مقدم قد شذ منه جيشه وتكدر بعد الصفو عيشه والخيل تكركرات وتجتمع مرات والسيوف تقطع البيض والنفوس تكاد تميز من الغيظ والغبار قد سحبت ذيلا زنجيا وانسبل واسبل على الوهاد رداء محيا والعامور قد حامت وكان القيامة قد قامت واستقبل المسلمون هذا الحرب الخطير والضرام المستطير احل بالروم المقام وسمحوا بنفوسهم واتقوا أليم العذاب ونال المسلمون مارغبوا فيه فى حسن المآب (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه والتقى عبد الله بن عياض بن وائل وعبد الله بن قرط بالملك شهرياض وقد عول على الهروب وكل من فى جيشه قد اشتغل بنفسه عن

نصرته وليس عنده سوى عشرة من غلمانه فاطبق عليه عبدالله بن قرط وعبدالله بن عياض (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه ولم ادر ايهما كان اسبق بالطعنة فطعنه فى صدره اخرج السنان من ظهره فلما نظر غلمانه الى ملكهم مجندلا ولوا على ادبارهم ونزل عبدالله فاحتز رأسه وجعله على رمحه وركب وصاح الا ان الملك قد قتلته فمن كان منكم يثبت للحرب فليثبت وصالت المسلمون على أعداء الله ووضعوا فيهم السيوف فقتل من قتل وانهزم الباقون بعدما أسروا منهم من أسروه وقد تركوا الاثقال على حالها والاموال والسرادقات فاحتوى عليها المسلمون قال جديد بن ناشب الضمرى كنت مواعيا اذا سكنت الحرب بعدد من قتل من الروم فاخذت مخلاة على عاتقى وملأت حجرى حصى فكنت لا أمر بمقتول الا طرحت عليه حصوة ثم عددت الحصى فاذا هم ثمانون ألفا وسبعمائة وخمسون وأما الاسرى فلا يقع عليهم عدد فلما وضعت الحرب اوزارها أمر عياض بالاثقال والاسرى الى كفرتوثا وبعثها مع الصلت بن مازن ومعه ألف فارس وامره ان لا يبرح منها حتى تفتح رأس العين قال ثم ارتحل عياض فى أثر الوقعة الى رأس عين وردة وبات ليلته يتلو القرآن قال ووصل المنهزمون الى رأس العين وهم باسوء حال ووقع الصائح بجوانب المدينة بهزيمة الجيش وقتل الملك شهرياض فعظم عليهم وكبر لديهم واستوثق الوالى مرسيوس من المدينة والاسوار وعول على انه فى غداة غد يضرب رقاب المأسورين وكان من عادة الروم اذا قتل منهم ملك يقتلون عليه مائة أسير من اعدائهم فلما كان من الغد ركب عدو الله مرسيوس الوالى الى وسط المدينة وامر ان يؤتى بالاسرى وهم خالد ومن معه ليضرب رقابهم فارادوا أن ياتوا بهم واذا بعياض قد صبحهم صباحا فاشغلهم عن ذلك ونزل على باب اسطاحون وهو الباب الشرقى وكان قد ضرب على الباب المذكور قبة من الديباج المدثر برسم عدو الله مرسيوس والى جانب القبة منجنيق عظيم يتعلق فى حباله مائة رجل وكان صاحبه ابن عم الملك وكان اسمه مترقيس بن اشفكياص وكان أبوه هو الملك قبل شهرياض وهو صاحب الدنانير الاشفكياصية قال وانما تقدم عياض بالمسلمين للقتال حتى يشغل أعداء الله عن خالد ومن معه بالمدينة فصاروا يرمون بمنجنيقهم وسهامهم وكان قد وصل مع عياض غلام من أهل المدينة اسمه سعد الدارى وكان ارمى خلق الله بالنبل وكان قد وصلت له أم عجوز فلما كان ذلك قال يا أماه أريد ان اجاهد هذا اليوم فى الله حق جهاده فلعلى ان الحق باخوانى وجدى الذين قتلوا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعها وسار فقالت يا بنى سر الله ينصرك ويؤيدك قال ثم انه تقدم ووقف وهو يتستر وكان قد شاع ذكره بين العرب وانه كان ينظر الى الطائر فى الجو فيقول انى قد عولت ان اضرب هذا الطائر فى موضع كذا فيضربه فيقع الطائر والضربة فى المكان الذى ذكره فلما كان يوم قتال عين وردة تقدم وجعل يضرب البطارقة من اعلى السور فلا يقع سهمه الا فى فؤاد او فى حدقة حتى قتل ثلاثين بطريقا منهم من وقع الى المدينة ومنهم من وقع الى الخندق قال وكشف برج الباب قال وكان عدو الله مترقيس

المتقدّم ذكره صاحب المنجنيق أرمى خلق الله فجعل يعبر ويرمى فقال الناس لجميل بن سعد أيها الغلام أبعد لئلا يصل اليك حجر المنجنيق فانا نخاف عليك منه فقال ياقوم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى كتاب الله العزيز أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ولابد أن اثبت لهم ثم انه رمى رجلا من الذين يجرون الحبال فقتله وثانيا وثالثا فقتلهما قال فهربت البطارقة عن الحبال وقالوا لا طاقة لنا بالوقوف فى هذا المكان من هذا الغلام فقال مرسيوس البسوا الدروع واستتروا ففعلوا وقعدوا فى الحبال ورمى بحجر فوقع فى رجل من بجيلة فقتله ولم يزل حتى قتل ستة رجال قال وان جميل بن سعد يرمى فلا تخطئ نباله وهو يقول واشوقاه الى الشهادة وان أصل الى دار العلم والشهادة فنودى من سره ان أردت ذلك فبادر الى ذلك ولا تخف ولا تحاذر واطلق عنان كلمتك فى ميدان طلبتك واياك والتخلف عن بابنا فمن أرادنا أردناه ومن احبنا احببناه فقال ها أنا اتقدم وجنانى فى الحقيقة لا يتألم وقد بعت منك نفسى فاقبل شراها فعسى آتى الجنة وأراها فقيل له قد قبلناك فامرح واطلق لسانك بشكرنا وافرح فمن باع نفسه منا لم يكن بمغبون واسمع ما سطرناه فى الكتاب المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال فبينما هو كذلك اذ عبر عليه عدوّ الله ورماه وكذلك جميل قصده بنبلة فوقعت فى صدره مرقت من ظهره ونظر جميل الى الحجر وقد قصده فعلم انه ميت فالتفت الى ابن عم له اسمه رافع ابن خالد وقال له بلغ العجوز سلامى وانشدها هذه الابيات وجعل يقول

ايا رافعا الا حملت رسالتى * تخبر انى قد لقيت حمامى *
وان جئت أمى رافعا وعشيرتى * فخصهم منى بكل سلام *
وان سألت عنى العجوز فقل لها * قتيل بجار لا قتيل سهامى *
طريحا بباب الحصن لما تطايرت * من الحجر الصلد الاصم عظامى
ولست ابالى ان قتلت لاننى * ارجى بقتلى فى الجنان مقامى

قال وعلم عياض بقصته فبكى رحمة لامه وأمر به فدفن بعد ما صلى عليه وبلغ خبره الى أمه فصبرت صبر الكرام وقالت يابنى عشت سعيدا ومت شهيدا اوسلكت سبيل آبائك فرحمك الله وآنس غربتك ونفعنى بك يوم القيامة ثم قرأت الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون قال حدّثنا عمر بن الجون النبهانى وكان ممن حضر مع جده سراقة فى فتح رأس العين قال لما قتل جميل بن سعد فرحت الروم وان عدوّ الله مرسيوس صاحب الامر بعد شهر باض لما رأى ان المسلمين معوّلون على حصاره مضى فى الليل الى بيعة نسطور باوصلى بها وقرب القربان وكان من بغضه للمسلمين قد صور على باب البيعة صورة رجل من العرب وكتب عليه هذا نبى العرب فكل من دخل البيعة يبصق عليه وكان فى داخل البيعة صورة القيامة والميزان والصراط والجنة والنار وكانت صورة عيسى وبيده صليب وكانت أمه تحت لوائه على باب الجنة قال فلما صلى قال لعاصم بن رواحة لقد اردت الليلة أن اقرب عشرة من هؤلاء العرب

الاسرى فى بيت المذبح فقال له عاصم ليس هذا برأى أيها الملك حتى نرى ما يكون من امر العرب وهذا بين يديك قال فسكت وخرج وان عاصما لم يترك فى البيعة أحدا من الروم واستوثق من ابواب البيعة ودخلت الصحابة الى بيت المذبح فوجدوا فيه سلاحا كثيرا مما كان يجتمع من النذور فأخذوه وعولوا على ان فى صبيحة غد اذا اشتغل أهل المدينة بالقتال يثورون فى المدينة قال ولما دخل الليل قاموا يذكرون الله وينظرون الى تلك الصور المصورة وصفة القيامة والصراط والجنة والنار فقال عاصم بن رواحة لسعيد بن زيد الهرب الى دين رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى الايمان قال نعم ويقرب الى مقام ابراهيم اذا كان يوم القيامة يوم الحسرة والندامة اذا عصفت رياح الطامة وحشر الخلق والورى وبرزت الجحيم لمن يرى وصفت صفوف العالمين وحييت جوانب المتقين الموقنين ونشرت رايات الصادقين ورفعت أعلام المحققين ونصبت منابر الانبياء والمرسلين وتصدرت مراتب الصديقين وفرحت أرواح الموحدين وضاقت أرواح الكافرين وزهقت نفوس المشركين وقيل بعدا للقوم الظالمين وذلت الملوك والجبابره وطاطات روس الاكاسره والقياصره واستبشرت الابرار ويئست الفجار ونادى منادى الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الم نحذركم دار البوار الم يأتكم الانذار الم تسمعوا ما انزل على السيد المختار قل تمتعوا فان مصيركم الى النار هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين هذا يوم العرض هذا يوم الوفا هذا يوم الجزا هذا يوم الراجفة هذا يوم الآزفة هذا يوم الفصل هذا يوم العدل فاذا نفض الموقف باهله وقدم كل ذى جهل بجهله وعضت الانامل اسفا وطارت القلوب لهفا ونادى المنادى يا معشر المجرمين امتازوا فان المتقين قد فازوا أما سمعتم فى الكتاب المكنون وامتازوا اليوم أيها المجرمون فبينما هم قد كظمهم العطش ولحقهم الدهش وعظم الارق واشتد القلق وسال العرق ونادى المنادى وهم يسمعون وقفوهم انهم مسئولون قفوهم حتى يروا هيبتى ومملكتى قفوهم حتى يشاهدوا سلطانى وعظمتى قفوهم حتى يعرضوا على قفوهم حتى أناقشهم الحساب اين من عصى واجرم أين من طغى واظلم أنا الجبار الاعظم لا ارحم من لا يرحم أين أمة نوح أين من كان يغدو فى البطالة ويروح أين أمة هود أين آل ثمود أين أمة التظليم اين أمة شعيب أين اهل الشرك والشك والريب اين أمة التوحيد أين اهل الصلاة والتمجيد أين امة القرآن أين أمة راكب البراق أين أمة طاهر الاخلاق هلموا للعرض والحساب فقد تجلى رب الارباب لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب والمصطفى صلى الله عليه وسلم فى كبكبة حشمته وموكب زينته على رأسه تاج الرضى مكتوب عليه بقلم الامضا ولسوف يعطيك ربك فترضى وبيده لواء الحمد وبين يديه جنائب السعد وعن يمينه الانبياء وعن يساره الاولياء والملائكة وقوف بين يديه وأهل الموقف ينظرون اليه وامته يصلون عليه وقد تهللت وجوههم فرحا وقد اسبل عليهم الاسلام سرباله وأوصل بهم حباله وقد نادوا ربهم بالتمجيد وازعجوا الموقف بالتوحيد وقد اضاء نور ايمانهم وعرضوا على ديانهم واستشهدهم على الامم فشهدوا فقبلت شهادتهم وغيبت عنهم نجوم الافلاس

وأمنوا من الهول والباس ونادى مناديهم كنتم خير أمة اخرجت للناس وأهل الموقف ينظرون جمالهم ويستعجبون من هيبة جلالهم ويقولون لقد فاز من اتبع ملتهم وصدق شريعتهم قال مالك يوم الدين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فاذا ورد مقامه أطال فيه هنالك قيامه وبسط كف ابتهاله وبالغ فى طلبه وسؤاله ويقول اسألك قبول شفاعتى فى العصاة من أمتى واذا بالنداء وعزتى لا اخلف لك وعدا ولا انقض لك عهدا ولا رين أهل الموقف علو شأنك ورفيع مكانك ولاعطينك حتى ترضى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال فازداد عاصم ايمانا فلما كان وقت السحر وثبت الصحابة على اقدام الحزم والعزم وخرجوا على أهل المدينة فاستعانوا بالله وقالوا اللهم انصرنا كنصر نبيك يوم الاحزاب وقال خالد اياكم ان تفترقوا فتذهب ريحكم واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا ان الاعداء يجتمعون عليكم والنساء برجنكم والشباب يقاتلونكم واياكم ان تطمعوا أحدا فى بحار الحرب بل اصبروا على مر الكرب والضرب وانما يتبين صبر الرجال عند ملاقات الاهوال وما نحن ممن يفرح بهجوم الآجال لانا قد تحققنا ان لكل منا اجلا لا يتعداه ومن خاطر بعظيم نال عظيما وهذه المدينة اسمها عظيم والجمع فيها اعظم وهى قصور وديار بكر وربيعه وقد حصلنا فى وسط مدينة القوم فان كنتم طالبين الظفر فاصبروا ولا تعجلوا فالصبر مقرون بالظفر والعجلة مقرونة بالزلل والصبر عاقبته النصر واعلموا أن هذه البيعة هى بيعتهم المعظمة ولا بد لهم من القدوم الى الصلاة فاذا حصل اليهم هاهنا ومقدم عساكرهم اطبقنا عليهم من كل جانب ووضعناهم بالقواضب فانه اذا قتلت الملوك وعظماء البطارقة فما يجسر بعدهم احد أن يرفع يده وأما العوام فلا اعتبار بهم فقال عاصم بن رواحة لله درك أيها الامير ما اخبرك بالامور والحرب ولقد تكلمت بالصواب وأحسنت فى الخطاب فيقر كل واحد منكم فى مكانه واخفوا سلاحكم فى اعبائكم فاذا اشتغل القوم فى صلاتهم ثرنا عليهم ومددنا أيدينا اليهم فاستصوبوا رأيه قال وكانت الصحابة فى بيت كبير فى البيعة كان برسم النذور وفيه شئ من الامتعة لا يثمن لكثرته (قال الراوى) حدثنا عبد الله بن يانس عن جده فياض بن زيد وكان من جملة من ذكرناهم من الصحابة وحضر فتوح رأس العين قال هكذا كانت قصتنا وكنا قد دبرنا هذا التدبير ثم رجعنا عنه وكان من الامر المقدر ان ذلك اليوم الذى رجعنا فيه لم يقاتل فيه احد من جند راس العين وكان له سبب نذكره (قال الراوى) رحمه الله وكان من قضاء الله السابق فى خلقه انه كان للوالى أخ عاقل لبيب له رأى وتدبير وكان يعرف من الحكمة التى وصاه بها فهرايس احد حكماء اليونانيين وقد عرف من علم الملاحم وكان صاحب سر شهرياض فما كان يفعل شيئا الا بمشورته وكان قد نهاه عن قتال العرب وقال له ما أرى لك فى قتالهم خيرا والامر عليك لا لك فلما كان من الملك ما كان وقتل جيشه ورجع الامر الى مرسيوس قال له اخوه الحكيم وكان اسمه ارسالوس معناه حكيم زمانه اعلم يا اخى أنه ليس يجب للعاقل اللبيب الفاضل الاديب ان يرمى نفسه فى غير مراميها ولا ينقاد بزمام شهوة النفس فانه من اطاع نفسه هوى فى مهاوى

الذل

الذل ونسب الى الجهل فان الشهوة عرض واتباع الهوى مرض والاستمتاع باللذات سبب
المهلكات ولا خير فى لذة تؤدى الى الفناء وتورث صاحبها العناء الشهوة حين والامل شين
والاستمتاع بين والتمتع دين وحب الدنيا مين وماندم عاقل ولاساد جاهل ولا وفق عجول
ولا رأى لملول ولا سعد خاين ولا صدق ماين ولا عظم بخيل ولا قدم ذليل ولا فخم نبيل ولا حقر
جليل ولا نال العبادة من زهد فى الافادة ولا أمن فى الآخرة من سر فى الدنيا الساحرة ولا سدد
من ظلم ولا حرم من حلم ولا حزم من ندم ولا خاف من تاب ولا رد من أناب ولا هجر من لزم الباب
ولا ذل من اتبع الصواب واعلم أن بالسياسة تدوم الرياسة وبالعدل تدوم الدول وبالجور
هلك الاول وبقلة التدبير يحصل التبذير ومن بذل جهده كلت أوصافه ومن أفشى السلام
فضله الانام واصلاح السريرة نعم السيره وجمالة الانسان فصاحة اللسان وزينة الرجال كرم
الخلال وخير الاصحاب التقوى وشر الاخوان اتباع الهوى ولا خاب من قصد طوره ولا ارتفع
من جهل قدره والتعلق بالامال ضياع الاعمال ومعالى الاخلاق نعم الرفاق وممارسة الحلال
نجاة من الاهوال وحب العاجل يبين الآجل وارتكاب العصيان علامة الخذلان وعلامة
التوفيق تيسير الطريق والنظر فى العواقب أمن من المعاطب ومن نظر الى الدنيا بعين الفنا
أدرك فى الآخرة ماتمنى واعلم يا أخى انك قد أصبحت مقيدا بحب الدنيا سابحا فى بحار أهوالها
متعلقا بأذيال محال آمالها وقد تزينت لك برياشها ووقفت لك على قدم احتياشها وازوت
عنك جل مصايبها ونصبت لك شبكة مصايدها ووضعت لك تاج شهواتها على مفرق رأس
آفاتها حتى اذا أشرت اليها بالوصال منحتك لذيذ الاتصال واحسنت لك صحبتها شهرا ورمتك
بسهام الهجر دهرا وطالبتك بما كتبت عليك مهرا حتى اذا علمت غريم الانغاض غير انك منقاد
للقصاص القتك فى بحر الافات وحبستك فى بحر الغفلات وصغرت أمرك عند الناس ووكلت
بك سحائب الوسواس فلا تبرح تذكر الانسان بما كان فيه حتى تخرج روحه من فيه واعلم ان
من جملة ماذكر لنا عن عيسى بن مريم انه رأى طائرا مليح الشكل حسن الريش كامل الزينة
فقال من انت قال انا الدنيا ظاهرى مليح وباطنى قبيح قال عيسى عجبت لغافل ليس بمغفول عنه
ومؤمل اتمام شئ والموت يطلبه وانما ضربت لك هذه الامثال لتتعظ بها وبما نزل بالملك شهرياض
كان بالامس على السماط واليوم نزل على الصراط بالامس كان فى سلطانه وملكه يباهى واليوم
صار فى الحفر واهى ماافاده الغنى اذهبه الفنا وذهب الفرح بالترح والنوم على السرير بالنوم
على العفير ومعانقة الاتراب بالتعفر فى التراب بدل عن كل خل وودود بجاورته الدود وجار
وما أجار واشتغل بالدار عن الجار وبالرماد عن المهاد وانظر بأى سنان بترو بأى آية كيف
هجر وصار قصره مهجورا وعمارته خرابا بورا وتبدل السرور بالثبور مانفعه الجيش وكثرته
ولا الخزائن وعدته أصبح والله ذليلا وبعد الكثرة قليلا فلا عمل صالح ولا عز راج ولا ثواب
ينفع ولا جميل يدفع وقد بقى مرتهنا باعماله موثقا بافعاله وأنت تريد ان تسلك مسلكه وتتبع
سبيل ما اهلكه فالحد ينفعك ولا عمل يتبعك اتق الله فى نفسك وفى أهل ملتك وبلدتك

واعتقب لك من هؤلاء العرب صلحا واقبل ما قلت لك نصحا واحقن الدماء وارحم النساء والاماء وسلم تسلم وهؤلاء القوم ما قالوا قولا الا وفوا به لان الصدق دليلهم والايمان يقينهم ما هم ممن يطلبون الملك فينازعوا عليه ولا يميلون اليه بل طلبهم الآخرة وما عند الله وبالامس وفوا لرودس صاحب حران ورجع عن دينه ودخل فى دينهم وكذلك الملكة مارية ابنة ارسوس وقد دخل فى دينهم جبابرة ملوك الروم مثل يوقنا وبرغون وعمود اومينا الذى هو أعلم منا فى ديننا وقد ملكوا الارض فى الطول والعرض وانما يعاصر عن نفسه من له ميرة وعدد وجيش وسلاح وعدد يقدر على محاصرة البلد وهذا بلد عظيم وما فيه ما يقوم باهله سنة أو أقل فان لم تسلم أنت سلم أهله وسلموك اليهم برقبتك وهذه حران لهم وكفرتوتا والرها وسروج وسجستان وماردين والصور والخابور وما عدا الفرات الى الشام الى أرض مصر وجيوشهم قد طبقت العراق وملأت الافاق وقد بلغنى ان الملك كسرى قد عاد الى المحاق فابعث الى أمير هؤلاء العرب واطلب منه الصلح فانه يعطيك وتريح نفسك ومالك وأهلك وولدك وعش فى ظل القوم ان شئت على دينهم وان شئت على دينك فانهم لا يغصبونك قال فلما سمع مرسوس كلام أخيه الحكيم ارسالوس غضب عليه وضربه بمقرعة كانت فى يده وقال أنت ما خلقك المسيح الا ذليلا وكيف تأمرنى ان اسلم ملكى للعرب وتعرضنى للعطب اخرج يا ويلك عنى فان وقعت عينى عليك بعدها قتلتك قال فخرج من عنده وهو غضبان وأما اللعين مرسوس فانه أمر أرباب دولته ان يجتمعوا فى كنيسة بيعة نسطوريا حتى يحلفهم فمضى شاويشه فجمعهم وجمع مشايخ البلد وكبراءها ورؤساءها وأحضر الاقسة والرهبان والشمامسة وبترك ديرمقريب حتى يستحلف اهل المدينة فلما حصلوا فى البيعة اغلقوا ابوابها حتى لا يدخل اليهم احد من العوام وحصلوا كلهم بمجلس الملك والبترك وشرعوا يحلفونهم وهم آمنون مطمئنون اذ خرجت عليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل سيف مسلول وعزم غير محلول وصاحوا بالتهليل والتكبير ونادوا نحن امة التنزيل واصحاب النبى الجليل نحن حملة القرآن وصوام رمضان قد أخذ الله منكم بذنوبكم وهتك ستوركم وعصفت عليكم المحن اين الصلبان وعبادتها اين الصور وحشمتها اين تقريب القربان أين تدبير الرهبان ادعوا اربابكم ينصرونكم هيهات والله ذهب باطلكم وهلك بالشرك جاهلكم واضمحلت ايامكم وذهبت دولتكم ووضعوا فيهم السيوف وعجلوا بهم الحتوف وقتلوا البطارقة بالنية الصادقة فاتوا عن آخرهم فلما رأت الروم ما نزل بهم ضجوا وبأصواتهم عجوا فقال خالد أولياء الله جودوا الضرب فى اعداء الله واهرقوا دماء من أشرك بالله قال فقتلت الطراخنة وذووا الحشمة الشامخة فلما بلغ الخبر العوام انهزموا عن الاسوار لما حل بقومهم البوار وحلت بهم الاقدار فذهب دامس الى الابواب ففتحها فدخلت المسلمون بالتهليل والتكبير ولم يزل القتل يعمل فى رأس العين وقد وردوا موارد الحين وناح عليهم غراب البين وايدت شريعة سيد الكونين (قال الواقدى) وكان فتح رأس العين فى ربيع الاول سنة سبعة عشر فجمعوا الاموال والرجال وكانت

عدتهم عشرين ألفا منها عشرة آلاف محاربة فاسلم كثير من القوم واسلم الحكيم ارسالوس وجميع من يلوذ به (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولم يؤخذ من ديار بكر بالسيف الا رأس العين قال واخرج الخمس من المال وارسله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكتب له كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الاشعرى الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه اما بعد فان الله قد فتح علينا يسيرا ما كان عسيرا وكان لعدة الفتيان شعاع يخطف العيان فلما تضايقوا امامى وازدحموا قدامى عاينت جيشا كثيفا وسدا منيفا قد اقبلوا من الافواج وتتابعوا كالامواج وتناصروا من كل صوب واشتهروا فى كل ثوب والحديد يتألق كالحريق وقد تطايرت السيوف فلالا والارماح كعوبا وانقضت المدة وقد وضعت الحرب أوزارها واطفأت نارها بعد ما قتل المسلمون أهل الطغيان الفاسقين ونصر الله الكفاة وخذلت العتاة وولت الاعداء الادبار واراحنا الله من مضرتهم وطهرت البلاد من كفرهم وكان زعيمهم الخائن وملكهم أول مخذول وأهون مقتول وبعد ذلك فتحنا رأس العين ونحن بعد ذلك معوّلون على ديار بكر والله المعين وبه نستعين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين واقرأ سلامنا على قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه مع الخمس لعبد الله بن جعفر الطيار وضم اليه مائة فارس من المهاجرين والانصار فسار عبد الله ومن معه وأقام المسلمون على رأس العين شهرا وعمل بيعة نسطوريا جامعا وصلوا فيه وبنوا الكنائس مساجد وترك عرفجة بن مازن العامرى عليها واليا ومعه مائة فارس واخذ مال الرها وكفرتوثا فاخرج منه الخمس وارسله بعد عبد الله بن جعفر مع سلامة بن الاخرص ومعه خمسون فارسا

(ذكر فتح دارا وبيرحا وباعمبا)

قال ورحل عياض بن غنم من رأس العين ونزل على كفرتوثا واقبل اليه الغلام يرغون فرحب به وولاه على المدينة وعرض الاسلام على الجارية طاريون فاسلمت وزوجها بابن عمها وبنى البيعة جامعا وارتحل منها الى دارا فنزل عليها وخرج اليه أهلها واعتقبوا لهم منه صلحا وكان جملة ما صالح عليه أهل دارا عشرين الف مثقال ذهب وثلاثين ألف فضة وان لا يبقوا سلاحا فاجابوا الى ذلك وبنى كنيستهم جامعا وما اسلم منهم الا القليل واقرهم على أداء الجزية وارتحل عن دارا وقصد بيرحا فصالح أهلها على ربع ما صالح عليه أهل دارا ورحل عنها وكانت بنو اسرائيل تعظمها وتقصد اليها بالنذور وكان بانيها اخرقيا بن تورخ بن بازيا احد أنبياء بنى اسرائيل فخرجوا الى عياض وصالحهم على قدر ما صالح به أهل دارا غير ان مقدمهم قال انى لم ازل أملك البلد حتى يأتينى الموت ومن أراد ان يدخل فى دينكم من أهل بلدنا فلا مانع يمنعه فقال له عياض ما اسمك قال اسمى طرياطس فقال يا طرياطس انا نحكم على العدل فا

فتح الله علينا الا باتباع الحق وسلوك طريق الصدق والعدل فى الرعية وان نجتنب البغى والظلم وما قصدنا قاصدا الا وجدنا وأنتم منذ خرجتم الينا ووردتم علينا فنحن نجيبكم الى سؤالكم ونصالحكم على ما صالحنا عليه أهل دارا فقال طرياطس وتصالحون أهل معرين على ما صالحتم عليه أهل بيرحا فاجابهم عياض الى ذلك ونزل على باعمارد قال وانما أجابه عياض الى ذلك ولين له العريكة حتى يبلغ الخبر الى أهل ديار بكر فيجيبون طائعين ويسلمون له من غير منازعة وكان قد بلغه تحصن بلادهم وامتناع قلاعهم قال فدخل طرياطس وأخرج المال من خزائنه ولم يأخذ من أهل بلده شيئا ودفعه لعياض فقبله منه وكتب له كتاب الصلح وشرط عليهم الجزية كما فعل أهل دارا من العام المقبل فلما تم ذلك دخل المسلمون اليه وبنوا جامعا فلما بلغ أهل نصيبين حسن سياستهم وعدلهم وجودة احكامهم اسلم اكثرهم وكان فى جملة من اسلم اصحاب دير النذور واخربوه وبنوه جامعا وأقام عياض على نصيبين شهرا فلما اراد الرحيل جاءه طرياطس وقال قد زدتم فى اعيننا بما رأينا من صلاتكم وعبادتكم فاسلم وحسن اسلامه ولم يزل ملكا حتى مات فى خلافة عثمان ونزل فى مسجد كندة اسامة بن عامر الكندى وعشرة من بنى عمه وارتحل عياض ونزل تحت قلعة المرأة وفيها مارية وولدها عمود افنزلوا اليه بالاقامة والضيافة وسار الى أن نزل على آمد لسبع خلون من شهر جمادى الاولى

(ذكر فتوح ميافارقين وآمد)

وكان بآمد اخوان شديدان البأس اسم الواحد بطرس والآخر يوحنا وكان بطرس فى شرقى البلد ويوحنا فى غربيها وكان ليوحنا بنت اسمها رغورة ولبطرس بنت اسمها صفورا وكل واحد مشغول بما هو فيه وان يوحنا أراد ان يتزوج فارسل الى صاحب دارا وهو مرطاوس فزوجه ابنته مريم وحملت من بلد أبيها اليه وكانت صاحبة حيلة ومكر فلما حصلت بآمد نظرت الى المدينة وكثرة مالها ونعمها وتحصن أهلها وسورها وغزارة بساتينها فقالت لدايتها فى السرياداتى ما رأيت أحسن من هذه المدينة ولا احصن منها ولا امنع الا ترين الى الاعين المخترقة فى وسطها والى الجبال التى قد دارت بها تعنى سورها الاسود فن بناها على الحقيقة قالت لها اعلمى انه قد ملك بلاد الروم أجمع من أول بلاد اليونان الى بلاد عمودية ملك يقال له طيماوس بن ارساوس بن ميهاط بن مكلا وكز بن الاصفر بن العيص بن اسحاق وكان أول من بنى بيت الحكمة فى بلده رومية الكبرى وكان قد فتحت له المطالب ونشر فى الارض العجائب وانه حدثته نفسه بملك الارض لكثرة المال فانتهى الى سويقة وكان له ولد اسمه اصطنبول فقال لابيه طيماوس أريد ان ابنى لى ههنا مدينة اذكر بها قال يا بنى افعل وامده بالمال والرجال فادار سورا على ستة فراسخ وسماها باسمه وعاش أربع سنين ومات وخلف ولدا اسمه قسطنطين فاتم بناها فسميت باسمين اصطنبول باسم أبيه والقسطنطينية على

اسم ابنه واما ابوه فانه صار يفتح البلاد حتى وصل الى ههنا فرأى هذه الاعين والدجلة فاستحسن المكان فطلب ارباب دولته وكانوا اثنين وسبعين ملكا وقال قد اخترت ان ابنى ههنا مدينة لا يكون على وجه الارض مثلها ولا احصن منها ولا امنع ولكن أريد ان كل واحد منكم يبنى لنفسه مدينة وبرجا فقالوا جميعا نفعل أيها الملك فركبوا واختطوا المدينة وشرعوا فى بنائها وأتوا بالصناع من أقصى البلاد واختص كل ملك بمدينة وبرج وحمام وكنيسة فلما اتموا بناءها مات الملك فسميت آمد الانقضاء مدته بها وما زال الملوك يتوارثونها الى أن انتهت الى هذين الاخوين بطرس ويوحنا قال فتعجبت مريم من قول دايتها وكتمت الامر وكان لبطرس ولد اسمه لاون فطلب من اخيه ابنته صفور لولده وقال له زوج ابنتك لولدى حتى ازوج ابنتى لولدك فامتنع ووقع الشر بينهما وكان فى وسط البلد سور وابواب فاغلقت وصار كل واحد منهم مشغول بناحيته فلما رات مريم ذلك دخلت بينهم بالصلح وقالت هذا لا يجوز وانتما اخوان ويطمع فيكما ملوك ديار بكر وركبت بنفسها واصلحت بينهما وفتحت الابواب التى داخل المدينة وصنعت وليمة عظيمة ودعت اليها بطرس وولده لاون وابنته صفورا فلما كانوا وليمتها وقدمت لهم الخمر ممزوجا بالسم فلما تمكن منهم قتلوا عن آخرهم وكذلك فعلت بزوجها وولده وصارت ملكة وبنت بيعة لم ير ببلاد الروم مثلها وفرشت أرضها بالفصوص والرخام الملون وزخرفت الحيطان بالذهب والفضة وعلقت فيها ستور الديباج المذهب وطلبت كل عالم مشهور وأزالت عن اهل البلد جميع ما كان عليهم من الحيف وعدلت فيهم فاحبها اهل البلد وشكر واسيرتها واستخدمت الرجال وزادت فى اكرامهم وقصدها الناس من كل مكان لاجل عدلها واقامت فى ملك آمد اثنتى عشرة سنة وبعدها نزل عليها عياض بن غنم ومن معه واحاطوا بالمدينة (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) بلغنى ان عياض نزل على التل ونزل سعيد بن زيد على باب الروم ونزل معاذ على باب الجبل ونزل خالد على باب الماء فلما نظرت الملكة مريم الى ذلك ورأت ان الصحابة قد عولوا على حصارها ركبت الى كنيستها وجمعت ارباب دولتها وقالت اعلموا ان هؤلاء العرب قد حلوا بساحتكم ونزلوا على مدينتكم وقد طمعت انفسهم بأخذها وأنتم تعلمون ان هذه قفل ديار بكر ومتى فتحوها فقد أخذوا ديار بكر عن بكرة أبيها واضمحل دين المسيح ولا يبقى له ذكر فى هذه البلاد وانا أعلم ان الملوك ومن يشار اليهم من أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية كلهم ينتظرون ما يكون منا وتعلمون ان مدينتكم لو اقاموا عليها مائة سنة ما قدروا عليها فقاتلوا عن حريمكم واموالكم واصعدوا فوق الاسوار وقاتلوا هؤلاء العرب وطلبت الاقسة والشمامسة والرهبان وأمرتهم ان يحلفوهم على ان يكونوا يدا واحدة ولا يخامرون عليها ففعلوا ذلك وصعدوا على الاسوار وشهروا السلاح وآلة الحرب وأقاموا الصلبان والرايات والاعلام وتولت كل طائفة بحفظ برج من الابراج قال فلما نظر عياض الى ذلك وانهم قد عولوا على القتال من أعلى الاسوار جمع امراء جيشه اليه وقال لهم ان هذه المدينة حصينة وهى عين ديار بكر ومتى فتحها الله علينا قدمنا الى ديار بكر

فما الذى ترون من الرأى وكيف يكون قتالها واعداء الله قد تحصنوا بهذا الحصن المنيع
فقال خالد أيها الامير اعلم اننا ما ملكنا الله البلاد بقوة ولا بكثرة مدد ولا بعدد بل بتيسير الله
لنا ونرجو الله أن يفتحها ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم وبذلك وعدالله نبيه وان هؤلاء
القوم ان باطشونا على ظاهر مدينتهم بالقتال رجونا تسهيل الامر وان أقاموا على ما هم عليه
فالصبر فان عاقبة الصبر النصر ولعل ان يأتى فى العرضيات ما لم يكن فى الحساب واكتب الى
هذه المرأة كتابا وخوفها ثم منها بكل جميل ولعل الله تعالى ان يلين قلبها للايمان او تسلم لنا
صلحا فدعا عياض بدواة وبياض وكتب اليها يقول *(بسم الله الرحمن الرحيم)* وصلواته
على سيدنا محمد وآله من عياض بن غنم أمير جيوش المسلمين بارض ربيعة وديار بكر الى مريم
الدارية أما بعد فان الله سبحانه وتعالى قد نصرنا وبجميع الكفار قد ظفرنا وعلى قبض
ملوكها ايدنا وما نزلنا على بلد الا ملكناه ولا قابلنا جيشا الا هزمناه والعزة لله ورسوله وللمؤمنين
وليس حصنك بامنع من تدمر ولا أحصن وهو الحصن المنيع الذى بناه سليمان بن داود
وما هو الا ان نزل عليه المسلمون حتى ملكوه وكذلك بعلبك وحلب وانطاكية دار الملك
هرقل ولم يبق بين أيدينا صعب الا سهله الله علينا وبذلك وعدنا الله فى كتابه العزيز فقال
وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاذا وصل اليك كتابى هذا فسلمى تسلمى واياك تخالفى تندمى
ومهما اردت بلغناك ولسنا نكرهك على دينك ولا على احد من أهل بلدتك قال الله تعالى
لا اكراه فى الدين وان تمسكت بالهوى فستعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا وسلام على عباده
الذين اصطفى ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه الى رجل من المعاهدين وقال له ادن من الحصن
وناولهم الكتاب وقف حتى يردوا عليك الجواب قال فذهب ودنا من السور ونادا هم بلغتهم
واشار اليهم بالكتاب فادلوا له حبلا فربطه لهم ووقف ينتظر الجواب قال فاوصلوا الكتاب
الى الملكة مريم فقرأه عليها فلما فهمت ما فيه قالت لارباب دولتها ما تقولون فيما كتب
الينا امير العرب قالوا ايتها الملكة الرأى لك فمهما امرتينا به امتثلناه فقالت يا قوم انتم تعلمون
ان النار ولا العار ومتى سلمنا لهؤلاء العرب عيرتنا الروم ويقولون كيف سلمتم مدينتكم
وما حاصرتم سنة ولا عشرة ومدينتكم أحصن بلاد الروم واذا شئتم كان لكم موضع تزرعون فيه
والمياه عندكم وكلما تحتاجون اليه وقد وصلت الى الكتب من جميع ديار بكر ووعدونى ان
يرسلوا عساكرهم الى نصرتنا فقالوا أيتها الملكة هذا هو الرأى الرشيد فاكتبوا للقوم كتابا
ان يقطعوا طمعهم منا فكتبت تقول اما بعد فقد وصلنى كتابك وفهمت خطابك فأما ما ذكرت
من نصر الله لكم اما علمت ان المسيح يمهلكم ولا يهملكم وانما ذلك استدراج لكم ثم يأخذكم
بعد ذلك وكانكم بالملوك وابناء الملوك وقد اقبلت عليكم بسواعد شداد وسيوف حداد
وجيوش وامداد فيأخذون منكم بالثار ويكشفون عن عباد المسيح العار وما كنا بالذى
نسلم حصننا اليكم ابدا فان شئتم المقام وان شئتم الرحيل والسلام ودفعوه بالحبل واعطوه
للمعاهدى فأخذه واتى به الى عياض فلما قرأه وفهم ما فيه قال توكلنا على الله وفوضنا امرنا

اليه

اليه ثم قرأ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا قال وعول عياض أن يقيم على آمد وخيله تغير على المتاج وميافارقين وسائر تلك البلاد قال وسمعوا ضرب الناقوس فقال عياض اتدرون مايقول هذا الناقوس قالوا ومايقول قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه عليا ومعه جماعة من المسلمين ليغاروا على اطراف تبوك فاجتازوا بدير الراهب وذلك الراهب يضرب بناقوسه فقال على لمن معه اتدرون مايقول هذا الناقوس قالوا الله ورسوله اعلم وأنت ياعلى فقال يقول مهلا مهلا يابنى الدنيا مهلا مهلا ان الدنيا قد اغوتنا واستغوتنا واشغلتنا غدا نرى ماترى مامن يوم يمضى عنا الا لنا وعلينا يابنى الدنيا جمعا جمعا يابنى الدنيا شرطا شرطا مامن يوم يمضى عنا الا اثقل ظهرامنا مامن يوم يمضى عنا الا صارمنا جهلا قد ضيعنا دارا تبقى واستوطنا دارا تفنى قال عياض فقالوا يا ابن عم رسول الله او يعلم النصرانى ذلك قال لا يعلم ذلك الا نبي او صديق قال حدثنا الربيع ابو سليمان عن موسى ابن عامر عن جده قراه عليه بالخضراء من عسقلان قال فاقام عياض على آمد اربعة اشهر قال فخرج من جيشه الحكم بن هشام واستأذن عياضا ان يشن الغارات على ميافارقين فاذن له فاخذ معه من الصحابة مائة من المهاجرين والانصار فخرجوا بعد ماصلوا الظهر وعبروا الدجلة وساروا والارض تطوى لهم فما مضى قليل من الليل الا وهم على ميافارقين فداروا بها الى ان وصلوا الى برج يعرف ببرج الشاة فقال الحكم بن هشام وددت من الله لو فتح لنا هذه المدينة بلا قتال قال فما استتم كلامه حتى انفتح لهم باب من حائط البرج فدخلوا وهم يخترقون الطرق الى وسط المدينة الى كنيستهم العظمى وتعرف ببيعة ماريا وكانت تلك الليلة عيدا عند النصارى فلما اقبلوا الى الصلاة وجدوا اصحاب رسول الله وهم نزول على باب البيعة فصاحوا وتسامع الناس فاتى صاحب البلد وكان اسمه اسلاعورس فلما رآهم قال من انتم قال له الحكم نحن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن اين جئتم قالوا من عسكرنا قال ومتى جئتم قالوا بعد ماصلينا الظهر قال ومن فتح لكم مدينتنا قال له الحكم فتح لنا من بيده مقاليد الامور قال اوما تفزعون منا فقال الحكم وكيف نفزع من مخلوق لا يضر ولا ينفع وهو تحت احكام القهر وقد قال ربنا فى كتابه فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين فقال اسلاعورس ان دينكم دين محدث وديننا دين قديم والقديم افضل من المحدث فقال له الحكم اذا كان ماقلته حقا فتفضل ابليس على آدم لانه اقدم منه اما علمت ان طينة آدم مشكاة وقد قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اشرق نور قلبه فى وقت تجليه واشتعل بالاتقاد فيه فنظر اليه ابليس وظن قميص عبوديته ابيض بالتوحيد واذا هو اسود بالشرك فبان نعته القديم عن نعت وقته بقوله وكان من الكافرين كان سائرا فى ارض الشرك تحت ظل الجهل بالعواقب فما زال يقطع منازل العبادات بالعبادات وهو فى عماية عن ابصار جمال المشاهدات فلما ظهرت انوار مصباح الالهية من مشكاة الابدية استنار وجه صورة حاله فاذا هو قد فهم من جواده وان عليك لعنتى واصل آدم لما طار من

وكر شريته باجنحة همته فى جو الطالب تعالى عن حطيطة انسانيته حتى دنا من نيران المحن
فافترقت انوار القسم باجنحة اصطفائه وحصن قوادم ارتقائه فوقع فى حبال وعصى آدم ربه
فلما تاه فى اودية محبته هطلت عليه سحائب محنته ورمى بصواعق اهبطا فلما خرج الى بيداء
كربانه اشتملته مواكب الآية مبشرة اياه باجتبائه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
قال وان اسلاعورس امرهم ان يدخلوا البيعة فقال الحكم بن هشام وما الذى نصنع فى بيعتكم
قال تذكرون فيها ربكم قال ما كان دعى الى ذكر ربنا فننا أخرعنه قال فربطوا خيلهم ودخلوا
وما اراد اسلاعورس بذلك الا انه قد زخرفها وصور فيها بيت المقدس والصخرة وقبة السلسلة
ومحراب داود ومهد عيسى وصورته وامه مريم فلما توسطها أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرأ الحكم بن هشام واذ قال الله ياعيسى بن مريم أءنت قلت للناس اتخذونى
وأمى الهين من دون الله ورفع بها صوته فقال لا والله وانما أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال فوالله لقد ماجت بيعة القوم وتزلزلت وصفقت القناديل بعضها
ببعض قال وكان للبيعة شيخ عالم بالاديان والشرائع وكان اسمه عبد المسيح فلما نظر ما حل
بالبيعة والقناديل صلب على وجهه وكذلك كل من كان فيها وقالوا للملك هم انت ما اردت
الا هلا كنا اذا دخلت هؤلاء العرب الينا اماترى كيف غضب المسيح علينا فقال البطريق
لا وحق المسيح ماهو الا توحيدهم الله وذكرنبيهم ظهر لكم من معجزة نبيهم ما رأيتموه يا ويلكم
اذا كان قد فتح لهم باب فى السور ودخلوا منه علينا فكيف لا تهتز البيعة وتصفق القناديل لما
دخلوها وانا كنت فى شك مما ذكرت والآن فياطوبى لمن كان على دينهم (قال الواقدى)
رحمه الله تعالى وكان هذا خادم بترك بيت المقدس وكان فى المقدس يوم فتحت على يد عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه وسمع من البترك فى المقدس وهو يقول هذا الذى يفتح الارض
فى طولها والعرض ومحمد هو الذى بشر به المسيح بن مريم ولقد سأله رجل لما رأى المسلمين
يعظمون الصخرة ويقبلون القدم الذى فيها فقال البترك نرى المسلمين يقبلون قدم المسيح
فقال له يابنى نحن نقول انه قدم المسيح وانما هو قدم نبيهم محمد بن عبد الله لما عرج به الى
السماء قالوا أوعرج به فقال نعم اسرى به من مكة الى بيت المقدس وصلى بالنبيين واسرى به
(قال الحكم) رحمه الله وذلك لما استبشرت به النفوس وبلغ خبر رسالته وانه زيد كماله
واشرقت انوار جماله واراد الحق ان يشرفه على اهل الكونين باقترابه من قاب قوسين فنودى
فى عالم الملكوت تاهبوا ثم تادبوا فهذه ليلة الدنو والاقتراب هذه ليلة عتق الرقاب هذه ليلة
الحبور هذه ليلة السرور هذه ليلة الابتهاج هذه ليلة المعراج انصبوا اسلم الارسال وافرشوا فرش
الاظلال وقوموا على اقدام الاسترسال ياجبريل زخرف الجنان وزين الحور والولدان
ياجبريل انزل بالتهانى الى بيت أم هانئ ايقظ حبيب مملكتنا واركبه على براق قدرتنا النريه
من آياتنا فأخذ جبريل مطية خلقها عجيب ونعتها غريب فالجمها بلجام القرب واسرجها بموكب
الحب وسار بها فى ميدان الجلال وهو ينادى سبحان الذى أسرى فلما وقف ببابه ورفع حجابه

ونظر

ونظر واذا هو مدثر بعبادة تذلله متوسد بوسادة عمله قد انحله الشوق واذابه التوق فنشر عليه أنوار السعد وبشره بنجاز الوعد فقال له يا أيها المدثر قم على قدم همتك وقم بوراد عزيمتك واركب الى السماء وارق واصعد معراج الدنو والارتقا فقام السيد واتشح وجسمه من الحيا قد رشح وقد باح باستسلامه وركب مركب تحيته وسلامه ورفع على رأس سحابة الاحترام واسرى به من البيت الحرام ذكره جليسه وفكره انيسه وشوقه دليله وجبريل خليله فلما ولج دائرة القدس وحصل فى فناء المسجد الاقصى دخل فجلبت عليه ارواح الانبياء فى حلل الانوار والبها فبادروا الى سلامه وتحيته واكرامه وجلت بين يديه واثنوا بالصلاة عليه واراد كل منهم أن يصف منزلته ويذكر فضلته فقال آدم الحمد لله الذى خلقنى بيده ونفخ فى من روحه واسجد لى ملائكته واسكننى دار كرامته وقال ادريس الحمد لله الذى رفعنى مكانا عليا وبوانى مجلسا سنيا وقال نوح الحمد لله الذى نجانى من القوم الظالمين وجعلنى أبا للمؤمنين وقال ابراهيم الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وجعل النار بردا على وسلاما واصلح لى زوجى بعدما كان عقيما وقال موسى الحمد لله الذى اعطانى تسع آيات بينات وكتب لى فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ واهلك عدوى فرعون ونجى قومى وفلق لى البحر وكلمنى تكليما وقال لى انى انا الله وقال سليمان بن داود الحمد لله الذى سخر لى الانس والجن والطير والريح وعلمنى منطق الطير وآتانى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وقال عيسى الحمد لله الذى لم يخلقنى من نطفة قذرة واحيى لى الموتى وابرأنى الاكمه والابرص فلما افتخروا بجميع كراماتهم قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى خلقنى من انوار البهاء ورفع قدرى فى الارض والسماء وكتب اسمى على ساق عرشه وقرن اسمى باسمه ونزه ذكرى فى معالم قدسه وشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ورفع قدرى وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر وايدنى على من كفر وبعثنى بالرعب وارسلنى بالحنيفية ونصرنى وجعل أمتى خير الامم وفرض طاعتى على العرب والعجم وجعل لى الارض مسجدا وترابها طهورا وشفعنى يوم القيامة فى أمتى ونسخ سائر الشرائع بشريعتى وادخل سائر الامم فى شفاعتى وجعل الكعبة قبلتى واسمعنى صلاة أمتى من بعدى لاشهد لهم يوم القيامة وجعلنى شاهدا وامتى شهودا على من جحد وظلم وكتب اسمى على الافلاك وقال جل وعلا انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (قال الواقدى) رحمه الله فلما سمع بطريق ميافارقين هذا الكلام من الحكم بن هشام قال والله ما فى دينكم مراء وأنتم على الحق ولقد كنت أسلمت على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ببيت المقدس ثم جئت الى هذه المدينة وكان عليها وال فمات ووليت الامر من بعده فرجعت الى دينى الاول فان أنا تبت اليه ورجعت الى دينكم يقلبنى على ما رتكبت من المعاصى فقال له الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوما لاصحابه بأى شئ يكون ابن آدم أشد فرحا فقالوا بالاهل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ابن آدم أشد فرحا منه اذا كان فى مفازة ومعه راحلته عليها زاده

وماؤه ومنافعه فاذا كان فى بعض المفازة فاشتد عليه الحر فاوى الى ظل فنزل عن راحلته
وتوسد ذراعه فنام ثم انتبه وقد ذهبت راحلته وعليها طعامه وشرابه وغداؤه ومنافعه فانطلق
فى طلبها يمينا وشمالا فلم يجدها فرجع الى موضعه ليموت فيه وقد ايقن بالهلاك فنام ثم انتبه
فوجد راحلته كما هى فأخذ بخطامها ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أشد فرحا بتوبة
عبده المؤمن من ذلك الرجل بتلك الراحلة قال فلما سمع اسلاعورس كلام الحكم بن هشام
دمعت عيناه وأخذهم الى دار ولايته وقال والله لقد بان الحق وظهر الصدق فأسلم وحسن
اسلامه وطلب جماعته فاسلموا باجمعهم ثم انه طلب اكابر البلد واخبرهم باسلامه وقال لهم انى
اريد منكم ما اريده لنفسى وان دين هؤلاء يعلو ولا يعلى عليه فمن اسلم منكم أمن فى الدنيا والآخرة
وهم قد نزلوا على آمد ولابد لهم من ديار بكر جميعها فمن خالفهم وعصى نهبوا بلده واستعبدوا
اهله وولده فان اسلمتم لهؤلاء القوم أمنتم على انفسكم وبلادكم فقالوا أيها الصاحب امهلنا ثلاثة
أيام حتى نرى ما لنا فيه من الصلاح فتركهم وانصرفوا من عنده فلما كان الليل اجتمعوا وتحالفوا
ان لا يسلموا للعرب أبدا ولو هلكوا عن آخرهم واصروا على القتال فبعد ثلاثة أيام طلبهم فلم
يأته الا القليل واتت اليه العين الصافية أخبرته بما عزم عليه أهل البلد فلبسوا اسلاحهم
واتوا اليه يقاتلونه فخرج اليهم بجماعة ومعه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا
قتالا شديدا فلما جن الليل قال لهم ارسلوا الى اميركم يمدنا فارسل واحدا منهم فما بعد عن
البلد حتى سمع قرع حوافر الخيل فلما تبينهم فاذا هم من عسكر الموحدين واذا هم خمسمائة
فارس وعليهم ضبة بن عدى وكان السبب فى ذلك ان عياض بن غنم رأى النبى صلى الله عليه
وسلم فى المنام واخبره بقصة ميافارقين وما جرى لصاحبها مع اهل بلده وأمره ان يرسل اليهم
جيشا فاستيقظ من نومه وارسل اليهم ضبة بن عدى ومعه خمسمائة فارس واذن الله للارض
ان تطوى لهم فوصلوا اليهم فى تلك الليلة فأتى بهم الى باب السر وكانوا قد وكلوا به من يحفظه
فنادى بهم ففتحوا لهم واذا بصاحب البلد قابلهم فادخلهم فقالوا له من اعلمكم بقدومنا فقال
صاحب البلد اعلمنى بكم النبى صلى الله عليه وسلم رأيته وقد نمت من ضيق صدرى بقتال هؤلاء
القوم أهل البلد فنمت فرأيت شخصه الشريف فبشرنى بقدومكم فلما حصلوا باجمعهم خرج
للقتال أهل البلد فصاح بهم المسلمون يا اعداء الله قد حل بكم البوار واحاطت بكم الاقدار من
اصحاب محمد المختار ووضعوا فيهم السيف فولوا الى منازلهم ودورهم ليتحصنوا بها وقد علموا انه
قد نزل بهم ما لا طاقة لهم به فنادوا الغوث فقال لهم من أتى الينا فهو آمن فخرجوا فقال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمناكم على جميع مالكم الا السلاح قال فاتوا بجميع ما عندهم
من السلاح وسلموه للصحابة فلما رأوا منهم صدق القول أسلموا الا قليلا منهم وعملوا البيعة الكبيرة
جامعا وأقاموا ثلاثة أيام وتركوا عندهم الحكم بن هشام ومعه عشرة من اصحابه ليعلموهم شرائع
الدين وأتى ضبة ومن معه الى عياض واخبره بما جرى ففرح بذلك قال وان أهل آمد لم يفتحوا
بابا ولا باشروا قتالا وضاق صدر عياض ومن معه من ذلك (قال الواقدى) رحمه الله وبقوا

خمسة أشهر وكان خالد بن الوليد كما ذكرنا على باب الماء وكان فى كل يوم يركب بجيش الزحف
ويدور حول المدينة فاذا أتى الليل نزل فى منزله وكان غلامه همام يخبز له فى كل ليلة اقراص
شعير ويتركها له فى قبته فاذا صلى المغرب أكل ثلاث الاقراص الشعير عند الافطار وانه استمر
ثلاثة ليال لم يجد شيئا يفطر عليه فقال لغلامه همام أنت يا ولدى ما عندك ما تفطرنى عليه
ولك بهذه الليلة ثلاث ليال لم تضع لى شيئا فقال والله يا مولاى اننى فى كل ليلة اصنعها واضعها
لك ولم يكن عندى منها علم وما ظننت الا انك تأكلها فلما كان فى الليلة الرابعة وصنع همام
الاقراص على عادته واخفى نفسه وجلس لينظر من يأخذها فاذا هو بكلب قد أقبل من نحو
المدينة ودخل القبة وأخذ الزاد وخرج فتبعه همام واذا به قد دخل من مشرب الماء فى جانب
السور قال فتركه همام وعاد فلما أتى خالد من صلاته أقبل وطلب الفطور فقال له همام
يا مولاى كان من الامر ما هو كذا وكذا قال خالد يا همام ارنى الموضع فمضى همام امام خالد
وأراه الموضع الذى دخل منه الكلب فلما رآه قال الله أكبر فتح الله ونصر وعاد وطلب أصحابه
واعلمهم بالقصة وقال لهم قد عولت ان ادخل المدينة من مشرب الماء وأريد منكم مائة رجل
يهبون نفوسهم لله تعالى وتعلمون ان الدنيا دار صدق ان صدقها ودار وفاء لمن أخذ منها بحقها
ودار رجاءة لمن تزود منها ودار نجاة لمن فهم عنها الدنيا مهبط وحى الله ومصلى ملائكته ومسجد
أحبابه وأوليائه اتخذوها مزرعة فرحمنا الله واياكم وكان لنا ولكم فمن أراد الزاد من هذه
الدنيا الفانية الى يوم حشره فليبادر الى التجارة الرابحة ولا يغره طول الاجل فيطمئن الى
التقصير فى العمل الا وانى قد وهبت نفسى لله وقد اشترى ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فمن باع فليبادر ولا يجزع مما يحاذر فالموعد بيننا فى عرصات
القيامة وموقف الحسرة والندامة فاتبعوا اسلافكم الطاهرة والدين الباهر فعولوا على
بركة الله وعونه واختار من أصحابه مائة وأمرهم بلبس السلاح وركب الى عياض واعلمه
بما عزم عليه من دخوله المدينة من المشرب وقال له كن على أهبة اذا سمعت التكبير والتهليل
فقال علمت ذلك وأنا على أهبة بحمد الله امض اعانك الله ونصرك سر على بركة الله وعونه
قال فودعه خالد ورجع الى أصحابه فوجدهم قد استعدوا فسار امامهم وهم رجالة الى ان أتى
الى باب المشرب وكان نصف الليل وأمر الله سلطان النوم فاستولى على من كان على السور
والحرس لانه شأنه اذا أراد أمرا بلغه وهيأ أسبابه قال فاول من دخل من المشرب خالد رضى الله
عنه وتبعه عامر بن الاخوص وحذيفة بن ثابت وعمران بن بشر وتمام المائة رضى الله عنهم
وما منهم الا من تسرب ودخل ومن كان جسيما لا يقدر على الدخول رجع وهو متأسف
على الشهادة فحصل فى المدينة ثمانون رجلا ولم يصحبهم الا من دخل من المشرب ثم ان واحدا
من الذين تأخروا عالج فى حجر فقلعه فاتسع المكان ودخلوا بأجمعهم وادركوا أصحابهم وقد
توسطوا المدينة وارتجت بها الاصوات واستيقظ الراقدون وارتعد القاعد وقصد خالد مطلع
السور ومنع الناس من النزول وأخذتهم الاحجار وأرسل خالد عشرة من أصحابه الى الباب

فكسروا الاقفال وفتحوا الباب وكان عياض قد ركب وايقظ الناس وقد تهيأ للحرب فلما كبر خالد ومن معه بادر عياض ومن معه الى الباب فوجده مفتوحا فدخلوا واقبل أهل المدينة يهربون الى السور والليل قد غسق والظلام اتسق والقتام قد اطبق فما بقي الواحد يقوم من مرقده الا والسيف قد برى رأسه عن جسده وهذا خرج من عند أولاده والسيف قد قطع فؤاده وخالد ومن معه يكبرون وقد تقطعت بأهل آمد الاسباب واحاط بهم العذاب قال ولم تزل الابطال تبطح وتطرح وصدور المسلمين تشرح ونحور الكفرة تذبح والعواتق تقطع والشجعان للرؤس تقرع والصوارم ترقع والانوف تجذع وقلب الذليل يفزع والجبان يجزع والعيون تدمع والصائح لا يسمع ولا شافع يشفع ولا مانع يمنع ولا دافع يدفع ولا قلب يخشع حتى اذا ولى الليل وانتزع والصباح عول على أن يطلع وخالد يصيح صياح الصميدع حتى انطوى الليل بمطارف الدجا عند انتشار رايات الضياء فنظر أهل البلد الى ما حل بهم ونزل عليهم فاقبلوا الى دار الامارة يطلبون الملكة مريم فلم يجدوها قال وكان السبب في ذلك انها سمعت بأن الصحابة قد حصلوا في المدينة فعلمت أنها لا تخرج من أيديهم فاخفت نفسها من معها ونزلت في سرب في دار الامارة وأخذت ما تقدر على حمله وخرجت من ذيل الجبل وطلبت بلاد الروم قال الواقدي رحمه الله فلما علم أهل المدينة ان ملكتهم هربت نادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السيف وجمعهم الامير اليه فاجتمعوا في ميدان المدينة فقال لهم عياض أما بعد فان الله تعالى قد نصرنا عليكم وصبرنا وظفرنا بكم ولولا أن الله جعل نبينا نبي الرحمة وأسكنها في قلوب المؤمنين لابدنا كم بالسيف عن آخركم ولكن قد أمرنا ربنا في كتابه بكظم الغيظ والعفو فقال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم نظر فيهم فمن أسلم قبله ومن لم يسلم ضرب الجزية عليه من عامه قال الواقدي رحمه الله وكان شاهدا الجمع في فتح آمد زيد بن حالوك اليهودي وكان عالما في دين اليهودية والنصرانية وكان يزعم انه من أولاد داود عليه السلام وكان بنوا اسرائيل يعظمون شأنه ويأتونه بالهدايا والتحف وانه لما دخل عياض بن غنم رضي الله عنه الى آمد وجمع أهلها في الميدان وتكلم الشيخ بما تكلموا به قام هو من وسط قومه وكان اسمه مليا في حنيفا وعرف المسلمين بمكانه وانه مقدم على بني اسرائيل وانه من ذرية داود وقال أنتم أصحاب نبي الرحمة وان الله خلق الرحمة وأسكنها في قلوبكم وان الله فضلكم على سائر الامم وقد أنزل في صحف ابراهيم وموسى يقول اني ابعث في آخر الزمان نبيا أميا واجعل أمته أفضل الامم واسكن الرحمة في قلوبهم وبهم أباهي ملائكتي وابعثهم غرا محجلين من آثار الوضوء وان داود عليه السلام لما أصاب الذنب ونفر عنه الوحش خرج الى فلاة من الارض وقال الهي بحق النبي العربي الذي تبعثه في آخر الزمان الا غفرت لي فأجاب دعوته فقال عياض ان الله يحب العفو وقد عفونا عنكم فقال أهل المدينة فاذا عفوتم عنا نرجع الى دينكم فأسلم أكثرهم وضربت الجزية على من لم يسلم في العام المقبل على كل بالغ أربع مثاقيل ذهب وأخذوا سلاحهم وحملوا

لهم

لهم شطر أموالهم فحملها وبنى البيعة المعروفة جامعا وأقام فى آمد اثنى عشر يوما وولى عليه صعصعة العبدى ومعه خمسمائة من بنى عمه من العرب

(ذكر فتوح اليمانية وجبل الجودى)

قال وارتحل عياض الى الحصون وهى حصون الجبابرة وأنفذ الى أهلها فاسلموا وأرسل النعمان ابن معرف الى اهل انسكل فاسلموا وسميت باليمانية لانها فتحت على يد حذيفة بن اليمان ومضى عياض الى جابية ففتحها صلحا ونزل الى أهل جبل الجودى والسيوان وذى الفرض فأخذوا من المسلمين صلحا وعهدا على تقرير بينهم وارتحل المسلمون حتى نزلوا على الهتاج فأبى أهله أن يسلموا وعولوا على القتال ونصبوا العرادات والمجانيق فنظر عياض الى ذلك فعظم عليه وقال هذا حصن مانع ومتى تركناه ومضينا عنه غاروا على أهل هذه البلاد واذا قوهم الشر وقد لزمنا من أسلم ومن صالحنا لزم لنا فلا نحيد عنه حتى نفتحه ان شاء الله تعالى فقال خالد انزلوا بنا عليه ولعل ان يأتى من عرضيات الامور ما لم يكن فى حساب قال الواقدى رحمه الله وكان صاحب الهتاج شيطانا مريدا وجبارا عنيدا وكان اسمه يانس بن كليوس وكان قد تزوج بيرونة ابنة بريونة ابنة بريول بن كالوص صاحب قلب والحصن الحديد وكانت قد زفت عليه واقامت عنده سنة ثم انها مضت الى زيارة أبيها وامها واقامت عندهما شهرا فلما خرجت من عندهما ومضت الى الهتاج عند زوجها فهى فى نصف الطريق اذ بلغها ان المسلمين قد نزلوا على الهتاج فجلست فى مكانها ولم تبرح وكان عدو الله يحبها ولا يجد له عنها صبرا فلما راى المسلمين وقد نزلوا عليه علم انه لا يقدر ان يجتمع بالجارية فاتفق رايه ان يصالح المسلمين حيلة منه ومكرا وخديعة حتى تحصل زوجته عنده ويغدر ولا يعطى احدا طاعة فأرسل الى عياض يقول له انك لو اقمت علينا بقية عمرك لما قدرت علينا ولكن تصالحوننا سنة كاملة شمسية فان انت فتحت ما بقى من ديار بكر فنحن نرجع الى طاعتك وان لم تقدر على فتح البلاد فلا طاعة لك علينا والسلام وارسل الى عياض رجلا من متنصرة العرب من ربيعة الفرس وكان ذلك الرجل مدبر بلاد الهتاج هو وبنو اعمه وكان اسمه مرهف بن واقد وكان ميله الى العرب اكثر من الروم فلما ادى الرسالة الى عياض اجابه الى الصلح لئلا يطول مقامهم فلما هم مرهف بالرجوع قال لعياض اما والله ايها الامير ما كنت بالذى ادع النصيحة للعرب واستعملها للعلوج وهذا العلج قد اتفق رايه على كذا وكذا فان كنت ترحل وتمكن لزوجته وتأخذها ومن معها وتطلب منه البلد فانه يسلم لوقته فافعل فقال عياض ما كنا نقول قولا ولا نفى به ولعل الله ينظر الى صدق نياتنا فيفتحه علينا حدثنى مالك بن شرين عامر وكان ممن حضر فتوح الشام وديار بكر وديار ربيعة قال بينما مرهف يحدث عياضا واذا بغبرة قد اقبلت فقال عياض لميسرة بن مسروق اركب وانظر ما هذه الغبرة فركب ومضى هو وجماعة من الصحابة وعاد ميسرة وهو يقول ابشر أيها الامير بالفتح قال وما الخبر يا ابن مسروق قال هذا جيش ابن هبيرة المازنى قد غار على

البلاد واتى بالاموال والرجال قال فظهر البشر فى وجه عياض وجعل يتطاول الى قدوم ابن هبيرة المازنى حتى وصل وسلم على عياض وعلى المسلمين وعرض عليه الغنائم ومرهف بن واقد يتأملهم الى ان عرضت عليه جارية رومية تخجل الشمس منها وعليها زى الملوك فاطرق المسلمون الى الارض يستعملون الادب مع الله فى قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فلما نظر اليها مرهف قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وان دينكم الحق وقولكم الصدق فقال له ما بالك ايها الرجل قال هذه زوجة يانس صاحب القلعة وقد طرحها الله فى ايديكم فسجد عياض شكر الله فلما رفع راسه قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قال الواقدى) رحمه الله وكانت ميرونة قد خرجت من عند اهلها ومعها جماعة من بنات البطارقة فجاء طريق قيس بن هبيرة على تلك الارض فأخذها ومن معها واتى بها الى عياض فقال عياض لمرهف ارجع الى يانس واكتم اسلامك واخبره بما رايت واستعمل النصح للمسلمين وقل له ان اراد اهله فليسلم لنا هذه القلعة ومهما اردنا منه قال فرجع مرهف الى يانس وحدثه بما جرى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لمرهف ما الذى ترى من الراى قال اعلم ان هؤلاء القوم ما قالوا قولا الا وفوا به وبذلك نصروا علينا ومن الرأى ان تسلم لهم القلعة ويعطوك زوجتك وجميع مالك وانا الضامن لك عنهم ذلك فقال يانس انزل اليهم وائتنى بعشرة رجال منهم ورئيسهم لى على ما اريد فان اجابونى الى ذلك سلمت اليهم القلعة ولا تأتنى الا بمن يقبل قوله ويشكر فعله حتى استوثق منهم لنفسى ولعل يكون الرجل الذى شاع ذكره بالشجاعة وفتح البلاد والشام يعنى خالد بن الوليد وانما اراد الملعون ذلك حتى يقبض عليهم ويخلص بهم زوجته قال فنزل الى عياض واخبره بذلك وبما قاله يانس فقال عياض يا مرهف يريد الملعون ان يخدعنا ونحن ثمرة الخداع ونرجو من الله ان يرجع مكره عليه ولديه ثم قرأ ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال خالد دعنا أيها الامير نصعد اليه والله الموفق للصواب فقال عياض اعزموا على بركة الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فنهض خالد والمقداد وعمار وسعيد بن زيد وعمرو بن معدى كرب والمسيب بن نجبة وقيس بن هبيرة وميسرة وضرار بن الازور وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين وساروا ومرهف امامهم الى ان وصلوا باب القلعة وكان قد رتب عدو الله غلمانه فى دركات القلعة وأمرهم ان يأخذوا منهم سلاحهم ففعلوا ذلك الا خالدا وعبد الرحمن وضرارا فقالوا ما كنا نسلم عدتنا لغيرنا فان أراد ان ندخل عليه بسلاحنا والا رجعنا من حيث أتينا فدخل مرهف عليه وقال ان هؤلاء الثلاثة امتنعوا من اعطاء السلاح وما الذى يقدرون على ان يفعلوه دعهم يدخلوا كيف شاؤا ولو كانوا نارا ما احرقوا ولا تريهم الجزع فيطمعوا فقال وحق المسيح لقد صدقت دعهم كلهم يدخلوا بعددهم حتى يعلموا اننا لا نخافهم ولا نرهب وايضا لئلا تنفر قلوبهم منا فرجع مرهف وامر الغلمان ان يردوا اليهم اسلحتهم ودخلوا فلما توسطوا القلعة واذا بيانس واقف فلما وقعت عينه عليهم دخل الرعب فى قلبه لان من خاف الله

خاف

خاف منه كل شئ فجعل يهتز و يقع وكان قد وصى جماعته بأنه اذا رايتمونى قد قربت منهم وصافحتهم فدونكم واياهم فنظر خالد اليهم فعلم ما فى قلوبهم فقال له ايها البطريق قف مكانك فانا قوم لا نؤتى بحيلة ولا مكر لانا قهرنا الملوك واخذنا بلادهم بهذه الاشياء ثم انه امتض سيفه وزعق بيانس ادهشه وخيل له ان كل من فى القلعة منهم وتقدم اليه وضربه على حبل عاتقه اطلع السيف من علائقه فهجمت الصحابة على اهل القلعة ووضعوا السيف فيهم وتكاثر عليهم العدد وتزايد المدد قال وكان فى داخل المدينة خلق من الرستاق من قرى الهتاج من فسطاس وفرساط وكان يانس قد جمعهم لقتال المسلمين قال فلما قتل خالد يانس ونظروا الى صبر الصحابة على قتال أهل القلعة قالوا لبعضهم انتم تعلمون ان العرب ما يسكتون عن اصحابهم وقد فتحوا آمدا والبلاد فلا يمتنع منهم الهتاج وغيرها فخذوا السلم عند المسلمين يدا وقاتلوا معهم اهل القلعة قال ففعلوا ذلك وجردوا سيوفهم وضربوا معهم من كان فى القلعة وسمع عياض الصياح فقال اما والله ان خالدا ومن معه غدر بهم فبادروا اليهم أيها المجاهدون قال فبادر ابو الهول واصحابه الاربعمائة وهم رجالة فتفرقوا فى الجبل وقصدوا القلعة فمن انهزم من الكفار وضعوا فيهم السيوف فما نجى منهم أحد وما وصل ابو الهول الى القلعة الا وقد ملكها خالد واحتوى عليها وصعد عياض والمسلمون واخذوا كل ما كان فيها وولى عليها مولاه سالما وجعل عنده مائة رجل وكتب الى اهل فسطاس وفرساط ومن فى القلعة ان لا يزنوا بامرأة ابدا واشهد عليهم خالدا والمقداد وعمارا ومعاذا وشرحبيل وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وضرارا واطلق عياض الاسارى الذين اتى بهم قيس بن هبيرة وارتحل يطلب ميافارقين فالتقاه فى طريقه اهل تلك الجبال واهل الجزيرة وقلب ومتنان وحزب الكلاب فاعطاهم الامان وضرب عليهم الجزية وردهم الى بلادهم واتى اليه اهل ميافارقين للقائه وشكروهم على حسن سيرتهم وعدلهم واخرجوا لهم الضيافات والعلوفات ونزل من جهة الميدان فى سفح الجبل واقام بها عشرة ايام ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشارهم وقال انى عولت على المسير الى ديار ارمينية والى اردن الروم فاشيروا على يرحمكم الله أى طريق نسلك فقال رجل من المعاهدين ممن هو اعرف الناس بتلك البلاد أيها الامير اتاذن لى ان اتكلم فقال من كان له رأى فليتكلم فقال اعلم انك اذا قصدت بلاد ارمينية فيطول مكثك فيها واعلم ان بالقرب منك حصن منيع يقال له حصن لغوب وغلب عليه اسم صاحبه وهو بطالقون بن كنعان بن عيدبوس وله جيش عرمرم يزيد على ثلاثة آلاف فارس

(ذكر فتح حصن لغوب)

ثم قال اعلم ايها الامير ان تحت يده معاقل كثيرة وربما انه رحل ركابه من هنا فولع بهذه البلاد وشن الغارات على اهلها ومن الرأى انك لو وجهت اليه جيشا لعل الله ان يفتح عليك فان انت

فتحت هذا الحصن مضيت حيث تريد وتكون طيب القلب على من تستخلفه من اصحابك
فقال عياض لاصحابه ماتقولون فيما تكلم به هذا الرجل فقال خالد لقد تكلم بالحق
ونطق بالصدق فاعزم وتوكل على الله ثم انصرفوا من عنده وبات ليلته متفكرا فيمن ينفذه الى
الحصن فوقع اختياره على يوقنا فدعاه اليه وقال له يا يوقنا يا عبد الله قد اتفق الرأى عليك
ان تمضى الى الحصن فما الذى تراه فقال يوقنا اصلح الله الامير قد بلغنى ان الحصن مانع وربما
اذا نزلنا عليه طال الامر وتنفذ المدة وينقضى هذا الوقت ولا ندرى مايكون ولكن أهب
نفسى لله ولرسوله وآخذ مائة من بنى عمى ونتزيا بزى الفلاحين ونأخذ نساءنا واولادنا تركهم
على البقر وندخل فى جملة اهل البلاد الفلاحين فان حصلنا فى الحصن فنحن نملكه ان شاء
الله تعالى فقال عياض يا عبد الله قد اشتهر أمرك عند جميع النصرانية ونخاف ان تسير
فتستغرر بنفسك ومن معك فيقبض عليكم والله تعالى قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة
قال فاذا أبيت فاذن لى ان اشن الغارة على بلاد القوم فقال قد اذنت لك فخرج يوقنا ومن
معه وهم ألف من قومه وساروا على اردن وسردوسعردوباباساوحيزان والمعدن (قال
الواقدى) رحمه الله وكان من قضاء الله وقدره ان صاحب سعرد وحيزان والمعدن وبالحلسا
وبهرد وطرابرو وسلواس كان بينه وبين بطالقون حرب وكانوا يغزو بعضهم على بعض
واخربوا المعاملتين فلما انتشرت الاخبار بقدوم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانهم على ميافارقين جفل اهل تلك البلاد وعلم بذلك جرسلو صاحب سعرد وانه لاطاقة له
بالعرب فاخذ هدية سنية وذهب بنفسه لبطالقون بن كنعان حتى يصطلح معه ويكونوا
يدا واحدة على قتال المسلمين فبينما هو سائر والهدية معه وقد نزل على قرية اسمها ارغير وعلق
على خيله وهو معوّل على المسير وهو ينتظر الخيل تقطع عليقها واذا قد كبسهم يوقنا وقد احاط
بالقرية واخذ كل من فيها واسر البطريق ومن معه وبات ليلته فلما اصبح عرض الاسرى
وقال لهم ان الله قد ظفرنا بكم ونصرنا عليكم واعلموا انى ملك من ملوك الروم ملكت البلاد
وقدت الجيوش وأمرت ونهيت وعبدت الصليب وقربت القربان فلما أتى الله بهؤلاء القوم
اختبرتهم ونظرت ماهم عليه فعلمت ان الحق معهم فتبعتهم وقلت بقولهم وقد كنا بالشام تفزع
منا ملوك العجم وكسرى بن هرمز والديلم والترك وكان لنا كرة الارض وكنا لا نلتفت الى
العرب حتى خرجوا علينا فاذاقونا مرا وذهبت شجاعتنا وملكوا معاقلنا وحصوننا واحتووا
على ملكنا ونصرهم رب الارض والسماء علينا لانهم يشيرون اليه بالوحدانية فان آمنتم
بالله وحده كان لكم الربح فى الدنيا والآخرة واطلق سراحكم وان ابيتم قتلتكم عن آخركم
فقالوا اتركنا يومنا هذا الى الليل ندبر امرنا فتركهم واختلى بجرسلوا البطريق وحدثه فى السر
وقال له اعمل فى خلاص نفسك ورقبتك من النار واسلم وناد نفسك حتى تنال ماقد
بلغنى من الوقائع بينك وبين صاحب الحصن فقال البطريق لقد صدقت فى أعمالك فقال له
ماالسبب فى العداوة بينك وبينه فقال انه طلب ان يتزوج ابنتى وبعث الى هدية فرددتها

عليه فصار عدوى وغار على بلادى وغرت على بلاده والآن قدمت اليه بهدية حتى اكون
انا واياه يدا واحدة فاتيت أنت الى واخذتنى فقال يوقنا انى اريد لك من الخير ما اريده لنفسى
ولست اجبرك على ان تترك دينك ولكن تعاهدنى على ان لا تغدر وانا اخلى سبيلك
وتمضى الى صاحب الحصن وتدنى نفسك بين يديه وتقول ايها الصاحب قد ندمت على ما كان
منى اذ رددتك عن تزويج ابنتى. وانى كنت أخذتها وزينتها وسقت معها أموالها على انى
اهديها لك فلما كنت فى قرية كذا وكذا خرج على قوم من العرب فاخذوا المال والرجال
وقد نجوت اليك بنفسى لتأخذ بيدى وتستنقذ ابنتى من العرب فانه اذا سمع دعاه الطمع
واستجره الامل حتى يخرج الينا ولعل الله تعالى ان يظفرنا به فاذا املكنا الحصن ان شاء الله
كنت انت تبقى على بلادك وكنت آمنا مطمئنا واعلم ان زمامى هو زمام العرب ومهما
فعلته امتثلوه وامضوه فلما سمع البطريق كلام يوقنا رحمه الله قال افعل ذلك ولكنى أخاف
من المسيح ان يغضب على اذا خامرت على اهل دينى فقال يوقنا انا احمل هذه الاوزار عنك
ودع عيسى بن مريم يطالبنى يوم القيامة فقال البطريق ان كان هذا الذى قلته فانا افعل
وليس يصعب على ولكنى أخاف ان فعلت ذلك الذى أمرتنى به ان لا ينزل من الحصن وربما
بعث معى بعض أصحابه فلا يحصل طائل من عدوكم فقال يوقنا وما يكون التدبير فقال
البطريق الرأى عندى غير هذا قال وما هو قال تذهب مع اصحابك جريدة بالخيل وانا اكون
معك فاصبح الا ونحن على الحصن فاذا اشرفنا عليه تعطينى جوادى وسلاحى واركض
على فرسى فى حال العجلة فانى اجده فى الميدان مع ارباب دولته فاذا وقعت عينى عليه ترجلت
وحثوت التراب على رأسى واصيح ايها الملك العرب قد اخذوا أصحابى وغلمانى وما جاء معى
برسمك فاذا قال واين هم اقول على فرسخ من بلدك فانه اذا سمع قولى لا يمكنه التأخير عن
نصرتى ولا له الا السرعة اليكم واعلم ان اكثر جنده قد فرقهم على الحصون وما عنده الا الف
فارس او اقل قال فلما سمع يوقنا ذلك من قوله وثق به وبعث الاسرى الى عياض فلما وصلوا
اليه قال لهم ان اطلقتكم تعرفون لنا ذلك قالوا نعم وكيف لا نعرفه فاطلقهم حتى تسمع اهل
البلاد فينزلون الى طاعته واما يوقنا رحمه الله فانه سار جريدة بقية ليلته فما برق ضياء الفجر
الا وقد أشرفوا على الحصن فعندها اطلق البطريق ووثق منه بالعهود واعطاه جواده
وسلاحه وسار كانه قد فات نفسه وساق على شوط واحد الى الحصن وكان القضاء المقدر انه قد
وجد البطريق قد عبر الى جانب سعردو معه ألف فارس والف راجل وكان السبب فى ذلك ان
قوما من اصحاب البطريق حرسلو كانوا فى كبسة يوقنا فاتوه وحدثوه بما تم عليهم من القوم فعبر
لعله يستخلصهم من يد يوقنا فلما وصل اليه البطريق ترجل وصقع له وحدثه فرق له وقال
كيف تخلصت قال خلصت يدى من الكتاف وركبت هذا القرس فلما احسوا بى ركبوا
وراءى وها هم فى اثرى بالقرب من بابا عاقال فلما سمع باطا القون بن كنعان أمر بالركوب
وسار من وقته طالبا يوقنا وقال هذا الذى اردناه من امر الجهاد قد قربه الله الينا فدونكم

والقوم ولم يمهل بعضهم بعضا وطاعنوا بالرماح وصبر يوقنا صبر الكرام ووقع الصائح من كل جانب ونشرت اجنحتها النوائب واستعان أصحاب يوقنا برب المشارق والمغارب فبينما هم قد اشرفوا على المعاطب اذا شرفت عليهم غرر الخيل وهم يتسابقون فنظر اليهم يوقنا واذا هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة آلاف فارس يقدمهم خالد بن الوليد وكان السبب فى قدومهم ان عياضا خاف على يوقنا وبنى عمه فارسل فى اثرهم خالدا فوجدهم فى القتال فاطلق عنانه وقال يا اهل الايمان وحملة القرآن دونكم وعبدة الصلبان ارفعوا اصواتكم بذكر ربكم قال ونظر يوقنا النصرة وقد اقبلت فعظم شأنه والتقى بصاحب الحصن فعرفه بزيه فتطاعنا طعنا كافيا وتضاربا ضربا شافيا الان يوقنا طعن صاحب الحصن فرماه الى الارض قتيلا وصنع خالد رضى الله عنه والصحابة رضى الله عنهم كما تصنع النار فى الحطب ولما قتل يوقنا صاحب الحصن قطع رأسه وجعله على سنانه ونادى عمن تقاتلون وقد قتلنا صاحبكم فلما رأوا الرأس ولوا الادبار ومات اكثرهم وولى الباقون نحو الجبل ووقع الصائح فى الحصون بان بطالقون قد قتل فولوا الادبار (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه وكان لبطالقون زوجة عاقلة لبيبة صاحبة رأى وتدبير فلما رأت ما حل بزوجها وان اهل الحصن قد قتل اكثرهم وتفرقوا بالهزيمة ايقنت بزوال ملكها وخراب بيتها فجمعت المشايخ من ارباب دولتها وقالت لهم اعلموا ان الملك قد قتل وقد تفرق شمل من كان معه وقد وصلكم ما صنع هؤلاء العرب مع ملوك دين النصرانية وبنى ماء المعمودية وكيف ملكوا الشام وارض ربيعة وديار بكر وديار مصر وقد دانت لهم الامور وانتشر شرعهم وعلا ذكرهم ودخل فى دينهم الملوك والبطارقة وما نزلوا على حصن الا ملكوه ولا وافوا جيشا الا هزموه وقد دخلوا أرضكم وحلوا ساحتكم فما ترون من الرأى الرشيد قالوا أيتها الملكة ما تكلمت بشئ الا فهمناه وعرفناه والامر اليك فقالت الصواب انكم تحقنوا دماءكم وتصونوا حريمكم واموالكم وتدخلوا فيما دخل فيه اهل البلاد وتصالحوا العرب فتأمنوا على انفسكم وتعيشوا فى ظلهم فقالوا هذا هو الصواب قالت فينطلق منكم رجال الى هؤلاء العرب ويعقدون لنا منهم صلحا قال فخرجوا من عندها وسار منهم ثلاثون رجلا من خيارهم وعبروا الشط الى عسكر خالد فلما رآهم خالد والمسلمون علموا انهم من اهل الحصن فاستقبلوهم وسلموا عليهم ورحبوا بهم ومشوا معهم الى قبة خالد واذا هو جالس على التراب ووجوه أصحابه حوله وهم يكثرون من ذكر الله وليس لهم حاجب ولا بواب فسلموا عليهم فقرأ خالد واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فتقدم كبراؤهم وعلماؤهم فى دينهم وقالوا أيكم الامير حتى نخاطبه فقالوا ليس فينا أمير ولا من يلحظ أخاه بعين الذل لان الاسلام شملنا والدين جمعنا ونحن عباد الله فلما سمع القوم ذلك قالوا باجمعهم والله ما نصركم الله علينا الا باتباع نبيكم وقول الحق فى دينكم ونحن نريد منكم ان تحملونا على القول وتشركونا فيما دخل به أهل البلاد فقال خالد كم تبذلون لنا من المال فقالوا مهما اردتم امتثلناه فقالوا انا لا نريد

الاماترضى به اهل الذمة الذين فى البلد حتى تطيب قلوبهم ومن لا يرحم لا يرحم ولقد سمعت نبينا صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى قال فلما سمع القوم ذلك تهللت وجوههم فرحا وقالوا لقد نصركم الله بحق وما نرى دينكم الا حقا فاسلموا عن آخرهم وعادوا الى قومهم واجتمعوا فى كنيستهم وحدثوهم بما كان وبما رأوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن سيرتهم فقال أهل البلد ما كنا الذى ندفع أنفسنا عنكم لانكم اولوا الرأى والدين وقد رضينا بما رضيتم به لانفسكم فاسلموا الا قليلا منهم واما الملكة فلما سمعت ذلك طاب قلبها وبعثت بالاقامة والعلوفة الى خالد وأمرته ان يعبروا الى جانبهم ونصبت لهم الجسر فعبر خالد ومن معه ونزلوا بالبيعة بحيث ان الملكة تشرف عليهم وتنظر اليهم فرأت قوما قد طلقوا الدنيا وطلبوا الآخرة رضى الله عنهم وليس فيهم من ينهر ولا يسفه ولا يخالف أخاه قد اشتغلوا بالذكر وتوشحوا بالصبر فلما نظرت الى حسن عبادتهم نزلت اليهم وأسلمت على يديهم فقال خالد تقبل الله منك ورضى عنك فالزمى قلعتك فلا سبيل لاحد عليك ونظر يوقنا اليها فقال وددت لو كانت هذه أهلى فانفذ خالد يشاورها فاجابت الى ذلك وبعث خالد الى عياض يشاوره فبعث اليه الجواب بان زوجه ولا تترك من بلاد الحصن مكانا الا وتنزل فيه

❃(ذكر فتح طنز وبهرد وسعرد)❃

قال فعول بالعبور الى جانب سعرد وبهرد واذا قدم عليه أهل حصن طنز للصلح وان يكونوا طوعا للمسلمين فقال خالد من اسلم منكم قبلناه وكان له مالنا وعليه ما علينا ومن بقى على دينه كان عليه الجزية من العام القابل فاجابوه الى ذلك فكتب لهم عهدا وعبر الى طنز وبهرد وسعرد والمعدن واردن وقرروا صلحا ورضوا به قال وانقضت عدة صاحبة الحصن وهى جانوسة وتزوجها يوقنا رحمه الله تعالى ولحق خالد بعياض فوجده على سوقاريا وهى مدينة جالوت فلما وصل خالد اليه سلم الناس بعضهم على بعض وأقاموا هنالك خمسة أيام وعولوا ان يسيروا الى بدليس واخلاط واذا قد جاءهم الخبر أن طاريون ابنة الملك وهى زوجة الغلام برغون الذى فتح كفرتوثا وكان من أمرها ما ذكرناه قد هربت الى أبيها ورجعت الى دينها قال فصعب ذلك عليهم (قال الواقدى) حدثنى محمد بن يونس قال حدثنى اسماعيل عن قيس قال رحمه الله تعالى ان طاريون لم تتنصر ولا عادت عن الاسلام وانما مضت الى أبيها لتدبر عليه حيلة وتسلم البلد للمسلمين لانها ارادت تصنع كما صنع زوجها برغون بكفرتوثا فاتفق رأيها ورأى زوجها على ذلك فقال برغون اما انا فلا تبعث لانى افزع من أبيك ان يقبض على فقالت له الزم مكانك والبست ثيابها وعولت على المسير وجمعت غلمانها فى محل خلوة وقالت لهم اعلموا انى قد عزمت على امر أفعله وانا أبوح به اليكم قالوا أيتها الملكة ما على العبد الا الطاعة لمولاه فاوقفينا على سرك قالت لهم اعلموا انى كرهت المقام بين هؤلاء العرب وأيضا قد اشتقت الى وطنى وعولت على انى اخرج بكم الى الصيد فى الجبل فاذا جن الليل طلبنا أرضنا فلما سمعوا قولها فرحوا وقالوا نعم

الرأى فقالت انى لست اكرهكم فمن كان له خاطر ان يلبث ههنا وهو مائل الى هذا الدين فليقم غير ملوم ومن اراد الرجوع الى وطنه فيعزم معى فانى امضى فى هذه الليلة ووحق ما اسير اليه لئن بلغنى ان احدا منكم افشى سرى الى برغون أو غيره من الناس لاضربن عنقه فمن كان عازما على صحبتى فيتبعنى فاجابوها الى ذلك فلما جن الليل ودعت برغون وخرجت ومعها اثنى عشر نفرا كانوا الابريدون الاسلام وكان لها بكفر توتا اثنى عشر غلاما قد رسخ الاسلام فى قلوبهم واحبوا المسلمين قال وسارت نحو الجبل ومضت الى ان تركت اردن خلف ظهرها واشرفت على يدليس فنزل صاحبها اليها وقدم لها اقامة وعلوفة واقامت هناك بقية يومها

❋(ذكر فتوح يدليس واردن واعمالها)❋

وكان من قضاء الله السابق وقدره ان عياضا المازل على سوقاريا ولحق به خالد ومن معه ولحقهم يوقنا ففرح المسلمون بسلامتهم وحدثه بما جرى فسجد لله شكرا ثم بعث يوقنا رسولا الى صاحب يدليس وكانت اردن ويدليس وقف وانظر وغيرهم من القلاع لبطريق واسمه سروند بن بواص والجارية طار يون نازلة هناك وسروند عندها فلما علموا بقدوم يوقنا ركبوا الى ملتقاه واختلت به طار يوز وقالت له ياعم لا تظن انى هاربة ولا الى الروم طالبة وانما أريد أن انصح لله ولرسوله وللمسلمين واريد ان اغدر بابى واقتله واسلم معاقله للمسلمين ولكن ياعم اشر على بما اصنع فانت تعلم ان هذا الدرب ليدليس واخلاط وعليه قلعة قف وانظر واذا أرادت العرب العبور فليس لهم قدرة فما الذى تراه وأخاف ان حصلت عند أبى لا اقدر على الرجوع الى بعلى والى المسلمين قال لها يوقنا على انك اذا سرت بهذه النية فان الله جل وعلا يفتح عليك أبواب الخير وامضى على ما انت عليه وانا لابد لى ان امضى برسالة الامير عياض الى ابيك وها انا ابكر فاذا حصلنا هناك كان لنا من التدبير ما يريده الله ونصل ان شاء الله الى ما تريد وعلمها ما تصنع وودعته وعادت فقالت ان هذا العديم العقل يلح على و يعذلنى على ان ارجع واعود عما عزمت عليه من الرجوع الى دين المسيح ولولا اننى أخاف ممن معه ومن صاحب هذا الحصن ان يعينه علينا لكنت قبضت عليه ثم انها ركبت وسارت تجد السير وارسلت بعض غلمانها بشرا اباها بقدومها فلما وصل البشير الى تحت المدينة وركب أبوها والبطارقة وأهل البلد لملتقاها فالتقوها عند خضريا فلما رأت اباها ترجلت وترجل ابوها والعسكر جميعه وصقعوا بين يديها وضمها أبوها الى صدره وقال لها يا بنتى كيف كان امرك قالت ان برغون نصب على ووصل بى الى عسكر المسلمين واسلم فلم يكن الا انى اطاوعه خيفة منهم الى ان دخلوا ديار بكر فهربت اليك فصلب ابوها على وجهه وهناها بالسلامة وركب وسار واوالموا كب حولهم الى ان دخلت البلد ودخلت دار المملكة فالتقاها الجوار والخدم وصقعوا لها وبكوا وبكت واخرجت الصدقات والنذور للبيع والكنائس وباتت تحدثهم بما جرى لها وحديث شهرياض وكيف أخذت رأس العين فقال ابوها يا بنية كيف رأيتهم فى دينهم قالت أيها الملك القوم

يتظاهرون

يتظاهرون بالدين وانهم يطلبون الدين والعدل حتى يرجع الناس اليهم وماوالله دين أفضل من دين المسيح وقدنذرت نذرا متى خلصت من يد العرب انى لااقرب قربانا ولااشرب الخمر ولاآكل لحم خنزير ولاانغمس فى ماء المعمودية حتى اتعبد فى بيعة يوحنا شهرين كاملين فاذا انا تطهرت من دينهم اقرب القربان واقبل الصلبان ففرح أبوها بذلك فلما كان من الغد مضت الى البيعة واخلت لها موضعا وجعلت تتصدق على الفقراء وتظهر النسك والعبادة واقامت تنتظر ماوعدها به يوقنا من القدوم بالرسالة الى أبيها (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه حدثنا أبو محمد قال حدثنى من اثق به عن قيس بن هبيرة قال كنت من أصحاب يوقنا حين سار بالرسالة الى يدليس وتحدث مع طاريون وانفذ صاحب يدليس اليه وكان لما بلغه قدوم يوقنا صعد الى حصنه فاستحضره وانا معه فوجدناه على سرير مملكته فسلمنا عليه فقال يوقنا ان أمير جيوش المسلمين بارض ربيعة وهو عياض بن غنم وقد ارسلنا اليك ندعوك الى توحيد الله ورسالة نبيه ولكم مالنا وعليكم ماعلينا واعتبر بمن تقدم من الملوك واصحاب الاقاليم والعز وقد اصبحوا هالكين فما جوابك فقال أيها السيد انى قد كنت اردت ان ارسل رسولا الى اميركم فى طلب الصلح واعطيه شيئا وانى ابقى على دينى ومن أراد من أهل بلدى ان يرجع الى دين القوم فلست امنعه فقال يوقنا كم يطيب قلبك ان تدفع فى صلحك على يدليس واردن وماتحت يدك من البلاد فانى اذا أمضيت لك الصلح فقد رضيت به العرب فقال أيها السيد اعطيهم مائة ألف دينار وخمسمائة زردية والف قوس وان لا يتولى على مملكتى غيرى حتى اموت وان لا يبقى عندى من قبلهم الا رجل او رجلان حتى يعلموا من اسلم شرائع الاسلام وان يكون أمرى نافذا فى مملكتى ومن اسلم يكون أمره لمن يكون عندنا من قبلكم ومايكون لى عليهم حكم فقال يوقنا قد امضينا صلحك واتممنا عهدك وانا اعطيك عهد الله ورسوله على ماذكرته قال واعطاه عهد الله ورسوله وهاداه على الهيئة التى هادى رسول الله صلى الله عليه وسلم هرقل ملك الروم وحلف له عن المسلمين كلهم قال وان قيسا ذهب الى عياض فاعلمه بما استقر بينهم فلما وصل كتاب يوقنا الى عياض رحل من مكانه الى ان نزل على يدليس فوجد البطريق قد اخرج ماوقع عليه الصلح فلما قدم عياض نزل اليه البطريق والتقاهم وحياهم باحسن تحية وانزلهم فى احسن منزل وقدم لهم الاموال وكتبوا بذلك عهدا قال ونظر المسلمون من أهل اليمن وبادية العرب الى البنات وحسنهن فمالت أنفسهم اليهن وشرب أكثرهم فلما رأى عياض ذلك صعب عليه فامر أن يؤتوه بمن فعل ذلك فاقام عليهم الحد وأخذ منهم حق الله وقال لهم أكفر بعد ايمان ابهذا أمرتم أم لهذا خلقتم اما سمعتم ماقال من أمره بين الكاف والنون قال فتابوا باجمعهم فلما جن الليل اجتمع يوقنا بعياض وحدثه بامر طاريون وماوافقته عليه وانها قد وهبت نفسها لله تعالى ومضت تدبر كيف تعمل فى تسليم البلد للمسلمين وانى وعدتها ان اسير اليها واعينها على ذلك فقال عياض اذا كان الامر كذلك فيجب علينا ان نظهر عليه خالدا واصحابه فقال يوقنا افعل مافيه الصواب فارسل الى خالد

ومعاذ وقيس والمسيب بن نجيبة وعمرو بن معدى كرب وعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهم وحدثوهم بالحديث وقالوا لهم ماترون من الرأى

(ذكر فتح ارمينية واخلاط وقف وانظر)

قال خالد اصلح الله الامير اذا كان الامر كذلك فابعث يوقنا رسولا ونحن معه فاذا حصلنا هناك يفعل الله مايريد والحاضر يرى مالا يراه الغائب قال فسيروا على بركة الله تعالى وتأهبوا وساروا وسار مع يوقنا خمسة وثلاثون من الصحابة وعشرون من اصحاب يوقنا فلما وصلوا اخلاط ونظرت اليهم الروم والارمن علموا انهم رسل فاعلموا بذلك الملك وانهم رسل من العرب فأمر باحضارهم فاتتهم الحجاب الى باب رومية وهو باب بدليس فرأوهم على خيولهم فقالوا لهم ادخلوا فأخذوهم الى دار الامارة واعلموا الملك بوسطوس بذلك فامر باحضارهم فلما توسطوا الدهليز اراد الغلمان ان يأخذوا اسلحتهم فقال خالد انا قوم لانسلم سيوفنا لغيرنا وان الله بعث نبينا بالسيف وقد قلدنا اياه واسننا نزيل ماخصنا الله ورسوله به فدخل الحجاب واعلموا الملك بما قال خالد فقال الملك دعوهم يدخلوا كيف شاؤا لئلا يظنوا اننا نخافهم وانما ذاك ناموس الملك فدخلوا بهم فلما رآهم وسلموا اليه جلسوا على الارض كانهم السباع وكل منهم قد جعل يده على مقبض سيفه وقد بلغ الملك ماهم عليه من الدين والزهد فى الدنيا فاوصى اصحابه ان لا يأمروهم بأن يصقعوا له فانهم لا يجيبونهم لذلك قال فلما استقر بهم الجلوس قال لهم ترجمانه ياهؤلاء ما اتيتم الينا فقال يوقنا ان امير جيوش المسلمين بارض بدليس قد بعثنا اليكم رسلا ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله او تدخلوا فيما دخل فيه الناس وان تؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون فاعلم الترجمان الملك بما قاله يوقنا حدثنا قدامة انه لم يكن بينهم ترجمان وانما كان المتكلم يوقنا بالرومية وهو لسان القوم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنى من اثق به قال كان الترجمان بينهم لان الملك ارمنى لا يفهم الا بلسان الارمن ويوقنا كان روميا لا يفهم لسان آخر فلما بلغه الترجمان غضب وقال وحق المسيح والانجيل لانعطيهم ولا ندخل فى دينهم او نموت عن آخرنا ولا يحسبوا اننا مثل مالاقوا من جيوش الروم ولنا الشدة والباس والقوة والمراس ونحن نرمى على الاقواس بالنشاب والعرب تسميه قاطع الشهوات والاسباب وانا ابعث الى صاحب خوى وسلوس واستنصر عليهم باسراغوص ملك المرج ونردهم على أعقابهم ونستخلص منهم البلاد وليس عندنا جواب غير هذا قال فبلغهم الترجمان ماقاله فقال يوقنا ايأذن لنا بالانصراف لنعلم صاحبنا بهذا الجواب فقال الملك بيتوا عندنا هذه الليلة وفى غد تنصرفون وامر بهم ان ينزلوا فى المكان الفلانى فخرجوا من عنده الى المكان الذى أمر به فنزلوا به ينتظرون مايكون من الجارية طاريون قال ولما خرج الصحابة من عنده ركب من وقته الى بيعة يوحنا واجتمع بابنته وقال لها ان العرب قد وجهوا الى رسولا ومعه جماعة وقالوا الى كذا وكذا واجبتهم بكذا وكذا فاترين من الرأى فقالت أيها

الملك اين هم قال عوقتهم هذه الليلة حتى اشاورك فى أمرهم فقالت أريد ان انظر من هم فانه لا يخفى على أمرهم فان كانوا من وجوه العرب النافذ امرهم فامرنى ان اتحدث معهم واطيب قلبهم بأنك تصالحهم واطمعهم بذلك فاذا اطمأنوا بذلك أمرتك بالقبض عليهم واتركهم عندك حتى لا يكون لهم خلاص فاذا قبضت عليهم ترسل الى صاحبهم تقول له متى تقدمت الينا مرحلة واحدة بعثت اليك برؤسهم فاذا سمع ذلك لا يتقدم و يقع الصلح على ان نسلم اليه أصحابه و ينصرك المسيح بطول عمرك و يرفع قدرك و ينصرفون عنك وما تم رأى اوفق من هذا فقال لها يا بنية المسيح يطيل عمرك و يرفع قدرك فقومى لنا اليهم ودعى هذه البيعة والزمى البيعة التى فى دارنا فانك كلما اقمت ههنا كان اخوف بنا وان كان مقصودك العبادة ففى أى مكان كنت فيه كان لك معبد فلما سمعت قوله قالت لست ابرح من ها هنا حتى يأمرنى بترك هذا المكان فارسل الملك وراء البترك فلما حضر قام الملك له وعظمه واجلسه الى جانبه وحدثه بقصة ابنته فقال البترك قد اذنت لك ان تتعبدى حيث شئت وقد استوهبت ذنوبك من المسيح وغفر لك قال فصلبت وجهها ودعت له وقدموا لها بعض مراكب أبيها فركبت ومضت الى المكان الذى فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدخل فيه سواها وابيها الملك فلما رأت يوقنا فرحت واستبشرت وقالت له ايها السيد ان أبى جاهل بكم غير عارف بقولكم وسوف اكشف له عن اموركم وحق دينى ما رأيت منكم الا خيرا وسوف اجازيكم على ذلك ولولا محبة الاهل والوطن ودين المسيح ما كنت فارقتكم وخرجت هى وابوها ومضت الى القصر وقالت له ابشر بما يسرك هؤلاء وجوه القوم وساداتهم والذى عليه زى الروم هذا يوقنا بطريق حلب الذى طرده المسيح عن بابه والرأى عندى ان نطلبهم عندنا الى هذا القصر ونقبض عليهم بحيث ان لا يقف أحد على سرنا قال ففرح أبوها بقولها وبعث حاجبه الى الصحابة فاتى بهم وانزلهم فى بعض حجر القصر (قال الواقدى) رحمه الله وكان عمال أبيها من البطارقة والمقدمين على القلاع قد اتوا يهنون أباها برجوعها الى دين المسيح فقالت طاريون من الصواب ان نمضى انا وأنت الى هؤلاء العرب ونجلس عندهم ونأكل معهم حتى يطمئنوا الينا واقول لهم انى اريد ان اشاور أهل بلادى وارباب دولتى فاما ان نصالحكم ونؤدى اليكم الجزية أو نقاتلكم ونبعث اليهم طعاما مبنجا فاذا اكلوه وحكم فيهم البنج قبضنا عليهم ونفعل بهم ما تريد واشير به عليك قال فلما جن الليل أتت هى وأبوها عندهم وتحدثوا ساعة ومضوا فلما كان من الغد جلس أبوها على سريره وعلمت ابنته انه اشتغل بما هو فيه فاتت طاريون الى الصحابة وقالت لهم اذا جئت الليلة انا وأبى فدونكم واياه ولا تمهلوه فقد اتفق رأيه على كذا وكذا فشكروها على فعلها ومضت عنهم فلما كان الليل جاءت ومعها أبوها وتقدمت كانها تحجبه وأشارت اليهم بان لا تعجلوا وأمهلوه فأمسكوا عنه وتحدثوا ساعة وخرجوا من عندهم فلما خلا مع ابنته قال لها أما قولك نقبض على هؤلاء العرب فليس بصواب وانى أريد ان اجمع بطارقتى وولاة أمرى من الحصون والقلاع وآخذ

لك عليهم عهدا أن لا يخامروا عليك أبدا وان يطيعوك وأرسل المال والذخائر وما تخاف عليه الى قلعة برقبوس فانها أمنع قلاع الارض (قال الواقدى) رحمه الله وهذه القلعة التى ذكرت فى وسط بحيرة ارجيس لا سبيل لاحد عليها قال لها واذا وليتك عليها اطلق هؤلاء العرب فانه ما سبقنى أحد من الملوك على قبض الرسل وأيضا يقال عنى انى فزعت من العرب وقد عولت على لقائهم فان نصرت عليهم فذاك هو المراد وان نصروا على فلى اسوة بامثالى من الملوك وقد ارسلت الى الملك درفشيل صاحب اردن الروم بان يأتى الى بجنوده وعدته وعدده وعدته ان ازوجه باختك فارونة فاترين من الراى قالت له ايها الملك اذا عزمت على هذا الامر فلا تترك هؤلاء يمضوا حتى يجتمع العسكر ويقدم الملك درفشيل بجيشه ولا يتخلف عنك أحد وبعد ذلك اترك هؤلاء فاذا ساروا الى صاحبهم تسير أنت فى اثرهم بالجيوش واكبس عسكرهم فقال يا بنية ليس هذا من الرأى ان نطلقهم من أيدينا بل نبعث الى صاحبهم نقول له انهم مكرمون عندنا وقد رأينا اننا فى يوم عيدنا ندبر فيه امرنا فاما ان نصالحكم باداء الجزية واما ان نقاتلكم والله ينصر من يشاء ونأمرهم ان ينزلوا فى مرج بطان فانه مرج واسع يصلح لملتقى العساكر ونضرب معهم مصافا ونحن أخبر منهم بالبلاد ونمسك عليهم الدروب فما ينجو منهم احد ونسير الى ديار بكر فنملكها ونأخذ ارض ربيعة ولا يبقى فى هذه البلاد ملك سوانا فقالت له ماريون افعل ما تشاء وتركته وانصرفت الى مكانها فلما عرفت ان اباها قد اغلق ابوابه اتت الى الصحابة وعرفتهم بما قال ابوها فقال خالد اللهم يسر لنا الامر من غير تعب واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه فقال يوقنا وكيف ذلك يا صاحب رسول الله فقال خالد نعم نحن امورنا بحمد الله منوطة بالنصر وقد كفانا كل امر واعلموا ان هذا الرجل قد عول ان يبعث يجمع ملوكه وجيوشهم ويحرضهم على قتالنا والصواب اننا نصبر حتى يجتمعوا فقالت ماريون لقد نطقت بالصواب يا صاحب رسول الله ووفقت ولعل ان يحصلوا كلهم فى ايديكم ان شاء الله فان ابى لا يقدر ان يوليني الا فى البيعة بحضرة اصحاب القلاع والحصون ويأخذ لى عليهم العهد وبعد ما يفعلون ذلك تثورون عليهم ان شاء الله ولعل ان يكون فى جملتهم صاحب اردن ونرسل العبد الصالح يوقنا الى صاحب اردن فلعله يملكها ان شاء الله تعالى ونكون ظفرنا بالارب وخرجت من عندهم (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا صالح بن عمران عن عبد الرحمن بن الحسن عمن حدثه قالوا جميعا ومن قال منهم انه لما اتفق الراى من الملك صاحب اخلاط على ما ذكرنا واصبح الصباح ارسل وراء صاحب اعماله وولاة الحصون ان يحضروا عنده فاتوا باجمعهم ولم يتخلف منهم احد واتى درفشيل من اردن ومعه عسكره وكان اجتماعهم فى ليالى عيدهم الكبير فزينوا البيعة وجاءت الاقسة والرهبان من كل مكان ودخلوا البيعة وصلوا وقربوا القربان فلما فرغوا من قربانهم وصلاتهم جلس الملك على سريره وابنته واقفة عن يمينه فقال للملوك والبطارقة اعلموا انى ما جمعتكم الا لامر اعرضه عليكم وفيه سداد امركم وملككم ودينكم وقد عولت على انى اولى امركم الى الملكة ماريون فانها كما علمتم من اصحاب العقل

وازاى والتدبير فى الحرب والشجاعة والبراعة فان قضى على الامر فانها تكون مالكة امركم فما تقولون فقاموا باجمعهم وصقعوا له وقالوا نعم الرأى الذى رأيته أيها الملك فانجز أمرك فعندها وثب قائما وازال التاج عن رأسه ووضعه على رأس طاريون ومسك بيدها واجلسها على السرير ووقف عن يمينها كانه حاجب ووقف صاحب اردن عن يسارها وصقعت لها الملوك وبايعوها وتقدمت الاقسة والرهبان واخذوا لها عليهم العهد والميثاق واجابوا بالسمع والطاعة وبعدها زوجوا اخت طاريون بولد صاحب أردن وخرجوا من البيعة فى خدمة طاريون الى قصر الملك واكلوا السماط وخلعت عليهم وزينت المدينة وضربوا خيامهم بظاهر البلاد وعولوا على قتال المسلمين (قال الواقدى) رحمه الله حدثنى اسرائيل بن اسحاق عن أبى الاحوص قال بلغنى ان عياض بن غنم لما وجه خالدا الى ملك أرمينية وهى اخلاط وابطأهم ساءت به الظنون فيهم فارتحل من يدليس الى أرض اردن ونزل بالمرج ووجه عيونه الى اخلاط فغابوا عنه اياما وعادوا اليه واخبروه ان الملك قد ولى ابنته طاريون على المملكة وقد عقد لها التاج على رأسها وبايعها الملوك وزينوا المملكة من أجل ذلك وقدم صاحب اردن الروم وزوج اخت الملكة لابنه وان القوم قد عولوا على لقائكم فلما سمع عياض ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم غدر وا أصحابنا فقال المسلمون كيف ذلك ياصاحب رسول الله قال لان أصحابنا مضوا الامر يرومونه وقد انفسد عليهم فقال واثق بالله وتوكل عليه وأقام عياض على المرج عشرة أيام وحصل له مرض على أمر الصحابة فاتته الناس يعودونه فقال اذا أراد الله بعبده خيرا زاره الناس قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه وعوفى عياض فبينما هو قد ركب مع وجوه الصحابة وهم يسيرون وقلبه مشغول من قبل خالد ومن معه واذا قد اتاه سعيد بن زيد وهو ينادى الوحا الوحا العجل العجل فاسرع اليه عياض وقال مابك يا ابن زيد يرحمك الله فقال الحق خالدا ومن معه فقد وقعوا فى بحر عجاج وهم وفى وسطه فلما سمع عياض قال وكيف ذلك قال ان طاريون لما ولاها أبوها الملك وجعل العهد لها ظفرت بابيها فقتلته وبعثت وراء الملوك على لسان أبيها فلما جاءوا اليها قتلتهم وان بعض غلمانها اطلع على سرها فمضى الى بقية البطارقة والولاة فاخبرهم بما صنعت فلبسوا السلاح وقعدوا على اهبة فلما كان بالامس ركبت هى فى جيش أبيها الى الميدان وركبنا نحن لركوبها فاعلمنا الاوالقوم اطبقوا علينا وقالوا الناظ نتران المسيح غفل عن أمركم وانه لا يؤاخذكم بذنوبكم وندامكن الصليب منكم وهم وابا خذنا فقاتلناهم قتالا شديدا ماسمع أحد بمثله وملأنا الارض من قتلاهم فلما جن الليل وضعت الحرب اوزارها وانفصل الجيش مع صاحب اردن الروم وبقى مع الجارية نفر يسير من غلمانها وغلمان أبيها فافاضت عليهم الحلى والنعم وبعثت الى الارمن تقول لهم انما فعلت ذلك شفقة عليكم وصونا لحريمكم لانهم أرادوا ان يقبضوا على هؤلاء العرب ويقتلوهم فكانوا أصحابهم لا يتركون منكم مخبرا فلما بلغهم ذلك قال العقلاء منهم والله لقد فعلت معنا كل خير واجابها من القوم خمسة آلاف رجل وانى تركت المصاف وجئت اليك مستفزا فلما سمع عياض كلام سعيد أمر الناس

بالرحيل وساروا تقريبا وتحببا الى ان أشرفوا عليهم واذا بالحرب قد قام على ساقه فكبر عياض ومن معه فارتجت منهم تلك الارض والجبال وحملوا وكان خالد واصحابه قد ارضوا الله بقتالهم قتالا ما سمع على وجه الارض بمثله ولم يزالوا كذلك حتى انقشع الغبار وانفصل القتار وافتقدوا من قتل فوجد وا قد قتل من بادية الاعراب مائة وعشرون رجلا وافتقد معاذ بن جبل ولده فلم يجده فلما جن الليل دخل ومعه رجال من المسلمين الى المعمعة فوجدوه وهو يجود بنفسه وقد ناله جراحات فحملوه الى رحله وجلس أبوه عند رأسه فقال عبد الرحمن بن غنم اخو عياض لما رأيته يجود بنفسه بكيت وانتحبت فقال لى مه هذه الغزوة أحب الى من كل غزوة غزوتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له يابنى اتق بربك وكان لما اذن المؤذن للظهر فلما انصرف العسكر من صلاتهم الاوقد كفنه فى دارعته وهو متضمخ بدمائه فجاء الناس فوجدوه وقد دفنه فقالواله برحمك الله هل لا كنت انتظرتنا حتى نحضر جنازته قال ليس ذلك من السنة وان ذلك فعل الجاهلية وقد كانشتهى ان نبطئ بموتانا وانما أمرنا بانجازموتانا فلما دفنه فى القبر ورجع الى رحله غسل رأسه ولحيته واكتحل ولبس برديه وأتى الى خيمة عياض وهو يكثر من الابتسام والتكبير وليس به الاما يسلى عن ذلك وقال هنيئالك ياولدى فقال له عبد الرحمن وماذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات له ابن وكان به ضنينا وكان عليه عزيزا فحسن عليه عزاؤه ولم يرمنه شئ فى قضا الله الاغفرله وليت وابدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من اهله وزوجه الله من الحور العين ولما طلع النهار ركب المسلمون وطلبوا الجهاد واذا بخيل قد أتت وعليها فرسان بغير سلاح فلما قربوا منهم ترجلوا وقصدوا الامير فابتدر اليهم يوقنا وقال لهم من أنتم قالوا نحن أصحاب اردن الروم وهذا مقدمنا واشاروا الى شيخ منهم حسن الشيبة فراطنه يوقنا فقال ان الله دلنى عليكم وبت الليلة على نية القتال فرأيت المسيح ابن مريم فى النوم وهو يامرنى باتباع محمد وقال لى ان نبى هؤلاء العرب هو الذى بشرت به فمن عدل عنه فليس منى فلما سمع يوقنا قوله ترجل هو وجميع من كان معه ومشوا معه الى عياض وحدثه بجميع ماجرى فقام له وصافحه هو والمسلمون وحدث عياضا بما حدث يوقنا ثم أسلم هو ومن معه ففرحت بذلك الجارية طاريون وسلمت اليه اختها وسار بها الى اردن الروم وارسلوا معه عشرة من المسلمين ليدعوا اردن الروم الى الاسلام ويعلموهم شرائع الدين (قال الواقدى) رحمه الله وهم راحة بن عبد الله وسلامة بن عدى والمرقال بن الاكوع وابن اخو المدوج بربن صاعد وعبد الله بن صبرة وسهل بن سعد ومصعب بن ثابت وحازم بن معمر وابوغبر بن بشار قال وودع درفشيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتحل والعشرة معه حتى وصل اردن الروم ففرح أهل المدينة بهم وخرجوا الى لقائهم فلما استقر الملك فى مجلسه طلب اكابر الناس وحدثهم بما رآه وعرض عليهم الاسلام فاسلم اكثرهم واقبل العشرة يعلمونهم شرائع الاسلام والقرآن قال وسلم القلاع والحصون التى كانت لاخلاط الى

المسلمين

المسلمين فنهم من أسلم ومنهم من أقام على اداء الجزية من عامهم الآتى وبعث عياض الى خوى وسلواس ومايلى تلك الارض فاسلم أهلها الا القليل وبعث من المسلمين رجالا يعلمونهم الشرائع واقرطاريون على اخلاط والله تعالى هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

(ذكر فتح اردن وسعرد وجبل مارون)

(قال الواقدى) رحمه الله قال عبد الله بن عقيل الجعدى عن ابى اسحاق الهمدانى قالوا جمعا وفرادى أو من قال منهم انه لما فتح الله ديار بكر وارمينية واخلاط على المسلمين على يد عياض ابن غنم بعد فتوح ارض ربيعة أرسل وراء الغلام يرغون فى كفرتوثا فلما قدم عليه قلده أمر ارمينية هى واخلاط له وزوجته طاريون واخذ عليه موثقا من الله ان يعاملوا الناس بالعدل وان يتبعوا الشريعة وان يأمروا بما أمر الله ورسوله فقبلا ذلك وارتحل عياض من أرض ارمينية بعد ان بعث افلح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مائة رجل الى بلاد العراق حتى يدعوا أهلها الى الاسلام ووعدهم بالاجتماع هنالك قال فانصرفوا بالرسالة وأما عياض فانه سار على طريقه الذى ورد عليها الى اردن الروم وخرج منها الى سعرد الى جبل مارون (قال الواقدى) رحمه الله كان الذى اسسها السموال بن ماريا وكان قد سبق قبل ذلك الابلق الفرد من ارض تيما لما جاء وزير كسرى وطلبه هرب الى هذه الارض وبنى له فيها هذا البلد فلما نزل عياض عليها دعاهم الى الاسلام فاجاب العقلاء منهم ومن ابى اقر عليه الجزية وكتب لهم عهدا ورحل حتى نزل على الشمطاء واساوح فاجاب أهلها ولم تكن الجزيرة يومئذ محدودة وأن الذى بناها رجل من اهل برقعيد يقال له عبد العزيز بن عمر وكانت دجلة قبل ذلك فلما نزل عياض عليها وزارها ومن معه جبل الجودى وموضع السفينة وكان بجنبها اخباث كثيرة فكانت أهل تلك البلاد تنزح الاخباث وكان ملكها الجزيرى صالح فاجاب واطاع وكان يسكن بعاديا وكانت تحت يده كواس والزعفران وقفيز ودربيس واماكن كثيرة قال ولما بلغته الرسالة أجاب وصالح واطاع فاقبل الى عياض واسلم وكتب لاهل بلده عهدا وانفذ من يدعوهم الى الاسلام

(ذكر فتوح الاسماعيليات)

قال وارتحل عياض الى الجانب الغربى ونزل على بلد فيها بديع القبطى فاجاب صلحا على ماتقرر عليه وارتحل عياض الى ان نزل بالاسماعيليات وبعث عمرو بن جندب ليغار على الموصل واعمالها فمضى واغار واخذ الغنائم ووقع عليه الصائح فخرجوا عليه وقاتلوه وانتزعوا منه الغنيمة وقاتل حتى قتل ودفن بالجانب الغربى فلما بلغ عياض ذلك ارتحل من الاسماعيليات ونزل على الموصل فخرج اليه اهلها بالعدد والسلاح وكر عليهم خالد بجيش الزحف فجعلهم حطاما ولم يكن دلها يومئذ سور يمنع فأخذها بالسيف ونظر الى دنيوى فاذا هى مدينة قد أخذت السهل والجبل فقال ماهذه فقيل هذه نينوى فقال لعلها مدينة يونس بن متى عليه

السلام (قال الواقدى) رحمه الله وكان على كها يومئذ الملك انطاق فكاتبه عياض فابى فانفذ اليه الجزرى صالح فقال له لئن لم تجب هؤلاء الى ما ارادوه والا اذقتك شرا ولا اترك لك عيشا فكتب اليه يقول انى اصالحهم الى ستة أشهر حتى أرى ما يكون من أمر كسرى فان فتحوا بلاده دخلت فى طاعتهم قال وكان هو من تحت يد كسرى فاجابه المسلمون الى ذلك وصالحوه على موجها ومرجها وكتب عياض الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بما فتح الله عليهم فكتب اليه يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اما بعد سلام الله عليك ورحمته وبركاته فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالحمد لله الذى ايد الاسلام بنصره ومحص الشرك بقهره فلله الحمد على ما اولى ومنح فازال وكشف ورفع وصرف من عظائم واخذ غنائم حمدا يزيد الآمال انفساحا والصدور انشراحا وقد لانت الشده بعد صلابتها ورقت الايام بعد قساوتها ويسر الله تعالى أمرها وقد أوردت الاعداء موارد المهالك وضيقت عليهم المسالك فارتبكوا فى رقاقهم واشتركوا فى وثاقهم ولم يجدوا فى الارض ولا فى السماء مرتقى واشتد بهم الفرق فازعجهم القلق وانهم احالوا وخابوا ودا هنوا واسلوا واظهروا القصد من الايام والدخول الى الاسلام والتردد به من الظلم والجنوح الى السلم فاقررناهم على ذلك بعد ان اشرفوا على المهالك فمنهم من اسلم وبايع ومنهم من اقام تحت الذمة وتابع وقد نشر الله اعلامنا واعز ديننا وقهر عدونا وشد سيوفنا واعلا كلمتنا واظهر شريعتنا وقد صرف الله صورتهم واخمد نورهم وازال نصرتهم ونفى البلاد والعباد مؤنتهم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث خمس ما تحصل من ديار بكر مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضم اليه مائتى فارس وسلمه الكتاب وامره بالمسير فسار شرحبيل وبعد أيام وصل الى عياض من العراق عامر بن مزينة رسولا من سعد بن أبى وقاص يستنجد عياضا على كسرى فانفذ له نجدة ثم فتح الله العراق على يد سعد وما جرى له من الحروب والوقائع نذكر من امره ما كان والله الموفق

(ذكر فتوح العراق)

قال حدثنا عبد الله بن محمد قال اخبرنا عبد الله بن جابر (قال الواقدى) رحمه الله قال اخبرنى من اثق به قال لما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص بالجيوش الى العراق ولم يزل سائرا حتى قدم أرض الرحبة واتصلت الاخبار بالنعمور بن ميسرة العبسى وكان يومئذ ملك العرب بعد اياس بن قبيصة النعمان بن المنذر ملك من قبل كسرى بن يزدشير فكتبا يعلمانه ان جيوش المسلمين قد اقبلت من المدينة وقد وجهها عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليك وقد عول على اخذ العراق فاستيقظ أيها الملك من غفلتك وانظر فى مصالح دولتك واعلم ان هذا الزمان الذى كنا نسمع به ولا نصدق ونكذب به ولا نحقق ولا نظن ان احدا يجسر

علينا ولا يصل بجيشه الينا حتى جاء الوقت المقدور وولى المدينة عمرو وهو صاحب الفتوح ومضجع الملوك بشر صبوح فقم على قدم الهم وسر الى اعدائك وتقدم وقد اعلمناك لتكون على بصيرة من الامر واياك ان تهمل الامر فرب صغير امر عاد كبيرا ويسير عاد عسيرا والحرب اوله شرر وآخره نار تسعر والسلام قال وبعثنا الكتاب مع نجاب فلما وصل به الى كسرى وقرئ عليه انتفض لذلك واهتز على سريره واحضر الاساورة والمراوزة والديلم والسهارجة وقرأ عليهم كتاب الملوك وقال لهم ماترون فى هذا الامر الذى قد وقفنا عليه واشرفنا من زماننا عليه واعلموا ان هؤلاء العرب قد اخرجهم الجدب والجهد بان ينظروا لهم مواضع يسكنون اليها وينزلون فيها وقد اذاقوا الروم شرا وأنزلوا بهم ضرا وملكوا المدائن واحتووا على الخزائن وكانت الروم قد اجتمعوا عن بكرة ابيهم وما كان منهم احد الا أتى الشام وتلاقوا فى الحرب بمكان يقال له اليرموك وهذه شرذمة من العرب قد سرحوا الى بلادكم وقد عولوا على ان ينزعوا الملك من ايديكم ولا ينفعكم الا ان تكشفوا عن ساق العزم وتتشحوا بوشاح الحزم وتذبوا عن اهلكم واموالكم واولادكم وحريمكم وبلادكم واعلموا ان العرب لهم الطمع وقد دخل فى قلوبهم ان يملكوا بلادكم وحصونكم ومتى رأوكم ناكلين عن قتالهم فشلين عن نوالهم مالوا عليكم ميلة الاسود على فرائسها فاحسموا مؤذيهم من اول يوم وقد قيل فى الاثار من نظر فى العواقب امن غائلة النوائب ثم انه فتح خزائن الاموال والخلع وخلع على الهرمزان وقدمه على خمسين ألفا وخلع على عطارد بن مهرود وقدمه على عشرين الفا وخلع على قارين بن همام وقدمه على عشرين ألفا وامرهم ان يضربوا خيامهم بارض زريدان ففعلوا ذلك وكتب من وقته الى خراسان وما وراء النهر يستفزهم وما معهم من الاجناد على قتال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلت الكتب اليهم اقبلوا يهرعون الى العراق كالجراد المنتشر وكان فى جملة القوم شهريان بن كاد والفرجان الاهوازى والهزيل بن جسوم وجاسر الهمدانى ومعهم أربعون فيلا ووفد الجانيوس بن قتاد

(قال الراوى) فلما اجتمعت الجيوش خرج كسرى يعرضهم بأرض شهرطاق وفراشة وكان راس جيشه مهرمان فاعرض الجيوش واذا هى مائة الف وخمسون الفا غير الاتباع وقدم الديلم والعجم وامامهم الفيلة وعقدوا على ظهورها الاسرة بثياب الديباج وعلى كل سرير أربعون رجلا مقاتلة وهم يضربون بالطبول والصنوج وفى خراطيمهم اعنى الفيلة السيوف ليقاتلوا بها وكان فيهم فيل اعور كانه الجبل العظيم وكان هو المقدم عليهم أى الفيلة حيث ماسار ساروا وراءه وان وقف وقفوا ومربوط وراء الفيلة عجل يحمل بيوت السلاح والاموال فلما عولوا على المسير عاد الملك اردشير الى ماذكر من المقدمين وقال اعلموا يا أهل فارس انكم مازلتم ملوكا وهيبتكم فى قلوب الترك والديلم والروم والجرامقة وذلك لما كنتم عادلين فى الرعية فادفعوا هؤلاء بالمال فان أبوا فدونكم والسيف وودعوه وساروا

(ذكر فتوح الخورنق وقتل النعمان بن المنذر وفتح الحيرة والقادسية)

قال رحمه الله حدثنا الحسن بن اسحاق قال اخبرنا سليمان بن عامر قال بلغنى ان سعد ابن أبى وقاص قدم العراق فى ثلاثين الف فارس من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واخلاط العرب ومامنهم من قدم العراق الا باهله وولده وماقدم أحد من ملوك الفرس الاعماله كله حتى يقاتلون بجد وعزم وبذلك وصاهم الملك كسرى قال وان سعدا ارتحل من الرحبة الى الحيرة البيضاء وكان هناك جيش النعمان بن المنذر وقد ضرب خيامه والسرادقات الى ظاهرها وقد اضاف اليه جميع العرب وهم من العراق فى ثمانين الفا وقد افاض عليهم النعمان النعم والخلع ووعدهم عن الملك كسرى بكل جميل وقال لهم ان هؤلاء عرب وانتم عرب وهلاك كل شئ من جنسه وهؤلاء مثلنا وليس لهم فضل علينا وقد جعلنا الا كاسرة مقدمى دولتهم حتى نكون لهم ركاوعلى اعدائهم عونا وليس لاصحاب محمد فخر يفتخرون به علينا لكن نحن لنا الفخر عليهم وهم يزعمون ان الله بعث فيهم نبيا وانزل عليهم كتابا يقال له القرآن ونحن لنا الانجيل وعيسى بن مريم وجميع الحواريين ولنا المذبح ولنا القسوس والناقوس والرهبان والشمامسة وعلى كل حال ديننا عتيق ودينهم محدث فاثبتوا عند اللقاء وكونوا عند ظن الملك كسرى بكم قال فبينما هو يقول ذلك اذ جاءه عمه الياس وهو صاحب الحرس فقال له أيها الملك ان اعداءنا قد انفذوا الينا رسولا فقال ائتنى به فاحضره وكان الرسول سعد بن أبى عبيد القارئ فلما وقف بين يدى النعمان صاح به الحجاب والغلمان الارض للملك فلم يلتفت اليهم وقال ان الله امرنا أن لا يسجد بعضنا لبعض ولعمرى ان هذه كانت العادة المعروفة فى الجاهلية قبل ان يبعث الله نبيه محمدا عليه السلام فلما بعث جعل تحيته السلام وكذا كانت الانبياء من قبله واما السلام فهو من اسماء الله تعالى وأما تحيتكم هذه فهى تحية جبابرة الملوك فقال النعمان لسنا من الجبابرة بل نحن اجل منكم لانكم توحدون فى دينكم وتقولون ان الله واحد وتجحدون ولده عيسى بن مريم فقال سعد اخبرنى عن عيسى بن مريم اكانت القدرة فيه حالة اوربانية وجرى بينهم كلام كثير قال فاعجب النعمان كلام سعد وقال له ياويح قومك ما الذى جئت به فقال ان الامير سعد ابن ابى وقاص وجهنى اليك اذ انت من العرب وصل اليك ما نقص عليك وهؤلاء القوم علوج ليس لهم شريعة يؤدونها ولا فريضة يتبعونها ونحن ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولكم مالنا وعليكم ما علينا فان ابيتم فادوا الجزية وان ابيتم الى ما دعونا كم اليه فاذنوا بحرب من الله ورسوله فلما سمع النعمان كلام سعد ضحك استهزاء بقوله وقال لقد حدثتكم أنفسكم بالاباطيل اظننتم ان الفرس مثل الروم لا وحق المسيح بل هؤلاء اثبت جنانا واشد طعانا واوسع ميدانا فليت شعرى من نفخ فى مماطكم وحسن الامل فى انفسكم حتى جئتم من قحط البلاد وتر ومون ملك الاساورة واخذ بلاد الا كاسرة ودونه حرب تصطفق اجرامه وتشب ضرامه وهذا الملك اردشير قد انفذ جيوشه وعساكره وكانكم بهم وقد اقبلوا فينالون منكم ما يؤملون وما حدثتكم به انفسكم تزيلونه من قلوبكم فقال سعد بن عبيد يانعمان لقد تشرفت بالباطل وتفوهت بكلام غير عاقل أما علمت ان العاقبة للمتقين والله

بكرمه يرفع عنا الباس و يظفرنا بجميع الناس وقال نبيه صلى الله عليه وسلم ستفتح على امتى كنوز كسرى وقيصر فما كنوز قيصر فقد فتحها الله علينا وقد بقيت كنوز صاحبك فقال النعمان من اين كان لصاحبك العلم ومن أين ورثه وقد بلغنا انه كان لا يكتب ولا يقرأ فقال سعد بصره الله بالعلم فى القدم وعلم ما كتب فى اللوح المحفوظ بالقلم فلما سمع النعمان كلام سعد قال له ياويح قومك ارجع الى قومك فليس عندنا جواب الا السيف قال فركب سعد وعاد فوجدهم قد نزلوا بالقريب فحدث سعد بما جرى له مع النعمان بن المنذر وما كان من جوابه فقال الامير سعد بن ابى وقاص ينشد شعرا

ساحمل فيهم حملة عربية * ولا انثنى والله عنهم بعسكرى
فاما ترى النعمان فى القيد موثقا * واما طريحا فى الدماء المعفر

ثم أمر الناس بالرحيل فرحلوا وسار والى ان اشرفوا على جيش النعمان قال فلما رأوا جيوش سعد أمر الناس بالركوب فتبادرت العرب الى خيولها فركبتها وجنبت الجنائب وضربت الكاسات وتبادرت الابطال ونشرت الاعلام فلما وصل سعد رضى الله عنه ولقى القوم قد اخذوا أهبتهم رتب جيشه وصفهم وألفهم وجعل فى الميمنة سعد بن عبيد القارى وفى الميسرة سعد العشيرة وفى الجناح الايمن سعد بن نجيبة وعلى الجناح الايسر سعد بن الاقيس الهلالى وأقام الامير سعد فى القلب ومعه أبو محجن الثقفى وزهيرة بن الحوية وشرحبيل بن كعب (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا أحمد بن عامر قال أخبرنا على بن مسهر عن ابان عن الحسن قال فلما استوت الصفوف وترتبت كل قبيلة جعل الامير سعد يتخلل الصفوف و يعظ من فيها من عرب بجيلة وطى وبنى هلال والنخع وغيرهم ويقول هذا يوم لا ترى بعده مثله أما بلغكم ما فعل اخوانكم بالشام لما تكاثرت عليهم جموع الشام فاستيقظ المسلمون بقول سعد وقالوا نحن نحمل عليهم بشدة العزائم ولعل الله ان ينصرنا عليهم فصاحوا بخيولهم فخرجت كالرياح العواصف ولم يزالوا فى القتال الشديد الى ان توسطت الشمس فى قبة الفلك وقد ثبتت أصحاب النعمان بن المنذر للضرب والطعان قال الراوى وان القعقاع ابن عمرو التميمى أو بشر بن ربيعة التميمى أحدهما التقى مع النعمان فى كبكبة من الخيل والازدهارات على رأسه فحمل القعقاع أو بشر على الكبكبة ففرقها وعلى الكتيبة فرقها ورمى النعمان بطعنة فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظرت جيوش الحيرة الى الملك النعمان مجندلا ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وغنم المسلمون رحالهم وأموالهم وباتوا فرحين وافتقدوا من قتل من المسلمين فكانوا خمسمائة وثلاثين غالبهم من أهل نخع وقد ختم الله لهم بالشهادة وفى ذلك قالت خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرط ترثى من قتل من المسلمين فقالت شعرا

فيا عين جودى بالدموع السواجم * فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم
فكم من حسام فى الحروب وذابل * وطرف كميت اللون صافى الدعائم

جزناعلى سعد وعمرو ومالك * وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم
هم فتية غر الوجوه اعزة * ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم

قال وان المسلمين جمعوا الاموال واحتوى سعد على قصر الخورنق والسرير وترك جميع ماأخذه بالحيرة وترك عنده سالم بن نعيم بن مسروق وترك عنده مائة من ابناء المهاجرين والانصار قال واما من انهزم من جموع النعمان بن المنذر وردوا على القادسية وعليها جنود الفرس مع رستم زاد بن اسفنديار ومعه شهريار بن كار والمزيل بن جسوم وحشرسوم الهمدانى والجناتيوس بن فتاك وشماهير بن جسوسا قال فلما رأوا المنهزمين من جيش النعمان ملك العرب سألوهم عن أمرهم فاخبروهم بقتل النعمان وأخذ الحيرة وقصر الخورنق والسرير وجميع مافيها قال فوقعت الشوشة فى عسكر الفرس وتمكن الخوف من قلوبهم وكثرت الاراجيف وأما رستم فانه جمع الملوك والاساورة وملوك الديلم فى خيمته وقام على سريره خطيبا فقال اعلموا ان الدولة بالسياسة والناموس بالرياسة وكانكم بالعرب وقد اشرفوا عليكم فاخرجوا واذهبوا اليهم واركبوا فخرجوا من عنده واخذوا أهبة الحرب فبينما هم كذلك واذا بعسكر سعد قد اشرف عليهم وهم على الخيل المضمرة العربية وعليها الفرسان الاسلامية والطائفة المحمدية فرتبوا الصفوف وجعل رستم ملوك الفرس عن يمينه وملوك الديلم عن يساره ووقف رستم فى القلب ودارت به الاساورة فبينما هم كذلك اذ بعث الامير سعد رسولا الى رستم وكان الرسول اباموسى الاشعرى فقصد القلب فلما رآه الحجاب أتوا اليه والترجمان معهم قالوا له ياعربى ما الذى تريد قال أنا رسول من صاحب الجيش فبلغوا رستم ماقاله أبوموسى الاشعرى فقال قولوا له مالك وصول الى المقدم ولكن افصح لنا عما تريد حتى نأتيك بجوابه قال فبلغه الترجمان ماقاله قال قل لهم ندعوكم الى الشهادة فان ابيتم الاسلام فتؤدوا الجزية فان ابيتم فالسيف اصدق شاهد وقد قال الله فى كتابه العزيز وكان حقا علينا نصر المؤمنين فبلغهم الترجمان ذلك ورجع أبوموسى الى سعد فلما جن الليل هرب من عسكر رستم جماعة والتجؤا الى عسكر المسلمين فلما اصبح رستم بلغه ان جماعة من عسكره هربوا الى عسكر المسلمين فبعث رسولا الى سعد يطلب منه ان يرد اليه الذى هرب من الاساورة والمرازبة فقال سعد انا قوم لانضيع زمامنا ولا ننقض عهدنا وقد أتوا الينا مستسلمين وفى صحبتنا راغبين فيجب علينا ان نذب عنهم ولا نمكن أحدا منهم فعاد الرسول الى رستم واعاد عليه الجواب فغضب وامر الجيوش بالزحف قال وكان الذى هرب الى جيش سعد شاور بن سليم ونسليك بن اكتم وضرار بن مكتال ومن تبعهم فلما رأوا العساكر قد أقبلت تريد المسلمين قال القعقاع أيها الامير قد تقدمت الاعداء والفيلة امامهم ولا مقام لخيل العرب عند رؤيتها وصياحها فقال سعد اخلصوا النيات وارضوا خالق الارض والسموات وارشقوا الفيلة بالنبل وقطعوا مشافيرها بالسيوف قال وكان امام الفيلة فيل عظيم كانه جبل وكان اذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وانما توجه كانوا وراءه قال فلما حملت الكتائب واضطربت المواكب

وجاءت الفيلة كأنها جبال وعلى ظهورها الابطال وقد أقبلت بالسيوف فى خراطيمها فقتلت من عسكر المسلمين ولم تثبت لها خيول المسلمين فرفع سعد بن أبى وقاص كفيه مبتهلا بالدعاء لرب الارض والسماء وقال ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال زهير بن الحوية فوالله لقد رأيت سعدا يدعو وعينى مع الفيلة واذا بالفيل الاعور قد ولى يريد المدائن والفيلة بأجمعها والرجال لا يقدرون على ردها وهى سائرة على وجوهها وكفى الله المؤمنين القتال من الفيلة قال فلما ولت الفيلة غضب رستم واقبل بعموده الذى من الذهب يضرب به وجوه الفيلة ويلطم بفارسيته ويحرض قومه على القتال وهم يحملون خوفا منه وهو يطلب من هرب من جيشه والخيل امامه منهزمة والمسلمون لا يتبعون المنهزمين ووقفوا مواقفهم وقد طابت قلوبهم بمعاملة الله فطعنوا فى صدور الاعداء وقد اطلع الحق على قلوبهم فما وجد فيها غيره فبينما الامير سعد يحرض على القتال اذا التقاه الاسود العبسى وهو طائش العقل ذاهل اللب فقال له ما وراءك يا ابن قيس فقال أيها الامير اياك ان تعبر هذا الصف فان فيه الموت الاحمر والضيغم القسور وهو جبار من الفرس وقد قتل من المسلمين أربعة ولقد قاتلته حتى كاد ان يأتى على ولولا ان من الله على بخالد بن جعفر بن قرط لكان قتلنى لان فيه شجاعة وبراعة فقال له سعد يا مسكين واين المفر من المقدور وقد قدر الله الاقدار اما سمعت قول الملك الجبار أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ودخل الصف الذى ذكره الاسود واذا قد لقيه خالد بن جعفر ولونه قد تغير فقال له ما وراءك يا ابن جعفر فقال الثعبان الاغبر والاسد الغضنفر أيها الامير ارجع عن هذا الفارس فانه علج عنيد وفى يده عمود من الذهب يورث به خصمه العطب وقد قتل الاقران واباد الشجعان وقد كاد ان يقضى على لولا سعد العشيرة أدركنى لكان اهلكنى فلما سمع سعد ذلك عظم عليه وقصد مكانه يريد ان يفدى الناس بنفسه وبروحه ويبذل فى سبيل الله مهجته وهو يخترق الصفوف فلقى سعد العشيرة فقال له ما وراءك يا ابن لؤى قال وراءى جبار لا يقابل وبطل لا ينازل ولولا بشر بن ربيعة لسقانى من عموده كاس القطيعة فلما سمع قوله قصد نحوه فوجد بشرا مصفر اللون فقال له ما وراءك يا ابن ربيعة فقال ما قصر القعقاع انى لولاه لكنت من الهول على غرر فسار سعد على طريق بشر وقد سلك سبيل توفيقه فلقى القعقاع وهو يفرق الكتائب ويصدم المواكب فقال له لله درك يا ابن عمرو وابن فارس الروم وكيف خلص من يدك فقال أيها الامير لولا انه دخل الصفوف لسقيته كاس الحتوف وغاص فى وسط الخيل ولم ابلغ منه النيل (قال الواقدى) رحمه الله ولم يزل القتال بين المسلمين والكفار الى ان فرق الليل بينهم فرجعت كل طائفة الى مكانها فلما رجع رستم الى سرادقه بعث غلمانه الى مقدمى عسكره فحضروا فقال لهم لقد خذلتم وأنزلت بكم النار والبوار فما الذى خذلكم وأى شئ شغلكم ونزل بكم وانتم اولوا البأس الشديد والامر العتيد وهؤلاء قوم كالانعام بهم ولا تحدثنا أنفسنا عنهم بامر وقد خذلوا فرسانكم وأوردوهم موارد الهلاك وقتلوا منكم الصناديد فبأى

وجه ترجعون الى المدائن وبم تحتجون عند الملك يزدشير وانى أرى دولتكم قد انصرمت وايامكم قد انقضت فقالوا أيها السيد لقد بلينا بقوم لا يرهبون الموت ولا يجزعون من الفوت وكلما طعنا صدورهم تقدموا وكلما قتلنا جموعهم صدموا فقال رستم ما أرى من الرأى الا اننا نصف الليل نكبسهم فلعلنا نظفر بهم ويكون لنا عند الملك اليد البيضاء فاستصوبوا رأيه وافترقوا لاجل ان يصلحوا شأنهم (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا عامر بن سويد قال لما رجعنا من قتال العدو الى خيمة سعد فرأيناه جالسا على التراب فلما رآنا قال مرحبا بقوم هجروا الدنيا وطلبوا العقبى كيف كان يومكم قلنا لقد شفينا نفوسنا من الاعداء ونصرنا شرع نبينا المصطفى ولقد رميت منا رجال كثيرة من المسلسلة ونشابهم فقال سعد جمعوا الى العسكر جميعه وامروا غلمانكم ان يجمعوا الشيح والقيصوم فانى أريد أمرا ارجو لكم به النجاة من الله قال ففعل القوم ذلك فقال للموالى اجعلوا ما جئتم به من الشيح والقيصوم على ظهور الابل ووجوها نحو المسلسلة فاذا قربتم منها اضرموا النار فى ظهور الابل والذعوها باسنة الرماح حتى تدوسهم ونحن من ورائكم بسيوفنا قال ففعلوا ذلك فلما أتى الليل تقدموا امام العسكر بالاموال والموالى من ورائهم الى ان قربوا من المسلسلة واطلقوا النار فى الشيح ولذعوها بالاسنة فلما رأت الجمال ما على ظهورها من النار وبما حل بها من الاسنة داست صفوف المسلسلة دوس الحصيد وحطمتها على وجه الصعيد وركب الامير سعد مع الجيش ووضعوا السيف فيمن بقى من المسلسلة فبينما هم كذلك واذا بعساكر الفرس قد أتوا وارتفع الضجيج وعلا العجيج وسميت تلك الليلة بليلة الهديرة ولم يزالوا فى القتال الى الصباح قال وسمعت قائلا يقول كفينا كم فقلت من أنتم فقالوا نحن من خزيمة النخع ولم يزالوا يقاتلون حتى والله ما بقى منهم أحد ولا بقى لهم نسل قال فلما طلعت الشمس ركب رستم بن اسفنديار وركب جيشه عن آخرهم ووقفوا باجمعهم فاستقبلتهم الموحدون وسعد يتخلل الصفوف ويعظهم ويوصيهم أى الامراء وكان فى الليل قد طاف على العسكر فرأى أبا محجن الثقفى يشرب الخمر فقال له يا عدو نفسه لقد محوت أجر جهادك وعبادتك والله لاخذن منك حق الله وجلده الحد وقيده (قال الواقدى) رحمه الله اخبرنا يوسف بن عمر قال الاسدى عن طلحة ومحمد قالوا ان اول من فتح الحرب رستم وطلب البراز فخرج اليه بن نجيبة فقتله فخرج زهير فقتله فاراد القعقاع ان يخرج واذا بفارس قد أقبل الى رستم وهو كالريح فى هبوبها فصاح برستم صيحة ادهشه وطعنه فى خاصرته اطلع السنان من الخاصرة الاخرى فنظر اليه سعد فاذا هو أبو محجن فلما رأى أبا محجن وقد صنع ذلك برستم فقال للمتوكل عليه سألتك بالله ان تتركه قال الواقدى رحمه الله تعالى حدثنا يوسف بن عبد الاعلى قال حدثنا عمر بن ابراهيم عن عبد الله بن المبارك قال لما نزل سعد بن أبى وقاص على القادسية وقاتل عسكر الفرس وانهزمت الفيلة الى المدائن وكان سعد رضى الله عنه يتنكر فى الليل ويمشى فى عسكره فمر فى بعض الليالى برجال من ثقيف فوجد أبا محجن وهو يشرب ويترنم على خمرته فلما رآه غضب وقال له لقد ذهب اجرك ونقص

قدرك بعد جهادك للكافرين تتعرض لغضب رب العالمين اترضى لنفسك بذلك ثم انه حده وقيده وجعل عليه من يحفظه فلما كان من الغد ووقع الزحف وبرز فارس العجم وكان منه ما ذكرناه عاد الى القيد فلما اقتل رستم بشاهدة الناس أتى اليه سعد ليعلم حقيقة الامر فوجده فى القيد فقال له يا أبا محجن أنت صاحب الفضيلة فقال الفضل لله ولرسوله فاقسم عليه فحدثه بحديثه فقال له اذا كان هذا صنيعك اذهب فقد عفوت عنك ومن عاد فينتقم الله منه فقال ابو محجن والله ماعدت اشربها ابدا وتاب (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا زائدة عن جده مروان بن اوس قال كنت بالقادسية وشهدت فتحها لما قتل رستم وولده بحز شير وولت الفرس على عقبها لا يلتفت أحدهم الى ماوراءه من الاموال والاصحاب ومالهم قصد الا السلامة لانفسهم وأتى نساء المسلمين ومعهم الماء فداروا بين القتلى والجرحى فمن وجدوه من المسلمين فيه ارمق بسقينه الماء وينضحن على وجهه وينقلن من قتل من العرب الى العرب ويتركن رمم الفرس (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا سليمان بن بشر عن أم كثير امرأة همام بن الحارث قالت شهدت القادسية مع سعد فلما نزل النصر وانهزمت الفرس شددنا ثيابنا وأخذنا الماء وابتغينا القتلى فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ومن كان من المشركين أخذنا ماعليه حدثنا الحارث عن من ادرك ذلك قال لم يكن من قبائل العرب أكثر نساء من نساء بجيلة والنخع وكانوا الف وسبعمائة امرأة قال واخذت المسلمون عدة لم يرون مثلها وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد وسفيان بن سليم والملب بن غزوان والقادح ابن عنبسة ونعمان بن نعيم واربعون رجلا من المهاجرين والانصار وسنذكر من قتل ممن كانوا يقرؤن القرآن اذا جن الليل كدوى النحل قال واخذ المسلمون من الاموال مالم ير مثله ولما كان بعد الفتح بيوم جاءت النجدة التى بعثها عياض بن غنم من أرض الموصل وجاء من شهد الفتوحات بالشام مع عامر بن الجراح وكان الذين قدموا سبعمائة فلما وصلوا الى عين التمر استعجل للنصرة فترك الجيش وسار فى سبعين فارسا واتت بقية السبعمائة بعد ذلك وكان معه قيس بن يغوث وقيس بن أبى حازم وسعيد بن نذار ومالك الاشتر النخعى فتقدم هاشم وقيس معه فى السبعين (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا ابراهيم بن بشار قال اخبرنا محمد بن على عن سليمان بن ارقم ان عدة القتلى بالقادسية تسعة وثمانون رجلا وكان المشهور منهم قيس وعطارد وهشام ومدعور ومقرب الاسود وعمرو بن قيس والنعمان (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه وبلغنا عن رجل من تميم عن امرأة منهم قالت شهدت القادسية وصح للنساء لكل منهن ثلاثة وثلاثون مثقالا من العنبر ومثلها مسك وأما الكافور فما كانعباأ به الامن عرفه وكانت العرب تقول للسوقة هل لكم من ملح طيب وكانوا يعطون كيل كافور بكيل ملح وان رجلا من العساكر عجن عجينا وجعل فيه من الكافور وجعل يذوقه بعد خبزه ويقول مال هذا الملح لا يطعم فى العجين وان رجلا ممن له خبر بالملح قال اعطيكم جراب ملح يطعم طعمه قال فاخذوه واعطوه مل جرابه كافورا قال وان سعد الما هزم

الله العدو على يديه جمع الاموال كلها وكان الذى يقبض الاموال سليمان بن ربيعة قال فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عامله بالعراق سعد ابن أبى وقاص الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب اما بعد سلام عليك وانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانا وصلنا الى العراق والتوفيق يقدمنا والنصر يؤيدنا وقد اطلع الله على قلوبنا وامتحن خفى اسرارنا فما وجد فيها سواه ولا يعبد الا اياه فوفى لنا بوعده اذ وفينا بصادق عهده فلقينا العدو وهو شاك السلاح وغير راجع عن الطماح وقد شمرنا عن ساق الجد فدارت لنا عليه الدوائر فهزمنا كتائبه وزلزلنا مواكبهم واستأصلنا ساقتهم وقتلنا مقدمهم فجرى بذلك سابق المقدر واخذناهم أخذ عزيز مقتدر وملكنا الحيرة والقادسية وأنزل الله باعدائنا الرزية فلما كان بعد الفتح بيوم قدم المرقال وهشام وسبعون رجلا من الصحابة وبعده بثلاثة ايام قدم سبعمائة من الشام من جند أبى عبيدة ولم اسلم لاحد شيئا من الغنيمة ونحن ننتظر أمرك فى ذلك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وسلم الكتاب الى زيد بن عمرو فركب نجيبه وسار نحو المدينة قال اخبرنا احمد بن عمرو قال حدثنى سابق بن مسلم قال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يركب فى كل يوم نجيبه ويقصد طريق العراق الى قريب الظهر وذلك لما بلغه ان رستم نزل على القادسية قال فخرج على عادته اذ لقيه البشير وهو نوفل فلما رآه نوفل ابرك ناقته وسلم على امير المؤمنين وقال له ابشر بكل خير ودفع اليه كتاب سعد وهو يقول قد هزم الله العدو ونصر الموحدين وملكنا الحيرة والقادسية ومشى هو واياه وهو يخبره بما كان الى ان دخلوا المسجد وهرع الناس اليهم الى ان غص المسجد بهم فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب سعد وقال الا وان اخوانكم المسلمين يقرؤنكم السلام وقد اتبعوا الكتاب والسنة وتحادوا عن طريق البدعة واقاموا على شرائع الهدى وأرادوا المشورة فيمن قدم عليهم فاما الجواب فالغنيمة لمن شهد الوقعة والمواساة لمن لحق بهم بعد الوقعة بثلاثة أيام ونزل عن المنبر وكتب الى سعد بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد وصلنى كتابك فحمدت الله كثيرا بما فتح الله على أيديكم وانى قد ابليت بكم وابليتم بى وانى والله لا احصى شيئا من أموركم فاعلمه واما اذا اجتمع صلح فاذا اشفق الوالى ونصحت الرعية فعلى الوالى العدل والاحسان وعلى الرعية الصبر والشكر واما الغنيمة فلمن شهد الوقعة والمواساة لمن أتى بعد ثلاثة أيام ومن شهد حربكم من مملوك وعتيق بعد ثلاثة أيام فاشركوه والزموا الاحسان فيما فتح الله عليكم وختم الكتاب وسلمه للرسول فسار يجد السير الى ان أتى سعدا ودفع اليه الكتاب فلما قرأه كتب اليه بعد البسملة يعلمه بما تجدد اما بعد يا أمير المؤمنين فانى لم أر فارسا مثل القعقاع ابن عمرو التميمى فانه حمل فى العدو فى يوم واحد ثلاثين حملة يقتل فى كل حملة فارسا ولم ار فارسا مثل الحارث المنذرى فانه كان يحمل فى المواكب فيقصم عروقها وارسل الكتاب الثانى

والخمس مع سعد قال و وصل المنهزمون من الفرس الى المدائن ودخلوا الايوان وحدثوا كسرى بما جرى وبقتل رستم وولده فاغتم لذلك وايقن ان دولة الفرس قد انقرضت وانصرمت فاحتجب ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع مات لانه حمل على قلبه فقام بعده ولده يزدجرد ولم يكن له غيره قال حدثنا عبد الله بن مروان قال حدثنا نعيم عن جده وكان احفظ الناس بالفتوح قال لما وجه كسرى بن ازدشير رستم الى قتال سعد انفذ معه نصف بيت ماله وهى ستمائة الف الف الى المصاف فلما صفت الصفوف وضعها امام الجيش وقال كل من قتل فارسا كان له كذا وكذا ومن قتل رجلا له كذا وكذا فصار ذلك كله الى المسلمين فارسل الخمس مع سعد وهو مال كثير لا يحصى عدده لكثرته فلما وصل المال الى عمر بن الخطاب بكى وقال اف لمن يغتر بالدنيا أو يميل اليها ثم قرا قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوالله لم يلتمس منه قليلا ولا كثيرا ولا درهما ولا دينارا فقالت له حفصة يا أمير المؤمنين لو وقفت بنفسك واكلت طعاما اطيب من طعامك ولبست ثوبا اميز من ثوبك فقد فتحت لك الفتوح وأتت لك الاموال فتمعر وجهه غضبا وقال لها ناشدتك الله اخبريني عن افضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت مال المسلمين قالت ثوبان كان يلبسهما يوم الوفد ويخطب فيهما يوم الجمعة والعيدين فقال أى طعام كان يأكل عندكن قالت خبز الشعير وكان عندنا فى اسفل عكة دسم فان تظاهر طعمه فيها يقول قد زدتن فى الدسم قال فاى بساط كان يبسطه عندكن قالت كان لنا كساء نجعله فى الصيف تحتنا وفى الشتاء نفرش نصفه ونلتحف بنصفه فقال يا حفصة ان مثلى ومثل صاحبى كثلاثة نفر تتابعوا طريقا فمضى الاول وقد تزود زادا فبلغ ثم تبعه الثانى فسلك طريقه فمضى اليه ثم تبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما كان معهما وان سلك غير طريقهما لم يجتمع معهما أبدا

❁(ذكر فتح نهشير)❁

(قال الواقدى) رحمه الله وان عمر رضى الله عنه بعث الى سعد بأن يمضى الى المدائن وان يخلف النساء والاولاد فى الحيرة وعندهم من الجند جماعة وتجعل لهم شركة فى كل مغنم وكان مقام سعد بعد الفتح بالقادسية شهرين فلما استهل الشهر الثالث انفذ على مقدمته زهير بن الحويرية واتبعه بعبد الله وشرحبيل بن السمط واتبعهم بهاشم بن عتبة وخالد بن عرفجة صاحب الساقة وقسم الجيش معهم وقد غنموا ما كان فى عسكر الفرس من مال وسلاح وكراع وكان رحيلهم من القادسية الى بضع ايام مضين من شهر شوال قال ونزل زهير بالكوفة بمن معه ولحق به عبد الله وشرحبيل ومن معه وتتابعت الجيوش وارتحل زهير وسار الى بالس ونزل عليها واذا باناس من أهل السواد اتوا اليه وطلبوا منه امانا فاعطاهم وقال لهم ما عندكم من خبر العدو فقالوا أيها الامير استعمل الحذر جليا والتيقظ بابا واعلم ان رجلا من المرازبة قد ضمن لكسرى لقاءكم وردكم ومعه عسكر جرار فقال زهير ابعد الله شره وجعل كيده فى نحره فبينما هو كذلك اذ اشرفت

عليهم طلائع القوم وتباينت لهم البيارق والازدهارات فركب زهير الى لقائهم ورتب أصحابه الى الحرب وهو يقول ان ينصركم الله فلا غالب لكم (قال الواقدى) رحمه الله ولما اشرفت الكتائب اطلقوا السنتهم بذكر الله وتسارعوا اليهم فاوسعوا لهم فى الميدان وتقدمت الصناديد وتأخرت الرعاديد وضج المسلمون بالتكبير وطعنوهم فى صدورهم ونحورهم واذا قد وقعت عين زهير على فارسهم العميد وبطلهم الشديد فقصده دون غيره وتطاعنا وتضاربا وتقاربا وتباعدا ثم ان زهيرا أرماه بطعنة فى صدره اخرج السنان من ظهره فخر الى الارض صريعا فلما رأوه ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان فيهم رجل من أكابرهم ذو عقل سديد ورأى رشيد فلما رأى ماحل بقومه أتى الى زهير طائعا مختارا واعتقب له منه صلحا فاعطاه امانا وسأله عن خبر جيوش كسرى فقال يا سيد قومه اعلم ان أكابر من انهزم منهم بالقادسية قد اجتمعوا وهم النهرجان والمهراق الدارى والهرمزان فقال لهم القيروان بأى وجه تعودون لملك كسرى وقد اعطاكم الوظائف والاعطاآت والولايات فاقيموا هنا حتى تبيض وجوهنا عنده أو نهلك عن آخرنا قال فلما سمع زهير وعبد الله وشرحبيل وهاشم وخالد انتظر واسعدا حتى اتى واعلموه فقال استعينوا بالله وتوكلوا عليه وكانوا قد ملكوا الجسر فعبروا عليه وعدوا الى الجانب الآخر واشرفوا على جموع القوم فوقعت فى الفرس الاراجيف وتمكن الخوف من قلوبهم وكلما عين الهرمزان والقيروان جيشهما وصفا صفا انتقض بغيره فعلم ان ما فيهم خير وما كانت الا ساعة حتى فرق الله جموعهم وبدد شملهم وانطلقوا على وجوههم فمضى الهرمزان الى الاهواز وكانت كنوز كسرى فى جبل ظاهر الاهواز وكان عليها عقد مانهاوند فلما بلغه هزيمة العسكر نهبها واما النهرجان ومهراق فانهما قصدا المدائن وعبروا نهرشير وهى مدينة الذنب قال فلما وصلوا بالعدوة القصوى وقطعوا الجسر قصدوا الايوان ويزدجرد هناك فدخلوا عليه وحدثوه بما جرى لهم مع العرب فلما سمع ذلك ايقن بزوال ملكه فلما كان الليل عول على ان ينفذ امواله وذخائره الى نهاوند وتهيأ للحرب واما زهير فانه سار فى اثر القوم حتى جاوز سوار ونزل وأتى بعده هشام والمرقال ونزلا عنده حتى تكامل الجيش ونزل سعد بن أبى وقاص وارتحلوا الى كوثاريا واشرفوا عليها فلما رأى الفرس عسكر المسلمين قد اشرف عليهم اخذوا اهبة القتال وتهيؤا ومقدمهم شهريار فلما وصل اليهم زهير ورآه شهريار وقع الرعب فى قلوب اصحابه وماج بعضهم فى بعض ولولا خوفهم من شهريار لولوا الادبار ورتب زهير اصحابه فلما استوت الصفوف خرج شهريار للبراز وعليه زى الملوك الا كاسرة وقال انا شهريار فهل يبرز الى فارس لفارس او اربعة لفارس أو عشرة لفارس فلما سمع زهير قال والله لقد اردت برازك غير انى لا ادع احدا يخرج اليك الا عبدا فان قتلته فتكون قد قتلت عبدا وان قتلك فهو المراد ثم انه دعا مولاه ابا نباتة الاعوجى فقال له دونك وهذا العلج واستعن عليه بالله فخرج اليه ابو نباتة فلما وصل اليه ونظره استحقره لان شهريار كان مثل البعير فالقى نفسه على ابى نباتة وقد جرد سيفه فلما رآه أبو نباتة قد وصل اليه صادمه كانه اسد وتضاربا بالسيوف حتى تكسرت

فرمياها وتقابضا حتى سقطا الى الارض فوقع شهريار بابى نباتة وهو يراوغه فوقعت أبهام شهريار فى فم أبى نباتة فقطعها فارتخت اعضاؤه فانفلت وانقلب عليه فصار فوقه وجرد خنجره وطعنه به فى نحره فقضى فأخذ تاجه وسواريه وسلبه وفرسه وعدته وتوجه بهم الى المسلمين فلما نظر جيشه ماحل به ولوا الادبار واقام زهير هنالك الى الصباح واقبل بقية جيش الموحدين فحدث زهير سعدا بما جرى لمولاه مع شهريار وكيف انهزم الفرس ففرح سعد بذلك وامر ان يحضر أبا نباتة فاحضره فقال سعد عزمت عليك الا لبست سواريه ودرعه وتاجه وركبت جواده قال ففعل فاعطاه السلب جميعه وقال له قد افلحت فكان أول مسلم سور بالعراق (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا نوفل بن عدى قال اخبرنا وائل بن غانم اليشكرى قال لما قدم سعد الى كوثاريا نزل فى المكان الذى سجن فيه ابراهيم الخليل عليه السلام فصلى فيه وحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقرأ وتلك الايام نداولها بين الناس الآية قال وأقام سعد بمشهد كوثاريا اياما ثم دعا الناس اليه وقال لهم اعلموا ان الله تعالى قد نصركم فى مواطن كثيرة وقد اراكم ما وعدكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لما قال ستفتح على امتى كنوز كسرى وقيصر وقد ملكتم طرفا من كنوز كسرى والتمام على الله وقد عولت على العبور الى المدائن التى من الجانب الغربى فقالوا جميعهم ايها الامير ما منا من يخالف ولا يبخل بنفسه على الله ورسوله فاعزم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فلما سمع قولهم قدم زهيرا برايته وجيشه وأمره ان يسير فسار فى اثنى عشر ألف فارس فما سار غير قليل اذ رآى بين يديه خيلا وعليها فوارس فاخذوا اهبتهم فاذا هم زهاء عن مائتين فارس من الفرس فارسلوا منهم فارسا يعلم المسلمين انهم أهل ساباط ومقدمهم يقال له سرزاد وهو يطلب لاهل بلده صلحا وعهدا فقال له زهير ائتنى به فلما قربوا منهم ترجلوا وأتوا المسلمين فتلقوهم بالبشر والسرور فقال لهم زهير من أنتم قالوا نحن أهل ساباط وهذا مقدمنا وقد اقبلنا نطلب صلحكم فقال زهير من قصدنا قبلناه ومن أراد صلحنا صالحناه ولسنا قوما نريد الفساد فى الارض ثم امضى صلحهم على ما وقع عليه الاتفاق بينهم قال وانطلق سرزاد الى قومه ومعه جماعة فرحين بالصلح ولما نزل زهير فى نهمشير وجد كتائب الفرس وعليهم مقدم يقال له فيروز وهو فارس قومه ومعهم كبكبة كسرى الذى يعتمد عليها فى وقت شدته قال واجتمعت جيوش الموحدين عند زهير مع سعد وتأهبوا للقتال قال الواقدى رحمه الله فلما ترتبت الصفوف كان اول من برز واشتهر وسمى وافتخر فيروز وزمجر بالفارسية وقال يا هؤلاء العرب لقد أطمعتم أنفسكم فيما لا تصلون اليه وساءت ظنونكم وزعمتم انكم تملكون العراق وتأخذونه من ايدى الاكاسرة وهذا ظن لا يصير أبدا ونحن كتيبة كسرى ألو الشدة والباس والقوة والمراس وانا عقيدتهم والرئيس فيهم فليبرز الى مقدمكم ويفعل مثل ما فعلت انا من بين قومى قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه هاشم بن المرقال بحرقناته

من ورائه وحمل عليه وحصل بينهما حرب يشيب منه الطفل ثم ان هاشما طعنه فى صدره اطلع
السنان من ظهره قال فلما قتله هاشم ورجع الى المسلمين قبله سعد بين عينيه فترجل هاشم
وقبل رجل سعد وقرأ اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال قال وارتحلوا فى اثرهم
الى ان نزلوا نهمشير و بقى كلما اقبلت قبيلة تكبر وتنزل الى ان احاطوا بها من كل جهة
فاظهر القوم الزينة والسلاح والعدد والمجانيق وهم على الاسوار (قال الواقدى) رحمه الله
وأقام سعد على نهمشير شهرين وبعث خيله للغارات على شط الفرات والدجلة فاتوا ومعهم ألف
فلاح فضمهم الى سرزاد مقدم ساباط حتى يأتيه الجواب فيهم من عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ورجعوا الى مقرهم فكتب سعد الى أمير المؤمنين يقول بعد البسملة اما بعد سلام عليك
ورحمة الله وبركاته فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه واننا نزلنا على نهمشير
بعد ما لقينا فيما بين القادسية ونهمشير عسكرا مع قرط بن فيروز وظفرنا الله به وبمن معه
وان فيروز قتله هاشم وانهزم من بقى معه ونزلنا بعد ذلك على نهمشير وبثثنا عساكرنا
فاصابوا من الفلاحين الف نفر فما رأيك فيهم فاجابه ان من اتاكم من الفلاحين اذا كانوا
مقيمين على عهدكم ولم يعينوا عليكم عدوكم فهو امانهم ومن لم يأتكم وهرب منكم وادركتموه
فشأنكم واياه افعلوا فيه ما شئتم فلما جاء الكتاب خلى سبيلهم وارسل وراء الدهاقين فدعاهم
الى الاسلام او الجزية فاجابوا الى اداء الجزية قال واما أهل مدينة نهمشير شرعوا يرمون
عسكر المسلمين بالسهام والحجارة والمجانيق فلما نظر سعد الى ذلك دعا سرزاد وقال له ان أهل
هذا البلد لم يتركوا للصلح موضعا واريد منكم ان تصنعوا لنا مجانيق ففعل سرزاد وعمل
مجانيق فما مضت ثلاثة أيام حتى صنع له ذلك ونصب له على نهمشير أكثر من عشرين
منجنيقا فاشغلوهم بها عن قتال المسلمين والعرب فرحت بذلك فلما طال على البلد الحصار
خرجوا يقاتلون المسلمين وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وترامت الفرس
بنشابها والعرب بنبالها وقاتل زهير بن الحويرية قتالا يرضى الله ورسوله ثم ان زهيرا قال
لسعد دعنى اتقدم لعلى ارمى بنبلة او اضرب بسيفى هذا ضربة وتقدم ودخل العدو فالتقى
بفارس اسمه شهريار فحمل عليه وطعنه طعنة اخرج بها امعاءه وقتله فاجتمعت عليه الاعاجم
فقتلوه وانهزموا ودخلوا المدينة واغلقوا الابواب وصعدوا على الاسوار وبعدها اشرف
علينا رجل منهم وقال ان الملك يقول لكم هل لكم فى الصلح على ان لنا ما بين دجلة الى هنا
ولكم ما يأتيكم من دجلة الى جبلكم فتقدم اليه ابو مقرة الاسود بن قطينة وقد انطقه الله
بما لا يدرى ما هو فاجابه بالفارسية وهو لا يعرف منها شيئا ولا يحسنها قال فرجع الرجل على
السور فقلنا لابى مقرة ما قلت له فقال والذى بعث محمدا بالحق ما ادرى ما قلت له الا ان الله
انطقنى بشئ ولعل ان يكون فيه خير للمسلمين ولا زالوا يسألونه حتى سأله سعد بن أبى وقاص
فقال والله يا امير ما اعلم ولا ادرى فتعجب سعد من ذلك وأمر الناس بالزحف والرمى ولا

أحد من اهل المدينة يظهر لهم ولا يبان فقلنا لعل ان يكونوا يكيدون بمكيدة واذا نحن في اليوم الثاني برجل قد خرج الينا وهو ينادي الامان الامان فامناه واتينا به الى الامير سعد فقال له ما الخبر قال ان القوم ليسوا في المدينة وقد هربوا فقال سعد ومن أي شئ هربوا فقال الرجل ان الملك بعث اليكم رسولا يعرض عليكم الصلح فاجبتم انه لم يكن بينكم وبيننا صلح أبدا حتى نأكل عسل افريذ بأنوح كوثا فلما بلغته هذه الكلمات منكم قال واويلاه ان الملائكة تتكلم على ألسنتهم وترد علينا وتجيبنا عن العرب ووالله لئن لم يكن كذلك والا فهو انما هو شئ ألقي على فم هذا الرجل فابرزوا الى القصوى فخرجوا من البلد وقد تركوا المتاع والاموال والرجال ولم يكن لهم غنيمة الا أنفسهم قال فلما سمع سعد ذلك من الرجل سجد لله شكرا وامر المسلمين ان يدخلوا المدينة بالعدد خوفا من الكمين ففعلوا وركب سعد وتقدم المجاهدون ودخلوا وداروا البلد فلم يجدوا فيها نافخ نار أحدا من الفرس ووجدوا الاموال على حالها فاحتووا عليها وأقام سعد بها ثلاثة أيام وخرج الى الشط وأراد ان يعبر بالناس الى المدينة القصوى وهي اسبانير فلم يجد شيئا من السفن فأقام اياما من شهر صفر والناس يحرضونه على العبور الى ذلك الجانب وهو يأبى اشفاقا بالمسلمين فبينما هو كذلك اذ جاءه أعلاج فوقفوا بين يديه ودلوه على مخاضة تخاض فأبى

(ذكر فتوح الايوان ودخول المسلمين في الدجلة وفتوح اسبانير وهي المدينة القصوى)

فلما دلوه على المخاضة ابى وقال بحر عميق وما كنت اغرر بالمسلمين والله يصنع لهم ما يشاء فبينما هو كذلك اذ اتوه بعلج وأثوابه تقطر بالماء فسأله سعد عن حاله فقال كيف حالي والملك قد رأى في منامه ان المسلمين قد عبرت اليه وقد استشعر بزوال ملكه وهو معول على الهرب وان يأخذ أمواله ويمضي الى خراسان قال فلما سمع سعد ذلك جمع المسلمين وحمد الله واثنى عليه وقال أيها الناس ان عدوكم قد استعصم منكم بهذه السفن وكسرى قد عول على الهرب بأمواله ورجاله واني قد عولت على العبور ان شاء الله تعالى واعلموا انه ليس وراءكم من تخافونه لان الله قد ملككم معاقلهم وبلادهم وقد رأيت من الرأي ان نقطع هذا البحر اليهم ونقدم عليهم فما أنتم قائلون قالوا جميعا قوى الله عزمك على الرشد فافعل ما أراد الله به فعندها قال سعد رحمكم الله ونصركم أيكم يبتدئ او يتقدم ويجس لنا المخاضة وينبش عليها من على الشط حتى تتلاحق به الناس فابتدر لها عاصم بن عمرو وانتدب معه ستمائة من أهل النخوات ممن شاع ذكرهم وعلت شدتهم وسار عاصم امامهم حتى وقف على الشط ومعه كتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو رضي الله عنهم (قال الواقدي) رحمه الله حدثنا يوسف بن عبد الاعلى عن يوسف بن عمرو قال ابتدر عاصم وشرحبيل وأبو مقرن ومالك بن كعب الهمداني ومثل هؤلاء السادات وركبوا خيولهم واقتحموا الدجلة واقتحم بعدهم الستون والستمائة في أثرهم وأول من نزل في الماء عاصم بن ولاد وأبو مقرن

وشرحبيل ومالك بن كعب وغلام من بني الحارث فلما رأتهم الاعاجم وقد قربوا منهم وأعدوا للخيل التي تقدمت خيلاتهم فاقتحموا الماء فاول من لقيهم من جيش سعد عاصم بن عمرو فلما التقى خيل فارس في الماء صاح باصحابه وقال شرعوا رماحكم الى الاعلاج واقصدوا اعينهم فلما سمعوا كلام عاصم قصدوا عيون الاعداء وسقوهم كاسات الرداء فلما رأت الفرس ثبات العرب في الماء كثباتهم في الارض للطعن والضرب ولوا الادبار والمسلمون في أثرهم فقتلوا غالبهم ومانجى الى الشط الا القليل وملك المسلمون جانب الشط من جهة الفرس وتلاحق المسلمون فلما علم سعد ذلك اذن للمسلمين بالاقتحام وقال لهم استعينوا بالله وتلاحق الجند ونزلوا الدجلة وهي ترمي بالموج والناس يجهدون في عومهم وهم لا يكترثون بالموج ولا بتلاطمه وكانهم على وجه الارض ونزل باهل فارس مالم يكن في حسابهم وقاتلوا قتالا شديدا (قال الواقدي) رحمه الله تعالى حدثني من اثق به ان أول من عبر من الجيش ستون فارسا خرجوا زمرا فاول زمرة تسعة اولهم عاصم والزمرة الثانية عشرة والثالثة ثلاث وثلاثون قال عاصم بن عمرو وقد اقتحمنا الدجلة خيلا ورجالا ودواب حتى نزلنا ولا نرى الماء من كثرة الناس وخرجت خيلنا وهي تنفض معارفها وتصهل على الشط فلما امن الله قال ولما رأى الملك كسرى ان المسلمين قد عدلوا الى الجانب الثاني امر شهريار بن ساور أن يبرز للمسلمين ويقف في مقابلتهم ففعل وأخذ كسرى ماقدر على حمله من أمواله من الدر والجواهر واليواقيت وماأشبه ذلك قال وان سعد ليخوض الماء خوضا وهو يقول ذلك تقدير العزيز العليم قال ولم يغرق من الناس أحد (قال الواقدي) رحمه الله تعالى حدثني النعمان بن عاملة الضبي عن أبيه عثمان انهم سلموا عن آخرهم وان رجلا من بارق يقال له عرقدة زال عن فرسه وكانت شقراء وكاني انظر اليها وصاحبها غريق فضى اليه القعقاع بفرسه وأخذ بيده وجره حتى عبر به فقالت الناس عجزت النساء ان تلد مثلك يا قعقاع ولم يذهب للناس في الماء شئ الا قدحا كانت علاقته رثة فانقطعت فذهب الماء بالقدح فقال صاحبه والله لاجهدن عليه وما كان الله ليسلبني قدحي من بين أهل العسكر فلما عبروا أتى رجل من الناس ليغتسل واذا بالامواج قد رفعت القدح اليه فتناوله واتى به الى العسكر فعرفه صاحبه فاخذه (قال الواقدي) حدثني عمرو بن تميم قال بلغنا انه لما عبرت المسلمون تحامت الفرس وقاتلت قتالا شديدا وحمت انفسها وعولت على ان تقاتل الى ان تموت وهم خواص الملك واصحاب الايوان والحصون والقلاع ومقدمهم شهريار بن ساور فطعنه خالد بن عمر في عينه ففقأها واثنى عليه بضربة بالسيف فقتله واذا فاجأتهم خيل من نحو الايوان وقالوا لهم عمن تقاتلون فان الملك هرب باموا له وأهله وخدمه قال فلما سمعوا ذلك ولوا الادبار ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور المسلمين اليها وسموا يوم عبورهم الدجلة يوم الجراثيم لانه ما كان أحد يعبر الا ظهرت له جرثومة يسير معها وهي من القش المربوط حزما قال قيس بن أبي

حازم

حازم خضنا الدجلة وهى تطفح فلما توسطناها كان يصل الماء فى الفرس للحزام فلما نظرت الفرس الى ذلك والمسلمون يعبرون من غير مشقة جعلوا يقولون بالفارسية ديو ر يعنى جاء الجن وقالوا والله ما انتم تقاتلون انسا انما تقاتلون جنا فانهزموا وأراد المسلمون الدخول الى الايوان فنعهم سعد من ذلك وقال لهم اياكم والعجلة فى الامور فانها تورث الندامة وانى أخاف انها من بعض مكائد العجم فلم يدخل اليه أحد قال وتقدم سلام المجازى الى سعد وكان غلاما وقال له أيها الامير والله لقد ارضيت اليوم الله ورسوله وقتلت المقدم عليهم ثم انه استشهد بقية رفاقه الستين فلم يشهد له أحد منهم فقال للغلام المجازى والله ما قتلته فنكس الغلام رأسه وأراد ان ينصرف واذا قد وثب رجل من الصحابة اسمه هاشم بن عتبة وقال لسعد أيها الامير انا رأيته وقد قتل مقدم الفرس فصدقه سعد واعطى الغلام سلبه (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا عبد الله بن بشر قال حدثنا سليمان بن عامر قال اخبرنا عبد الله ان يزدجرد الملك لما كان باعلى الايوان يوم خاض المسلمون الدجلة ورأى عبورهم والخيل لا ترجع والعرب لا تجزع والصحابة يتحدثون وهم فى الماء كانهم على الارض أيقن بزوال ملكه وذهاب عزه فنزل وهو يبكى وأخذ من بيوت المال والخزائن من الثياب والانية شيئا لا قيمة له ولا يعرف له ثمن وترك ما بقى عنده من عدة الحصار من الزاد والبقر والغنم ومن كل الاطعمة والاشربة وكان اول من دخل المدينة القصوى مسكن الملك وهى اسبانير يعقوب المذلى ومعه الكتيبة الخرسا كتيبة القعقاع بن عمرو فدخلوا يخترقون اذقة المدينة ولا يلقون أحدا قال فعزم سعد على الدخول فى المدينة القصوى لما أمر زهير بن الحويرية ان يذهب بعسكره ويتبع المنهزمين وسير كتيبة أخرى مع المرقال فلحق بحاجب من حجاب ابن كسرى فخاطبه بالفارسية فقال ان العرب قد عبرت الينا ولم يعرفه فطعنه المرقال فقتله واخذ غلمانه اسرى وموجودهم وأتى به الى سعد ويقال احد مرازبة كسرى الجبار كان يوم دخول العرب المدينة داخلها وكان غير مكترث بهم فخرج الى ظاهر داره ورجع يريد منزله واذا بغلمانه خارجون من الدار يهرعون وقد اخرجوا الامتعة فقال مالكم قالوا ان الزنابير قد غلبت على منازلنا فاخرجتنا قوة قال واشتد الصياح والبكاء والعويل من أهل المدينة وهم يلطمون على وجوههم فلما رأى المرزبان ذلك أخرج لامة حربه ولبسها وأتوه بجواده فشده وأسرجه فانقطع ثلاث مرات فربه فارس من العرب فطعنه وقال خذها وأنا ابن المخارق ومضى عنه ولم يلتفت الى سلبه قال ودخل سعد يطلب الايوان فلما دخل المدينة دخلها وهو يقرأ وأورثناها قوما آخرين فلما دخل الايوان ترجل وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات لا يفصل بينها واتخذه مسجدا قال وكان فى الايوان تماثيل وصور فتركوها على حالها قال واتم سعد الصلوات من يوم دخل الايوان فانه أراد المقام بها وجمع وكانت أول جمعة صليت بالعراق بالمدائن فى شهر صفر ثم ان سعدا تحول من الايوان بعد ثلاثة أيام الى القصر

الابيض وأقام سعد على قبض أموال الغنائم عمرو بن عمرو بن مقرن وأمره ان يجمع
ما فى القصور والايوان والخزائن والدور والاسواق وان يحصيها وكان أهل المدائن لما رأوا
العرب فى أرض واحدة خرجوا فرارا وأخذوا معهم ما قدروا على حمله وما انفلت أحد منهم
بشئ الا وأخذه منهم المسلمون وأتوا الى سعد فتسلمه عمرو وصيروها فى جملة ما جمعوه من
الاموال وكان أول شئ جمعوه يومئذ بالقصر الابيض ثم منازل كسرى وسائر دور المدائن قال
جهد بن صبار دخلنا المدائن فررنا بأبيار عليها اغطية من رصاص فظننا انها طعام ففتحناها
فاذا هى آنية من ذهب وفضة ورأينا كافورا كثيرا فحسبناه ملحا فما اعتبرناه قال وخرج
زهير فى طلب المنهزمين فانتهى الى جسر النهروان واذا عليه كثير من الفرس باعظم عدة
وأحسن زينة وهم يزدحمون على الجسر قال ووقع بغل فى الماء فتكاثروا عليه وكلبوه وصاح
بعضهم على بعض قال ووقع منهم بغل آخر فصاروا فى هرج ومرج فلما رآه المسلمون قال زهير ان
لهذا البغل لشأنا وما كاب عليه القوم وصبروا مع ما فى قلوبهم من الخوف الا لامر عظيم وقال
احملوا عليهم وابذلوا فيهم السيوف قال فحملنا عليهم حملة صادقة فقتلنا منهم اناسا كثيرة وولى
الباقى منهزمين وأخذنا البغل واذا عليه حلة كسرى وثيابه ودرعه ووشاحه التى كان
فيها الجوهر وكان يجلس بها للمباهات قال فاتيناه بها قال سهل بن سابق لما أخذنا
البغل واتيناه به لم ندر ما عليه وعن يعقوب عن جده قال كنت مع من خرج فى طلب المنهزمين
واذا نحن ببغلين مع اثنين وهما يرميان كل من يقرب بهما بالنشاب ولم يجسر احد ان يدنو منهما
فقصدتهما وحملت عليهما وقتلتهما واتيت بالبغلين الى صاحب الاقباض وهو يكتب كلما
تأتى به العرب من سائر العراق فلما اتيته بالبغلين قال لى على رسلك حتى ننظر ما معك
فحطيت عنهما فاذا فى الحمل الواحد تاج كسرى وجواهره وفى الحمل الثانى ثيابه وهم
متوشحون بالذهب منظومون بالدر وعن محمد بن طلحة والمهلب قال خرج القعقاع فى طلب
المنهزمين فلحق بفارس من الفرس وهو يكر على قوم من المسلمين وقد جزعوا منه وما أحد
منهم يدنو اليه فقصده القعقاع بشدة عزمه وقال له دونك أيها الكلب الاثيم لقتالى
وطعنه فقتله ووجد معه عيبات مغلقات ففتحوها فاذا بالعيبة الواحدة خمسة اسياف
وفى الاخرى خمسة اسياف محلاة بالذهب ودروع كسرى ومغفره ومنطقته ودرع هرقل ملك
الروم ودرع مايان ملك الترك ودروع جماعة من الملوك قد اجتمعوا عند كسرى من أيام
غزواته اليهم وأما السيوف فكان سيف كسرى وسيف هرقل وسيف بهمود وسيف خاقان
وسيف النعمان بن المنذر فلما رآهم سعد قال يا قعقاع خذ أى سيف شئت وجاهد به العدو
فأخذ سيف هرقل وأعطاه درع بهرام جور وأما بقية الاسلاب فاعطاها للكتيبة الخرسا
الا سيف كسرى والنعمان فأمسكهما الامير المؤمنين برسلهما مع الخمس مع التاج والثياب
وعن رجل من الصحابة قال كنت مع الناس فى طلب المنهزمين من خيل كسرى فبينما
أنا على طريق واذا برجل ومعه حمار وكان راكبا عليه فلما رآنى ترجل وجعل يحث حماره

على السير حتى انتهى الى نهر وقد خرب فلم يمكنه العبور فدنوت منه فأخذ يرميني بالسهام فزغت عن رميه وحملت عليه فقتلته وأخذت الحمار ووجدت آخر ومعه حمار فتركه وانهزم فأتيت بهما الى صاحب الاقباض فاذا على أحدهما فرس مصنوع بالذهب والفضة مرصع بالدر والجواهر ولجامه كذلك وسرجه كذلك وعليه فارس كذلك واذا على الحمار الآخر ناقة من فضة وعليها كور من الذهب مرصع ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مرصع بالجوهر وكان كسرى يضيفهما التاج وكان يباهى بهم ملوك الارض وعن أبي عبيدة الهبرى قال لما هبط المسلمون المدائن وجمع صاحب الاقباض الغنيمة وبقى الرجل يأتي بما معه فيدفعه الى صاحب الاقباض فقال صاحب الاقباض ما رأينا مثل هذا قط ثم قال للرجل الذى اتى بالحمارين بالله عليك هل أخذت شيئا منه فقال والله لولا الله لما اتيتكم بهما فقالوا له ومن أنت فقال والله لا اخبركم لتحمدوني ولكن أحمد الله وارضى بثوابه ومضى فتبعه واحد من موالى صاحب الاقباض فسأل عنه فقالوا هذا عامر بن عبد القيس قال وبلغ الخبر لسعد رضى الله عنه فقال احلف بالله الذى لا اله الا هو اننا ما اطلعنا على أحد من اصحاب جيش القادسية يريد الدنيا ولقد اتهمنا ثلاث نفر فاتبعناهم فعجزنا عن وصف امانتهم وزهدهم وهم طلحة بن خويلد الذى ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم والثانى عمرو بن معدى كرب والثالث هو قيس بن هبيرة قال حدثنا من شهد فتح المدائن قال خرجنا بعد فتح القصر الابيض وكان قد تحصن به رجال من المرازبة وكانوا أشد جلدا واقوى عزيمة من جميع الفرس وتحالفوا انهم لا يسلموا أبدا والذين حصلوا وتولوا حصارهم كتيبة الاهواز وهى كتيبة القعقاع فلما رأينا عزمهم على الموت بعدنا عن نشابهم وحجارة مجانيقهم وطال علينا ذلك وشكونا ذلك الى سعد وقلنا له قد حرمنا الجهاد لحصارنا لهؤلاء الاعلاج فقال سعد لسلمان تقدم اليهم ودبر شيئا فيه مصلحة للمسلمين وامنهم فتقدم اليهم سلمان وكلمهم بالفارسية فامسكوا عن رميه وقالوا له من أنت فقال أنا رسول من المسلمين فاعلموا ان الرجل يقاتل عن نفسه وماله وولده اذا رجى الخلاص وما أرى لكم من خلاص قط وهذا الملك قد انهزم واخذنا مملكته وخزائنه وما بقى فى المدائن أحد غيركم فاتقوا الله فى انفسكم ولا تهلكوها وسلموا الينا هذا الحصن ولكم الامان الى أى جهة توجهتم لا يعارضكم منا احد قال فلما سمعوا قوله قالوا لا نسلم حتى نهلك عن آخرنا ثم رموا سلمان بالنشاب فقرأ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأشار الى النشاب بيده فذهبت السهام يمينا وشمالا ولم يصبه منها شئ قال فلما رأوا ذلك قالوا ازنهار فمحق من تشير اليه من أنت قال أنا روزبة وقد عمرت اربعمائة سنة ولحقت آخر ايام عيسى بن مريم وطفت الارض حتى لحقت بنبى هذه الامة صلى الله عليه وسلم فلما اتيته اكرمنى وخدمته فعظمنى حتى انه جعلنى من أهل بيته فقال سلمان من أهل البيت فلما سمعوا قوله وحققوا معرفته علموا انه كان من عظماء أهل دينهم قال فصعقوا له

وقالوا والله ماتخفى عليك شيئا من أمرنا وسبب قتالنا فانه ليس بسبب مال ولا متاع وانما الملك قد مضى بريدنها وند ولم يقدر على اخذ ابنته معه وهى مريضة وقد سلمها الينا فالزمنا من امرها ما لزم فان كنتم تعطونا الامان عليها سلمنا الكم والا نغرت يدا واحدة فلما سمع سلمان منهم ذلك قال دعوا الامر حتى أشاور الامير ثم عاد وحدث سعدا بما سمعه فقال يا عبد الله ان المسلمين قد انتشروا فى العراق ونخاف أن يقع بهم أحد فلا يبقى عليهم ولكن قل لهم لكم علينا أن نذب عنكم وتكونوا فى زمامنا حتى تجاوزوا أى جهة تريدونها وبعد ذلك لا نضمن لهم ما يأتى عليهم قال فحدثهم سلمان بما قاله الامير فقال العقلاء منهم والله لولا ان العرب على حق ما نصروا علينا وعلى الروم ومن الرأى ان نرجع الى دين هؤلاء العرب ونعيش فى ظلهم وان القوم لا يريدون ملكا وقد رايتم هذا الرجل وما ظهر لكم من كرامته قال ففتحوا باب السر وخرجوا الى العسكر واتوا الى سلمان فأتى بهم الى سعد واسلموا على يديه فلما جرى ذلك بكى سعد وقال اللهم انصر الاسلام وقرا قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وبعث الى صاحب الاقباض فاخذ جميع ما فى القصر الابيض من الاموال وخزانة الملك فلما قسم الغنائم على المسلمين اعطى اولئك اوفى نصيب وانزل كل واحد منهم فى داره فلما راى اهل البلد ذلك منه وما صنع مع هؤلاء دخل فى دين الاسلام منهم الوف اقتداء بالقوم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا موسى بن عبد الله عن عمرو عن جده يحيى قال بلغنا غير هذا وذلك ان هاشم بن عتبة تبع المنهزمين من جنود الملك فانتهى سيره الى مرج حلوان فالتقى بكتيبة من اهل فارس بالعدد والسلاح والهوادج والخدام والجوار والمماليك وقد دار وا بمحفة من العود الرطب وعليها من الثياب الملونة المذهبة وهلالاتها من الذهب مرصعة بالجواهر وهى تأخذ بالابصار فلما راى هاشم ذلك كر عليهم بكتيبته وحملوا بجملتهم قال فصبروا لهم وقاتلوا دون المحفة قتالا شديدا وكانت المحفة لشاهران ابنة الملك يزدجرد بن كسرى وكان السائر بها ساقر بن هرمز فقتله وقتل اصحابه اكثر ما كان مع ساقر وولى الباقى منهزمين وتسلم هشام المحفة وما حولها واتوا بذلك كله الى سعد واعلموه بان ابنة كسرى معهم فقرا سعد قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية ثم اشرف سعد على ما بقى من الخزائن فوجد صندوقا عظيما ظاهره وباطنه بالديباج المذهب وفى داخله بساط كسرى وهو البساط الذى كان يفتخر به على الملوك ملوك الدنيا كله ذهب منسوج بالحرير منظوم بالدر واليواقيت الملون والمعادن والجواهر الثمينة والزمرد وكان طوله ستين ذراعا قطعة واحدة فى جانب منه كالصور وفى جانب كالشجر والرياض والازهار وجانب كالارض المزروعة المقبلة بالنبات فى الربيع وكل ذلك من الحرير الملون والمعادن على قضبان الذهب والزمرد والفضة وكان الملك لا يبسطه الا فى أيام الشتاء فى ايوانه اذا قعد للشراب وكانوا يسمونه بساط النزهة والمسرات فيكون لهم شبه الروضة الزهراء فلما راه العرب قالوا والله هذه قطيفة زينة قال ولما قسم سعد على الناس الغنائم أصاب الفارس اثنى عشر الف دينار وكلهم كانوا

فرسان ولم يكن فيهم راجل واخرج للغائبين مع النساء والحريم فى الحيرة نصيبهم وقسم الدور بين الناس وكان قد ولى القبض عمرو بن عمر المدائنى وولى القسمة سليمان بن ربيعة وكان فتح المدائن فى شهر صفر واخرج الخمس لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأراد ان يقسم البساط فلم يدر كيف يقسمه فقال سعد معاشر المجاهدين انى رأيت من الرأى ان نرسله الى عمر ليصنع فيه ما يختاره فاجابوا عن لسان واحد نعم ما رأيت أيها الامير فردوه الى صندوقه واضافه الى الخمس وكتب الى عمر رضى الله عنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عامله على العراق سعد بن أبى وقاص أما بعد فسلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما منحنا الله بالظفر على العدو الذى اطاع شيطانه وارخى فى ميدان العمى عنانه وقد اجرانا الله سبحانه على جميل العادة واخذنا الملك من يزدجرد بن كسرى فى كثرة اطواره واحتراز روس اجناده الذى جاشت الهيبة ديارهم وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقد انهزم عدو الله بعد ما قتلنا جنده وأخذنا ابنته وانا منتظرون أمرك فيما يكون بعد هذا ونحن مقيمون على المدائن والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وسلم الكتاب والمال الى بشر وضم اليه خمسمائة فارس وسلمه ابنة كسرى بجمعتها وخدمها ثم ان سعدا رأى رأيا بان يسير بشيرا يبشر عمر بفتح المدائن وبقدوم على الخمس وبما أنعم الله على المسلمين ليكون أزيد هيبة وبهجة بالفتوح فارسل جيش بن ماجد الاسدى او ابن هلال والله أعلم فخرج على ناقته وقصد المدينة يجد السير قال وكان عمر رضى الله عنه فى كل يوم بعد ما يصلى الصبح يقرأ ما تيسر ويركب ناقته ويتوجه نحو طريق العراق ويرتقب ما يرد عليه من اخبار المسلمين قال فخرج على حسب العادة واذا هو بجيش قد اقبل على ناقته فلما رآه عمر قصده وقال له يا عبد الله من اين أقبلت قال من المدائن يا أمير المؤمنين قال فما عندك من الخبر اقر الله عينك وغفر لنا ولك قال ابشر يا أمير المؤمنين بالفتح العميم والسعد الجسيم وان الله سبحانه وتعالى قد هزم جند المشركين وقطع دابر القوم المجرمين واخلى منهم ديارهم واخفى آثارهم وزعزع مراكبهم وطعطع مواكبهم وكتائبهم وشتت جموعهم واخلى ربوعهم وقصر آجالهم وفرق احوالهم وترك مساكنهم خالية واوطانهم خاوية قال فلما سمع عمر رضى الله عنه هذا المقال حمد الله واثنى عليه وقال خذلوا من ما منهم وسار وهو يحدثه بفتح المدائن حتى دخل المسجد وتسامع الناس وأتوا حتى غص المسجد بالناس واقبل جيش يحدثهم وهم يكثرون الثنا على الله ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وبعدها وصل بشر بالمال ومعه ابنة الملك كسرى ولباسه وتاجه وسلاحه وبساطه فلما نظر عمر الى ذلك قال ان الذى اهدى الينا هذا الامين فقال على كرم الله وجهه انك عففت فعفت الرعية فحمد الله واثنى عليه وافرز من الخمس سهم من غاب من المسلمين وقسم الخمس فى مواضعه ثم قال اشيروا على فيما اصنع فى هذه القطيفة اعنى البساط فقالوا رأيك اعلى فقال على كرم الله وجهه لم يدخل عليك

جهـل ولا تقبل شكاوانه ليس لك من الدنيا الا ما اعطيت فامضيت ولبست فابليت واكلت فافنيت قال فوالله لقد صدقتني يا ابا الحسن ثم انه قص البساط قطعا بين الناس قال فاصاب كل رجل منهـم قطعة فباعها بنحو العشرين الف دينار فلما فرغ من توزيعـه وتوزيع مال الخمس دعا بمحكم بن رواحة وكان من أجسم أهـل المدينة واجفاهم خلقة فالبسه زى كسرى ووشاحـه وتاجه وسواريه ومنطقته وحلاه بحليته وعصابته وسيفه وسلاحه وعـدته ونظر النـاس اليه كانه كسرى فى ملكه فقال عمر رضى الله عنـه اعتبروا بالدنيا وتقلباتها باهلها ومايرى من مصائبها وعطبها هذا كسرى مازال يفتخر على ملوك الدنيا بكثرة أمواله وذخائره وجواهره وعزه وجنوده ولم يقدم لنفسه شيئا ينفعه عند الله وغرته الامانى الكاذبة فاخذه الله من مامنـه وبقى مرتهنا بما اكتسب فى دينه ودنياه ثم قال أيها النـاس هذا ملك المدائن قـد انتقـل عن أصحابه وتوزع بين أربابه أين تلك الحشمة والسلطان اين الجنود والاعوان اين الغلمان اين المماليك والخدام اين التاج والاكليل اين الجيش والفيل اين الصاحب والخليل وقرأ قوله تعـالى قل متاع الدنيا قليل ثم قال أيها النـاس من له منكم يد سابقة فليقم فقام عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال أنا يا أمير المؤمنين ابن الصاحب والخليل وابن اول من آمن ووازر وصدق رسول الله صـلى الله عليه وسلم ونصر وانفق ماله وتصدق ودخـل معه الغار وانتصر وجاهد بين يديه وحاج من كفر وجادل وافتخر وانزل الله فيه لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل فقال عمر رضى الله عنه والله لقد صدقت وبقليل من فضـله قـد نطقت ثم أمر له بخلعة وعشرة آلاف درهـم ثم قال ايها الناس من يقم منكم فقام عثمان بن عفان وقال انا من جهز جيش العسرة وحفرت بئر رومة والفت القرآن وجمعته وختمته فى ركعتين وتزوجت الابنتين وصليت الى القبلتين وانفقت المـال فى حبه وانزل الله فى حقى امن هو قانت آناء الليل ساجـدا وقائمـا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فقال عمر رضى الله عنه احسنت يا أبا الفتيان فذلك من رفض الكذب وأبان الحق وامر له بعشرة آلاف درهم ثم انه نظر الى الاخوين الزاهـدين والغصنين النضرين سيدى شباب أهل الجنة وريحانتى نبى هذه الامـة وقال لهما يا حبيبى ما الذى اخركما من مثلكما يفتخر وقال اليس انتما سبطا الرسول اليست امـكما فاطمة البتول اليس ابوكما سيف الله المسلول أليس فى بيتكما نزل التأويل اليس كان سادسكما تحت العباء جبريل اليس فيكما انزل الله الجليل ما على المحسنين من سبيل فان افتخرتما فلكما الفخر البليغ ثم أمر لكل واحـد منهما بعشرين ألف درهم فقال على لله درك يا عمر ومن مثلك تكلم ونشر ومـدح أهـل البيت وأثنى وذكر خيرا وشكر ثم قال أيها الناس من كان له سابقة فليقم فقام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقال يا ابت اما انا ابنك وانت أبى لك الفضائل والحمد والافتخار فى الامـة ولك الوقار والرجاحة والفصاحـة والنصاحة نصرت الاسـلام والمسلمين واتبعت سنن سيد المرسلين وانزل فى حقك ارحم الراحمين يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وأنت الذى أظهرت الاسـلام جهرا وقلت لا يعبد الله سرا فقال عمر يا بنى الشق

من يغتر بالدنيا الساحرة والسعيد من يعمل للآخرة وقرأ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم أمر له بألف درهم فقال يا أبت انا هاجرت وانفقت ونصرت وزعزعت مواكب الروم وما قصرت وتأمر لي باليسير من مال الله الكثير وتعطي هؤلاء ما اعطيت فقال يا بني اسلك طريق الانصاف ولا تتبع الاسراف وأنا اقول لك ان كان لك جد كجدهما اعطيتك اوام كامهما وفيتك وان كان لك اب كابيهما أرضيتك يا بني كل نسب يضمحل يوم القيامة ويخفي الانسب البتول ولما فرغ من ذلك أمر بابنة كسرى ان يوقفوها فاوقفت بين يديه وعليها من الحلي والحلل والزينة والجوهر شئ كثير وأمر ان ينادي عليها فقال للمنادي أزل عنها هذا المتاع ليزيد في ثمنها فتقدم اليها المنادي ليزيل عنها ذلك فامتنعت وضربته في صدره فغضب عمر وهم ان يعلوها بالدرة وهي تبكي فقال علي كرم الله وجهه مهلا يا أمير المؤمنين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فسكن غضب عمر رضي الله عنه ونظر اليها فرآها تحدق بالنظر الى الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واني أرى هذه الجارية تحدق بنظرها الى الحسين بن علي وما خفي علي انها ارادته من دون الناس اجمعين لان ما فينا اصبح وجها منه ثم قال يا ابا عبد الله خذها هدية مني اليك فشكره علي ومن حضر من المسلمين (قال الواقدي) رحمه الله قال انس بن عبد الاعلى حين قرأت عليه في المسجد الاقصى في شهر ربيع الاول سنة مائتين وتسعين من الهجرة حدثنا عدنان بن ماجد الغنوي قال لما انهزمت الفرس من المدائن واستولى عليها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان من أمره ما ذكرناه استقر قراره بالقصر الابيض وجلس حيث كانت الاكاسرة تجلس فلبس عند ذلك ثياب النسك والخشوع وتسربل سربال الخضوع وعلم ان الدنيا اضغاث أحلام وان الآخرة هي دار المقام وكلما نظر الى آثار الاكاسرة وملكهم ازداد يقينا ودينا على دينه قال وانشد عاصم بن عمر في ذلك بعد فتح المدائن يقول

شهدنا بعون الله أفضل مشهد * با كرم من يقوى على كل موكب
ركبنا على الجرد الجياد السوابح * بكل قناة بل بكل مقضب
وكنا بعون الله لا نرعوي اذا * تبادر طعن كالغمام المسطب
وكان جهاد قد ملكنا بأمره * من الملك مستعلي البناء المذهب
ترانا وانا في الحروب اسودها * لنا العزم لا يخفى لكل مجرب
نجول ونحمي والرماح شوارع * ونطعن يوم الحرب كل مجنب
قدمنا على كسرى بشدة حربنا * وما حربنا في النائبات بمجتنب

(ذكر فتوح مدينة نشاور وهي آخر فتوح العجم والعراق)

(قال أبو عبد الله الواقدي) رحمه الله وكان من قضاء الله وقدره ان ابن كسرى لما انهزم من

المدائن مضى الى حلوان وانضاف اليه كل من وصل اليه من المنهزمين من الاساورة والمرازبة والديلم وغيرهم فقام فيهم خطيبا وذكر زوال ملكه واسرابنته وخزائنه وامواله وبكى وبكت أرباب دولته ثم قال يا أهل فارس ان الدنيا دنية الفعال سريعة الزوال قريبة الارتحال وهذا ملككم قد زال وعزكم قد حال وديار كم قد سكنت ومعاقلكم قد اخذت وحصونكم قد هدمت واموالكم قد نهبت وبناتكم قد سبيت والعرب قد استولت على العراق ولا بد لهم منكم ولا غنى لهم عنكم وستنظرون خيلهم وقد طلبت خراسان والرى وهمدان ومابقى لكم جهة تتوجهون اليها الا بلاد آبائكم واجدادكم فانتبهوا وانتهزوا الفرصة وازيلوا الغصة وادركوا مابقى من ايامكم ولا ترتدوا على ادباركم وقد بلغنى ان الدوانوس العارى بن هربن كيقاد ابن يزدجرد التقى هو والاسكندر بن القلبس الرومى ومازالا يقاتلان ويقتتلان حتى قتل احدهما وانتم شمروا عن ساق الجد ودونكم والقوم هذه الكرة امالكم واما عليكم فلعل النار والنور ينصرونكم وانفق فيهم ما كان معه فاستعدوا اللقاء واخذوا على انفسهم وضربوا خيامهم فى مرج حلوان وجاء علماء دينهم واوقدوا لهم النار وقربوا لها القربان وتحالفوا أن لا ينهزموا ولوماتوا عن آخرهم قال ومضت نساؤهم وبنات ملوكهم وابطالهم الذين قتلوا فى الثياب ملطخات بالدماء وهن يستفززن الجيوش والعساكر من بلاد العجم وغيرها قال وان الحجاب والمرازبة والاساورة تعاهدوا بأن لا يفروا أويموتوا عن آخرهم (قال الواقدى) رحمه الله حدثنى محمد بن عاصم بالكوفة بعد ما اخذها المسلمون قال لما فتحت المدائن واتخذها المسلمون وطنا فما كان دأبهم الا أن يحفروا دور الفرس ويخرجوا خباياهم واموالهم قال عبد الله بن جحنة حضرت العرب وقد اخرجوا من ازاء القصر الابيض من مصنع هنالك للفرس الا كاسرة تمثالا من الذهب على صفة الفارس وقد سكبوا عليه الماء حتى غار فى الارض وكانت ملوك الفرس يفتخرون بذلك على سائر الملوك فوالله لو قسم ذلك على عرب بكر بن وائل لكان يسد منهم سدا وجاءت عيون المسلمين الى سعد واخبروه بما فعل القوم واجتماعهم فى مرج حلوان فى مائة الف وقد وجهوا أثقالهم ومايعز عليهم الى الجبل وهم يطلبون لقاءكم قال واجتمع المسلمون فى الايوان وقالوا أيها الامير ان العدو قد اجتمعوا بمرج حلوان وتعاهدوا بأن لا ينهزموا أبدا أويموتوا عن دم واحد يريدون مدائنهم قال فكتب سعد الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك ويقول له ان اهل الموصل قدمات ملكهم الانطاق وقد تولى عليهم الشكان بن قالوص وارتدوا عن صلحنا وعول ملكهم بأن يكون عونا لاهل فارس علينا والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته فلما وصل الكتاب الى عمر ارسل يقول له ياسعد اعلم ان الله منجز وعده وبعث اليه هاشم بن عتبة فى اثنى عشر ألف فارس من المهاجرين والانصار الفان والبقية من العرب قال وان ابن كسرى لما حصن حريمه وامواله فى الجبل أمر على عسكره مهران الدارى ووصاه وسار مهران بالعسكر فركب معه ابن كسرى مقدار ميل وودعه ورجع الى حلوان والمدد يأتى اليه من سائر بلاد العجم قال ووصل مهران الى مدينة نشاوور ونزل بها فى دار الولاية

واقام

وأقام بها فلما كان من الغدر كب في وجوه قومه ودار بهم على اسوارها وأبوابها وأمر بتحصينها في علو سورها ونصب آلات الحصار بالعرادات والمجانيق وحفر خندقا عميقا وصنع حسكا من الحديد وجعله حول المدينة والخندق وما خلى من اهل البلد صغيرا ولا كبيرا حتى استعمله في السور والخندق وادخر القوت وعلف الخيل وما يحتاجه للحصار واستوثق من أهل البلد الكبير والصغير منهم واخذ رهاينهم وحلفهم بأن لا ينهزموا أبدا قال فلما اتفق ذلك كله أقام ينتظر قدوم المسلمين قال واما هاشم بن عتبة فانه سار في اثنى عشر ألف مجاهد حتى اشرف على مدينة نشاور فوجدها محصنة بالعدد والعدو وقد اظهر الزينة والسلاح على الابراج بالدروع والجواشن والمجانيق والعرادات والبيارق والاعلام ووضعوا في أركان المدينة على الابراج قباب حديد ليضرموا فيها النار ويسجدوا لها ويستنصروا بها على العرب فلما اشرف عليهم عسكر هاشم بن عتبة ضجوا بكلمة كفرهم وأشاروا الى الشمس والنيران يسجدون لهما قال والارض ترتج من تحتهم والسماء ترعد من فوقهم والاكوان تسترجع وتصيح في هلا كهم فنودوا من قبل الله ان اسكنوا عن اضطرابكم فانا الحليم الذي لا اعجل على من عصاني ولا اخيب من دعاني أنا الذي تسبح لي السموات ومن فيها والارضون بنواحيها وقد سبق في علمي ان اطهر هذه الارض من الارجاس وابدلها بمن قلت فيهم كنتم خير أمة اخرجت للناس أنا الذي امهل ولا اهمل وعزتي وجلالي لاطهرنّ هذه الارض من الكفرة الملحدين والفئة المفارقين ولابدلن بيوت النار بمساجد اذكر فيها آناء الليل واطراف النهار يعمرها رجال قد احسنوا الظنون وذكرتهم في الكتاب المكنون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الارض يرثها عبادي الصالحون (قال الواقدي) رحمه الله حدثنا عمرو بن ربيعة الشيباني قال اخبرنا أحمد الطويل قال لما نزل هاشم بن عتبة على مدينة نشاور بمن معه من المسلمين فلم يلتفتوا اليهم ولم يكترثوا بهم وأوروهم التجلد والشدة وجعلوا يطاولونهم ولا يخرجون اليهم فصعب ذلك على المسلمين والمدد واصل اليهم من عند يزدجرد بن كسرى فاشتدت قلوب أعداء الله فقالوا لمهران الداري أيها الصاحب ما الذي تنتظر بنا في قعادنا ومقامنا من وراء السور وقد اشتقنا الى القتال فاخرج بنا الى هؤلاء القوم فقد ضاقت صدورنا وضاقت بنا المدينة وهذه الشمس المنيرة تنصرنا وتظفرنا على أعدائنا وكذلك النار والنور فلما رآهم معولين على القتال أمرهم بالخروج وجعل على خيله جوزان بن جهران وأمره ان يزحف بالجيش فلما فتح باب المدينة وخرج الفرس فرح المسلمون بذلك وتبادروا اليهم باسرار صافية وهمم وافية يطلبون القتال في مرضات الله ذي الجلال وانفسهم لذلك مستبشرة بارحة وهممهم الى الحرب مسرعة قادحة وقد سئموا من سكنى دار الفرار واشتاقوا الى سكنى القصور ومعانقة الحور وقالوا الهنا قد سئمنا من هذه الدار واشتقنا الى دار القرار ومجاورة المختار فانجزنا ماوعدتنا وسامحنا اذا توفيتنا واجرنا من عذاب النار واحشرنا مع الكرام الابرار الذين نزلت في حقهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

قال ولما ركب المسلمون جعل على مقدمة الخيل طلحة بن خويلد وبقى هاشم على الساقة فقال أيها الناس والله لا تنال الجنة الا بحسن الاعمال فاتركوا من قلوبكم الميل الى دار اللهو والاهوال والمقام فى دار الزوال وجاهدوا لتدخلوا جنة عرضها السموات والارض فهذه نار الحرب قد فاض تيارها وعلا دخانها واصطفقت أمواجها وبدا عجاجها فاركبوا فيها سفينة النجى والانجاد واقطعوا بشراع الاجتهاد هذا الطريق وانشروا أعلام الصدق قال واذا اصطفت عساكر العجم ودقت بوقاتها ونشرت ازدهاراتها فهم كذلك اذ اقبل عليهم ملك الرى فى اثنى عشر ألف فارس فلما رأى هاشم ذلك قال يافتيان العرب لا تنظروا الى كثرتهم وقلتكم فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وخذل الكافرين وقد كانت قريش فى حدها وحديدها وعددها وعديدها ونصر الله نبيه ورسوله قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واذا بالخيل قد حملت عليهم كأنهم السيل فقال هاشم اخلصوا النيات ولا تولوا الادبار واعلموا انه قد تولى عليكم الجبار قال واطبق الناس بعضهم ببعض وصاروا بين البسط والقبض وازدحمت الامم وقامت الحرب على قدم وقاتلت أبطال العجم وضربت بحرابها ورمت بصفحاتها وفوقت بسهامها راظلم الجو من الغبرة فى تلك الافاق واعتمدوا على الضرب بالاسياف الرقاق وطعنت العرب بالرماح الدقاق وقلعت عرب اليمن بنبالها الاحداق وادنت الاعمار الى المحاق وبغت الارواح انتراق وعظم الانين والزعاق وصبرت الاعاجم على مالا يطاق وسقاهم العرب من اسنة رماحهم كأس الفراق ولم يزالوا فى القتال الى ان ذهبت الانوار وجاء الليل ومضى نور النهار وفى آخر يومهم قدم القعقاع بن عمرو ومعه اثنى عشر ألف فارس فقويت قلوب المسلمين بقدوم عساكر الموحدين واعلنوا بكلمة التوحيد فدوت من اصواتهم الجبال والتلال والرمال والحجر والشجر قال فلما سمع اعداء الله ما نطقوا به ارتعدت فرائصهم فاستقبلوهم بنيات صادقة وهمم متوافقة واعلنوا بذكر كلمة الحق والصلاة على سيد الخلق فبذلوا صوارمهم فى الاعداء واوردوهم شراب الرداء وقصدوا نحو أعدائهم وطلبوا بجهادهم منازل الجنة وطلقوا الدنيا بتاتا وعلموا انهم يصيرون أمواتا وصاروا بعد الالفة اشتاتا فوقعت الهزيمة على عسكر العجم وحمل المسلمون فى آثارهم وخذلهم الله فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا وهرب الباقون وأخذ المسلمون مدينة نشاور وغنموا ما فيها من الاموال وكان شئ لا يقع عليه حصر وأقاموا فيها وبنوا الجامع وذكروا الله فيه ذكرا كثيرا وأكمل الله لهم فتوح العراق وكتبوا بذلك كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمونه بذلك وبعثوا الخمس فوصل ذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسر بذلك سرورا عظيما فحمد الله تعالى كثيرا وانسرت المسلمون سرورا زائدا على ما فتح من بلاد كسرى وأعمالها على يد سعد بن أبى وقاص واستوطنوا البلاد رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(ذكر فتوح البهنسا واهناس واعمالها وفضائل جبانتها)

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم وفقك الله أن مدينة البهنسا ذكر بعض المفسرين ان الله سبحانه وتعالى ذكرها فى كتابه العزيز بقوله عز وجل فى حق عيسى عليه السلام وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال هى أرض البهنسا وكان من أمر عيسى عليه السلام ماسنذكره ان شاء الله تعالى واستشهد بها زهاء عن خمسة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الاعيان والامراء زهاء عن أربعمائة وتبعهم من الاشراف والصحابة نفر كثير منهم على بن عقيل بن أبى طالب والحسن بن صالح بن الحسين بن على ابن أبى طالب الذى عمر جامعا بها وكان من أمره ماسنذكره ان شاء الله تعالى وزياد بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب والفضل بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنذكر من استشهد من الصحابة الاعيان بها ان شاء الله تعالى عند الفتوح وأبنائهم وجماعة كثيرة وذكر جماعة من السادات والاخيار ان من زار جبانة البهنسا خاض فى الرحمة حتى يعود ومن زارها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانه لا يزورها مهموم الا فرج الله همه ولا مغموم الا اذهب الله غمه ولا صاحب حاجة الا قضيت باذن الله عز وجل والاماكن المستجاب فيها الدعاء منها عند مجرى الحصى ومقطع السيل وان هنالك خلقا كثيرا من الشهداء ومشهد الحسن بن صالح بن الحسين بن على ابن أبى طالب وعند قبر زياد بن أبى سفيان بن الحارث وعند قبر عبد الرزاق من داخل الباب وعند معبد عيسى بن مريم عليه السلام وعند قبور الشهداء بسفح الجبل وقبليها مكان يعرف بالمراغة قبل الجبانة عندها قبور الشهداء هنالك بسفح الجبل روى جماعة من الصالحين انهم قد جاوروا الجبانة المذكورة وكانوا من أرض المشرق من اقصى العراق وجماعة من اكابر الصالحين من أرض المغرب من اقصى الاندلس وانهم رأوا هذه الفضائل وبانت لهم فضائل وأنوار وشاهدوا ذلك عيانا وروى أصحاب التاريخ رضى الله عنهم انه لم يكن بارض مصر من البحيرة مشهدا أكثر من أرض البهنسا وان مجرى الحصا عند مقطع السيل من الجهة الغربية قيل هنالك خلق كثير واستشهد بها أربعمائة رضى الله عنهم أجمعين وسنذكر ذلك عند الفتح ان شاء الله تعالى وأما فضائل البحر اليوسفى الذى هذه المدينة على جانبه فهو اكثر عجائب منها انه غزير البركة لانه يفيض حتى يروى ماحوله من القرى والبلدان مع قليل من زيادة النيل ومنها انه اذا زاد النيل شيئا قليلا يزداد فيه شئ كثير ومنها انه اذا انقطع عنه مدد النيل يتفجر من أصله عيونا فصارت نهرا جاريا وهذا لا يوجد لغيره ابدا من الانهار ومنها انه يقسم بارض الفيوم مايسير فيروى زراعات وأراضى شتى وضياعا وهذا لا يوجد لغيره أبدا ومنها انه دفن فيه يوسف الصديق عليه السلام وأقام الى زمن موسى عليه السلام فازداد بذلك بركة ومنها انه شقه جبريل عليه السلام بخافقة من جناحه بامر الله عز وجل للسيد يوسف عليه السلام وحسدهم للعمالقة على ذلك وقد ذكرت الرواة انه كان بين يوسف عليه السلام وبين صاحب مصر كلام بعد فراغ السنين المجدبة فانه لما اجتمعت بنوا اسرائيل عند يوسف

عليه السلام وحسدهم العمالقة على ذلك ذكروا ذلك لملك مصر فقال ملك مصر يا يوسف رد علي ملكي فاجتمع رأيهم على الفرقة والقسمة فقسمت الارض أى أرض مصر فوقع الجانب الغربي ليوسف عليه السلام وكان قفرا ورمالا وتلالا فاراد ان يجرى له نهرا من النيل فجمع له مائة ألف عبد ودفع لهم المساحى والزنابيل وأمرهم ان يحفروا من الجهة القبلية عند فم الآن فحفروا ثلاث سنين وقد اجرى لهم مؤنة من خزائنه فكان كلما جاء النيل سد ما حفروا ففعل في الجهة الشرقية كذلك الى سبع سنين حتى اعياه ذلك وقلق قلقا شديدا فاوحى الله اليه يا يوسف قد استعنت برجالك ومالك ولم تستعن بي وعزتي وجلالي لو استعنت بي لحفرته لك في اقل من طرفة عين فخر ساجدا لله تعالى وهو يقول سبحانك ما أعظم شأنك واعز سلطانك ثم قام من سجوده ونزع أثوابه واغتسل ولبس المسوح وخرج الى الربوة وخر ساجدا متضرعا الى الله تعالى فاوحى الله اليه ارفع رأسك فقد قضيت حاجتك ثم أمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فخرقه بخافقه من جناحه وقال بعضهم بطرف ريشة من جناحه من فمه من الجهة القبلية الى آخر الفيوم في أقل من طرفة عين بقدرة الله تعالى فعمر يوسف عليه السلام قناطر وبنى مدينة الفيوم وقسم الارض بينه وبين اخوته وبنيه فكانت أرض البهنسا لافرايم ابن يوسف فشرع في عمارتها وقطعت الاحجار وعمرت الاسوار والقناطر وكان النهر يجرى من وسطها من الجهة القبلية ثم يخرج من الجهة البحرية الى زمن الاسلام وسنذكر ذلك في الفتح ان شاء الله تعالى وكان لها من الابراج والرساتيق ما لا يوصف وسكنها جماعة من بني اسرائيل واتخذوا دورا ومساكن وذلك جميعه غربي مصر وأرض البهنسا الى آخر الصعيد من الجهة الغربية كلها مختصة ببني اسرائيل لا يشاركهم فيها أحد غيرهم وجعل يوسف عليه السلام هؤلاء العبيد حوله فلاحين وزراعا بارض البهنسا والفيوم وغيرها وشرع في عمارتها وغرست فيها الاشجار على جانب البحر اليوسفي من الجهة الشرقية والغربية وكانت المرأة تخرج بمكتلها ومغزلها في يدها والمكتل على رأسها فلا ترجع الا وقد امتلا من جميع الثمار من غير ان تمس شيئا بيدها فلما عصت بنوا اسرائيل وجحدوا نعمة الله عز وجل وعملوا المعاصي نزع الله تلك النعمة من أيديهم وأعطاها لغيرهم فاحتووا على الملك دونهم بجحودهم نعمة الله وقتلهم انبياء الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى اتخذوهم اذلة بعد ان كانوا سادات واستعملوهم خولة وفعلة وبنائين وحجارين ونجارين واستخدموهم واستخدموا نساءهم وابناءهم ولم يزل بنوا اسرائيل في أضيق عيش وأعظم بلاء وأشد كربة وأعظم بلية من تكليف ما لا يطيقون حتى انقذهم الله عز وجل ببعث موسى عليه السلام وليس هذا الكتاب مختصا بذلك واحتووا على المدائن والمزارع والبساتين

❊(ذكر خروج عيسى عليه السلام من مصر واقامته بأرض البهنسا)❊

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الآية وتقدم

انها

أنهـا البهنسا عـلى اختـلاف المفسرين قال أصحـاب التواريخ وهم المسعودى وابو جعفر الطبرانى والواقدى وابن اسحـاق وابن هشام وأصحـاب السير وأهل التفسير مثل سعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وابن عبـاس وممن تـكلم فى هـذا الكتاب العجيب الذى لو كتب بالذهب لـكان قليـلا وقد جـمع فيه كتب كثيرة وتواريخ وتفـاسير وفتوحات قالوا كان مولد عيسى لمضى اثنين وأربعين سـنة من ملوك الطوائف وكانت الرياسة بالشام ونواحيها القيصر ملك الروم وهرقل كما تقـدم فى فتوح الشـام وكان بالبهنسا قنطاريوس والله أعلم باسمه فلمـا سمـع الملك هيردوس بخبر المسيح قصد قتله وذلك انهـم نظروا الى نجمه وقد طلع فعرفوا ذلك بحساب لهم فى كتاب لهم فبعث الله ملـكا الى يوسف النجار وأخبره بمـا أراد هيردوس وان يعلم مريم ان تخرج الى ارض مصر فانه ان ظفر بولدك قتله فاذا مات هـيردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها عيسى عـلى حماره حتى دخل مصر وورد أرض البهنسا وهى الربوة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وهنالك بئر فى المعبـد يستشفون بمـائها من الامراض وهى التى كانت مريم وابنها يسـتسقون منها ويتوضؤن منها للصـلاة وكانوا هنالك فى سرب تحت الارض قيل ان مريم لمـا دخلت بولدها أرض البهنسا فوجـدوا بئرا وليس عليها رشاء فطلب عيسى عليه السلام المـاء ليشرب بعد ان عطش عطشا شديدا وبكى فحزنت أمه فارتفع المـاء من قعر البئر حتى شرب منه وهى من ذلك اليوم تزيد ويعرف منها زيادة النيـل ويجعلون النصارى لهـا عيدا الى يومنا هـذا وهنالك دير وزراعات والله أعـلم ثم دخل مدينة البهنسا وأقام بها اثنى عشر سـنة وامه تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى اثر الحصادين حتى تم لعيسى المـدة المذكورة روى محمد البـاقر قال لمـا جاء عيسى الى البهنسا وهو مع أمه ابن شهرين كانه ابن سـنتين فلمـا كمل تسعة أشهر أخذته والدته وجاءت به الى الـكتاب بارض البهنسا فاقعده المؤدب بين يديه وقال له قل (بسم الله الرحمن الرحيم) فقـال عيسى (بسم الله الرحمن الرحيم) فقـال له المؤدب قل ابجد فرفع عيسى طرفه وقال اتدرى ما ابجد فعلاه المؤدّب بالدرة ليضربه فقـال له يا مؤدّب لا تضربنى ان كنت لا تدرى فاسألنى حتى أعرفك فقـال قل لى فقـال انزل من عـلى مرتبتك فنزل من على مرتبته وجلس عيسى مكانه ثم قال الالف آلاء الله والبـاء بهاء الله والجيم جـلال الله والدال دين الله والهـاء هوية جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهلها والزاى زفـير جهنم والحاء حطت الخطايا عن المستغفرين والـكاف كلام الله لا مبدل لـكلماته والصاد صاع بصاع والقاف قرب حيات جهنم من العاصين فقـال لها المؤدّب خذى بيد ابنك فقد علمه الله تعالى فلا حاجة له بالمؤدّب حدثنا الحسـين ومحمد بن الحسن المقرى قال حدثنا الحـكيم محمـد بن أحمد بن حمـدون قال حدثنا محمد بن حمدون بن خالد قال حدثنا الحكيم بن نافع عن اسمـاعيل عن أبى مليكة عن عطية عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم ان عيسى عليه السـلام أرسلته امه الى المكتب ليتعـلم فقـال له المعلم قل (بسم الله الرحمن الرحيم)

فقال عيسى عليه السلام وما (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال المعلم لا أدرى فقال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله الخ ما جاء من الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام بارض البهنسا قال وهب كان اول آية اراها عيسى عليه السلام بمدينة البهنسا للناس فى صغره ان امه كانت نازلة فى دار بالبهنسا من أرض مصر عند دهقان من دهاقنة الملك انزلها فيها يوسف النجار عنده حين أتى بها من أرض الشام الى مصر وكانت داره مأوى المساكين فسرق للدهقان مال جزيل من خزانته وكان الدهقان من اخصاء الملك صاحب البهنسا ولم تتهم المساكين فحزنت مريم على مصيبة الدهقان صاحب ضيافتها فلما رأى عيسى عليه السلام حزن أمه قال يا اماه اتحبين ان ادلك على ماله قالت نعم قال قولى له يجمع المساكين الذين كانوا فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع المساكين الذين كانوا فى داره فلما اجتمعوا أتى الى رجلين منهم أحدهم اعمى والآخر مقعد فحمل الاعمى المقعد على كاهله وقال له قم به فقال له الاعمى انى ضعيف عن ذلك فقال له كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام به فلما استوى قائما وهو حامله أوصله الى كوة الخزانة فقال عيسى عليه السلام هكذا أخذ مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينه فقال لاعمى والمقعد صدقت فردا على الدهقان ماله فوضعه الدهقان فى خزانته وقال يا مريم خذى نصفه فقالت انى لم اخلق لذلك ثم قال الدهقان أعطيه لابنك قالت هو أعظم منى شأنا ثم لم يلبث الدهقان الا قليلا وعمل لولده عرسا فجمع اليه أهل المدينة كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زارته اكابر البلاد وملوكها وليس عنده طعام ولا شراب ولا ادام فلما اجتمعوا أمر عيسى عليه السلام بجرار الخمر الفارغة ان تملا ماء ثم مر بيده على افواهها وهو يمشى فكلما مرت يده على جرة امتلات شرابا هذا وهو ابن اثنى عشر سنة فازدادت أهل البهنسا فيه اعتقادا ومن حولها من المدائن والقرى والسواد من أرض مصر آية أخرى بأرض البهنسا قال السدى كان عيسى عليه السلام يحدث الصبيان فى المكتب بما تصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا فينطلق الصبى الى اهله ويبكى عليهم حتى يعطوه شيئا فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا أولادهم اى اهل البهنسا عنه ويقولون لهم لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى مكان فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا لعيسى ليس هنا أحد فقال ما فى هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ان شاء الله تعالى ففتحوا عليهم الباب فوجدوهم خنازير ففشا ذلك فى الناس وهابته الناس قال السدى لما نزل عيسى عليه السلام بأرض البهنسا نزل فى قرية من قراها على رجل فأضافهم وكان للملك خباز فجاء ذلك الرجل ذات يوم وهو مغتم حزين فدخل بيته ومريم عند زوجته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه كئيبا قالت لا تسأليني فقالت لها اخبريني لعل الله ان يفرج عنك قالت لها ان ملك البهنسا اذا خرج من مدينته يجعل على كبير كل قرية يوما يطعمه ويسقيه الخمر فان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم

علينا وليس عندنا سعة قالت مريم قولى له لا يهتم فانى آمر ابنى يدعو له فيكفى ذلك فذكرت مريم ذلك لعيسى عليه السلام فقال عيسى عليه السلام ان فعلت ذلك يقع شئ فقالت له أمه لا تبال فانه أحسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب الملك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل ذلك واذا بالملك قد أقبل فارتجت الارض من الطبول والزمور والصناجق واقبلت العساكر فدعا عيسى عليه السلام ربه عز وجل فتحول ماء القدور لحما وطعاما ملونا وماء الخوابى خمرا لم ير الناس مثله قط فلما اكل الملك ذلك الطعام وشرب سأل الدهقان من اين لك هذا الخمر قال من أرض الفيوم فلم يصدقه فقال الملك انه يأتينى منها الخمر والعنب لعصره وليس يساوى هذا فقال من أرض أخرى فلما خلط عليه الكلام انكر عليه قال انا أخبرك عندى غلام لا يسأل الله شيئا الا اعطاه وانه دعا الله تعالى حتى جعل الماء خمرا وكان للملك ولد يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان كان كلامك صدقا فليدع ربه يحيى لى ولدى فدعا عيسى واعلمه بذلك قال افعل لكنه ان عاش وقع شئ كثير فقال الملك لا ابالى بعد ان أراه فقال عيسى ان فعلت ذلك تتركونى انا وامى نمضى حيث جئنا قال الملك نعم فدعا الله تعالى فاحيى الغلام فلما رآه أهل المملكة قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكل اموالنا هذا الملك بظلمه حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتلوهما فذهب عيسى وأمه والآيات فى ذلك كثيرة يطول شرحها ذكرها أبو اسحاق الثعلبى فى عرائسه والله تعالى أعلم

(ذكر فتح البهنسا ومافيه من الفضائل)

وما وقع فيه للصحابة رضى الله عنهم قالت الرواة باسانيد صحيحة ممن حضر الفتح من أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدى وابن جعفر الطبرانى وابن خلكان فى تاريخ البداية والنهاية ومحمد بن اسحاق وابن هشام وكل منهم دخل حديثه فى حديث الآخر لما فى ذلك من اختلاف الرواة ممن حضر الفتوحات وشاهد الوقعات من الصحابة رضى الله عنهم قالوا وحضر ذلك معظم الصحابة وكبراؤهم مثل عبد الله بن عمرو بن العاص أمير الجيوش على مصر واخيه محمد وخالد بن الوليد وابنه سليمان وقيس بن هبيرة المرادى والمقداد بن الاسود الكندى وميسرة بن مسروق العبسى والزبير بن العوام الاسدى وابنه عبد الله وضرار بن الازور ومن بنى عم النبى صلى الله عليه وسلم مثل الفضل بن العباس وجعفر بن عقيل ومسلم بن عقيل وعبد الله بن جعفر ومن أبناء الخلفاء مثل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وابان بن عثمان رضى الله عنهم وقد اختصرنا فى اسمائهم خوف الاطالة وكلهم حدثوا بما عاينوا من الفتوح وماشاهدوا من الوقعات وحدثوا بذلك ابناءهم رضى الله عنهم وقد اخذنا هذا الفتوح على قاعدة الصدق لاثبات فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اذ لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين ولقد

نفذت سراياهم فى الارض شرقا وغربا حتى ولت الاعداء منهم هربا وسكبوا دماءهم فى الارض سكبا واستباحوا أموال الكفار نهبا وسلبا والله قد جعل منهم فى قلوب أعدائه خوفا ورعبا فهم نجوم الهداية واهل الولاية قد شرعوا الشرائع وتلوا القرآن ترتيلا قال الله فى حقهم تبجيلا وتعظيما فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن المحدث المصرى غفر الله له اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادة ونقصانا وكذلك تواريخ منقولة وكنت قدمت المدينة يعنى البهنسا لزيارة جباناتها لما رأيت فى ذلك من الفضائل والفضل والاجر والخير والحبور فان زيارتها تمحص الذنوب وتكشف الكروب وتحسن الاخلاق وتدر الارزاق وتورث النصر على الاعداء وتكفى البأس والرداء لما فيها من السادات الشهداء ممن باع نفسه لله وقتل فى سبيل الله ابتغاء مرضات الله ممن قال الله فى حقهم من له الفضل والمنة ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة فهم احياء عند ربهم يرزقون فزرنا الجبانة فى ساعة الاسحار ورأينا ما فيها من الانوار وبزيارة قبور السادة الاخيار نرجو من الله ان يحط عنا الذنوب والاوزار فلما قضينا الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة اخبرنا عن تلك السادة الامجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد فسألنى بعض الاصحاب عن سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع البأس والرداء فحرك لذلك خاطرى حتى امهرت لذلك ناظرى وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت المزاحمات حتى انتخبت هذا الكتاب فهو كالدرة اليتيمة التى لا يعرف لها قيمة ترتاح عند سماعه النفوس ويزول الهم والبوس ويشجع على الجهاد ويعين على اقامة العدل فى البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغبا فى ثواب الله العميم وذلك بعد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ونحن نبتدى (بسم الله الرحمن الرحيم) قال حدثنى من اثق به من الرواة ممن تقدم ذكرهم قال لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مصر واسكندرية والبحيرة والوجه البحرى كله جميعا كان بالصعيد نوبة وبربر وديلم وصقالبة وروم وقبط وكانت الغلبة للروم وكان اكثرهم روما ثم استشار عمرو بن العاص أصحابه اى جهة يقصد وهل يسير بالجيوش شرقا وغربا وما يصنع فاشار واعليه بمكاتبة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمرو بن العاص عامل امير المؤمنين على مصر ونواحيها الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانى احمد الله واثنى عليه واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من بالمدينة من المهاجرين والانصار والحمد لله قد فتحت لنا مصر والوجه البحرى واسكندرية ودمياط ولم يبق فى الوجه البحرى مدينة الا وقد فتحت ولا قرية واذل الله المشركين واعلى كلمة الدين وقد اجتمعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السادات والامراء والاخيار والمهاجرين والانصار يطلبون الاذن من امير المؤمنين هل يسيرون الى الصعيد أو الى الغرب والامر أمرك يا امير المؤمنين فانهم على الجهاد قلقون وباعوا

نفوسهم لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم وكتب هذه الابيات

صوارمنا تشكى الظما فى اكفنا * وارماحنا تشكى القطيعة كالهجر
اليك افتقاد الحرب يا طيب الثنا * ويامن اقام الدين بالعز والنصر
فقد ولعت خير الكرام الى العدا * بنو شيبة الحمد السراة بنو فهر
وصالت لؤى مع معد وغالب * وسادات مخزوم الكرام ذوى الفخر
تروم مسير العداء على شفا * تمكن من أعلاهم البيض كالسمر
ترى كل علج غائص فى دلاصه * تجمع فى نقع تاج كالجمر
بكل كميت صادق الوعد صائل * يرى درعه الزاهى تمكن بالصبر
نرى الموت فى وقع الوقائع مغنما * ونكسب من قتل العدا غاية الاجر

(قال الواقدى) رحمه الله فلما فرغ عمرو بن العاص من الكتاب عرضه على أصحابه ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى برجل يقال له سالم بن بجيمة الكندى وسلم اليه الكتاب ودفع له ناقة عشارية فاستوى على كورها وخرج بريد المدينة وهو يقول شعرا

أسير الى المدينة فى أمان * وارجو الفوز فى غرف الجنان
وارجو ان يقرب لى اجتماعى * واعطى ما أريد من الامانى
ألا يا ناقتى جدى وسيرى * الى نحو النبى بلا امتهان
وأقريه السلام وانشديه * كلاما صادقا حسن البيان
ألا يا اشرف الثقلين يا من * به شرف المدينة والمكان
فكن لى فى المعاد غدا شفيعا * اذا ما قيل هذا عبد عانى

(قال الواقدى) رحمه الله ولم يزل سائر الليل ونهارا حتى قدم المدينة الطيبة الامينة بعد صلاة العصر فدخل واناخ ناقته على باب المسجد وعقلها بفاضل زمامها ودخل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم على قبره الشريف وصلى ركعتين بين الروضة والمنبر ثم تقدم فوجد عمر بن الخطاب فسلم عليه قال فرد على السلام وصافحنى وكان لما رآنى أقبلت وأنا فرحان فقال سالم جاء بكتاب من مصر مرحبا به ثم التفت وعن يمينه على بن أبى طالب وعن شماله عثمان بن عفان وحوله من السادات والمهاجرين والانصار مثل العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة ابن عبد الله و بقية الصحابة رضى الله عنهم حوله ثم ناولته الكتاب فقال ماوراءك يا سالم فانت سالم فى الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى فقلت الخير والبشرى والامن يا أمير المؤمنين فلما قرأ الكتاب فرح واستبشر وكانت تلك الغنائم قد وصلت الى المدينة قبل ذلك بأيام وقسمت على الصحابة رضى الله عنهم ثم انه استشار عمر رضى الله عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن حضر فأشار عليه على بن أبى طالب بان عمر بن العاص لا يساير بنفسه ليكون أهيب له فى قلوب اعدائه وان يجهز جيشا عشرة

آلاف فارس و يؤمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه سيف الله فقال عمر صدقت
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد سيف من سيوف الله تعالى وفى رواية ان
خالدا سيف لا يغمد من اعدائه ثم بات سالم تلك الليلة فلما اصبح صلى الصبح فى مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على امير المؤمنين عمر يسأله الجواب فعندها استدعى
عمر رضى الله عنه بدواة وقرطاس ثم كتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عمر بن الخطاب الى عامله على مصر ونواحيها عمرو بن العاص سلام عليك ورحمة الله وبركاته
أما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام
عليك وعلى من معك من المهاجرين والانصار ورحمة الله وبركاته وقد قرأت كتابك وفهمت
خطابك فاذا قرأت كتابى هذا فاستعن بالله واربط الخيل وارسل الامراء لكل بلد امير ليقيموا
شرائع الدين ويعلموا الأحكام ثم انتدب عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامر عليهم خالد بن الوليد وارسل معه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن
الاسود وغانم بن عياض الاشعرى ومالك الاشتر وجميع الامراء واصحاب الرايات ينزلون على
المدائن ويدعون الناس الى الاسلام فمن اجاب قوله فله مالنا وعليه ماعلينا ومن ابى فيامرونه
باخذ الجزية وان عصى وامتنع فالحرب والقتال وامرهم اذا حاصروا مدينة يشنوا الغارات
على السواد وان بمصر مدينتين كما بلغنى احداهما يقال لها اهناس قريبة من مصر والثانية
يقال لها البهنسا امنع واحصن وبلغنى أن بها بطريقا طاغيا اسفا كا للدماء يقال له البطليوس
وهو اعظم بطارقة مصر كما بلغنى وانه ملك الواحات ولا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هاتين
المدينتين وعليك بتقوى الله فى السر والعلانية انت ومن معك وانصفوا المظلوم من الظالم
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وخذ حق الضعيف من القوى ولا تأخذك فى الله لومة لائم
واقم انت بمصر وارسل الاجناد وان احتجت الى مدد ارسل كاتبنى ارسل لك المدد والمعونة
من الله عز وجل واسأل الله تعالى أن يكون لكم بالنصر والمعونة والفتح والحمد لله رب
العالمين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى سالم فاخذه
وودع الصحابة وودع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ وصلى ركعتين وسار
ولم يزل سائرا حتى قدم مصر فوجد عمرا والصحابة نازلين بارض الجيزة وكان زمن الربيع وهو
جالس فى خيمته وأصحابه عنده وهذه الخيمة كانت لملك القبط من الحرير الازرق والاحمر
والاصفر سعتها ثلاثون ذراعا وقد فرش فيها فرشا كان للقبط وهو جالس يتحدث مع المقداد
وخالد والفضل وغانم والامراء معهم رضى الله عنهم وهو كاحدهم قال سالم فانخت ناقتى
فسمعت عمرا يقول وأنا خلف الخيمة قد ابطأ سالم فقال خالد كأنك به وقد اقبل فهويت
فاحس خالد بى من داخل الخيمة ولم يرنى بعينه ولا غيره ولا علم بى فقال سالم فقلت لبيك يا أبا
سليمان فقال مرحبا بك يا سالم وحياك الله ثم تقدمت وسلمت على عمرو وخالد وعلى بقية
الامراء ثم ناولته الكتاب فقرأه الى آخره وفهم ما فيه فلما سمع الامراء فرحوا بذلك فرحا

شديدا ثم ان عمرا استشار الامراء فى ذلك وكانوا الا يفعلون شيئا الا بمشورة بعضهم بعضا ولذلك
مدحهم الله فى كتابه العزيز بقوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم فاشاروا عليه أن يرسل
خلف الامراء والجنود المتفرقة فى البحيرة شرقا وغربا وان يرتب الجيوش ويقصدون الصعيد
ويتوكلون على الله عز وجل (قال الواقدى) وكانت الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحرى
قد تفرقوا فنهم فى اسكندرية وامسوس ودمياط ورشيد وبلبيس وكان أكثرهم بوسط البحيرة
فى المكان المعروف بالمنزلة مثل القعقاع بن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وميسرة بن
مسروق العبسى والمسيب بن نجبة الفزارى فعندها استدعى عمرو رضى الله عنه بالنجابة
والسعادة وعمرو بن أمية الضمرى ومثل هؤلاء رضى الله عنهم أجمعين وكتب الكتب وأرسلها
للامراء فعندها أجابوا بأجمعهم لانهم رضى الله عنهم كانوا أشوق للقتال من العطشان للماء
البارد الزلال ووضعوا فى البلاد والمدائن من يحفظها ويحرسها خيفة من العدو واقبلوا نحو
مصر مسرعين ونزلوا حولها وأخبروا عمرا رضى الله عنه فدخل دار الامارة وهى قريبة من
الجامع العمرى واقبلت السادات والامراء يسلمون عليه وكان ذلك نهار الاربعاء عاشر
شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين من الهجرة النبوية وقيل اثنين وعشرين والله أعلم
قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا عبيدة بن رافع عن أبيه جحيفة عن جابر بن عبد الله
الانصارى وحدث بذلك بن سلمة رضى الله عنه قالوا لما قدمت الامراء والاخيار من الصحابة
رضى الله عنهم أقاموا الاربعاء والخميس والجمعة فخطب عمرو رضى الله عنه بالناس فلما فرغ
من خطبته أمر الناس ان لا يتفرقوا حتى يقرأ عليهم كتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب فقرا
عليهم الكتاب فلما فرغ من قراءته تواثبوا كلهم كالاسود الضارية المشتاقة الى فرائسها
وقالوا كلهم سمعنا واطعنا ولارواحنا فى سبيل الله بذلنا وللجهاد طلبنا وفى الثواب رغبنا
والى الجنة اشتقنا ففرح عمرو بذلك قال ان امير المؤمنين قد امرنى ان اولى عليكم
سيف الله والنقمة على اعداء الله صاحب القتال الشديد والبطل الصنديد خالد بن الوليد قال
الراوى وكان خالد بن الوليد صديق عمرو فى الجاهلية واسلما فى يوم واحد ثم التفت عمرو الى
خالد وقال ادن منى يا أبا سليمان فدنا منه فقال عمرو يا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم انكم كلكم لكم الفضل وانى لست بأفضلكم وفيكم من هو ذو قرابة ونسب من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم السادة والامراء وانى كاحدكم وأنتم تعلمون ما فتح الله
على يديه من البلاد وما أذل الله على يديه من الاجناد (قال الراوى) فوثب الفضل بن العباس
رضى الله عنه وقال ايها الامير انا بذلنا انفسنا فى رضى الله عز وجل وما نريد بذلك الا رفعة
عند الله عز وجل وان خالدا من خيارنا ولو أمرت علينا عبدا حبشيا لامتثلنا امره فى رضى الله
عز وجل فناهيك بخالد وهو سيد من سادات قريش عزيز فى الجاهلية والاسلام فتهلل
وجه خالد وعمرو وفرحا ثم امرهم بالنزول جميعا بأرض الجيزة قريبا من الهرم الشرقى واقبلوا
يضربون خيامهم حوله حتى تكاملت العساكر رضى الله عنهم اجمعين (قال الراوى) بسنده

الى الواقدى رحمه الله وابن اسحاق وابن هشام قال لما تكاملت الجيوش وذلك فى ربيع الآخر من السنة المذكورة صلى عمرو بأصحابه صلاة الصبح ثم قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من المسلمين ومعه خالد بن الوليد والمقداد بن الاسود الكندى والزبير بن العوام الاسدى والفضل بن العباس الهاشمى وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال والمسيب بن نجيبة الفزارى والعباس بن مرداس واولاد عبد المطلب وبقية السادات حتى طلع على رابية واشرف على الجيش فلما راى اجتماعهم سر بذلك سرورا عظيما ثم امر بعرض الجيش فتقدمت الامراء اصحاب الرايات وصار كل امير يعرض جيشه وبنى عمه على عمرو بن العاص فكانت عدتهم فيما ذكر والله اعلم ستة عشر الف فارس فانتدب منهم عشرة آلاف فارس كلهم ليوث عوابس وعليهم الدروع الداودية متقلدين بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية من خيار امة خير البرية فعند ذلك قال لهم عمرو يامعاشر الامراء اصحاب الرايات والسادات الاخيار ان خالدا أمير عليكم فاسمعوا له واطيعوا وكونوا كلمة واحدة ونازلوا المدائن والقلاع وشنوا الغارات على السواد ولا تقاتلوا قوما حتى تدعوهم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان ابوا فاداء الجزية فان ابوا فالقتال بينكم وبينهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وارسلوا الطلائع ولا يكون فى الطلائع الا كل فارس كرار فى الحرب والقتال وثبتوا انفسكم ولا يغرنكم كثرة اعدائكم فانتم الغالبون فقد ذكر الله فى كتابه المكنون المبين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم فانتم الغالبون والله معكم وأنتم كلكم اهل الفضل والسابقة واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلتم بين يديه ولا تحتاجوا الى وصيتى بارك الله فيكم قال الراوى ثم ان عمرا استدعى باصحاب الرايات فكان اول من تقدم بعد خالد الزبير بن العوام رضى الله عنه وهو راكب على جواده الاغر شاك فى سلاحه فسلمه الراية وامره على خمسمائة فلما خرج بعسكره هز الراية وانشد يقول شعرا

انا الزبير وابن العوام * ليث شجاع فارس الاسلام
قرم همام فارس هجام * اقتل كل فارس ضرغام
وانني يوم الوغا صدام * وناصر فى جانب الاسلام

قال ثم استدعى بالفضل بن العباس وامره على خمسمائة فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسلم الراية بيده وتوجه وهو يقول شعرا

انى انا الفضل بن العباس * وفارس منازل حواس
معى حسام قاطع للراس * فالق الهامات والاضراس
افنى به الاعداء بنى ساس * وما على لا ارم من باس

قال ثم استدعى بزياد بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وسلمه الراية وكان رضى الله عنه

فارساعظيما و بطلا صنديدا فتسلم الراية وتوجه وهو ينشد

انا الفارس المشهور يوم الوقائع * بحد حسام فى الاعادى قاطع
ورمحى على الاعداء مازال طائلا * اذا احتكم الاعداء للضد قامع
وعزمى فى الهيجاء مازال ماضيا * برأى سديد للمحاسن جامع
اصول على الاعداء صولة قادر * واشبعهم ضربا ببيض لوامع
امام الوغى من آل ذروة هاشم * حماة البرايا كالبدور الطوالع
انا ابن ابى سفيان من نسل حارث * تموت العدا منى وكل منازع

قال ثم استدعى من بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية وتوجه وهو يقول شعرا

أسير الى الاعادى باهتمام * بقلب صادق حسن الزمام
بابطال بجاجة أسود * سراة فى الوغا قوم كرام
ابيدهم عداة الدين جمعا * ولا اخشى من القوم اللئام
اذا ماجلت فى الهيجا برمحى * اصول به وفى ايدى حسامى

قال ثم استدعى من بعده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأمره على خمسمائة فارس فتسلم الراية وتوجه وهو يقول

وحق من انزل الآيات فى السور * وارسل المصطفى المبعوث من مضر
لاانثنى عن لقا الاعدا ولو جمعت * حماة ابطالهم يوما كالزمر
حتى ابيدهم ضربا واتركهم * فوق الثرى خمشا مخدوشة الصدر
بكل قرم همام ماجد نجد * الى الوقائع يوم الحرب مبتدر
نحن الكرام الذى للدين ارسلنا * امام دين الورى غيث الندا عمر

قال ثم استدعى من بعده جعفر بن عقيل وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية وتوجه وهو يقول شعر

انا ابن عقيل من لؤى وغالب * همام شجاع للاعادى غالب
حماة الوغا أهل الوفا معدن الصفا * الى جود عنانا مسير الركائب
ولا يعرف المعروف الا بعرفنا * ولا الجود الا جودنا كالمواهب
علا مجدنا فوق الثنا وثناؤنا * علا شرفا من فوق كل الكتائب
فياويل أهل البغى منا اذا التقت * فوارسنا فيهم بحد القواضب

قال ثم استدعى من بعده أخاه الفضل وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتسلمها وتوجه وهو يقول

انى أنا الفضل وابن عقيل * اسير الى العرب بلا تمهيل
بحد سيف قاطع صقيل * به ابيد الكافر المجهول

انا ابن عمي احمد الرسول * المرسل المبعوث في التنزيل

قال ثم استدعى من بعده المقداد بن الاسود الكندي وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

انا المقداد في يوم النزال * ابيد الضد بالسمر العوالي
وسيفي في الوغا ابدا صقيل * طليق الحد في أهل الضلال
معي من آل كندة كل قرم * مجيد الطعن في يوم النزال
فياويل العدا والروم منا * اذا التحم الفوارس في القتال
وهم صرعى كاعجاز لنخل * تقطعها الفوارس بالنصال

قال ثم استدعى من بعده عمار بن ياسر وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

انا الهمام الفارس الكرار * افني بسيفي عصبة الكفار
ان جالت الخيل بل افكار * وقام سوق الحرب من عمار
حمى لدين المصطفى المختار * صلى عليه الواحد القهار
وآله وصحبه الاخيار * مابان ليل واضاء نهار

قال ثم استدعى من بعده العباس بن مرداس السلمي وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

انا العباس رايي مستقيم * معي سادات آل بني سليم
اذل بهم حماة البغي لما * ترى الهيجاء كالليل البهيم
وسيفي ماضي الحدين اضحى * لاهل الشرك كالموت العميم
به افني الطغاة بكل ارض * واقتل كل افاك أثيم
ونحن بنو سليم خيار قوم * هدينا الصراط المستقيم

قال ثم استدعى من بعده ابا دجانة الانصاري رضي الله عنه وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

اسير باسم الواحد المنان * جهرا لاهل الكفر والطغيان
اذيقهم ضربا على الابدان * بكل هندي مبيد الجان
انصر دين المصطفى العدنان * صلى عليه الملك الديان
وآله والصحب والاخوان * ماناح قمري على الاغصان

قال ثم استدعى من بعده غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه وسلمه الراية وتوجه وهو يقول

اني اذا انتسب الفوارس اشعري * قرم همام في المعامع عنتري
بحماة ابطال الاعادي مزدري * وبراحتي من القواضب أبتري
يوم التلاطم للفوارس مسكر * واحوم حومات الغزال الجوذر

فلا اقتلن

فلا قتلن فوارسا وعوابسا * واذيقهم منى العذاب الاكبر

قال ثم استدعى من بعده اباذر الغفارى وأمره على خمسمائة فارس فسلمه الراية فتوجه وهو يقول

سامضى للعداة بلا كتئاب * وقلبى للقا والحرب صابى
ولى عزم اذل به الاعادى * وارجوا الفوز فيهم كالثواب
وان صال الجميع بيوم حرب * لكان الكل عندى كالكلاب
اذ لهم بابيض جوهرى * طليق الحد فيهم غيرآب

قال ثم استدعى من بعده القعقاع بن عمرو التميمى والمغيرة بن شعبة الثقفى وميسرة بن مسروق العبسى ومالكا الاشتر النخعى وذا الكلاع الحميرى والوليد وعقبى بن عامر الجهنى وجابر بن عبدالله الانصارى وربيعة بن زهير المحازمى وعدى بن حاتم الطائى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم وقد اقتصرنا فى أشعارهم خوف الاطالة وكل واحد يسلمه راية ويؤمره على خمسمائة فارس قال فلما تكاملوا وتجهزوا خرج عمرو واصحابه فودعهم وسارت الكتائب وتتابعت المواكب يتلو بعضها بعضا وخلفهم الذرارى والصبيان حتى أتوا الى الجيزة ونزلوا بمكان يعرف بالمرج الكبير قريب من تلك المدائن والقرى والرساتيق وتقدمت الطلائع يتجسسون الاخبار وقد كان بدهشور بطريق عظيم من قبل مارنوس صاحب اهناس وكان فارسا مكينا وكلبا لعينا قاتله الله وكان يقول فى نفسه انه يناظر البطلوس فى ولايته لكن البطلوس صاحب البهنسا لعنه الله كان أشد بأسا واعظم مراسا واكثر عددا واقوى مددا واوسع بلادا فكاتبه فى ذلك وكاتب روسال صاحب الاشمونين وكاتب اقراقيس صاحب قفط وكان يحكم على اخميم وكاتب الكيكلاج وكان يحكم الى عدن والبحر المالح الى بلاد البجاوة والنوبة وحد السواد وتسامع الناس بمسير العرب الى الصعيد وكاتبت الملوك بعضها بعضا وماج الصعيد بأهله الى حد الواحات ووقع الرعب فى قلوبهم فعند ذلك وثب مكسوح ملك البجاوة وعلدف ملك النوبة وجمعوا ما حولهم من أرض النوبة والبجاوة والبربر وأتوا الى اسوان وكان مع ملك البجاة ألف وثلاثمائة فيل عليها قباب الجلد بصفائح الفولاذ فى كل قبة عشرة من السودان طوال القامة عراة الاجساد على أوساطهم واكتافهم جلود النمورة وغيرها ومعهم الدرق والحراب والكرابيج والقسى والمقاليع والاعمدة الحديد والطبول والقرون وكانت عدتهم عشرين ألفا فلما وصلوا اسوان خرجوا الى لقائهم بعسكرهم واعلموهم بامرهم وساروا اليهم بالملاقاة من الذرة والشعير والقصب ولحوم الخنازير والضباع وغيرها من الوحوش فانزلوهم وضيفوهم ثلاثة ايام ثم خرج بطريق اسوان ومعه جيش حتى وصلوا الى ملك قفط صاحب القرية القريبة من قوص وعمل معهم مثل ذلك وسير معهم جيشا وساروا حتى وصلوا الى انصنا وكان بها بطريق عظيم وبطل جسيم وكان منجما وكان يحكم شرقا وغربا وكانت مدينته عظيمة على شاطئ البحر وبها جند كثير وعجائب عظيمة ولها حصن عظيم من الحجر علوه ثلاثون ذراعا ومن داخلها

قصور ومقاصير وكنائس وقلاع على اعمدة الرخام وغيرها فى المدينة فلما نزلت تلك العساكر على انصنا خرج اليهم بطريقها جرجيس بن قابوص وتلقاهم وارسل معهم ابن عم له يسمى قيطارس وكان فارسا شديدا فى اربعة آلاف فارس ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا بوادى البهنسا عند بطريق يسمى قلوصا من بطارقة البطلوس فلما سمع بهم البطلوس خرج الى لقائهم فى عسكر عظيم زهاء عن خمسين الف فارس من البطارقة وعليهم الدروع المذهبة واقبية الديباج المرقومة بالذهب الوهاج وعلى رؤسهم التيجان المكللة باللآلئ والجواهر راكبين على خيول وبراذين مسرجة عليها سروج الذهب والجنائب مغطاة بغشيات من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم خمسون صليبا طول كل صليب أربعة أشبار من الذهب تحت كل صليب ألف فارس على كل صليب رمانة من الذهب المنقوش وهم فى زى عظيم عجيب وقد أكثروا من الطبول والزمور والضرب والقرون والمعازف حتى ارتجت الارض ومعهم الجمال والبغال والجاموس فلما التقوا ترجلت الملوك والبطارقة للقائهم وسلم بعضهم على بعض وتكلموا فيما بينهم بسبب العرب فقال لهم البطلوس لا تطمعوا العرب فيكم ولا فى بلادكم فانما مثل العرب كمثل الذباب ان تركتها اكل وان منعته فر وهلك فاثبتوا واصدقوا العزم فلقد كاتبت لكم سنجاريب ملك برقة وكاتبت ملك الواح وكانكم بهم وقد أتوا اليكم ولوانى اخشى ان العرب يأتون الى بلادى لما يسمعون انى خرجت اليهم فيشتغل جماعة بقتالكم وجماعة يأتون الى بلادى فيملكونها وليس فيها من يذب عنها اذا خرجت معكم لكنت فى خدمتكم فانا نجد فى الكتب القديمة انهم اذا ملكوا البهنسا ونواحيها فلا تقوم لاهل الصعيد قائمة قال كرماس الرومى وكان ممن أسلم بعد ذلك وحضر وحدث به قال يامعاشر الملوك والبطارقة انى قد اطلعت على الكتب القديمة وفيها انهم ان ملكوا البهنسا ونواحيها فلا يقوم لاهل الصعيد بعد ذلك قائمة قال فلما سمع الملوك ذلك صدقوا له ثم انتدب من بطارقته عشرين ألفا ممن عرفت شجاعتهم وقوتهم وبراعتهم وملك عليهم صاحب الكفور وكان كافرا طاغيا وكان اسمه برلص وكان اعتنا ودفع له صليبا من الذهب وعلما من الحرير الاطلس الاصفر مرقوما بالذهب فيه صورة الشمس ودفع لهم ما يحتاجون له من الجنائب والقباب والمرادقات ومضارب الديباج الملون واوانى من الذهب والفضة والصناديق المملوءة بالذهب والفضة والبراذين والبغال وعليها الجمال الحرير الملون وبعضها محمل بالاوانى المذكورة والخيام والسرادقات وسارت العساكر وتتابعت الملوك بالمواكب يتلو بعضها بعضا حتى قربوا من مدينة ببا الكبرى فخرج اليهم بطريقها اصندراس وتلقاهم وفعل معهم كما فعل البطلوس واضافهم وجهز معهم جيشا عشرة آلاف فارس من صناديد بطارقته وولى عليهم بطريقا اسمه داردبس وكان يناظر بطريق الكفور فى الشجاعة والقوة والبراعة وساروا حتى قربوا من مدينة برتشت فخرج اليهم بطريقها فتلقاهم وكان يناظر البطريق الاعظم رأس بطارقة الكوة ولم يزالوا سائرين حتى ملؤا الارض شرقا وغربا هذا ما جرى لهؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من أصحاب محمد

صلى الله عليه وسلم فانهم لما نزلوا قريبا من دهشور كما ذكرنا وكانت العيون من المسلمين من بنى طى ومذحج ينزلون ويتزيون بزى العرب المتنصرة يتجسسون الاخبار حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة وكانوا حذاقا متفرسين فلما رأوا ذلك هالهم أمره قال الراوى حدثنى سنان بن قيس الربعى عن طارق بن مكسوح الفزارى عن زيد بن غانم الثعلبى وكان ممن حضر الفتوح وشاهد الوقعة صحبة جيش خالد بن الوليد رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس نصلح شأننا بالمرج ونحن على أهبة السفر اذ قدمت الجواسيس فاخبروا خالدا بقدوم العساكر فقال لهم هل حزرتم الجيوش فقالوا نعم نحو مائتى ألف فارس وخمسين ألف راجل من النوبة والبربر والبجاة والفلاحين غيرهم وهم فى أهبة عظيمة ومعهم ألف وثلاثمائة فيل وعلى ظهورها الرجال كما وقع فى يوم حرب العراق فلما سمع الامراء ذلك اضطربوا وثبتوا جنانهم وقالوا قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال خالد لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قرأ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا قال لاصحابه لا تهتموا لذلك واصبروا وانتم الاعلون والله معكم فليست جموعهم باكثر من جموع اليرموك ولا من جموع أجنادين ومع ذلك فقد ملكتم مصرهم التى هى تاج عزهم وملكتم الوجه البحرى وقتلتم مائة من ملوكهم وبطارقتهم وقد صارت الشام واليمن والعراق والحجاز بايديكم وقد دانت لكم البلاد وقد كنتم قليلا فكثركم الله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقاتلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتم بالملائكة ووعدكم على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم انه يستخلفكم فى الارض كما استخلف الذين من قبلكم ومن قتل منكم كان له الجنة وتنتقل روحه الى روح وريحان ورب غير غضبان فلما سمعوا كلامه تهللت وجوههم فرحا وقالوا يا خالد نحن كلنا بين يديك وقد وهبنا أنفسنا لله ابتغاء وجه الله ومرضاته (قال الواقدى) رحمه الله ثم ان خالدا وجه يزيد بن معرج التنوخى الى عمرو بن العاص مسرعا واعلمه بذلك فترك فى مصر ابن عمه خارجة وكان رجلا صالحا وخرج معه أربعة آلاف فارس وترك فى مصر نحوا من أربعين فارسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء اليهم فى أربعة آلاف فارس فلما اقبل سلموا عليه وقالوا كنا نحن نكفيك أيها الامير فقال لهم اعلم ذلك ولكنكم فى اول بلاد العدو وما ينبغى ان اقعد عنكم ففرحوا بذلك وتأهبوا للقاء العدو وكانوا كل يوم يخرجون الطلائع ويتجسسون الاخبار فلما كان فى بعض الايام خرج الفضل بن العباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن العباس وجعفر بن عقيل واخوته على ومسلم وعبد الله بن الزبير وسليمان بن خالد بن الوليد ومحمد بن فرحة بن عبد الله وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعد بن أبى وقاص

ومحمد بن مسلمة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وزياد بن المغيرة ابن شعبة وتبعهم السادات نحو أربعمائة سيد من اولاد الصحابة والامراء أصحاب الرايات والف وستمائة من اخلاط العرب من المهاجرين والانصار ولبسوا دروعهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم وتنكبوا بجحفهم وساروا الى قريب من دير هناك بسفح الجبل يعرف بدير المسيح يكشفون الاخبار فبينما هم كذلك واذا بغبار طلع الى عنان السماء وانعقد فنظر بعضهم الى بعض وقالوا هذا غبار وحش وقال بعضهم لو كان كذلك لكان تقطع قطعا وتفرق فرقا وانما هذا عسكر جرار وان الخيل اذا داست بحوافرها ارتفع الغبار (قال الراوى) حدثنا ابو الزناد عن عبد الله عن أبي مالك الخولانى عن طارق بن شهاب الجرهمى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال بينما نحن نتحدث مع الفضل واذا بالغبار قد قرب منا وانكشف عن عشرة آلاف فارس ومعهم الاعلام والصلبان فلما رأونا طمعوا بالغنيمة ثم لم يمهلوا دون ان حملوا علينا (قال الراوى) وكان ضرار بن الازور قد انفرد ومعه مائتان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النجدة وساروا فى طريق الجبل على غير الجادة فبينما هم يسيرون واذا بالغبار قد ثار وانكشف عمن ذكرنا فلما عاينوهم ايقنوا بالهلاك فعندها وثب ضرار رضى الله عنه وقال لا فرار من الموت فلم يمهلوهم دون ان داروا عليهم فرأوا ان لا بد لهم من القتال والتفت الرجال بالرجال وصبروا صبر الكرام وأحاطت بهم الروم اللئام من كل جانب ومكان فلله در ضرار لقد قاتل قتالا شديدا فلم يكن غير ساعة حتى قتل من جماعة ضرار جماعة وكابه جواده فاسروه واسروا جماعة من أصحابه وكان الذى قاتلهم رأس البطارقة صاحب بيت لها الكبرى فاوثقوا ضرارا وأصحابه كتافا ور بطوهم على ظهور خيولهم وارسلوهم الى العسكر وانفلت من القوم مولى من موالى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق يقال له سالم فسار يجد فى مسيره حتى قدم على خالد وعمرو فعند ذلك وثب المسيب بن نجيبة الفزارى ورافع بن عميرة الطائى وأخذوا معهما الفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وساروا ومعهما رجل ممن أسلم من الجيرة يدل بهم على طريق غير الجادة واكمنوا هناك عند الدير وقد سبقوا البطريق الذى أسر ضرارا واصحابه وقد اختفى عنهم الاثر فقال الدليل اظنكم قد سبقتم القوم اكمنوا هاهنا وكان الذى مضى بضرار واصحابه خمسمائة فارس قال الراوى وكانت خولة بنت الازور قد شق عليها اسر أخيها ضرار فلما سار المسيب ورافع وجماعتهما فى طلب أخيها تهللت فرحا واسرعت فى لبس سلاحها واتت الى خالد وقد هم القوم بالمسير وقالت ايها الامير سألتك بالطاهر المطهر الا ما سيرتنى مع هؤلاء عسى أن اكون مشاهدة لهم فقال خالد للمسيب ورافع انتما تعلمان شجاعتها وبراعتها فخذاها معكما فقالا السمع والطاعة ونزلوا بالمكان المذكور فبينما هم كذلك مكمنون واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال لهم رافع ايقظوا خواطركم فايقظت القوم هممهم فاذا بهم وقد أتوا محدقين بضرار وهو متألم من كتافه وهو ينشد ويقول

الا بلغا قومى وخولة اننى * اسير رهين موثق اليد بالقيد
وحولى علوج الروم من كل كافر * واصبحت معهم لا اعيد ولا أبدى
فلو اننى فوق المحجل راكبا * وقائم حد العضب قد ملكت يدى
أذل به للروم اذلال نقمة * واسقيهم وسط الوغا اعظم الكد
فيا قلب مت هما وحزنا وحسرة * ويا دمع عينى كن معينا على خدى
فلو ان أقوامى وخولة عندنا * والزم ما كا عليه من العهد
كابى جوادى فانتبذت على الوغا * واصبحت بالقيد ولم امتلك قصد

(قال الراوى) فنادته خولة من مكمنها قد أجاب الله دعاءك وقبل تضرعك ونجواك انا خولة ثم كبرت وحملت وكبر رافع والمسيب قال جبير بن سالم وكنا اذا كبرنا تصهل الخيل الهاما من الله تعالى فما كان اكثر من ساعة حتى قتلناهم عن آخرهم وخلص الله ضرارا واصحابه وأخذنا خيل القوم واسلابهم وسلاحهم وكانت اول غنيمة (قال الراوى) ولما تخلص ضرار واصحابه ركب جوادا عريانا وأخذ قناة كانت مطروحة وحمل على القوم وهو يقول شعرا

لك الحمد يا مولاى فى كل ساعة * مفرج أحزانى وهمى وكربتى
فقد نلت ما ارجوه من كل راحة * وجمعت شملى ثم اشفيت علتى
سأفنى كلاب الروم فى كل معرك * وذلك والرحمن اكبر همتى
فيا ويل كلب الروم ان ظفرت يدى * به سوف اعليه الحسام بنقمة
واتركهم قتلى جميعا على الثرى * كارمة فى الارض من عظم ضربتى

(قال الراوى) رحمه الله فلما فرغ ضرار من شعره واذا بالخيل قد اقبلت منهزمة وكان السبب فى ذلك انه لما حملت الروم على الفضل بن العباس صاح هو وبنو عمه ولم يرعهم كثرة عدوهم وصبر واصبر الكرام واشتد الزحام وعظم المرام وحرت الدماء واسودت السماء وحمى الوطيس وهمهمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وقل الانيس ودارت رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وجالت الرجال واشتد القتال وضربت الاعناق وسالت الاحداق وعظمت الامور وغابت البدور وكان المسلمون لا يظهرون فيهم لكثرتهم ولا يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقد صبر الفضل صبر الكرام فلله در الفضل لقد اصطلى الحرب بنفسه فكان تارة يقلب الميمنة على الميسرة وتارة يقلب الميسرة على الميمنة ويقاتل والراية بيده ولله در مسلم بن عقيل واخوته لقد قاتلوا حتى صارت الدماء على دروعهم كقطع اكباد الابل ولله در سليمان بن خالد بن الوليد المقتول بوقعة الدير قريبا من طرى بقرية تسمى ديروط وقتل معه عبد الله بن المقداد وجماعة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى قال محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وقاتلنا قتال الموت وايقنا ان المحشر من ذلك الموضع ولم نزل فى قتال من ارتفاع الشمس حتى غربت وقد قتل من الروم مقتلة عظيمة وتقدم الفضل الى بطريق عظيم راكب كأنه برج من ذهب وطعنه فى صدره أخرج السنان من ظهره فلما رأت

الروم ذلك شجعوا أنفسهم وفشا القتال بيننا وبينهم وقتل من المسلمين أربعون رجلا وقتل منهم ثلثمائة لكن الرجل ماقتل مناحتى قتل جماعة من الروم فبينما نحن كذلك وقد ايقنا ان الموت فى ذلك الموقف ووطنا عليه نفوسنا واذا بغبرة قد طلعت والعجاج قد ارتفع وانقشع الغبار عن رايات اسلامية وعصابة محمدية زهاء ألفى فارس وفى أوائلهم فرسان امجاد سادات انجاد أحدهما المقداد والثانى زياد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة ومعهم ألف فارس فلم يمهل المقداد دون ان حمل وخاض فى الخيل وهو ينشد ويقول شعرا

الاانى المقداد اكبر صائل * وسيفى على الاعداء اطول طائل
اذا اشتدت الاهوال كنت امامها * واضرب بالسمر الطوال الذوابل
ولى همة بين الورى تردع العدا * لها تشهد الابطال بين القبائل
فليس لسيفى فى الانام مبارز * وليس لشخصى فى الانام منازل

ثم انه خاض فى وسط الحرب وحمل من بعده زياد بن ابى سفيان وهو ينشد ويقول

انا زياد بن أبى سفيان * جدى يرى من اشرف العربان
كذا ابن عمى احمد العدنان * معى حسام ثم رمح ثان
أطعن فى كل كافر جبان * وكل قلب ناقص الايمان

(قال الراوى) ثم غاص فى وسط القوم قلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وغاص فى القلب فولت الروم من بين يديه منهزمين وهو يضرب بالسيف فيهم طولا وعرضا ثم حمل من بعده القعقاع بن عمرو التميمى وهو ينشد ويقول

أنا الهمام الفارس القعقاع * ليث همام ضيغم مطاع
معى حسام يبرى الاوجاع * ويقطع الهامات والاضلاع
ياويل أهل الشرك والنزاع * منى اذا طال فى الحرب باع

قال ثم حمل من بعده شرحبيل بن حسنة وهو يقول

الا ياعصبة الاسلام صولوا * على الاعداء بالسيف الصقيل
اذيقوهم حياض الموت جهرا * بلذع السمهرى الرمح الطويل
وموتوا فى الوغا قوما كراما * شدادا فى المعامع والنزول

(قال الراوى) رحمه الله ثم تتابعت الفرسان يتلو بعضها بعضا هذا وزياد غائص فى القوم كما ذكرنا وقصد البطريق الاعظم صاحب بيا الكبرى وضربه على عاتقه الايمن بالسيف اطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر وقد أجابته المسلمون بتكبيرة واحدة وكبرت الجبال وارتجت الارض لوقع حوافر الخيل وحمل كل أمير على بطريق فقتله فلم تكن الاساعة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار لا يلوى بعضهم على بعض وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى بلغت الهزيمة حرزة وميدوم فبينما ضرار وأصحابه مقبلون واذا

بالروم منهزمة كما ذكرنا وخيل المسلمين فى اثرهم يقتلون ويأسرون ولم يعلموا ماجرى لضرار
ورفقته فلما رأوه سلموا عليه وهنوه وأصحابه بالسلامة فقص عليهم ماجرى لهم واجتمعوا
بالمسيب وأصحابه وأوروهم مكان المعركة ومكان القتلى ففرحوا بذلك فرحا شديدا قال
الراوى رحمه الله وان عمرا وخالدا لما خرج الفضل وأصحابه قلقا عليهم فقال خالد لعمرو
يا أبا عبد الله لقد أغر الفضل وأصحابه بمن معهم من المسلمين وانى اخشى أن تكون للروم
طليعة فيغرون بأصحابنا قال عمرو وكذلك هجس بخاطرى يا أبا سليمان فما ترى من
الرأى قال خالد الرأى عندى أن أرسل طليعة أخرى خلفهم قال نعم الرأى ثم استدعى
بالزبير بن العوام وأبى ذر الغفارى رضى الله عنهما وأعلمهما بذلك وأراد خالد أن يركب معهم
فمنعه الزبير وحلف لا يسير الا هو وانتخب معه فرسانا وساروا حتى قربوا من القوم والتقوا
بالمسلمين فوجدوهم قد كسروا الروم كما ذكرنا ثم جمع المسلمون الاسلاب والسلاح والخيل
ورجعوا الى أصحابهم وهم فرحون بالنصر على أعدائهم قال الراوى رحمه الله فلما رجع
المسلمون الى العسكر وكان معهم ستمائة أسيرا علن المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة
على البشير النذير فأجابهم المسلمون كذلك ولما عاينوا الاسلاب والاسارى معهم فرحوا بذلك
وسلم بعضهم على بعض وتلقاهم عمرو وخالد وباقى الامراء وتفاءلوا بالنصر وقدموا الاسارى
وعرضوهم على عمرو وخالد واوقدوا النيران بالمرج وباتوا يقرؤن القرآن و يتضرعون الى الله
الواحد المنان وليس فيهم الامن هو راكع او ساجد (قال الراوى) رحمه الله هذا
ماجرى لهؤلاء وأما المنهزمون فانهم مضوا الى البطارقة والملوك وأخبروهم بما وقع من امرهم
فعظم عليهم من قتل واعتدوا للقتال وركبوا خيولهم وابلهم وافيالهم وتزينوا بزينتهم وساروا
يجدون المسير وقد اكثروا الطبول والزمور والصنوج قال قيس بن الحارث وأقام المسلمون
بعد الوقعة يوما فبينما نحن فى اليوم الثانى بعد صلاة الصبح وكان الاجاويد من الامراء
والابطال فى كل يوم يركبون و يستنشقون الاخبار فبينما هم ينتظرون اذ ثار الغبار حتى
تعلق بالجو وانكشف عن رجال وخيول كالجراد المنتشر والسيل المنحدر وارتجت الارض
من ازدحام الخيل وقعقعة اللجم فرجعوا واعلموا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح
الصائح فى العسكر النفير النفير ياخيل الله اركبوا وفى الجنة ارغبوا وفى الثواب اطلبوا
فتواثب المسلمون الى قدومهم ولبسوا دروعهم والى خيولهم فركبوها والى راياتهم فنشروها
والى زينتهم فاظهروها والى قلوبهم من الغش فطهروها ونفوسهم لله باعوها فلم تكن
الاساعة حتى استعدوا وأقام خالد وعمرو يعبيان قومهما للقتال فجعلا فى القلب أصحاب
الطعن والضرب مثل الفضل بن العباس وبنى عمه من سادات بنى هاشم وهم جعفر ومسلم
وعلى أولاد عقيل بن على بن أبى طالب وزياد بن أبى سفيان بن الحارث ومثل هؤلاء الابطال
وجعل فى الجناح الايمن الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى والمسيب بن نجبة
الفزارى وجعل فى الجناح الايسر القعقاع بن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وغانم بن عياض

الاشعرى وأباذرالغفارى وجابربن عبدالله الانصارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم وثبت خالد وعمرو فى القلب ومعهما عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهنى وبقية الصحابة من الامراء أصحاب الرايات ممن شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن زيد من أبى امامة رضى الله عنه وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن كذلك واذا باعلام المشركين قد انتشرت وراياتهم قد ظهرت وزينتهم وصلبانهم قد ارتفعت ولغتهم بالكفر قد طمطمت وافيالهم قد أقبلت ورجالهم للقتال قد تبادرت فلما رأى المسلمون ذلك أخلصوا نياتهم ولم يهلهم ما رأوا من عدوهم وتضرعوا بالدعاء لخالقهم وقد استغاثوا بمالكهم وأكثروا من الصلاة على نبيهم ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأى العين فعند ذلك أمسك المشركون أعنة خيولهم وسلاسل أفيالهم وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم خرج منهم بطريق من عظماء بطارقتهم كأنه برج مشيد من ذهب وهو لا يبان منه غير حمالیق الحدق وتدويرالمأق وبين يديه فارس من متنصرة العرب وهو يصيح بملء رأسه يامعاشر العرب ارسلوا الى الملك أحدا يكلمه فاعلم المسلمون عمرا وخالد بن الوليد بذلك فأراد خالد أن يخرج اليه فمنعه الامراء من ذلك فعندها وثب المقداد ابن الاسود وحلف لا يخرج اليه الا هو بنفسه فقال عمرو وخالد ياأبا عبد الله انظر مايكلمك به الاعلاج وادعهم الى كلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص فان أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا قاتلناهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (قال الواقدى) رحمه الله فعندها ركب المقداد جواده وسار حتى وقف بين يدى البطريق وكان ذلك بولص صاحب الكفور الطاغى اللعين بطريق البطلوس وقد أتى باذن الملك والبطارقة فلما رآه كلمه بلسان عربى مبين ثم قال يابدوى أنت أمير قومك قال لا قال فانى لا أريد الا الامير حتى اسأله عما بدا لى لعل أن تكون فيه مصلحة بينكم وبيننا فقال المقداد سل عما بدا لك وما تريد فانا قوم اذا فعل أحدنا أمرا وفيه نصح للدين ومصلحة للمسلمين لاينكر عليه ذلك ويجوز له الامير ما فعل فاخبرنى عن أمرك وشأنك قال لا يكلمنى الا امير القوم وان كان عنده خوف منى ألقيت سلاحى فقال المقداد وقد ضحك من كلامه ويحك ياعدو الله ولو كنت أنت وأمثالك بأسلحتهم مافكرنا فيهم وان الواحد منا لو وقع فى ألف منكم لالتقاهم بنفسه ولا أهمه ذلك والمعونة من الله تعالى فانا وطنا أنفسنا على الموت ونعلم ان هذه الدنيا فانية ولا يبقى الا وجه الله تعالى فاسألنى عما بدا لك فقال له لا أسمع الا كلام الامير فدع عنك كثرة المطاولة قال المقداد ان لنا اميرين احدهما متولى الامر والآخر قائد الجيوش فأى امير تريد قال اخبرنى بأسمائهما قال اما الذى هو متولى الامر يسمى عمرو بن العاص والآخر يسمى خالد بن الوليد قال انى اريد خالدا فانى سمعت عنه امورا واحوالا وان الروم تتحدث عنه بعجائب كثيرة قال الراوى رحمه الله وكان الملعون قد سمع بذكر خالد وفراسته وقال فى نفسه لعلى اغدره فانى ان قتلته كان لى الفخر على جميع الروم وينكسر بذلك ناموس

العرب وان لم اقدر عليه اسمع مايقول من خطابه قال فعند ذلك الوى المقداد عنان جواده
و رجع الى خالد فعند ذلك قال خالد لاصحابه ان المقداد قد رجع وان عدو الله لا يريد
الا انا فان طلبنى مضيت اليه وان رايت منه غدرا أخذت روحه من بين كتفيه واستعين
عليه بالملك العلام قال الراوى فبينما خالد يتحدث بهذا الكلام واذا بالمقداد قد وصل واعلم
عمرا وخالدا بما وقع فعندها خرج خالد رضى الله عنه متبادرا وعليه لامة حربه فتعلق به اكابر
اصحابه فحلف انه لابدله من الخروج اليه ثم خرج مبادرا حتى وقف بين يديه فلما رأى
خالدا وقد وصل اليه احترز على نفسه واراد ان يخدع خالدا ويهجم عليه فقال خالد ايها
البطريق ها انا خالد قل حاجتك والذى جئت به واياك والمخادعة فانى جرثومة الخداع
فقال بولص يا خالد اذكر لى الذى تريد وقرب الامر بيننا وبينكم واحقن دماء الناس واعلم
انك مسئول عن ذلك وتقف غدا بين يدى الله عز وجل فان كنت تريد شيئا من الدنيا فلن
نبخل به عليكم وندفعه صدقة منا اليكم لانه ليس عندنا فى الامم اضعف منكم حالا وقد
علمنا انكم كنتم فى بلادكم قبل ان تفتح البلاد فى قحط وجوع وتموتون هزالا وانتم قد ملكتم
بلادا وشبعتم بحاورتكم خيولا مسومة وتقلدتم بسيوف مجوهرة وسعدتم بعد فقركم وفاقتكم
فان طلبتم منا شيئا اعطيناه لكم بطيبة قلوبنا فلا تطمعوا فى بلادنا كما طمعتم فى غيرها واقنعوا
منا بالقليل قال فلما سمع خالد مقالته قال يا كلب النصرانية واخس ممن غمس فى ماء
المعمودية انه قد بعث الله الينا نبيا فهدانا من الضلال وانقذنا من الجهالة وانا قد ملكنا الله
بأيدينا ما اغنانا به عن صدقتكم واحل لنا اموالكم واباح لنا نساءكم واولادكم الا ان تقولوا
لا اله الا الله محمد رسول الله فان ابيتم ذلك فتؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون فان أبيتم ذلك
فالسيف حكم بيننا وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين والله ينصر من يشاء وان الحرب
والقتال احب الينا واشهى من الصلح وان كنتم تزعمون انه لم تكن امة اضعف منا عندكم
فانتم عندنا بمنزلة الكلاب فان الواحد منا يقاتل منكم الفا وان هذا ليس بخطاب من يطلب
الصلح فان كان هذا الطمع ترجو به ان تصل الى بانفرادى عن اصحابى فذلك منك بعيد
وان اردت القتال فدونك فانى كفؤلك ولاصحابك ان شاء الله تعالى فلما سمع بولص كلام
خالد وثب فى سرجه وقال ليس لك عندى الا هذا السيف ثم جرد سيفه ودنا من خالد رضى
الله عنه وشابكه وضرب بيده فى درعه ومنطقته ووثب بعضهم على بعض واستغاث بأصحابه
وقال لهم بادروا الى فقد امكننى الصليب من امير العرب فابتدروا اليه البطارقة من كل
جانب وخرج كردوس عظيم اكثر من مائتى فارس وجردوا السيوف واتوا الى خالد رضى الله
عنه فلما رآهم خالد مقبلين اليه وثب وثبة الاسد وصاح بجواده وانتزع نفسه من البطريق
بعد ان احاطت به الروم وجاء كردوس ثان وخالد يضرب فيهم يمينا وشمالا وعدو الله بولص
يصيح ويقول يا ويلكم خذوه قبل ان يفوتكم قال وكان ضرار والفضل بن العباس وعلى
ابن عقيل وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن طلحة وعبد الله بن

المقداد وسليمان بن خالد رضى الله عنهم على كتيب قريب من عسكر الروم فلما رأوا الروم والسيوف بأيديهم وقد احاطوا بخالد ركضوا خيولهم وكان اول من ابتدر العرب ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو ينشد شعرا

مليك ربى فى الامور المتكل * اغفر ذنوبى ان دنا منى الاجل
يارب وفقنى الى خير العمل * وامح عنى سيدى كل الزلل
انا ضرار الفارس القرم البطل * باعى على الاعداء اضحى المتصل
اقمع بسيفى الروم حتى يضمحل * مالى سواك فى الامور من امل

قال الراوى رحمه الله حدثنا رفاعة بن قيس قال حدثنا حامد بن عياض عن ابيه عن جده عن نافع بن علقمة الربعى قال كنت فى القلب فى عسكر عمرو يوم وقعة الروم بمرج دهشور فقال بينما نحن ننظر اذ رأينا السيوف جذبت واحاطت بخالد بن الوليد فخرجنا كردوسا من اجاويد الرجال من طرف الميمنة وبادرناهم ولحقناهم واذا قد سبق من ذكرنا يعنى ضرارا والجماعة المذكورين فكان اول من قدم على الروم ضرارا وهو عريان بسراويله قابضا على سيفه وهو يهدر كالاسد والقوم من ورائه متبعوه حتى وصلوا وضرار امامهم وهو واثب على جواده وثبة الاسد مسرعا وهو يهز السيف وهو زاحف على بولص فارتعدت فرائصه وقال ياخالد دعنى من هذا الشيطان واقتلنى انت ولا تدعه يقتلنى فانى اتشاءم من طلعته فقال هو قاتلك لا محالة هذا مبيد الاقران هذا قاتل وردان وملك التركمان ومبيد عدة الصلبان ومن يكفر بالرحمن فبينما هم فى المحاورة واذا بضرار قد اقبل وهز سيفه وصرخ يا عدو الله لم تغن عنك خدعتك شيئا ولا يغدرك بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اراد ان يضربه بسيفه فصاح به خالد اصبر يا ضرار حتى آمرك بقتله ووصلت اليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل يبادر الى قتله فقال لهم خالد اصبروا وقال ونظر بولص لعنه الله الى ما حل به وقد جذبه ضرار من قربوس سرجه واقتلعه وجلد به الارض فغشى عليه فأشار باصبعه وقال الامان الامان ياخالد فقال له خالد يا كلب النصرانية لا يعطى الامان الا لاهل الامان انت رجل اردت ان تمكر والله خير الماكرين فلما سمع ضرار ذلك لم يمهل دون ان ضربه بالسيف على عاتقه الايمن اطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وتبادرت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف فيهم فلما رأى الروم ما حل بهم حملوا باجمعهم وتقدمت اصحاب الافيلة وعلى ظهورها الرجال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال وصفت الصفوف وازدحمت الالوف وبطل القيل والقال وتلفت النفوس وقطعت الرؤس وقتلت الرجال وزمجرت الابطال واشتد القتال واتسع المجال وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا بالرحمن وثار العجاج وزمجرت الاعلاج وقاتلت اصحاب الافيلة قتالا شديدا

وقد قسموهم أربع فرق فرقة مما يلى الميمنة وفرقة مما يلى الميسرة وفرقة مما يلى القلب وفرقة مما يلى العسكر وتصايحت النوبة والبجاة والروم فلله در خالد بن الوليد لقد قاتل قتالا شديدا فكان تارة فى القلب وتارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وكذلك الامير عمرو بن العاص والزبير بن العوام والفضل بن العباس الهاشمى والقعقاع بن عمرو التميمى وغانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنهم على الساقة مع النساء والولدان والذرارى والصبيان وانقطع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال الى كردوس ينوف على الف فارس من الروم والسودان فغاصوا فى أوساطهم وكان فيهم بطريق من بطارقة الكورة اسمه غريان بن ميخائيل فلما رأى ما حل به وباصحابه بادر الى الصليب ليقبله وينظر اليه ثم طمطم الروم بلغتهم وأحاطوا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا ان يتمكنوا منهم فعندها وثب عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما الى ذلك البطريق فحمل عليه وكان عليه ديباجة صفراء من فوق درعه وعلى رأسه بيضة تلمع كأنها كوكب وفى وسطه منطقة من الجوهر فتعار كامليا وتصادما ثم ان عبد الرحمن ضربه بالسيف فى نحره اطاح رأسه عن بدنه فلما راى الروم ذلك حملوا على عبد الرحمن واصحابه باجمعهم حملة واحدة وصبر لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل منهم مشتغل بنفسه عن نصرة صاحبه وايقنوا بالهلاك وخرج عبد الرحمن فى يده جرح هائل والدم يسيل على درعه فتناول السيف بيده اليسرى وجعل يقاتل بها وجرح هاشم بن المرقال أحد عشر جرحا فى يده وفى وجهه وهو يمسح الدم مرارا فايقنوا بالهلاك وكان الفضل بن العباس وبنو اعمه ممن ذكرنا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وحملوا فى اعراض القوم حتى وصلوا الى الكردوس الذى فيه عبد الرحمن وعبد الله بن عمرو هاشم بن المرقال فوجدوا الراوم قد أحاطوا بعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وعقروا جواده من تحته واصحابه يذبون عنه وعبد الله بن عمر تارة يمنع عنه بالسيف وتارة بالرمح وجراحاته تتدفق دما وقد جرح عبد الله بن عمر فى يده ست جراحات مهولة فلما رأى الفضل ذلك بادر هو وأصحابه وكانوا عشرين فارسا وخرقوا الصفوف وضرب فارسا ممن احاط بعبد الرحمن على رأسه فقطع البيضة ونزل الى اضراسه فانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فلما سقط عن جواده ابتدره عبد الرحمن وركب الجواد وقاتلوا اولئك حتى دفعوهم عن أصحابهم وكانت جماعة من الاوس وهمدان مما يلى الجناح الايسر فعطف عليهما كردوس من الروم والسودان فازالوهم عن اماكنهم وشغلوهم عن مراتبهم وفروا بين أيديهم فصاح بهم أبو هريرة رضى الله عنه وابنه عبد الله ومالك الاشتر يا قوم لا تولوا فرارا من الموت اتريدون ان تكونوا عارا عند العرب فما عذركم غدا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول الله عز وجل فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الآية الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند قبر المصطفى قال فلم يلتفتوا اليهم ولم يقبلوا كلامهم ووصلت الهزيمة الى غانم بن عياض الاشعرى وأصحابه والنساء والصبيان فلما رأت النساء ذلك صحن فى وجوههم وفعلن كما فعلن

يوم اليرموك وصاروا يضربون فى وجوه الخيل بالاعمدة وقاتلت خولة بنت الازور قتالا شديدا
فلما رأى غانم ذلك وكان معه قيس بن الحارث ورفاعة بن زهير المخزومى وخمسمائة فارس من
أهل الشدة والنجدة فصاح غانم النجدة النجدة يا أصحاب رسول الله فتواثبوا اليهم وحملوا
عليهم حملة واحدة بصدق ونية وثبات فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين (قال الواقدى) رحمه الله
ولم يزل السيف يعمل فى الرجال من أول النهار الى وقت العصر وانزل الله النصر على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الافيال والرجال الذين على ظهورها تضرب أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنشاب فجاء مفرج بن عيينة الفزارى الى فيل مقدم على أربعمائة
فيل فطعنه فى احدى عينيه فاشتبك الرمح فى عينه وماقدر ان يجذبه فبرطع الفيل هاربا والقى
ما على ظهره من الرجال ودهسهم برجليه فقتلهم فتبعته الافيلة التى خلفه والقت ما على
ظهورها من الرجال وداستهم بارجلها فصاح مفرج دونكم وخراطيمها ومشافرها فانها مقاتلها
فابتدر بنو فزارة وبنو قراد وبنو عبس يضربون مشافير الافيلة حتى قتلوا منها مائة وستين
فيلا وقتل ما على ظهورها من الرجال ولم تزل القوم فى الكر والفر والقتال الشديد حتى جاء
الليل وحجز بين الفريقين ورجعت الروم والسودان الى اماكنهم وتفقد المسلمون من قتل منهم
فاذا هم مائتان وأربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة وتفقد المشركون قتلاهم فاذا هم خمسة
آلاف من النوبة والبجاة والروم فبات المسلمون يتحارسون الى الصباح ويقرؤن القرآن ويدفنون
قتلاهم فلما اصبح الصباح وقاموا الى اصلاح شأنهم واذا بالروم والسودان قد أقبلوا بعددهم
وعديدهم وقد اظهروا زينتهم واصطفوا خمسة صفوف كل صف أربعون ألفا والمشاة بين
أيديهم خمسون ألفا قال قيس بن علقمة لقد دخلت العراق ورأيت جنود كسرى والجرامقة
واليرموك واجنادين ووقعة مصر والقبط وفتح اسكندرية ودمياط فلم أر مثل كثرتهم فى مرج
دهشور فلما رأيناهم وقدر كبوا ركب خالد وجعل يتخلل الصفوف ويقول لهم انكم لستم ترون
بمصر والصعيد جيوشا بعد هذا اليوم مثل هؤلاء وان كسرتموهم فلا تقوم لهم قائمة أبدا فاصدقوا
فى الجهاد وعليكم بالصبر واياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا بذلك النار والصقوا المناكب
ولاتحملوا حتى آمر بالحملة (قال الراوى) رحمه الله ورضى عنه وان البطارقة لما رأوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عولوا على ضربهم شجع بعضهم بعضا وقال لهم بطرس
أخو بولص المقتول اعلموا انكم ان انكسرتم لاتقوم لكم قائمة بعد هذا أبدا ويملكون بلادكم
ويقتلون رجالكم ويسبون حريمكم وعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا وقدموا
الافيلة امامكم والرجالة خلف ظهوركم واستعينوا بالصليب فهو ينصركم (قال الراوى) وأما عمرو
وخالد فانهما قالا نريد من يكشف لنا عن القوم ويعود فوثب الفضل بن العباس رضى الله عنه
وقال أنا فسار حتى قرب من القوم ورأى زيهم واهبتهم ورأى شعاع البيض والبيارق والرايات
كاجنحة النسور فلما رآه القوم قالوا فارس قد طلع ولاشك انه طليعة فايكم يبتدره فابتدره
ثلاثون فارسا فلما نظرهم ولى كانه منهزم وركض قليلا حتى أبعدهم ثم الوى عنان الجواد

نحوهم

نحوهم وطعن أول فارس والثانى والثالث فدخل رعبه فى قلوبهم فانهزموا وتبعهم وهو يصرع
فارسا بعد فارس حتى صرع منهم عشرين فارسا فلما قرب من الروم ولى راجعا الى المسلمين
واعلمهم بذلك فقالوا له غررت بنفسك يا ابن عم رسول الله فقال ان القوم طلبونى وخفت
ان يرانى الله منهزما فجاهدت باخلاص فنصرنى الله عليهم واعلموا انهم لنا غنيمة ان شاء الله
تعالى قال واقبل عمرو وخالد يرتبان العساكر ميمنة وميسرة وجناحين كما تقدم فى اليوم الاول
فجعل فى الساقة زياد بن أبى سفيان بن الحارث فى ألف فارس حول البنين والبنات والاموال
وكانت فيهن النساء اللاتى تقدم ذكرهن فى اجنادين واليرموك وهن عفيرة بنت غفار وام ابان
بنت عتبة اخت هند وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلامة بنت ذراع ولبنا بنت
سوار وسلمى بنت النعمان وهند بنت عمرون وزينب الانصارية فهؤلاء من النساء اللاتى عرفن
بالشجاعة فقال لهن خالد يا بنات العرب لقد فعلتن فعالا ارضيتن الله ورسوله والمسلمين
وقد بقى لكن ذكر يتحدث به جيلا بعد جيل وهذه أبواب الجنان قد فتحت لكن وأبواب
النيران قد فتحت لاعدائكن وانى احرضكن اذا جاءت الروم والسودان اليكن فقاتلن عن
أنفسكن كما قاتلتن فى يوم اجنادين ويوم اليرموك فان رأيتن احدا هاربا فدونكن واياه بالعمد
واشرفن عليه بولده وقلن له الى اين تولى عن أهلك وولدك وحريمك وحرضن المسلمين على ذلك
فقلن أيها الامير ما يفرحنا الا اذا متنا امامك يا ابا سليمان لنضربن وجوه الروم والسودان
حتى لا يبقى لنا عذر قال فشكرهن على ذلك ثم عاد خالد الى الصفوف وجعل يدور بينهم بجواده
ويحرض الناس على القتال وهو يقول أيها الناس انصروا الله ينصركم وقاتلوا من كفر
واحتسبوا أنفسكم فى سبيل الله واصبروا على قتال أعداء الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم
ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن سهامكم تخرج من كبد قوس واحد فان السهام اذا خرجت
جميعا لم يخل ان يكون فيها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
واعلموا انكم لا تلقون بالوجه القبلى مثل هؤلاء الفئة فانهم حماتهم وبطارقتهم وملوكهم فقالوا
سمعا وطاعة واقبل خالد ووقف فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق
رضى الله عنهم وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة الطائى والمسيب بن نجيبة الفزارى وذى الكلاع
الحميرى وربيعة بن عباس ومالك الاشتر والعباس بن مرداس السلمى ونظائرهم من بقية الامراء
ثم زحفوا بسكينة ووقار فلما رأى الروم ذلك والسودان زحفوا وكانوا ملء الارض طولا وعرضا
فلما التقى الفئتان وتراكم الجمعان وقد اظهر أعداء الله فى زينتهم الصلبان والاعلام
ورفعوا أصواتهم بالكفر والبهتان فبينما الناس كذلك اذ خرج راهب كبير عليه جبة سوداء
وقلنسوة وزنار ينادى بلسان عربى أيكم امير القوم فيخاطبنى ويخرج الى فخرج اليه خالد فقال
له أنت أمير القوم قال خالد كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة رسوله فان انا بدلت
أو غيرت فلا طاعة لى عليهم ولا امارة قال القس اعلم انكم قد ملكتم بلادا وقدمتم الى بلاد
ما جسر ملك من الملوك يتعرض لها ولا يدخلها وان ملوكا كثيرة أرادوها فرجعوا خائبين

وافنوا أنفسهم عليها وليس النصر يدوم لكم وان الملوك أرسلونى اليكم فان سمحتم نجمع لكم مالا ونعطى لكل واحد منكم ثوبا وعمامة ودينارا ولك أنت مائة ثوب ومائة عمامة ومائة دينار ولكل واحد حمل من البر وحمل من الشعير ولك عشرة احمال ولصاحبكم عمر عشرة آلاف دينار ومثلها ثياب ومثلها عمائم ومائة حمل بر ومائة حمل شعير وارحلوا عنا وانتم موقرون انفسكم فاننا عدد الجراد ولا تظنونا كمن لاقيتم من الفرس والروم وأهل الشام والقبط فان فى هذا الجيش من النوبة والبجاة والسودان والروم وكبار البطارقة والاساقفة ونجمع عليكم مالا طاقة لكم به من بلاد السودان والواحات وكانكم بالنجدة وقد وردت علينا وان بقية الروم لم تأت اليكم وانما ارسلوا من يقاتل عنهم فقال خالد والله ما نرجع عنكم الا باحدى ثلاث خصال اما ان تدخلوا فى ديننا او تؤدوا الجزية او القتال وأما ما ذكرت انكم عدد الجراد فالله قد وعدنا بالنصر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزله فى كتابه وأما ما ذكرت انكم تعطونا من الثياب والعمائم ففى قريب نلبس ثيابكم وعمائمكم ونملك بلادكم جميعا كما ملكنا الشام ومصر والعراق واليمن والحجاز والروم قال الراهب أنا ارجع واخبر أصحابى بذلك فانى قد اتيت من قبل البطلوس صاحب مدينة البهنسا وقد أرسلنى الى صاحب اهناس واتفق الملوك والبطارقة وارسلونى اليكم وانا ارجع اليهم واخبرهم بجوابك ثم ان القس الوى راجعا من حيث جاء فلما رجع اليهم واخبرهم بذلك كاتبوا ملوكهم على ذلك وارسلوا جوابهم بالقتال فلما وصلت الكتب تقدمت الروم والسودان وقدموا بين أيديهم الافيلة وامامهم الرجالة بالقسى والسيوف والدرق والمزاريق فصاح الفضل بن العباس ورفاعة بن زهير المحاربى والقعقاع بن عمرو التميمى وشرحبيل بن حسنة والمقداد بن الاسود الكندى ومعاذ بن جبل وقالوا معاشر المسلمين اعلموا ان الجنان قد فتحت والملائكة قد اشرفت والحور تزينت واشرفوا من الجنان ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم رتبوا الصفوف فتقدم خالد وقال لهم اقرنوا الركب واثبتوا واعلموا ان هؤلاء اكثر منكم بعشرة امثالكم وازيد فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة النصر على أعداء الله واياكم تولون الادبار وازحفوا على بركة الله وعونه (قال الراوى) وتراجت السودان والبربر والنوبة والبجاة فلما تقارب الجمعان رمت أصحاب الافيلة نشابها فكانت كالجراد المنتشر فقتلوا رجالا وجرحوا أبطالا وخالد تارة يضرب بسيفه فى الميمنة وتارة فى الميسرة وكان فى أصحاب الافيلة من السودان والبربر سواكن يسمونهم القواد شفاههم العليا مشقوقة وبها خزام من نحاس فاذا كان وقت الحرب لا يخرجون القواد الا اذا حمى الحرب واشتد الطعن والضرب وكانوا سودا طوالا طول كل واحد منهم عشرة أذرع فاذا ارادوا الحرب يجعل فى كل خزام سلسلة بطرفين فى كل طرف منها واحد من البربر فاذا وقع صلح بين الفريقين والا زحفوا بهم واطلقوا السلاسل ودفعوا لهم أعمدة من حديد طوال فيضرب الواحد الفارس والفرس فيقتلهما بضربة ومنهم من يركب الافيلة ويقاتل على ظهورها فلما التقى الجمعان خرجت تلك القواد وعلى أجسادهم جلود النمورة فوق

اكتافهم ومربوطة على صدورهم وفي اوساطهم مثل ذلك وهم عراة الاجساد والروس ليس عليهم غيرماذكرنا وبايديهم الاعمدة والرجال يقودونهم بتلك السلاسل والجيوش ينظرون متى يؤمرون بالحملة فلما رأى المسلمون ذلك منهم من ثبت ومنهم من جزع قال وبرز البطريق أخو بولص المقتول وهو راكب على جواد عال وعليه تجاف من جلود الافيلة وقاتل قال الراوى حدثني خالد بن اسلم عن طريف ابن طارق وكان من الازد قال لما فعل البطريق ذلك ولت الازد بين يديه منهزمين واذا بفارس قد اقبل وهو يركض جواده وهو عارى الجسد حتى قرب من القوم وانشد يقول

لقد ملكت يدى سنانا وصارما * اذل عداة السوء ان جئت قادما
واتركهم شبه الرخام اذا مشى * عليه شجاع لا يزال مصادما
والا كاغنام مضين بقفرة * واصبح مولاها عن السعى نائما
وقد ملك الليث الغضنفر جمعها * واصبح فيها بالمخالب حاطما

(قال الراوى) رحمه الله وصاح الفارس انا ضرار بن الازور انا قاتل ملوك الشام انا ناصر دين الاسلام والمسلط على من يكفر بالرحمن انا قاتل بولص الكلب ذو الطغيان قال فلما سمع الروم كلامه عرفوه فتقهقروا الى ورائهم فطمع فيهم وحمل عليهم فقال بطرس من هذا البدوى الذى لم يزل عارى الجسد ويقاتل بالسيف مرة وبالرمح مرة قالوا هذا ضرار بن الازور فتحير الملعون وقال هذا قاتل اخى ولقد اشتهيت ان آخذ بثارى ثم عزم على الخروج اليه فسبقه بولص رأس بطارقة الكورة وقال انا آخذ بثارك ثم حمل على ضرار فتجاولا طويلا واعتركا مليا فما كان اكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة صادقة فى صدره خرقت الدروع وخرجت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار فقال بطرس هذا جنى وليس للانسان ان يقاتل الجن ثم لبس لامة حربه وتعصب بعصابة من اللؤلؤ الرطب ولبس فوق درعه مثل ذلك وخرج يطلب ضرارا فسبقه شدم أدرس أحد بطارقة الكورة وحلف لا يخرج اليه غيره وحمل على ضرار وقال دونك والقتال فلم يفهم ضرار ما يقول ثم حمل عليه فاخرج صليبا من الذهب كان معلقا فى عنقه فضحك ضرار عليه وقال انت تستعين بالصلبان وانا استعين بالملك الديان ثم اورى كل منهما ما ادهش الناس من الحرب فصاح خالد وبقية الامراء ما هذه الفترة يا ضرار والجنة قد فتحت لك ولعدوك قد فتحت النار فاستيقظ ضرار وحمل على البطريق وصاحت الروم بصاحبها وصاروا فى حرب عظيم وحميت عليهم الشمس وثار الحرب حتى كل منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان فاشار البطريق الى ضرار ان يترجل ويترجل البطريق معه شفقة على الجوادين واذا برأس بطارقة هناس قد اخرج له جوادا مجللا بالحرير ليركبه فلما نظر ضرار الى ذلك صاح بجواده اثبت معى هذه الساعة والا شكوتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذرفت عين الجواد بالدموع وهمهم وجرى اكثر من جريه المعتاد وتلقى ضرار البطريق وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح فارداه واخذ جواده واراد قتله واذا بكردوس

خرج من الروم ومعهم الكلب الكبير شاول أحد بطارقة الاشمونين واحاطوا بضرار وكان على رأس شاول تاج من الذهب الاحمر فلما رأى الصحابة الكردوس الذى خرج على ضرار والتاج يلمع على راسه قالوا لخالد ماسبب قعادنا عن نصرة صاحبنا وقد احاطت به الروم فعندها خرج خالد رضى الله عنه فى عشرة من خيار قومه وهم الفضل بن العباس بن عبد المطلب واخوه وعبد الله بن جعفر ومسلم وعلى اولاد عقيل وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن المقداد وقوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وصبر ضرار للروم حتى وصلت اليه الامراء وقالوا ابشر يا ضرار فقد اتاك النصر والفرج وقد ذهب عنك الخوف والجزع فلا تخف من الكفار واستعن بالله الواحد القهار فقال ضرار ما اقرب الفرج من الله والتفت الرجال بالرجال وطلب خالد صاحب التاج والعصابة وضرار مع خصمه فلما رأى المسلمين قد احدقوا به وما حل بجماعته اندهش وارتعد شاول البطريق هذا وضرار مع خصمه وقد اراد الهرب فالقى ضرار نفسه من على جواده وتبعه حتى لحقه ثم رمى الرمح من يده وتواخذا بالمناكب وتصارعا وكان عدو الله كانه قطعة من جبل وضرار نحيف الجسم غير ان الله اعطاه حيلا وقوة فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار بيده فى بطن عدو الله فقلعه وجلد به الارض فصاح يستنجد بالبطارقة وتصارخت الروم والسودان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمهله ضرار دون ان ركب عليه وهو يعج كالبعير فعندها اظهر ضرار سيفه ومكنه من نحره فقتله فزعق زعقة سمعها العسكران فحملت الروم والسودان هذا وضرار قد احتز رأسه وقام عن صدره وهو ملطخ بالدماء ثم كبرت المسلمون ودنا الفريقان بعضهم من بعض والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وازور الحدق وعظمت الرزايا واظلمت الدنيا ودارت رحى الحرب وقوى الطعن والضرب وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وقطعت المناكب وما كنت ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا غائرا هذا وقد زحفت السودان واصحاب السلاسل ذووا الكفر والطغيان وضربوا بالاعمدة الحديد وكان يوما شديد وبانت الشجعان وفر الجبان وبقى حيران هذا وعمرو بن العاص يحرض الناس على القتال ويقول ايها الناس و يا حملة القرآن اذكروا واغرف الجنان فسر الناس بقوله ونشطوا وصارت السودان يضربون الفارس مع الفرس بالعمد الحديد فيقتلونهما جميعا وكذلك اصحاب الافيلة يرمون بالنشاب و يضربون بالحراب الى ان جاء وقت العصر وقد قتل من الفريقين خلق كثير وظفر خالد بخصمه شاول لعنه الله وضربه بالسنان فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره ووقع على الارض يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال ولما عظم القتال والبلاء قال رفاعة المحاربى وقد انتخب من بنى محارب ولبيد ومالك خمسمائة فارس وقصد الافيلة وقال يا وجوه العرب دونكم واعينها ودنا من الفيل الابيض وهو قائدها وهى خمسمائة فيل وتقدم اليه والسيف فى يده وهو ينشد و يقول

يالك من جثة كبيره * لقيت كل شدة خطيره
اليوم قد ضاقت بك الحظيره * حتى ترى ملقى على الحفيره

قال ثم ضربه بالسيف فولى هاربا ثم برك وكان عليه عدة من السودان فى قبة من الاديم فلما سقط الفيل الى الارض قام علج عن ظهره وفى يده عمود فضرب به رفاعة فزاغ عنه وضربه رفاعة على عاتقه الايمن أطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فتلاحقت العرب بأصحاب الافيلة وصاروا يطعنون الافيلة فى أعينها كما ذكرنا فولوا منهزمين قال وقصد خالد والمقداد واجواد الامراء القواد الذين تقدم ذكرهم وطلبوا من الله النصر والثبات وصاروا يأتونهم وهم فارس عن اليمين وفارس على اليسار فيقتلون مسالك السلاسل ثم يمسكون أطراف السلاسل و يطلقون الاعنة فينقاد معهم كالبعير الشارد فيأخذون العامود من يده و يقتلونه أشر قتلة ولم يزل القوم فى قتال ونزال وأهوال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وقد قتل من الفريقين خلق كثير فاما المسلمون فقد قتلوا منهم اثنى عشر الفا من الملوك والبطارقة خمسة عشر بطريقا وملكا من السودان وغيرها وبات المسلمون يتحارسون الى الصباح قال الراوى رحمه الله وكان قد اثخن بالجراح جماعة من المسلمين فى ذلك النهار وكانت المسلمون طائفة يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة يقرؤن القرآن وطائفة يصلون وطائفة نيام من كثرة مالحقهم من التعب وخالد بن الوليد والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم يدورون حول العسكر الى الصباح فلما لاح الفجر اذن المؤذنون وصلى عمرو بن العاص بالناس الصبح بسورة الفتح ثم دعوا الله عز وجل أن يرزقهم النصر ثم تبادروا الى خيولهم فركبوها ورتبوا صفوفهم كما ذكرنا فيما تقدم بالامس فلما فرغ المسلمون من تعبية الصفوف أقبل الامراء يحرضون الناس على القتال وقد جعلوا على الساقة رافع بن عميرة الطاءى والحارث بن قيس ورفاعة بن زهير فى خمسمائة فارس قال الراوى قال عبادة بن رافع قال حدثنا سالم بن مالك عن عبد الله ابن هلال وكان فى خيل رافع قال لما رتبت الصفوف والتقى الجمعان وكثر القتال وكل واحد اشتغل بنفسه ونحن نذب عن النساء والصبيان والنساء اللاتى تقدم ذكرهن يقاتلن أشد القتال اذ جاءنا كردوس عظيم من البطارقة والسودان والبجاة ومعهم زهاء من ستمائة فيل وغافلونا ونحن مشغولون بالقتال واقتطعوا قطعة كبيرة من الابل والرجال والنساء والصبيان زهاء عن الف بعير ومائتى امرأة وغير ذلك وكان فى ذلك زائد بن رباح البكرى وعباد بن عاصم الغنوى ومعهما مائتا فارس فقاتلوا قتال الموت حتى أثخنوا بالجراح وقاتلت النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر فلله در عفيرة بنت غفار وسلمى بنت زاهر ونظائرهما من النساء لقد قاتلن حتى ضربوا بالسيف على رؤسهن وسال الدماء على وجوههن وهن يقلن الله يا نساء العربيات قاتلن عن العسكر وعن أنفسكن والا صرتن بايدى الاعلاج القلف والسودان فقاتلن قتال الموت وقتل من المسلمين خمسة عشر نفرا ختم الله لهم بالشهادة وساقوا النساء والصبيان فرجع فارس الى

خالد بن الوليد وعمرو بن العاص واعلمهما بذلك وهم فى أشد القتال فتصايحت المسلمون وخرج
جماعة من الامراء من وسط المعركة وهم الفضل بن العباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد
الرحمن ابن أبى بكر الصديق وزياد بن أبى سفيان وعبد الله بن أبى طلحة وضرار بن الازور
وجماعة من الامراء وتبعهم ستمائة فارس من العرب من صناديد القوم وادركوهم عند أول
الجبل وهم يريدون الى جهة الفيوم فعند ذلك زعق ضرار والفضل بن العباس الى أين يا اعداء
الله فتراجعت الروم والسودان عنهم واقتتلوا قتالا شديدا فابتدر ضرار الى مقدم السودان
وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وكذلك الفضل بن العباس تقدم الى بطريق عظيم
وطعنه فى لبته اطلع السنان يلمع من قفاه فانجدل يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار قال
واستمروا يقاتلون حتى قتلوا مقتلة عظيمة فلما عاينوا ذلك القوا ما بايديهم من الغنيمة وولوا
وتواثب المسلمون وردوا السبى والحريم وردوا الاسارى وحلوهم وساعتهم النساء بالاعمدة
والسيوف والخناجر فكانت النساء يضربن وجوه الخيل بالعمد فيكب الجواد به فتتعلق المرأة
بالفارس وتجذبه الى الارض فتجلد به الارض ثم تضربه فتقتله حتى قتلن منهم جماعة من الروم
والسودان والبجاة وغيرهم فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين من بين أيديهم وتبعتهم المسلمون يقتلون
ويأسرون حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم نحو ستمائة أسير من الروم والسودان وزحفوا
وقد غنموا اسلابهم وخيولهم قال الراوى رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما العسكر فانهم
لم يزالوا فى قتال شديد وأمر عنيد وضرب وطعان وقتل رجال وجندلة ابطال وفرسان وقد قامت
الحرب على ساق وقدم وضربت الاعناق وصالت الشجعان وولى الجبان حيران ودارت
رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم وحامت طيور المنايا
وعظمت الرزايا واشتد الزحام وعظم المرام وضاقت الصدور وعظمت الامور واشتد الغبار وقل
الاصطبار وقاتلت الامراء بالرايات وبربرت السودان بلغاتهم ورفعت الروم أصواتها وضربت
ببوقاتها وطعنت برماحها ورمت نشابها وحارت الافكار وعميت الابصار وثار الغبار وأظلم
النهار وكان شعار المسلمين يا نصر الله انزل وصبر المسلمون لهم صبر الكرام فلله در الزبير بن
العوام والمقداد بن الاسود والفضل بن العباس وعقبة بن عامر والمسيب بن نجيبة الفزارى
ونظائرهم من الامراء فلقد قاتلوا قتالا شديدا وابلوا بلاء حسنا وصبروا صبر الكرام وأما عمرو
وخالد والقعقاع بن عمرو وسعيد بن زيد فلقد كانوا يقاتلون قتال الموت وزحفت الافيلة
برجالها وقاتلت الروم وابطالها والسودان وافيالها وقد كانت الافيلة تعطف على خيل العرب
ويرمون بالنشاب فيخرج كالجراد المنتشر حتى قلعت أعين كثيرة فى ذلك اليوم فما كنت
تسمع الا من يصيح واعيناه وهذا يصيح وايداه والافيلة تحطم والسودان يرمون الابطال
فعندها وثب رفاعة بن زهير المحاربى واتى الى خالد وعمرو وقال ايها الامراء ان تم هذا الامر
هكذا اهلكنا عن آخرنا قالا فما الرأى يا ابا حازم قال الراى ان نجمع هدومنا ونغمسها زيتا
ودهنا ونجعلها على رؤس الارماح ونجعل فى اعلاها نارا ثم نأمر رجالا يجمعون القيصوم وغيره

ونجعله فى غرائر على ظهور الجمال عريا ونشغلهم بالقتال ثم تأتى الفرسان تمانعهم وتساق عليهم الجمال فانها اذا أحست بالنار حطمتهم فلا يصبرون على ذلك والمعونة من الله تعالى فاقصدوا برأيه واعدوا رجالا لذلك وناوشوهم القتال فلم يكن الا ساعة حتى تهيأت المكيدة وجمعوا الفرسان ألف فارس وصبغوا تلك الهدوم بالدهن والزيت واطلقوا النيران برؤس الاسنة وحملوا الغرائر بالقيصوم وغيره واشعلوا فيه نارا ووضعوا الحراب فى اجناب الابل فلما أحست بالحراب فى اجسامها والنار فى ظهورها فعندها حطمت على الروم والسودان فلما رأت الافيلة ذلك طارت عقولها وقطعت سلاسلها وداست قوادها ورمت ما على ظهرها من الرجال وداستهم باخفافها ورجعت خيل الروم وبرازينها وهربت بغالها وذابت قلوب رجالها وضربت الامراء فى الاعداء بسيوفها وطعنت برماحها ورمت بنشابها قال المسيب بن نجبة ولقد رأينا طيورا أظلتنا فى زى النسور وكان الطائر يرفرف بجناحه على وجه الكافر ورأسه ثم يضع مخاليبه فى عينيه فيرميه الى الارض فلم تكن الا ساعة بعد صلاة العصر حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى جاء الليل واظلم النهار ووصلت الهزيمة الى القرية المعروفة بالدير والى اللاهون والى اهناس والى مدوم وتبعتهم المسلمون الليل كله الى الصباح وقد تفرق شملهم وشرد جمعهم واسر منهم جماعة كثيرة نحو خمسة آلاف وقتل منهم ما لا يحصى قال رافع بن ازد الجهنى لما رجعنا الى مكان المعركة وجدنا الارض قد امتلات من قتلى الروم والسودان والبجاة وغيرهم واختلط جماعة من قتلى المسلمين فيهم ما عرفناهم من الروم الا ان الروم كان بايديهم صلبان والمسلمون ليس لهم ذلك فميزناهم منهم بذلك وجمعنا جريد النخل والقصب ووضعنا على كل قتيل جريدة أو قصبة وذلك فى مكان المعركة ثم جمعناهم وحصرناهم فاذا الكفار تسعون ألفا وقتل فى الجبال والطرقات ما لا يحصى وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذاهم خمسمائة وثلاثون رجلا وجمعت المسلمون الغنائم والاموال ثم قسمت واخرج عمرو منها الخمس وكتب كتابا بالفتح وما جمعه من الخمس واستدعى بالامير هاشم بن المرقال رضى الله عنه وانتدب معه ثلاثين رجلا من خيار الجند وأمره بالمسير الى المدينة واقام المسلمون بالمرج بعد الوقعة خمسة ايام حتى استراحوا ورجع من كان خلف المنهزمين ثم اجتمعوا الى عمرو واستأذنوا بالمسير الى الوجه القبلى فاذن لهم وودعهم ودعا لهم وقال يعز على فراقكم ولولا ان أمير المؤمنين لم يأمرنى بالمسير ما فارقتكم ثم رجع معه ثلاثة آلاف ومائة وعشرون وكان جملة من قتل ثمانمائة وثمانين ختم الله لهم بالشهادة وقيل ألف وقيل تسعمائة واربعون على اختلاف الرواة والله أعلم اى ذلك كان قال الراوى رحمه الله تعالى ما أخذت فى هذا الكتاب الا على قاعدة الصدق والمعونة من الله تعالى فلما ملكت المسلمون البلاد وأذلت اهل الشرك والفساد وذلك ببركة الصحابة رضى الله عنهم فهم الرجال الابطال والسادة الاخيار والمهاجرون والانصار واصحاب محمد المختار الذين فتحوا

بسيوفهم الامصار واذلوا الكفار وارضوا العزيز الغفار وباعوا نفوسهم لله الواحد القهار بجنات تجرى من تحتها الانهار (قال الراوى) رحمه الله ولما رجعت المنهزمون الى الملوك والبطارقة واخبروهم بذلك وقع الرعب فى قلوبهم وحاروا فى نفوسهم ولم يدروا ما يدبرون وما يصنعون قال فصعب على بطريق اهناس وعلى صاحب البهنسا ما صنع ببطارقتهما وعولوا على الحصار وجمعوا الآلة وصاروا يخزنون ما يحتاجون اليه وتيقنوا أن لابد للعرب من ارضهم ووطنوا انفسهم وكذلك بطارقة الصعيد وملوكه وضاقت نفوسهم مما حل بهم قال الراوى ووصل الكتاب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ففرح بذلك فرحا شديدا وقرأ الكتاب على على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ثم قسمت الغنائم على أهل المدينة وقسم لنفسه كاحدهم رضى الله عنه وعنهم وكتب جواب الكتاب ودفعه لهاشم وقال له قل لعمرو يحث الصحابة ويحرضهم على فتح الصعيد قال الراوى واما عمرو بن العاص رضى الله عنه فانه لم يرجع الى مصر حتى قسم الغنائم بين الصحابة وفضل أصحاب الولاء واهل السابقة ورجع الى مصر بعدان جهز العساكر الى الصعيد قال الراوى رحمه الله ولما فارق عمرو بن العاص خالد بن الوليد والامراء رضى الله عنهم استشار بعضهم بعضا أى مكان يقصدون فاتفق رأيهم انهم يسيرون الف فارس طليعة وأمر عليهم قيس بن الحارث ومعه جماعة من أمرائهم منهم رفاعة بن زهير المحاربى والقعقاع بن عمرو التميمى وعقبة بن عامر الجهنى وذو الكلاع الحميرى رضى الله عنهم وصاروا يسيرون فى وسط البلاد وبقية العساكر قريبة منهم فمن أطاعهم وطلب الامان أمنوه وصالحوه ووضعوا عليه الجزية ومن أبى قاتلوه ومن أسلم تركوه وسار خالد ببقية الجيش يريدون اهناس فانها كانت اعظم مدائن الوجه القبلى بعد الكورة وكانت حصينة آهلة بالخيل والآلة والعدة ولما أحس بطريقها بمجىء الصحابة اليه جمع البطارقة وقد انكسرت جنودهم وخمدت نيرانهم وكلمهم بانهزام جيوشهم وشاورهم فى أمرهم وقال لهم خذوا أهبتكم وقاتلوا عن حريمكم وأموالكم والا صرتم عبيد العرب يفعلون بكم ما يختارون وان شئتم صالحناهم حتى نعلم ما يكون من بطارقته فاجابوه وقالوا لا نسلم البلاد حتى نغلب ونجمع أموالنا فى هذه المدينة الحصينة ونقاتل فان غلبنا عولنا على الحصار واتفق رأيهم على ذلك فكان الذى أجابهم الى ذلك خرج بنفسه وأمواله ومن لم يجبهم الى ذلك أقام وكذلك بطارقة البهنسا منهم من انتقل الى البهنسا بماله وأولاده ومنهم من أقام ببعض المدائن ممن عولوا على الاقامة والحصار والقتال وسار خالد بالجيش حتى قرب من اهناس وبين يديه الطلائع والامراء وهم يشنون الغارات على السواحل والبلاد فمن خرج اليهم وصالحهم وعقد معهم صلحا صالحوه ولهم الميرة والعلوفة والضيافة ومن أبى دعوه الى الاسلام فان أبى طلبوا منه الجزية فان أبوا شنوا عليهم الغارة حتى وصلوا قريبا من اهناس وبلغ الخبر الى عدو الله

فقال لابد من لقائهم وقتالهم حتى انظر ما يكون من أمرهم ثم خرج الى ظاهر المدينة قريبا من السور ولم يبعد عنها وكان للمدينة أربعة أبواب فاغلق ثلاثة وفتح الباب الشرقي واخرج الخيام والسرادقات وأكثر من العدة والزينة وقال ان دخلنا المدينة من غير قتال طمعت العرب في جانبنا ثم فرق بطارقته وعرض جيشه فكانت عدتهم خمسين الفا وقال اثبتوا وقاتلوا عن حريمكم ولا تكونوا اول جند اخذوا واقاموا يتأهبون للقتال و ينتظرون قدوم الصحابة رضي الله عنهم (قال الواقدي) رضي الله عنه واما خالد لما قرب من اهناس استدعى بالزبير بن العوام وضم اليه ألف فارس من الامراء وغيرهم وأمره بالمسير ثم استدعى بالفضل بن العباس وضم اليه ألف فارس وسار على أثره ثم استدعى بميسرة بن مسروق العبسي وضم اليه ألف فارس وسار على اثره ثم استدعى بزياد بن أبي سفيان وضم اليه ألف فارس وسار على أثره ثم استدعى بمالك الاشتر النخعي وضم اليه ألف فارس وسار على اثره وسار خالد ببقية الجيش قال حدثنا عون بن سعيد قال حدثنا هاشم بن نافع عن رافع بن مالك العلوي قال كنت في خيل الزبير بن العوام رضي الله عنه لما توسطنا البلاد وتعرضنا لاهلها وشننا الغارة على السواد فوجدنا قطيعا من الغنم ومعهم رعاة فلما احسوا بنا تركوها ومضوا فسقناها ثم سرنا قليلا واذا بنساء وصبيان مشرفة ونصارى من القبط وغيرهم فلما رأونا فروا وكان معهم عشرون فارسا من العرب المتنصرة من جزام ومعهم بطريق من البطارقة عليه الزينة الفاخرة فلما عاينونا فروا من بين أيدينا واطلقنا الغارة عليهم فما كان غير بعيد حتى ادركناهم وقبضنا عليهم وسالناهم فاجابوا بانهم من قرى شتى وانهم يريدون اهناس فاعرضنا عليهم الاسلام فامتنعوا فاردنا قتلهم فمنعنا من ذلك الزبير رضي الله عنه وقال حتى يحضر الامير خالد ويفعل ما يريد قال وسرنا حتى قربنا من اهناس ورأينا المضارب والخيام والسرادقات فاعلن الزبير بالتهليل والتكبير وكبر المسلمون حتى ارتجت الارض لتكبيرهم وخرجت الروم الى ظاهر خيامهم ينظرون الينا وعدو الله ماروس بن ميخائيل ينظر الينا والحجاب والنواب وارباب الدولة من البطارقة حوله وعليهم اقبية الديباج وعلى رؤسهم التيجان المكللة وبايديهم العمد المذهبة والسيوف وهم محدقون به عن يمينه وشماله قال فلما اقبلنا عليهم تصايحوا وطمطموا بلغتهم واعلنوا بكلمة كفرهم واستقلوا بنا في اعينهم ولما قرب الزبير من القوم هز الراية وانشد يقول

يا اهل اهناس الطغاة الكوافر * ويا عصبة الشيطان من كل غادر
اتتكم ليوث الحرب سادات قومها * على كل مشكول من الخيل ضامر
فان لم تجيبوا سوف تلقون ذلة * ونقتل منكم كل كلب وفاجر

(قال الراوي) ثم نزلنا قريبا من القوم فلم يكن غير قليل حتى اقبل الفضل بن العباس رضي الله عنه وحوله السادات الاماجد فكبر وكبر وامعه وهز الراية وانشد يقول شعرا

يا اهل اهناس الكلاب الطواغيا * اتتكم ليوث الحرب فاصغوا مقاليا

أقروابان الله لارب غيره * والاتروا أمراعظيما مدانيا
أقروابان الله ارسل أحمدا * نبيا كريما للخلائق هاديا

(قال الراوى) رحمه الله ثم نزل قريبا من اصحابه فلم تسكن الساعة حتى أقبل الامير ميسرة بن مسروق العبسى وكبرهو والمسلمون فأجابه المسلمون فهزالراية وانشد يقول شعرا

اتينا الاهناس بكل غضنفر * على كل صهال من الخيل أجرد
فان هم أطاعونا شكرنا فعالهم * والا ابدناهم بكل مهند
ونخرب اهناسا ونقتل أهلها * اذا خالفوا دين النبى محمد

(قال الراوى) رحمه الله تعالى ونزل قريبا من الفضل ولما كان غروب الشمس أقبل زياد ابن أبى سفيان رضى الله عنه بمن معه وكبر هو والمسلمون وهزالراية وانشد يقول

هلموا الى اهناس يا آل هاشم * ويا عصبة المختار نسل الاعاظم
ودونكم ضرب السهام بشدة * وقطع رؤس ثم فلق جماجم
لننصر دينا للنبى محمد * نبى الهدى المبعوث من آل هاشم

(قال الراوى) رحمه الله وبات المسلمون رضى الله عنهم يقرؤن القرآن ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وهم يتحارسون حتى لاح الفجر ثم أقبل المقداد رضى الله عنه بأصحابه وكبر هو والمسلمون ولما قرب من اصحابه هزالراية وأنشد يقول

أنا الفارس المشكور فى كل موطن * وناصر دين للنبى محمد
لعل ننال الفوز عند المنا * فيا فوز من أضحى نزيل المؤيد
ونقتل عباد الصليب جميعهم * باسمر خطى وعضب مهند

(قال الراوى) رحمه الله ونزل بازاء الفضل وتكامل الامراء المتقدم ذكرهم قال ولما رأونا ظنوا ان ليس وراءنا أحد وقعدنا ذلك اليوم ولم نكلمهم ولم يكلمونا فلما كان اليوم الثانى عند طلوع الشمس واذا بالغبار قد طلع وا نقشع قد ارتفع من خيول عادية وعليها فوارس حجازية وكبرت وكبر المسلمون ورفعت راياتها الاسلامية واعلامها المحمدية فسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصياح فخرج الامراء الى لقائهم واذا فى أوائلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه والى جانبه غانم بن عياض الاشعرى وأبوذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى واسمه عبد الرحمن وبقية الامراء والمهاجرين والانصار فلما رأت الروم ذلك من قريب دخل الرعب فى قلوبهم ونزل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من اهناس كل منهم فى مركزه وأقاموا ذلك اليوم فلما كان فى اليوم الثانى جمع خالد الامراء وأصحاب الرايات واستشارهم فيمن يمضى الى بطريق اهناس فقال المقداد أنا له فقال له خالد انت له فخذ من شئت فاخذ معه ضرار بن الازور وميسرة بن مسروق العبسى وقال لهم خالد ادعوه الى الاسلام فان أبى فالجزية فان أبى فالقتال واحرصوا على أنفسكم (قال الراوى) رحمه الله وساروا الى القوم حتى قربوا من العسكر وهم يدوسون بخيولهم اطناب الخيام والسرادقات

فصاحت

فصاحت بهم الحجاب من تكونوا فقالوا نحن رسل فاعلموا البطريق بذلك فأمر باحضارهم فلما حضروا بين يديه صاحت بهم الحجاب والنواب الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم ولم ينزلوا الا على باب سرادق الملك ووقفوا على الباب فأذن لهم فى الدخول فدخلوا ومسكوا لجم خيولهم فأراد الغلمان ان يمسكوها فامتنعوا من ذلك فأشار اليهم البطريق فتركوهم ثم دخلوا عليه فاذا هو جالس على سرير من الذهب مرصع بالدر والجوهر وحوله البطارقة جلوس والحجاب والنواب وارباب الدولة قيام وبأيديهم السيوف والاعمدة والرماح فلما رآهم تغير لونه واندهش وأذن لهم بالجلوس فقالوا لا نجلس على هذا الفرش فانه حرام علينا فأمر بالبسط الحرير فرفعت ثم فرش انطاعا من الصوف ثم أشار اليهم فقالوا لا نجلس حتى تنزل عن سريرك قال فطمطمت الروم فأشار اليهم فسكتوا وأرادوا أن ينزعوهم سيوفهم فامتنعوا من ذلك فتركوهم وكلمهم الملك فأبوا حتى ينزل عن سريره فنزل وكلمهم بلسان عربى وسألهم عن حالهم فأجابوا انهم لا يفارقونه حتى يسلم هو وقومه أو الجزية أو القتال فامتنع من ذلك وقال ذهبوا والموعد غدا القتال وخرجوا من عنده على ذلك ورجعوا الى خالد واعلموه بذلك فتأهبت الامراء للحرب فلما اصبح خالد صلى باصحابه صلاة الصبح وبادروا للحرب والقتال وصاحوا النصر النصر يا خيل الله اركبى وللجنة اطلبى فركبت المسلمون خيولهم وركزوا راياتهم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وخالد فى وسط الجيش وعلى الساقة ميسرة بن مسروق العبسى ومالك الاشتر النخعى فى خمسمائة فارس من المهاجرين والانصار (قال الراوى) فلم تكن غير ساعة حتى برزت الروم واظهرت صلبانها قال حدثنا رافع بن مالك عن عباد بن مازن عن محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه قال لما اقبلت رايات القوم عددناهم فاذا هم خمسون صليبا تحت كل صليب الف فارس فكان أول من افتتح الحرب بطريق عليه ديباجة حمراء وعلى رأسه بيضة معصب عليها بعصابة من جوهر فبرز اليه فارس من خثعم يقال له زيد ابن هلال فقتله ثم طلب البراز فبرز اليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يمهله ان ضربه بالسيف على عاتقه الايمن خرج يلمع من عاتقه الايسر فانجدل عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وطلب البراز فبرز اليه فارس من الروم فقتله ثم آخر فقتله وطلب الميمنة وشوش صفوفهم وقتل ابطالهم ثم عاد الى القلب ثم خرج من بعده شرحبيل بن حسنة وفعل كفعله ثم حمل من بعده الفضل بن العباس ثم حمل من بعده العباس بن مرداس ثم من بعده أبو ذر الغفارى ثم تبادر المسلمون بالحملة فلما رأى الروم ذلك ايقظوا أنفسهم فى عددهم وعديدهم وتظاهروا بالبيض والدروع ولم يزل القتال عمالا حتى توسطت الشمس فى قبة الفلك (قال الراوى) رحمه الله ورضى الله عنه فعندها حمل خالد بن الوليد وغاص فى الميمنة قلبها على الميسرة وغاص فى الميسرة قلبها على الميمنة وقاتلت العرب قتالا شديدا حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وبات المسلمون يتحارسون وتفقد المسلمون بعضهم بعضا فاذا قتل منهم

اثنان وأربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة الاعيان منهم ربيعة بن عامر الداودى وزيد بن ربيعة المحاربى وغانم بن نوفل المحاربى وصفوان بن مرة اليربوعى والبقية من اخلاط الناس وقتل من اعداء الله ألف وثلاثمائة وازيد ولما خلى عدو الله بأصحابه تذاكروا ما وقع فى الحرب وصعب عليهم ما لقوه من العرب فارادا الملك الصلح فغلب البطارقة عليه واستعدوا للحرب والقتال فلما أصبح الصباح ولاح بارق الفجر صلى المسلمون صلاة الصبح ثم اصطفوا على ظهور خيولهم واصطفت الروم وبرزت البطارقة واظهروا زينتهم وبرز بطريق عظيم يقال له صاحب طنسا وعليه لامة حربه وطلب البراز فبرز اليه الفضل بن العباس فتجاولا وتعاركا وتخالفا ضربتين فكان السابق بالضربة الفضل بن العباس فضربه بالسيف على رأسه فوصل الى اضراسه فانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وبرز بطريق ثان فقتله ولم يزل كذلك حتى قتل أربعة من خيارهم فحملت الروم حملة واحدة وحمل المسلمون وحمل ضرار ابن الازور رضى الله عنه واظهر شجاعته وحمل مذعور بن غانم الاشعرى والفضل بن العباس ومحمد بن عقبة بن أبى معيط ومسلم وجعفر وعلى ابناء عقيل وعبد الله بن جعفر وسليمان ابن خالد وعبد الرحمن بن أبى بكر وتجاهرت الامراء وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار القتام حتى صار النهار كالليل وتراشقوا بالنبال واشتد القتال وقطعت المعاصم وطارت الجماجم فما كنت ترى الاجواد اغائرا ودما فائرا واشتد الكرب وكثر الطعن والضرب وسال العرق واحمر الحدق وجال خالد كالاسد وارغى وازبد فعند ذلك رفع غانم ابن عياض طرفه الى السماء وقال يا عظيم العظماء انزل علينا نصرك كما أنزلته علينا فى مواطن كثيرة وانصرنا على القوم الكافرين فامنت جماعة من الامراء على دعائه فما كان غير بعيد حتى رأيت الرجال الكفار يتساقطون لاندرى بماذا يقتلون فلما رأى الروم ذلك فروا الى الباب وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون والحجارة تأخذهم من أعلى السور وهم لا يلتفتون الى ذلك ودخلوا الى الابواب ودخل اللعين وصال خالد وجماعة من الامراء واقتطعوا قطعة من الروم نحو خمسة آلاف وكان المسلمون قريبا من اللعين فاقتتلوا عند الباب ورموهم بالحجارة فقتلوا منهم نحوا من ثلاثة آلاف وخرج من الباب نحو من ألف فارس ونجوا الباقى ودخلوا واغلقوا بابهم وطلعوا على الاسوار واشتد القتال والحصار ورموا بالحجارة والنبال حتى فرق الليل بينهم (قال الراوى) رحمه الله وأقام المسلمون على حصار اهناس ثلاثة أشهر وفى كل يوم يبدأوشوهم القتال والاسوار منيعة والابواب وثيقة واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم يشنون الغارات حتى يصلوا الى اطراف الكورة (قال الراوى) رحمه الله فضعف من أهل اهناس القوى ومات الضعيف وانقطع عنهم المدد وضاقت أنفسهم وطمعت فيهم الصحابة ثم ان خالدا استشار أصحابه ماذا يصنعون وقد اعيا فتح الباب فقال له المرزبان رضى الله عنه وكان من مرازبة كسرى وقد اسلم وخرج الى الجهاد وحبس نفسه لله عز وجل وهو المقتول بالبهنسا قريبا من البلد شرقى البحر اليوسفى فى وقعة

صاحب طنجة ذات الاعمدة وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى فقال
المرزبان اننا في بلاد الفرس اذا حاصرنا مدينة ولم نقدر على فتحها أخذنا زيتا وكبريتا ووضعناه
في صناديق من خشب وجعلنا لها اعوادا تحملها رجال ورجال يذبون عنهم الى ان يصلوا
الى الباب او الى قريب منه ويجعلون في الصناديق نارا ويولون فتعلق النار في الابواب
ويذوب الحديد فتفتح الابواب وتعلق النار في الحطب والخشب والحجارة فتهدمها فقال خالد
نفعلها ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا نعلوا ذلك واسرعوا في جمع ما ذكرنا ووضعوه
في صناديق وجعلوا في اطرافها اعوادا طوالا من اسفلها وحملتها الرجال وخرج خلفهم الفرسان
يقاتلون والمرزبان امامهم يعلمهم كيف يصنعون وهم يتترون بالدرق والحجف والحجارة
والنبال تتساقط عليهم من اعلى السور حتى وصلوا الى أول باب من ابواب المدينة وهو
الباب الشرقي وهو اعظم أبوابها فلما قربوا من الباب رفعوا الصناديق على الباب والقوا
النار في الزيت والكبريت ووضعوها وانقلبوا فلم يكن اسرع من لحظة حتى تعلقت النار في
حجارة الباب وفي الاخشاب والحديد وثارت النار الى اعلى السور حتى وصلت الى البرج فسقط
البرج بما فيه من الروم وهلك منهم جماعة كثيرة وتبادرت المسلمون الى الباب وماؤا قرب
الماء واطفؤا تلك النار ودخلوا من الباب وقصدوا قصر الملك وكان حصينا على اعمدة من الحجارة
المنحوتة وكانوا اغلقوا أبوابه ففعلوا به كما ذكرنا ولما راى الملعون ذلك لم يطق ان يصبر وامر بفتح
الباب وصاح الامان ومعه جماعة من حشمه وخدمه وبطارقته فعرضوا عليهم الاسلام فابوا
فامر خالد بضرب اعناقهم فمن اسلم تركوه ومن ابى قتلوه واستغاثت بهم السوقة والرعية وقالوا
مغلوبون فمن اسلم تركوه ومن بقي على دينه ضربوا عليه الجزية وهدموا ادبارا واماكن حتى صارت
تلالا وغنم المسلمون أموالا كثيرة من اواني الذهب والفضة والفرش الفاخرة ووضعوا فيها
عبادة بن قيس مقيما ومعه ثلاثمائة من المسلمين وخرجوا بظاهر المدينة ولم يبق الا من أسلم
ومن وضعت عليه الجزية وعمروا بها مسجدا ولما فرغ خالد من ذلك جمع الغنائم واخرج خمسها
وأرسله الى عمرو بن العاص يرسله الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى المدينة وارسل لعمرو
ابن العاص سهمه ولاصحابه المؤمنين المقيمين بمصر ونواحيها واقام خالد بعد ذلك بالبهنسا هو
وجماعته من الامراء أربعين يوما واستدعى خالد بعدى بن حاتم الطائي رضي الله عنه وأضاف
اليه ميمون بن مهران وضم اليه الف فارس وأمرهم أن ينزلوا أول بلاد البطلوس لعنه الله
وينازلوا أهل الكورة واذا وصل الى قيس بن الحارث يأمره بالمسير الى قريب البهنسا ويقاتل
من يقاتله ويسالم من يسالمه ويصالح من يصالحه حتى يأتيه المدد ثم أرسل في اثره غانم بن عياض
الاشعري رضي الله عنه وضم اليه ألف فارس فيهم الفضل بن العباس والمسيب بن نجبة
الفزاري وابا ذر الغفاري والمرزبان الفارسي وكذلك جعفر ومسلم وعلي وعبد الله بن المقداد وولد
خالد سليمان ومحمد بن طلحة وعمرو بن سعد بن أبي وقاص وشرحبيل بن حسنة كاتب وحي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم خالد سيروا حتى تصلوا الى مدينة البهنسا وأنا
فى اثركم مالم يحصل لى ولاصحابى مانع وادعوا القوم الى الاسلام فان أجابوكم لهم
مالنا وعليهم ماعلينا ومن ابى فالجزية ومن أبى فالحرب والقتال ونازلوا المدائن واقرنوا
المواكب ولاتسيروا الايدا واحدة وفرقوا الكتائب وكونوا قريبين من بعضكم لبعض غير
متباعدين فاذا وقعت كتيبة منكم بمالاطاقة لها تبعث به بالفير وثبتوا هممكم
واخلصوا نياتكم وقووا عزائمكم فاذا وصلتم الى البهنسا التى هى دار ملكهم ومحل ولايتهم
فارسلوا الى الملك وادعوه الى الاسلام فان اجاب فاتركوه فى ملكه وان ابى فالجزية عن يد
وهم صاغرون وان ابى فالسيف حكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وبلغنى انها مدينة كثير
اهلها وانها كثيرة النخل وحولها مدائن وبلاد وقرى ورساتيق فمن سالمكم وصالحكم
فصالحوه ومن قاتلكم فقاتلوه وعليكم بالحزم باخلاص النية وصدق العزيمة قال الله
تعالى فى كتابه المكنون يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون ثم استدعى بالمغيرة بن شعبة رضى الله عنه وكان معه زياد الاكبر أبو المغيرة جد زياد
الذى هو بقرية دربوط قرب طنبدى وسيأتى ذكر زياد بن المغيرة واصحابه هناك ان شاء الله
تعالى عند وقعة الدير واستدعى بسعد بن زيد احد العشرة رضى الله عنهم وابان بن عثمان
ابن عفان وجدد عليهم الوصية وودعهم (قال الراوى) رحمه الله وسار عدى بن حاتم الطاءى
وميمون حتى وصلا ميدوم وما حولها فوجدوا قيس بن الحارث قد دخل أهل تلك الارض
عقدوا له صلحا واقرهم بالجزية ماعدى جماعة وكذلك أهل برشات بعد قتل بطريقهم
وكذلك أهل تلك البلاد الى دهشور ونادى فى ذلك الاقليم بالامان وجمعوا له اموالا عظيمة على
الصلح والجزية وعدى جماعة من المسلمين الى البر الشرقى وهم رفاعة بن زهير المحاربى
وعقبة بن عامر الجهنى وذو الكلاع الحميرى والف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشنوا الغارات من العقبة التى هى قريب من قبلى حلوان على تلك القرى والبلاد
فمن صالحهم صالحوه ومن ابى قاتلوه حتى وصلوا الى اطفيح ثم الى البرنبل وكان هناك
بطريق يعرف بصول فخرج اليهم أهلها فصالحوهم على الجزية وعدوا من هناك وسار
عدى بن حاتم حتى اجتمع بقيس بن الحارث قريبا من القرية المعروفة بقمن ونزل ميمون
هو وجماعة بالقرية المعروفة بالميمون فقال له قيس بن الحارث لاتنزل هنا حتى يفتح لنا
ماحولها من البلاد ويأتى خبر من الامير خالد بن الوليد ويأذن لنا بما يريد فأجاب الى ذلك
ونزل عدى بأصحابه بالقرية المعروفة ببنى عدى ثم سار وترك ابنه حاتما واخوته واحاطوا
بالقرية وسار قيس واصحابه حتى وصلوا الى القرية المعروفة بنوس والبلد المعروفة بدلاص
فخرج اليهم اهلها بعد قتل بطريقهم وصالحوهم وتوسطوا البلاد على ساحل البحر حتى نزلوا
ببا الكبرى وغانم بن عياض على اثرهم وكان بها دير عظيم يعرف بدير أبى جرجا
وكان له عيد عظيم يجتمعون اليه من سائر البلاد فوافق قدوم الصحابة قريبا من عيدهم

فجاءهم

فجاءهم رجل من المعاهدين واعلمهم بذلك فانتدب قيس بن الحارث رضى الله عنه ومعه جماعة من أصحابه خمسمائة فأمر عليهم رفاعة بن زهير المحاربى وان يشنوا الغارة على الدير قال وكان جماعة من رؤساء الكورة من الروم والقبط والخيول المسومة حول الدير يحرسونهم وهم فى أكلهم وشربهم وزينتهم وبيعهم وشرائهم فما أحسوا الا والخيل على روسهم فما قاتلوا الا قليلا وانهزموا ونهب أصحابه جميع ما فى السوق من اثاث وغيره وساقوا الغنائم واحاطوا بالدير فقاتلوا من أعلى الدير فقطعوا السلاسل والاقفال وتعلق جماعة من على الحيطان ودخلوا الى الدير واخذوا منه امتعة واثاثا واوانى من ذهب وفضة واسروا مائة أسير وساروا حتى توسطوا البلاد وكان بالقرب قريبا من البحر اليوسفى قرى كثيرة وبلدان وكان فيهم مدينة تعرف بسحاق وكان بها بطريق من عظماء بطارقة البطلوس فلما بلغه قدوم الصحابة جمع جنوده الى البلد المعروفة باقفهس والى البلدين المعروفتين بشمصطا والبسلقون والى البلد المعروفة بنشابة فلما بلغه قدوم الصحابة جمع الخيل والروم والفلاحين والنصارى ستة آلاف وخرج يكشف بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيس بن الحارث خرج اليهم اهل ببا الكبرى وما حولهم من السواد وكذلك أهل هوريت وعقدوا لهم صلحا وساروا فلما قربوا من القرية المعروفة الآن ببنى صالح فبينما هم سائرون واذا بالغبار قد طلع وانكشف عن ستة صلبان تحت كل صليب ألف فلما رآوهم المسلمون لم يمهلوهم دون ان حملوا عليهم واقتتلوا قتالا شديدا وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار والتقى الجمعان واصطدم الفريقان فاشتد رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة بن عامر الجهنى وعمار بن ياسر العبسى وميسرة ابن مسروق العبسى (قال الراوى) وقاتلت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا وصبر واصبر الكرام وكان عدوّ الله لاوى بن ارميا صاحب سيزا فارسا شديدا وبطلا صنديدا فجال وصال وقتل رجالا فعندها برز اليه فارس من المسلمين يسمى سنان بن نوفل الدوسى فقتله فخرج اليه عمار بن ياسر العبسى فتجاولا وتعاركا وتضاربا وتطاعنا ووقع بينهما ضربتان كان السابق بالضربة عمارا فطعنه بالرمح فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل عدوّ الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فعندها غضب الروم لاجل قتل صاحبهم وحملوا على عمار فى كبكبة من الخيل فعقروا الجواد من تحته وتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله وقتل من المسلمين خمسة عشر رجلا قال حدثنا سنان بن نوفل عن مالك عن غانم اليربوعى وكان فى خيل رفاعة بن زهير المحاربى قال فبينما نحن فى القتال وقد عظم النزال ووطنا أنفسنا على الموت ورفاعة يحرض الناس على القتال وهو ينشد ويقول

يامعشر الناس والسادات والهمم ❁ ويا اهيل الصفا يامعدن الكرم
فاصدقوا العزم لاتبغوا به فشلا ❁ ومكنوا الضرب فى الهامات والقمم
وخلفوا القوم فى البيداء مطرحة ❁ على الثرى خمشا بالذل والنقم

(قال الواقدى) رحمه الله وجعل يحرضهم ويقول يامعشر السادات والاقيال ابشروا فان الروم

لم تقم لهم قائمة أبدا وابشروا بالحور والولدان فى غرفات الجنان وان الجنة تحت ظلال سيوفكم
قال رفاعة فبينما نحن فى أشد القتال واذا بغبرة قد لاحت وانقشعت وانكشف الغبار عن الف
فارس فى الحديد غواطس عليهم الدروع الداودية وعلى روسهم البيض العادية المجلية
معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية فتأملناهم فاذاهم سليمان بن خالد بن الوليد
وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن طلحة وأخوه محمد وزياد بن المغيرة والوليد ومحمد بن عتبة ومحمد
ابن أبى هريرة وجماعة من الصحابة والامراء وأبنائهم رضى الله عنهم وكان غانم بن عياض
الاشعرى جهزهم طليعة قدامه فلما رأونا كبروا وكبرنا لتكبيرهم وخاضوا فى أوساطنا وطلب
كل واحد منهم بطريقا من البطارقة فقتله فلما رأت الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار
وتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون وينهبون ويأسرون الى بلدة سيزا
وما حولها من السواد الى عند سلقوس فاسروا منهم نحو خمسمائة اسير وقتل منهم ثلاثة آلاف
وهرب الباقون الى القرى والبلاد ولما قتل بطريق شندا خرج اليهم أهلها من النصارى
والسوقة وعقدوا معهم صلحا واتفقوا على اداء الجزية وكذا من حولهم من القرى ونزل هنالك
عمرو بن الزبير وجماعة من المسلمين وسار قيس بن الحارث امام القوم حتى نزل قريبا
من طنبدى والبلد المعروفة باسنا وكان بها بطريق يسمى بولياص بن بطرس وكان كافرا لعينا
فخرج الى لقاء المسلمين هو وجماعة ومعه ميرة وعلوفة فكان ذلك مكيدة منه وعقد مع المسلمين
صلحا ووافقهم على الجزية عن بلده وعن اسنا وكانت تحت حكمه وارتحل قيس بن الحارث ومن
معه وتأخر زياد بن المغيرة ونزل بالقرية المعروفة بدريوط فعقد مع أهلها صلحا ونزل سليمان بن
خالد وعبد الله بن المقداد وجماعة قريبا من البلد ومنهم من نزل عند القرية المعروفة باطينة
وساروا جماعة يدخلون البلد ليلا ثم يعودون خوفا من المكيدة ولا حذر من قدر الله عز وجل
(قال الواقدى) رحمه الله وكان المتخلفون خمسمائة فارس فجعلوا يسيرون على جانب البحر
ويشنون أى يغيرون على أهل السواد فمن صالحهم صالحوه ومن أسلم تركوه وسار قيس بن
الحارث حتى نزل بالبلد المعروفة الآن بالقيس وبه سميت وكان بها بطريق من بطارقة
البطلوس وكان من بنى عمه اسمه شكور بن ميخائيل والله أعلم باسمه فدخل أهل السواد كلهم
البلد وحاصروها حصارا شديدا نحو شهرين ثم اعانهم الله تعالى وحرقوا بابا من ابوابها
وفتحت ودخلوا اليها وكان بعد وقعة جرت بينهم فى مكان يعرف بكوم الانصار وهزموهم
هنالك وحاصروهم وفتحوا المدينة وقتلوا البطريق ونهبوا الاموال وأخذوا جميع ما فيها
بعد ان دعوهم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك ثم شنوا الغارات على ما حولها من البلدان والبلد
المعروفة بباطى ثم الى الكفور فخرج اليهم بطريق كان ابن عم المقتول بدهشور لعنه الله
واخوه بطرس وعقدوا مع المسلمين عقدا على الصلح واعطاء الجزية وسارت العرب الى البلد
المعروفة بالدير وسملوط وما حولها من القرى ونزل زهير وجماعة من العرب بالمكان الذى يعرف
بزهرة وأما بقية السواد الذى حول البهنسا شرقا وغربا لما تحققوا مجى العرب هربوا الى البهنسا

باموالهم

بأموالهم ونسائهم وذراريهم وتركوا البلاد جميعا خرابا وكان البطلوس لعنه الله أرسل اليهم بطارقته فحملوهم الى البهنسا واعتدوا للحصار وجمع عنده ما يحتاج اليه مدة الحصار قال الواقدي رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله بولياص صاحب طنبدى فانه كاتب البطلوس يقول انى ما صالحت العرب الا مكيدة وانى أريد الغدرة بهم فجهز لي جيشا من البطارقة لعل ان اظفر بجماعة من أبطال المسلمين ونأخذ بثار من قتل منكم قريبا قال وكان عدو الله كل يوم تأتيه الاخبار من العرب المتنصرة ومن غيرهم من أهل البلاد والسواد بما جرى للعرب وباخبار من قتل من البطارقة وأخذ البلاد والاموال فحمل هما عظيما ولم يظهر ذلك لاحد من بطارقته وانما كان يطيب قلوبهم ويقول بلادنا حصينة وان قاتلونا قاتلنا هم وان غلبونا دخلنا بلدنا فلو جاءنا أهل الحجاز جميعهم ما وصلوا الينا ولو أقاموا عشر سنين والله غالب على أمره وناصر دين الاسلام ومذل الكفرة الاثام فلما بلغ البطلوس مكاتبة عدو الله بولياص فرح بذلك فرحا شديدا قال واستدعى ببطريق من بطارقته يسمى روماس وضم اليه خمسة آلاف فارس من الروم والنصارى وغيرهم من أهل القرى وأمرهم ان يسيروا تحت ظلام الليل فما جاء نصف الليل حتى وصلوا الى طنبدى ودخلوا الى بولياص ففرح بذلك فرحا شديدا واستعدوا للهجمة على المسلمين قال واصبح المسلمون وقد صلوا صلاة الصبح واذا بالخيل قد اقبلت اليهم فناد والنفير النفير هاجمونا وغدرونا فركبت المسلمون خيولهم وساروا الى قريب الدير واذا بالروم مقبلون فى عشرة آلاف فارس وكان أعداء الله قد كمنوا كمينا قريبا من قناطر كانوا هنالك ونهر يجري فيه من النيل فى أوانه عميق غربى الدير قريب من البلد قال الواقدي رحمه الله ولما رأت المسلمون لمعان الاسنة والبيض وخفقان الاعلام وبريق الصلبان الذهب والفضة تبادروا الى خيولهم فركبوها واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير واقبلوا مسرعين نحوهم ولم يفزعوا من كثرتهم وحرض بعضهم بعضا على القتال وكانوا قد سبقوا الى شرذمة من المسلمين كانوا نزولا قريبا من الدير ووضعوا فيهم السيف واحاطوا بهم وجالوا واتسع المجال الى قريب من دريوط فخرج سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعامر بن عقبة بن عامر وشداد بن أوس وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم واشتد القتال وعظم النزال وعميت الابصار وقدحت حوافر الخيل الشرار ولمعت الاسنة وقرعت الاعنة ودهشت النظار وحارت الافكار واحاطوا بالمسلمين من كل جانب فلله در سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله ابن المقداد لقد قاتلوا قتالا شديدا وبلوا بلاء حسنا ولله در زياد بن المغيرة لقد كان يقاتل تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة فى القلب وأحاط بهم أعداء الله من كل جانب وقد صار المسلمون بينهم كالشامة البيضا فى جلد البعير الاسود وصبروا لهم صبر الكرام وكان أكثر المسلمين قد اثخنوا بالجراح واشتد الكفار هذا والمسلمون قد انتدبوا أبطالا وجعلوها خلف ظهورهم وقاتلوهم قتالا شديدا هذا واعداء الله قد احاطوا بهم وحجزوا بينهم وبين البلد وقاتل سليمان وأصحابه قتالا شديدا ووطنوا أنفسهم على الموت وشجع بعضهم بعضا وصار سليمان بن خالد

يقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند حوض النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل قتالا شديدا حتى اثخن بالجراح وقتل من المسلمين نحو مائتين وعشرين قريبا من التل الذى هو غربي البلد المذكورة وما قتل الواحد منهم حتى قتل من اعداء الله خلقا كثيرا قال الواقدى ولما رأى المسلمون وسليمان بن خالد ما حل باصحابه صار تارة يكر في الميسرة وتارة يكر في الميمنة واعانه بالجملة عبد الله بن المقداد وبقية الصحابة وتقدم سليمان بن خالد وطعن بطريق اسنا طعنة صادقة أرداه عن جواده وغاص في القلب قال حدثنا أوس بن شداد عن علقمة ابن سنان عن زيد بن رافع قال كنت في الخيل صحبة سليمان بن خالد وقد حجزنا المشركين وتقهقروا من بين أيدينا ولم نشعر ان لهم كمينا اذ خرج الكمين علينا وقاتلناهم قتال الموت وقتل منهم جماعة نحو الفي فارس وقتل سليمان بن خالد من الصناديد والبطارقة من خيارهم نحو ثلاثين فارسا وكذلك عبد الله بن المقداد فاحتاط بسليمان بن خالد رضى الله عنه كردوس نحو الفي فارس وعقروا جواده من تحته فضرب بالسيف فيهم حتى قطعت يده اليمنى فتناول السيف بيده اليسرى فضرب بها حتى قطعت فأحاطوا به فلما تيقن بالقتل التفت وقال يعز عليك يا خالد ابن الوليد ما حل بولدك ولكن هذا في رضاء الله عز وجل وكان قد طعن في صدره نحو عشرين طعنة حتى قل حيله وسقط الى الارض ثم تنفس وقال الساعة نلتقى الاحبة رحمه الله ولما رآه عبد الله بن المقداد على ذلك المصرع صاح لا حياة بعدك يا أبا محمد والملتقى في جنات عدن ثم غاص يقاتل فاحاطوا به واشتبكت عليه الاسنة وضرب ضربات كثيرة في وجهه وهو يقطع الرماح ويمسح الدم عن وجهه حتى سقط به الجواد وصاح واشوقاه اليك يا مقداد ثم تبسم وقال مرحبا ثم مات رحمة الله عليه وايقنا كلنا بالموت وان القيامة هناك واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن رايات اسلامية وعصائب محمدية وفي اوائل القوم القعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن نجبة الفزارى وسمرة بن جندب والفضل بن العباس وزياد بن أبي سفيان وبنوا هاشم وبنوا عبد المطلب وسادات الاوس والخزرج وغانم بن عياض الاشعرى ومن معه من الامراء والسادات فلم يمهلوهم دون ان حملوا عليهم حملة رجل واحد حتى جلوها وقتل البطريق بولياص لعنه الله ومعه بطريق البطلوس وانهزمت الروم وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون حتى بلغت الهزيمة الى البحر اليوسفي ورموهم في البحر وغرق منهم جماعة كثيرة وقتل منهم في المعركة نحو أربعة آلاف واسر نحو الف ومائتين أسيرا وهرب منهم الى البطلوس جماعة واختفوا الى الليل ودخلوا الى البطلوس واعلموه بذلك فضاقت عليه الدنيا وضاق صدره وحار في أمره واستعد للقاء المسلمين (قال الواقدى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما أهل طنبدى وأهل اسنا وكانوا لم يخرجوا ولم يقاتلوا فانهم لما وردت عليهم الاخبار ومعهم البطارقة يسألون بطريقهم القتال وكان نصرانيا ولم يكن روميا وكان اسمه لوص وبه سميت البلد فابى فلما انهزم البطارقة خرج لوص ومعه جماعة من أهل البلد وأتوا الى المسلمين وطلبوا منهم

الصلح فصالحوهم وخرج أهل طنبدى واهل اسنامن السوقة والرعية واولادهم وغيرهم وبكوافى وجوههم وقالوانحن قوم رعية وكنامغلوبين على أمرنافانا أهل ذمتكم ورعيتكم قالوا بشرط ان تدلوناعلى من هربوا اليكم فأجابوهم الى ذلك وصاروا يأخذون المسلمين ويدخلون الدور والمساكن ويقبضون على الروم ويسلمونهم الى المسلمين وكان النصرانى يقبض على الرومى ويأتى به الى المسلمين حتى قبضوامن طنبدى واسنانحوامن ألف وخمسمائة رجل من المطامير والابيار التى كانوا يحبسون فيها الاسارى من المسلمين وغيرهم ولما اجتمعت الاسارى من الروم والنصارى أمرغانم بن عياض بضرب رقابهم على تل هناك يعرف بالكوم ورجعت المسلمون الى مكان المعركة فلما عاينوا القتلى ورأوا سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعبيد بن الدارى بكواعليهم وعلى من قتل معهم من الامراء رضى الله عنهم وحزنوا عليهم حزنا شديدا وأنشد عمرو بن ياسر يرثى سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد ومن معهما بقوله شعرا

ياعين جودى بالدماء الصبيب * ثم اندبى ياعين فقد الحبيب
وانعى لمقتول غدا فى الفلا * مجندلا وسط الفيافى غريب
وابكى سليمان ولا تغفلى * فأمره والله أمر عجيب
قد كان لا يفكر كل العدا * ان سل من غمده السيف القضيب
وتختشى الاعداء من بأسه * لوانهم اعداد رمل الكثيب
فيا حمام الايك نوحى اذا * على فتى قد كان غصنا رطيب
واعلمى خالدا بما قد جرى * لعل ان يبكى بدمع صبيب
واخبرى المقداد من بعده * بأن عبد الله اضحى سليب
بل واندبى الامراء من بعدهم * وكل قرم من المعالى مصيب
لا يلتقى البلطوس خيرا ولا * اجناده الانذال أهل الصليب
قد اكمنوا جيشا لنا عامدا * يوم الوغا من كل كلب مريب
وحق من اعطى لنا نصره * فى كل واد بفتح قريب
لنأخذن الثار من جمعهم * جهرا ونطفى لنار اللهيب

(قال الواقدى) رحمه الله وان غانما رضى الله عنه جمع الشهداء ودفنهم فى ثيابهم ودروعهم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة وجراحاتهم تقطر دما اللون لون الدم والريح ريح المسك (قال الواقدى) وأقام غانم رضى الله عنه بعد ان دفن الشهداء قريب التل والامراء يشنون الغارات على السواحل وعدى بن جابر بن عبد الله الانصارى وأبو أيوب والمسيب بن نجبة الفزارى فى ألف فارس فغاروا على أهل شرونة فخرج اليهم بطريق يعرف بصندراس الجاهل وبطريق اهريت فى خمسة آلاف فارس واقتتلوا قتالا شديدا عند سفح الجبل فبلغ الخبر غانم بن عياض الاشعرى فأرسل اليهم كتيبة أخرى صحبة ابن المنذر والفضل بن العباس والمرزبان فى ألف

فارس فلما رأى الروم ذلك وقع الرعب فى قلوبهم وكان بينهم حرب عظيم ثم ان الفضل بن العباس قصد البطريق الجاهل لعنه الله وضربه ضربة هاشمية على رأسه فقطع الخودة والبيضة والرفادة الى ان سمع خشخشة السيف فى اضراسه فكبر وكبرت المسلمون لتكبيره فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكان الفضل بن العباس فارسا شديدا وبطلا صنديدا فغاص فى وسط المشركين وفتك فيهم والمرزبان حمل على بطريق شرونة فقتله وحمل ابن المنذر على بطريق اهريت فقتله فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون الى المكان المعروف بالدير واهريت وغرق منهم خلق كثير وقتل منهم الف وخمسمائة فارس واسر منهم ألف وخمسمائة وتحصن منهم جماعة من الروم والنصارى فى مدينة الجاهل وكانت حصينة فحاصرها المسلمون سبعة أيام وحرقوا الابواب وهدموا الجدران وأخرجوهم من البيوت وأخربوا تلك المدينة الى يومنا وخرج الى المسلمين نصارى من شرونة وأهريت وعقدوا مع المسلمين صلحا واعطوا الجزية وانزلوا امرة الكلبى فى مائتين من اصحابه وغيرهم وابن عمرو بن العاص فى المكان المعروف بنباء خالد فى مائتى فارس وعدى المسلمون البحر ونزل عامر بالعرب فى مائتى فارس قريبا من طنبدى واسنا وببا القرية وارتحل غانم بن عياض رضى الله عنه ببقية الجيش ولما تكاملت المسلمون أرسل بين يديه المسيب بن نجبة الفزارى والعباس بن مرداس السلمى والفضل بن العباس الهاشمى وعامر بن عقبة الجهنى وزياد بن أبى سفيان بن الحارث فى ألف وخمسمائة فارس فساروا الى مكان يعرف بالجرنوس وكان هناك قلعة ومرج للملك البطلوس وكان فى زمن الربيع ينزل هناك بالخيام والمضارب حول القلعة وتجتمع عنده البطارقة ويقيم أشهرا ثم ينزل على الاقاليم ثم يعود الى البهنسا (قال الواقدى) رحمه الله وأرسل لوص الى البطلوس لعنة الله عليهما يطلب منه جيشا صحبة بطريق من بطارقته فأرسل اليه بطريقا كافرا لعينا اسمه شاقم وبه سميت البلد التى هى قريب من البهنسا وكان الجيش عشرة آلاف فارس والله أعلم قال حدثنا مسلم بن سالم اليربوعى عن شداد بن مازن عن طارق ابن هلال انه كان فى خيل العباس بن مرداس السلمى قال بينما نحن نسير اذا رأينا غبرة قد ثارت وكان ذلك وقت الضحى فتأملناها فانكشفت عن عشرة أعلام وعشرة صلبان من الذهب الاحمر كل صليب يلمع كأنه كوكب فتأهبنا للحملة وتأهبوا لنا فلم يمهلونا دون ان حملوا علينا وحملنا عليهم واحاطوا بنا وقاتلت الروم قتالا شديدا وطمطموا بلغتهم واعلنوا بكلمة كفرهم وصبرنا لهم صبر الكرام وقاتلنا قتال الموت فلله در غانم بن عقبة والمسيب بن نجبة الفزارى والفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان لقد قاتلوا قتالا شديدا وعصب الفضل رأسه بعصابة حمراء وكذلك فعل زياد بن أبى سفيان بن الحارث كما كان يصنع عمهما حمزة وقاتلا قتال الموت فلم تكن الاساعة وقد قوى الحرب والقتال حتى أشرف علينا الامير غانم بن عياض الاشعرى مع بقية الجيش فقوى قلبنا وكبرنا فأجابونا بالتهليل والتكبير فتقدم الفضل بن العباس الى

بطريق

بطريق شلقم وكان فارساشديدا وعليه ديباجة مفصصة بالذهب وفى وسطه منطقة بالذهب مرصعة بالجواهر وقد عصب رأسه بعصابة من الجواهر وبيده عامود من الذهب طوله ثلاثة أشبار وأزيد وهو تارة يضرب بالسيف وتارة يضرب بالعامود فلما رآه الفضل ظن انه يريده فحمل عليه الفضل وهو ينشد ويقول

يا أيها الكلب اللعين الطاغيا * ومن أتى لجيشنا معاديا
أبشر لقد وافاك اسد ضاريا * بحد سيف فى عداه ماضيا
كان له الرب العظيم واقيا * من كل كلب اذ يكون طاغيا

قال فلم يفهم ما يقول الفضل وحمل عليه وتعاركا وتجاولا وضرب الفضل رضى الله عنه فحاد عنها وعطف عليه وانتزع العامود من يده وضربه ضربة هاشمية قرشية ابان بها رأسه عن بدنه ونظر اليه فلم يسقط وعاد عليه وهو جثة بلا رأس فتلقاه فارس من المسلمين اسمه زهير فوجده مكلبا بكلاليب فى سرجه فنزع الكلاليب فسقط عدو الله كالطود بعد ان تضمخ تاجه ومنطقته دماء فقال له الفضل ان السلب لى فخذ ذلك فقد وهبتك اياه فقال لا أعدمنا الله مكارمكم يا بنى هاشم وعطف على لوص فقتله وقتل كل أمير بطريقا وغيره وحملت المسلمون حملة رجل واحد بددوا شملهم فولوا منهزمين بين أيديهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون الى ان وصلوا الى البحر اليوسفى والقوهم فى مكان قريب من شاقولة فسميت القرية بذلك وتحصنت جماعة بقلعة المرج فأحاط بها المسلمون وحرقوا الابواب وهدموا الجدران واستخرجوا ماهنالك وقتل من الروم مقتلة عظيمة نحو عن ثلاثة آلاف واسروا نحوا من ألف وقتل من المسلمين ثمانية وأربعون رجلا من أعيانهم سيف الانصارى رضى الله عنهم أجمعين ودفن هو وأصحابه بمكان الوقعة وكان زياد بن المغيرة وجماعته نزولا فى أماكنهم قريبا من طنبدى كما ذكرنا حول البلد المعروف بدر بوط وكان زياد صديقا للامير سليمان بن خالد بن الوليد رحمه الله فكتب كتابا للامير خالد بن الوليد يعزيه فى ولده سليمان يقول شعرا

يا خالد ان هذا الدهر أفجعنا * فى سيد كان يوم الحرب مقداما
مجندل الفرس فى الهيجا اذا اجتمعت * وللصناديد يوم الحرب خصاما
يا طول ما هدم الاعدا بصارمه * أنالهم منه تنكيسا وارغاما
لاعلك الضد من أبطالنا أملا * ان حاز ساعده القصاص صمصاما
كأنه الليث وسط الغاب اذ وردت * له العدا وعلى الاشبال قدحام
يا عين جودى بفيض الدمع منك دما * بل واندبى فارسا قد كان درغاما
والسيد الفرد عبد الله قد حكمت * به المنايا وحكم الله قد دام
نجل الفتى العلم المقداد خير فتى * قد كان فى ملتقى الاعداء همّاما

(قال الواقدى) فلما وصل الكتاب الى خالد بن الوليد وهو قريب من الدير ببقية الجيش وهو

بنفذ السرايا وأهل البلاد يأتونه بما صالحوه عليه من المال وغيره وقد جهز عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن نافع الفهري والزبير رضي الله عنهم بألف فارس الى الفيوم وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى فلما ورد الكتاب على خالد سقط الى الارض وخر مغشيا عليه ثم أفاق واسترجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم قال اللهم اني احتسب سليمان اليك اللهم اجعله فرطا وذخرا واعقبني عليه صبرا واعظم لي بذلك أجرا ولا تحرمني الثواب برحمتك يا أرحم الراحمين ثم قال والله لآخذن فيه ألف سيد من ساداتهم ولاقطعن ساداتهم وفرسانهم وانني أرجو ان آخذ بثاره ان شاء الله تعالى ولاقتلن البطلوس أشر قتلة لعلي أن أشفي بذلك غليل صدري وحرارة كبدي وليكونن على يدي خراب دياره وانهزام جيوشه وزوال ملكه وهطلت مدامعه على وجنته أحر من الجمر ثم جعل يسترجع ويقول

جرى مدمعي فوق المحاجر منهمل * وحر فؤادي من جوى البين يشتعل
وهام فؤادي حين أخبرت نعيه * فليت بشير البين لا كان قد وصل
لقد ذوب الاحشا واجرى مدامعي * صبيبا وعن نار الفؤاد فلا تسل
سأبكي عليه كل ما قبل المسا * وما ابتسم الصبح المنير وما ابتهل
لقد كان بدرا زائد الحسن طالعا * فاصبح بعد النور والزهر قد أفل
وكان كريم العم والخال سيدا * اذا قام سوق الحرب لا يعرف الوجل
أحاطت به خيل اللئام بأسرهم * وقد مكنوا منه المهند والاسل
وعيشك تلقاهم صراعا على الثرى * عليهم يسوق الطير والوحش محتفل
فوأسفا لو انني كنت حاضرا * بأبيض ماضي الحد في الحرب مستطل
وحق الذي حجت قريش لبيته * وارسل طه المصطفى غاية الامل
لاقتل منهم في الوغى ألف سيد * اذا سلم الرحمن وانسع الاجل

(قال الواقدي رحمه الله) واقبلت الامراء يعزون خالدا ومدامعهم تفيض من عيونهم ويقولون أعظم الله لك أجرا واعقبك عليه صبرا وجعله لك غدا في المعاد ذخرا والله لقد عدمنا القوي وقد ابيد القلب من حشاشتنا واكوى ونحن لقتله زاهلون انا لله وانا اليه راجعون وكذلك يعزون المقداد في ولده عبد الله وبلغ الخبر عمرو بن العاص بمصر وهو مقيم بها فكتب لهما كتابا بالتعزية وبلغ الخبر المدينة لعمر بن الخطاب فاسترجع هو وبقية الصحابة مثل علي ابن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله ومن كان حاضرا من الصحابة بالمدينة الطيبة رضي الله عنهم وعلى ساكنها افضل الصلاة والسلام وكتبوا الى خالد والمقداد كتابا يعزونهما فلما وصل الكتاب الى خالد والمقداد اطمأنا لما الهمهما من الصبر وما لهما من الاجر والثواب (قال الواقدي) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء واما البطلوس لعنه الله فانه لما تحقق مجيء العرب الى مدينة البهنسا فتح خزائن الاموال وفرق المال والسلاح والعدة من الملبوس

والدروع وغير ذلك وفرق على البطارقة وعلى غيرهم من الجند وكان هناك بيت مقفول كما ذكرنا فيه صفة العرب واسماؤهم فأمر بفتحه وهو يظن ان فيه مالا مدخرا خبعه الاقسة والرهبان من ذلك فابى ففتحه فلم يجد فيه الا صفة العرب واسماءهم كما ذكرنا أول الكتاب فنظر لذلك ودخل الكنيسة وجلس على سريره وجمع حوله البطارقة فاستشارهم فى أمره فقام شيخ كبير راهب وكان مطاعا عنده مسموع الكلام كبير السن وكان عمره مائة وعشرين سنة فقام وعليه جبة سوداء وعلى رأسه قلنسوة وفى يده عكاز من الابنوس مطعم بالعاج والذهب فقرب من الهيكل وتكلم بكلام لا يفهم ثم قال بعد ذلك يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية قد كانت دولتكم قائمة وكلمتكم مسموعة مادمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعدلون فى الرعية وتأخذون للمظلوم من الظالم وتنصفون الضعيف من القوى وتواسون الفقير ولا تمدون أيديكم الى شئ من اموال الناس وتهابون الزنا وكانت الدولة لكم وقلوب الرعية منجذبة وهى داعية لكم وكان الملك فيكم والآن لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر وظلمتم الرعية وجرتم فى الاحكام وحكمتم بغير الحق ولا تأخذون للضعيف حقه من القوى ومددتم أيديكم الى أموال الرعية وفشت فيكم المعاصى فتغيرت قلوب الرعية ومدوا أيديهم عليكم بالدعاء ودعاء المظلوم مستجاب وكثرة الظلم خراب فيوشك أن تنزع هذه النعمة من أيديكم وتعود الى غيركم بكثرة ذنوبكم وشؤم معاصيكم وبدعاء المظلومين عليكم فلاجل ذلك سلطت عليكم العرب فملكوا بلادكم وقتلوا رجالكم ونهبوا اموالكم وسكنوا منازلكم واستولوا على معاقلكم فتيقظوا من غفلتكم وذبوا عن حريمكم واموالكم ولا تمكنوا العرب من جانبكم وهذه مقالتى لكم جميعا فلما سمع البطلوس لعنه الله كلام القس وما تكلم به التفت الى بطارقته وجماعته ونوابه وقال هل سمعتم ماقال أبوكم قالوا سمعنا قال فما عندكم من الرأى قالوا نحن معك وبين يديك ونقاتل العرب ولا نطمعهم فينا كما طمعوا فى غيرنا وان غلبونا استعددنا للحصار وعندنا من الميرة والعلوفة ما يكفينا عشر سنين وازيد وبلدنا حصين ولا نسلم أنفسنا ولا يكون علينا عار عند الملوك قال فشكرهم البطلوس على ذلك ووثب قس آخر وكان يناظر ذلك القس فى المعرفة واستخرج كتابا معلقا كان عنده فى صندوق من الابنوس مقفول باقفال من الفولاذ وقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية اسمعوا ما نعته لكم العلماء والكهان والحكماء انه يبعث نبى فى آخر الزمان يسمى محمد بن عبد الله من بنى عدنان يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه يبعثه الله نبيا الى جميع البشر مولده بمكة ودار هجرته طيبة ثم يقيم أياما ويتوفاه الله عز وجل ثم يتولى الامر من بعده رجل يسمى ابا بكر وتزداد العرب به فخرا ويجهز العساكر الى الشام ثم لم يلبث الا أياما قلائل ويتوفاه الله تعالى ويتولى الامر من بعده الرجل الاصلع الاحور المسمى بعمر وهو صاحب الفتوح ومصبح الاعداء بيشم صبوح تفتح على يديه الامصار ويبعث سراياه الى سائر الاقطار وانا نجد فى الكتب القديمة ان هذه المدينة تفتح على يد رجل اسمر وشجاع غضنفر فارس شديد وبطل صنديد يسمى بخالد بن الوليد فان سمعتم

قولى وقبلتم فاعقدوا مع العرب صلحا فان الدولة لهم ودينهم الحق ولوقاتهم أهل المشرق والمغرب غلبوهم ببركة الله وبركة نبيهم محمد قال فلما سمع البطارقة كلامه غضبوا غضبا شديدا وارادوا قتله فمنعهم البطلوس من ذلك وقال له كأنك خفت من سيوف العرب وأنا اعلم ان الرهبان والقسوس لا قلوب لهم لانهم ليس لهم أكل الا العدس والزيت والليمون والاشياء الرديئة ولا يعرفون اللحم فلاجل ذلك ضعفت قلوبهم فلولا مقامك من قديم الزمان ورؤيتك للملوك القدماء لبطشت بك ولئن عدت الى مقالتك هذه لاقتلنك أشر قتلة قال فسكت القس الراهب وخرج البطلوس من وقته وساعته وجلس فى قصره ذى الاعمدة ثم استدعى ببطارقته وخلع عليهم ورفع لهم الاعلام والصلبان وعرض جيشه فاذا هم ثمانون ألفا غير السوقة والمشاة فسر بذلك سرورا عظيما ثم استدعى ببطريق من بطارقته يدعى قابيل وكان أحد جلساء السرير وكان لا يقطع امرا دونه فخلع عليه ودفع له ثمانين الفا وامره بملاقاة العرب ثم استشار خواص مملكته فى الاقامة فى البلد او الخروج الى ظاهرها فقال له ذو والرأى من بطارقته ايها الملك انك اذا اقمت فى البلد استضعفوا رأينا وامرنا واذا كنت بجانب المدينة لا تجد العرب ان تصل الينا ونجعل البلد خلف ظهرنا ونقاتل من خارج الابواب ويساعدونا من فوق الابراج فاذا عظم الامر لا ندخل المدينة الا من أمر عظيم فاستصوب رأيهم ثم انه أمر الفراشين ان يخرجوا الخيام والسرادقات والقباب بظاهر المدينة واخرجوا له سرادقا عظيما سعته سبعون ذراعا وارتفاعه مثل ذلك على اعمدة من الخشب المصفح بالذهب والفضة وهو من الحرير الملون الازرق والاحمر والاخضر والابيض والاصفر والاسود ومقضب بقضبان الذهب والفضة مرصع باللؤلؤ وفيه تصاوير من داخله ومن خارجه من جميع أجناس الطير والوحش والكواكب وفرش فيه من الفرش والبسط الحرير الملون ووضع فيها المساند والوسائد والانطاع واطناب السرادقات حرير ملون باوتاد من عاج وابنوس فى حلق من ذهب وفضة وعلق فيه قناديل وسلاسل من ذهب وفضة ووضع فيه سريرا من خشب الساج المنقوش المصفح بالذهب الوهاج على قوائم برزامين من ذهب وفضة طوله سبعة اذرع وعرضه مثل ذلك وارتفاعه مثل ذلك يصعد اليه بدرج من خشب مصفح بصفائح من ذهب وفضة وعليه فرش من حرير ووسائد ومساند ونمارق وحوله ثمانون كرسيا مصفحة بالخشب الابنوس يجلس عليها ارباب الدولة واصحاب الصولة وضرب حوله من الخيام والسرادقات مالا يوصف له عدد قال حدثنا بذلك جماعة من الصحابة ممن شهد الفتح وعاين السرادقات لما هرب الملعون ودخل المدينة كان السرادق منصوبا مقابل الباب البحرى المعروف بباب فندوس وأمر بطريقا من بطارقته اسمه سمعان ان ينصب سرادقه الذى وهبه له عند باب توما وهو الباب القبلى وامر لبطريق اسمه اصطافين ان ينزل فى الجانب الشرقى قريبا من القناطر على ساباط معقود على عمدة من الحجارة فامره ان ينزل ومعه عشرة آلاف فارس حول القلعة قال هبار بن أبى سفيان وسلمة بن هاشم المخزومى ما نزلنا على مدينة من مدائن الشام

ولا رأينا أكثر عددا ولا أكثر زينة من مدينة البهنسا ولا أقوى قلوبا منهم وأكثروا من الصلبان ونصبوا السرادقات والمنجنيقات على الاسوار واسبلوا على الاسوار جلود الفيلة المصفحة بصفائح الفولاذ ورتبوا الرماة والمجانيق والسهام وغير ذلك (قال الراوى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما الامير غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه فانه لما قرب من البهنسا استشار أصحابه مثل أبى ذر الغفارى وأبى هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل وسلمة ابن هاشم المخزومى ومالك الاشتر النخعى وذى الكلاع الحميرى رضى الله عنهم ومعهم ألفان من أصحابهم وأمرهم بالنزول فى الجهة الشرقية وان قاتلوكم قاتلوهم وتنازلون القلعة حتى تأخذوها وعدى الامير غانم من الجهة البحرية ومعه أصحاب الرايات والامراء والطليعة من هؤلاء السادات وهم الفضل بن العباس وأخوه عبد الله بن العباس وشقران وصهيب ومسلم وجعفر وعلى أولاد عقيل بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان وتتابعت خلفهم السادات وأصحاب المروآت مثل نعيم بن هاشم بن العاص وهبار بن أبى سفيان وعبد الله بن عمر والدوسى وسعيد بن زبير الدوسى وحسان بن النصر الطائى وجرير ابن نعيم الحميرى وسالم بن فرقد اليربوعى وسيف بن اسلم الطائفى ومعمر بن خويلد السكبى وسنان ابن أوس الانصارى ومخلد بن عون الكندى وابن زيد الخيل ومثل هؤلاء السادات أصحاب الرايات رضى الله عنهم وتتابعت الكتائب يتلو بعضها بعضا وعدوا الى الجانب الغربى فبينما هم سائرون واذا بعدو الله قابيل قد أقبل بالبطارقة المتقدم ذكرهم فلما التقى الجمعان عند سفح الجبل تحت المغارة أشار الى أصحابه فامسكوا عن المسير وتقدم الى راية عالية والى جانبه رجل من العرب المتنصرة وأمره بأن ينادى برفيع صوته قربوا الى البطريق رجلا منكم ذا خبرة يكلمه فوثب اليه جرير الحميرى وأتى الى غانم وقال أيها الامير اتأذن لى أن أكلمه قال نعم ان طلبوا الصلح ورفع القتال صالحناهم حتى يحضر الامير خالد بن الوليد ويفعل أمره وان أرادوا القتال قاتلناهم واستعنا بالله تعالى عليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل (قال الراوى) رحمه الله فعندها سار حتى وقف بازاء البطريق وقال له قل حاجتك قال له أنت أمير القوم قال لا ولكنى متكلم عن الامير فقال له لم تركتم بلاد الشام والنعم العظام وأتيتم الى هذه البلاد وكنتم فى بلاد الحجاز تقاسون جوعا وعريا فذقتم فواكه الشام وثمار الحجاز وخيرات اليمن فلم يكفكم ذلك حتى أتيتم الى مصر وقهرتم القبط وأتيتم الى بلاد الفرس وقهرتم ملوكها ولم تكتفوا حتى أتيتم الينا وهجمتم علينا فى بلادنا وقتلتم أبطالنا ونهبتم أموالنا ونحن نتغافل عنكم ونهمل أمركم حتى غلظت شوكتكم وقصدتم مدينتنا وطلبتم مدينتنا التى هى دار ملكنا ومحل ولايتنا ولقد طلبها قبلكم من الفراعنة والجبابرة والقبط والقياصرة والاكاسرة والجرامقة ورجعوا خائبين وأنتم هجمتم علينا وقتلتم رجالنا فقولوا لنا ما الذى تريدون منا فان كنتم تريدون مالا وترجعون عنا فقت أنا عن الملك بذلك وترحلون عنا وتردون لنا ما ملكتم من بلادنا وان الملك لا يخالف لى أمرا فاخبرونى ما الذى تريدون وما الذى تطلبون قال له

جرير فرغت من كلامك فقال له نعم قال له جرير خذ جوابك أما قولك كنا فى ضيق حال فهو كما ذكرت لكن انعم الله علينا بالاسلام وهو اول نعمة ثم أمرنا بالجهاد وان الله تعالى أباح لنا اموال المشركين ماداموا محاربين وأمرنا ان نجاهدكم حتى تؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون او تسلموا أو تقاتلوا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما قولك المال فليس هو غرضنا ولا متاع الدنيا شهواتنا وان بلادكم عن قريب تكون لنا وأموالكم غنيمة لنا نقتسمها (قال الواقدى) قال فلما سمع البطريق الكلام غضب غضبا شديدا وقال انا كفؤ لكم دون الملك ثم أمر أصحابه بالحملة على جرير قال فلويت عنان جوادى الا والخيل قد ركبتنى فعندها تواثب المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وتبادرت الرجال وزمجرت الابطال وزحفت الاقيال وتراشقوا بالنبال وتضاربوا بالنصال وتطاعنوا بالعوال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد النزال وكثرت الاهوال وقاتلت الفرسان وولى الجبان حيران فلله در المغيرة ابن شعبة وعون بن ساعدة وعبادة بن تميم والفضل بن العباس رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وبلوا بلاء حسنا ولم يزل القتال يشتد من ارتفاع الشمس الى الغروب فعندها وثب عبد الله ابن جعفر الى قابيل وضربه ضربة فحاد عنها عدو الله وولى هاربا وتبعه جماعته نحو ثلاثمائة فارس ولم يزل الفريقان فى قتال ونزال الى ان غابت الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو خمسين رجلا ختم الله لهم بالشهادة وقتل من الروم نحو ألفى فارس قال واجتمعت الروم حول قابيل وولى هاربا الى ان وصل الى البطلوس فلما رآهم وبخهم وقال لهم باى وجه تفرون من العرب ولم تصبروا لهم وقد فشلتم وجزعتم فقال له قابيل أيها الملك ليس الخبر كالعيان وهؤلاء ليسوا بانس وانما هم جن فى القتال ولولا الاجل حصين ما عدت اليك فغضب الملك وقال اسكت قد تمكن رعب العرب من قلبك وستنظر ما يكون من امرهم ثم بات فى قلق شديد حتى اصبح الصبح ولم يأمر قومه بالركوب وقال امهلوا حتى تنظروا ما يكون من امرهم

(ذكر فتوح البهنسا ونزول الصحابة عليها وقتل البطريق)

قال الراوى رحمه الله تعالى ولما اصبحت المسلمون صلوا صلاة الصبح ثم تبادروا الى خيولهم فركبوها فلم يجدوا لاعداء الله خبرا ولا اثرا وتيقنوا انهم انهزموا ومضوا الى مدينتهم فسارت المسلمون الى ان قربوا من البهنسا فلاحت لهم المضارب والخيام والسرادقات والاعلام قال الراوى حدثنا قيس بن منهال عن عامر بن هلال عن ابن زيد الخيل قال لما اشرفنا على مدينة البهنسا ورأينا تلك المضارب قال غانم رضى الله عنهم اللهم اخذلهم وانصرنا عليهم اللهم احصرهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا واخزهم انك على كل شئ قدير وامن المسلمون على دعائه قال فلما اقبلنا على مدينة البهنسا كبرنا وهللنا فخرجوا الى ظاهر الخيام وبأيديهم السيوف والدرق والقسى والنبال ورأينا خلقا كثيرة على الابراج واراد جماعة من العرب الحملة عليهم فمنعهم الامير وبقية الامراء من ذلك وقالوا لا حملة الا بعد انذارهم انهم لم يأتوا الينا ولا ناوشونا بقتال واستقلونا فى اعينهم (قال الواقدى) ونزلت المسلمون بجانب الجبل

عند

عند الكثيب الاصفر قريبا من البياض الذى على المغارة نحو المدينة هذا ماجرى لهؤلاء واما ابوذر الغفارى وابو هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل ومسلمة بن هاشم ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميرى فانهم ساروا حتى نزلوا قريب القوم وباتوا تلك الليلة فلما اصبحوا خرج اعداء الله الى لقائهم فقال مالك الاشتر ياقوم ان اعداء الله قد خرجوا الى لقائكم فاشغلوهم بالقتال وارسلوا جماعة منكم يملكون الجسر واستعينوا بالله فعندها خرج المرزبان ومعه ثلاثمائة فارس حتى وصلوا الى الجسر والحجارة تتساقط عليهم من اعلى السور حتى ملكوا الجسر وجعلوا فى اماكن المخاضات حراسا بسيوف محدودة واقتتل المسلمون وأعداء الله قتالا شديدا وأغروا فى القتال سبعة أيام وكلما اتوا الى مكان المخاضة وجدوه مربوطا بالرجال وصار كل ليلة تهرب منهم جماعة من الروم ويسعون على وجوههم وساروا تحت الليل يريدون الصعيد فتلقاهم رافع بن عميرة الطاءى ومعه سرية من اصحاب قيس بن الحارث عند البلد المعروف بادقار وكانوا حوالى البحر اليوسفى يشنون الغارات على تلك السواحل فبينما هم كذلك يسيرون اذ سمعوا دوى حوافر الخيل فظنوا انهم مسلمون فكلموهم فلم يرد عليهم أحد فلحقوهم وحملوا عليهم وكانوا ستمائة فارس ففروا من بين ايديهم فقتلوا منهم نحو مائتين وهرب الباقون وقتل من المسلمين ثلاثة وهرب الروم نحو المخاضة فغرق منهم مائة واسروا منهم مائتين وهرب الباقون وسألوهم عن سبب خروجهم فاخبروهم انهم يريدون فعند ذلك اوثقوهم كتافا وأتوا بهم مكتفين مع نفر من المسلمين الى ان وصلوهم الى غانم بن عياض الاشعرى فاعلنوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير واقبلوا نحوهم ففرحوا بالاسارى ثم اعرضوهم على الامراء المقدم ذكرهم فعرضوا عليهم الاسلام فابوا فضربت اعناقهم والروم ينظرون الى ذلك ثم زحفت عليهم الصلبان واقتتلوا قتالا شديدا وحمى الحرب وكثر الطعن والضرب من ارتفاع الشمس الى وقت العصر وفشا القتل فى الروم فلما رأوا ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وصعدوا الى القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا للحصار ونصبوا آلات القتال قال هذا ماجرى لهؤلاء واما الصحابة رضى الله عنهم فانهم نزلوا فى سفح الجبل والوادى فى المكان المتسع من الجهة البحرية والجهة الغربية فلما جاء الليل أوقدوا نيرانهم واجتمعت كل قبيلة ببنى عمها يقرءون القرآن ويصلون على محمد اشرف ولد عدنان ومافيهم الا من هو راكع او ساجد أو داع الى الله عز وجل لعل ان ينصرهم على عدوهم وباتت الروم اللئام يشربون الخمر داخل المدينة ومن خارجها وقد اعلنوا بكلمة كفرهم حتى ضجت منهم أرض البهنسا واستغاثت الى الله عز وجل فناداها بلسان القدرة اسكتى يابهنسا فوعزتى وجلالى لاهلكنهم ولاسكننك قوما يوحدونى من خيار خلقى ولاجعلن تلك البيع مساجد للصلاة والجمع فلما سمعت الارض الخطاب من قبل رب الارباب استبشرت فرحا وطربا وبقيت منتظرة وعد ربها ان يزول كربها فلم يكن الا قليل حتى ازال الله عنها أهل الكفر والطغيان وعبدة الاصنام واسكنها خير أمة الاخيار من المهاجرين والانصار من اصحاب محمد المختار يصلون بها آناء الليل واطراف النهار وجعلت البرية

مدافن للسادات الشهداء الاخيار وصار عليها بعد الظلام أنوار وصارت زيارتها تحط الخطايا والاوزار (قال الواقدى) ولما اصبح الله بالصباح صلى المسلمون صلاة الصبح وجلسوا ينتظرون ما يكون من امر الروم واذا بقس قد اقبل راكب بغلة وعليه مدرعة من شعر وقلنسوة وزنار فسار حتى وصل قريبا من العسكر ثم تكلم بلسان عربى وقال يا مسلمين اريد أمير العرب قال الراوى حدثنا قيس بن شماس عن كعب بن همام عن شداد بن اوس وكان من اصحاب الرايات قال بينما نحن جلوس نتحدث مع الامير غانم بن عياض اذ اقبل عبد الله بن عاصم واخبر عن ذلك القس قال فاذن له الامير غانم بالدخول فدخل القس فوجد الامير غانما جالسا فى خيمته على فراش من ادم وحشوه من ليف وفرش المشركين التى اكتسبوها مطوية على جانب وحوله السادات والامراء رضى الله عنهم كلهم جالسون حوله وهو كانه أحدهم وسيوفهم على افخاذهم وعليهم هيبة ووقار فلما دخل القس اندهش وحار وأخذه الانبهار ثم التفت يمينا وشمالا وقال يا قوم أيكم الامير حتى أكلمه فانكم كلكم أراكم سادات وامراء وعليكم هيبة ووقار قال فاشاروا الى الامير غانم فالتفت اليه وقال يا فتى أنت أمير قومك قال كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله عز وجل فقال له القس ان الملك البطلوس قد أرسلنى اليكم مريدا ذا الرأى والخبرة يسأله عن أمركم فلعل أن يكون ذلك سبب احقان الدماء بينكم وبينهم قال فعندها التفت الامير غانم الى اصحابه وقال ما تقولون فيما اتاكم به هذا القس ومن ينطلق اليه ويخاطبه ويعود الينا قال فوثب المغيرة بن شعبة وقال انا أمضى اليه واريد معى عشرة من رجال الامراء من ذوى المروءة والباس فقال له الامير اختر من شئت وفقك الله وسددك وردك الينا سالما غانما أنت ومن معك قال فالتفت الى ورائه وقال أين سعيد بن عبد القادر أين ايوب الانصارى أين خالد بن زيد الانصارى أين زيد بن ثابت الانصارى أين مسعود البدرى أين جرير بن مطعم أين ابو يزيد العقيلى أين معاوية بن الحلم الثقفى أين عمار ابن حصين أين زيد بن أرقم فاجابوه بالتلبية فقال لهم خذوا اهبتكم وانطلقوا معى على بركة الله وعونه قال فتبادر هؤلاء الامراء السادات الى خيامهم ولبس كل واحد درعه وتنكبوا بحجفهم وتقلدوا اسيوفهم واعتقلوا برماحهم (قال الواقدى رحمه الله ثم ان المغيرة رضى الله عنه دخل الى خيمته ولبس درعه وشد وسطه بمنطقته وهى من الادم وفيها خنجران واحد على اليمين وواحد على الشمال وتقلد بسيف من جوهر واعتقل برمح اسمر وركب جواده الادهم واخذ كل واحد منهم عبده راكبا على بغلة وودعوهم فالتفت الامير غانم وقال للمغيرة اعرف يا أبا شعبة ما تكلم به هذا الملعون فاعرفته الا مفلج الحجة فادعوه الى الاسلام وما فرض عليه من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وما ابيح من الحلال وما حرم من الحرام فان أبى فالجزية فى كل عام فان أبى فالقتال بحد الحسام ونرجو النصر من الملك الديان بجاه محمد خير الانام قال فقال المغيرة أرجو من الله الملك الوهاب المعونة فى رد الجواب وسارت الامراء والقس امامهم راكب على بغلة وعبيدهم خلفهم على بغالهم وكل عبد عليه لامة حربه وساروا وهم معلنون بالتهليل

والتكبير والصلاة على البشير النذير قال زياد بن ثابت ولما فارق القوم الامير غانما نظرت
اليه وعيناه تزرف بالدموع حتى بلت دموعه لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت الا أيها الامير
ما هذا البكاء فقال لي يا ابن ثابت هؤلاء والله انصار الدين فان أصيب رجل منهم فما يكون
عذري عند الله عز وجل قال وسار المغيرة وأصحابه حتى اشرفوا على عسكر العدو واذا هو ملء
الارض وهو نازل حول مدينة البهنسا فصاح المغيرة ومن معه يقولون لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ أقبل اليهم بطريق من البطارقة ومعه رجل
من العرب المتنصرة راكب الى جانبه ومعهما نحو مائة فارس وساروا بين أيديهم حتى وصلوا
الى قريب سرادق الملك ولاح لهم البطلوس وهو جالس على السرير فعند ذلك خرج لهم الحجاب
والنواب وارباب الدولة والصولة وقالوا قد وصلتم و بلغتم الى سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم
وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة أما خيولنا فننزل عنها وأما سيوفنا فلا ننزعها فانها عزنا وما كنا بالذى
ينزع عزه الذى يعتز به دهره قال فاخبر الحجاب الملك بذلك فقال دعوهم يدخلوا بسيوفهم
فنادتهم الحجاب ادخلوا قال الراوى رحمه الله و رضى عنه فعندها ترجل اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن خيولهم وامسكوها العبيدهم واقبلوا يتبخترون فى مشيهم ويجرون حمائل
سيوفهم ويخترقون صفوف الكفار وهم لا يهابونهم الى ان وصلوا الى سرير الملك فدخلوا الى
ان وصلوا الى النمارق والفرش والديباج والملك جالس على سريره ولما نظر المسلمون الى ذلك
عظموا الله تعالى وكبروه فارتج السرادق وتغيرت الوان القوم وصاح بهم الحجاب الارض
للملك فلم يلتفتوا اليهم قال المغيرة لا ينبغى السجود الا للملك المعبود ولعمرى كانت هذه تحيتنا قبل
فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نهانا عن ذلك فلا يسجد بعضنا لبعض قال
فسكتوا قال فامر الملك بكراسى من ذهب وفضة فنصبت لهم فلم يجلسوا عليها وكانوا من حين
دخلوا امر بعض عبيدهم يطوون البسط من تحت ارجلهم الى ان وصلوا الى فرش الديباج
فشالوها على جنب فقالت لهم البطارقة قد اسأتم الادب علينا اذ لم تسجدوا للملك ولم تمشوا على
فرشنا فقال المغيرة ان الادب مع الله تعالى افضل من الادب معكم والارض أطهر من فرشكم
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعلت لى الارض مسجدا وطهورا قال الله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (قال الواقدى رحمه الله لم يكن بين البطلوس
والصحابة ترجمان لانه كان أعرف أهل زمانه بلسان العربية فعند ذلك امرهم بالجلوس فقال
المغيرة اما ان تنزل عن سريرك وتكون معنا على الارض او تأذن لنا بالجلوس معك على السرير
لان الله تعالى شرفنا بالاسلام قال فاشار لهم بالجلوس معه على السرير بعد ان ازالوا تلك
الفرش وجلس المغيرة الى جانبه فالتفت البطلوس لعنه الله اليهم وقال لهم أيكم المتكلم عن
أصحابه فاشاروا الى المغيرة رضى الله عنه والصحابة جلوس وايديهم على مقابض سيوفهم
فالتفت البطلوس الى المغيرة وقال له ما اسمك فقال عبد الله المغيرة فقال يا مغيرة انى اكره
ان ابدأك بالكلام فقال له المغيرة تكلم بما شئت فان عندى لكل كلام جوابا ثم ان البطلوس

افصح فى كلامه وقال الحمد لله الذى جعل سيدنا المسيح أفضل الانبياء وملكنا افضل الملوك ونحن خير السادة فقطع عليه المغيرة فقالت الحجاب والنواب لقد اسأت الادب مع الملك يا أخا العرب فابى المغيرة ان يسكت وقال الحمد لله الذى هدانا للاسلام وخصنا بين الامم ببعث محمد عليه افضل الصلاة والسلام فهدانا به من الضلالة وانقذنا به من الجهالة وهدانا الى الصراط المستقيم فنحن خير امة اخرجت للناس نؤمن بنبينا ونبيكم وبجميع الانبياء وجعل اميرنا الذى متولى علينا كاحدنا لو زعم انه ملك وجار عزلناه عنا لسنا نرى ان له فضلا علينا الا بالتقوى وقد جعل الله نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر منه ونعبد الله وحده لا شريك له ولو اذنب الرجل منا ذنوبا تبلغ مثل الجبال فتاب منها قبلت توبته وان مات مسلما فله الجنة قال فتغير لون البطلوس ثم سكت قليلا وقال الحمد لله الذى ابتلانا باحسن البلاء واغنانا من الفقر ونصرنا على الامم الماضية ولقد كانت جماعة منكم قبل اليوم يأتون الى بلادنا فيمتارون البر والشعير وغيره ونحسن اليهم وكانوا يشكروننا على ذلك وأنتم جئتمونا بخلاف ذلك تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون المال وتنهبون المدائن والحصون والقلاع وتريدون ان تخرجونا من بلادنا وديارنا وانتم لم تكن امة من الامم اضعف حالا منكم لانكم اهل الشعير والدخن وجئتم بعد ذلك تطمعون فى بلادنا واموالنا وحولنا جنود كثيرة وشوكتنا شديدة وعصابتنا عظيمة ومدينتنا حصينة واغاروا كم علينا لانكم ملكتم الشام والعراق واليمن والحجاز وارتحلتم الى بلادنا وافسدتم كل الفساد وخربتم المدائن والقلاع ولبستم ثيابا فاخرة وتعرضتم لبنات الملوك والبطارقة وجعلتموهن خداما لكم واكلتم طعاما طيبا ما كنتم تعرفونه وملأتم ايديكم بالذهب والفضة والمتاع الفاخر واللآلئ والجواهر ومعكم متاعنا واموالنا التى من قومنا وأهل ديننا ونحن نترك لكم ذلك جميعه ولا ننازعكم عليه ولا نأخذ عليكم ما تقدم من فعلكم من قتل رجالنا ونهب أموالنا والآن ارحلوا عنا واخرجوا من بلادنا فان فعلتم فتحنا خزائن الاموال وامرنا لكل رجل منكم بمائة دينار وثوب حرير وعمامة مطرزة بالذهب ولاميركم هذا الف دينار وعشرة عمائم وعشرة ثياب ولكل امير منكم كذلك وللخليفة عليكم عشرة آلاف دينار ومائة ثوب حرير ومائة عمامة بعد ان نستوثق منكم بالايمان انكم لا تعودون تغيرون على بلادنا هذا كله والمغيرة ساكت فلما فرغ البطلوس من كلامه قال له المغيرة قد سمعنا كلامك فاسمع كلامنا ثم قال الحمد لله الواحد القهار الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال له البطلوس نعم ما قلت يا بدوى فقال المغيرة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى فقال له البطلوس لعنه الله لا ادرى محمد رسول الله ولعله كما يقال حبيب الرجل دينه ثم التفت الى المغيرة وقال يا عربى ما هى افضل الساعات فقال ساعة لا يعصى الله فيها قال صدقت يا أخا العرب لقد بان لى رجحان عقلك فهل فى قومك من له رأى له مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم فى قومنا وعسكرنا أكثر من الف رجل لا يستغنى عن رأيهم ومشورتهم وخلفنا امثال ذلك وهم قادمون الينا عن قريب

فقال

فقال البطلوس ما كانظن ذلك منكم وانما بلغنا عنكم انكم جماعة جهال لا عقول لكم فقال المغيرة كنا كذلك حتى بعث الله فينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا وارشدنا فقال البطلوس لقد اعجبني كلامك فهل لك في صحبتي فقال المغيرة يسرني ذلك اذا فعلت ما أقول لك قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال البطلوس لا سبيل الى ذلك ولكن ان أردت ان اصلح الامر بيني وبينكم قال المغيرة رضي الله عنه الامر الى الله وأما قولك لنا انا أهل فقر وبؤس وضر فقد كنا كذلك وكنا أهل جاهلية لا يملك أحدنا غير فرسه وقوسه وابله ولا كنا نعظم الا الاشهر الحرم حتى بعث الله الينا نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم نعرف اصله ونسبه صادقا امينا نقيا اماما رسولا اظهر الاسلام وكسر الاصنام وختم به النبيين وعرفنا عبادة رب العالمين فنحن نعبد الله ولا نعبد غيره ولا نتخذ من دونه وليا ولا نصيرا ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمرنا ان نجاهد من كفر بالله واتخذ مع الله شريكا جل ربنا وعلا وهو واحد لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان من اخواننا وله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام فالجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فمن اداها حقن الله دمه وماله ومن أبى الاسلام والجزية فالسيف حكم بيننا وبينه والله خير الحاكمين وهي على كل محتلم في العام دينار وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته فقال البطلوس لقد فهمت قولك عن الاسلام فما قولك عن الجزية عن يد وهو صاغر فاني لا ادري ما الصغار عندكم فقال المغيرة رضي الله عنه وأنت قائم والسيف على راسك فلما سمع البطريق كلام المغيرة غضب غضبا شديدا ووثب قائما ووثب المغيرة من موضعه وامتضى سيفه من غمده وكذلك فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله (قال الراوي) رحمه الله حدثنا مسلم بن عبد الحميد عن طارق بن هلال عن عبد الله بن رافع قال كنا مع المغيرة وجذبنا السيف ووثبنا على القوم واخذتنا غيرة الاسلام وما في اعيننا من جيوش البطلوس شيء وعلمنا ان المحشر من ذلك الموضع فلما رأى البطلوس منا ذلك وتبين له الموت من شفار سيوفنا فنادى مهلا يا مغيرة لا تعجل فتهلك وانا أعلم انك رسول والرسول لا يقتل وانما تكلمت بما تكلمت لاختبركم وانظر ما عندكم والآن لا نؤاخذكم فاغمدوا سيوفكم قال فاغمدنا سيوفنا وتقدم المغيرة حتى صار في مكان البطلوس وزخرجه الى آخر السرير وكان المغيرة رجلا جسيما فاتكا عليه حتى كاد ان يخلع فخذه من موضعه قال ثم التفت الى المغيرة وقال ما قولكم في المسيح بن مريم قال المغيرة عبده ورسوله قال فمن أين خلق قال خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان ودل على ذلك القرآن العظيم قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال فما الدليل على ان الله واحد فقال المغيرة القرآن العظيم قوله تعالى على لسان نبيه قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال له البطلوس ما رأيت مثل حذقك وجوابك يا أعور

وكان المغيرة رضى الله عنه أصيب فى احدى عينيه يوم اليرموك قال له المغيرة ان ذلك لا يعيبنى ولقد أصيبت عينى فى الجهاد فى سبيل الله من مثل كلب مثلك وأخذت بثارى من الذى فعل بى فقتلته وقتلت جملة منهم والثواب من الله عز وجل اعظم من ذلك فقال البطلوس ما احذق جوابك فهل فى قومك مثلك قال قد قلت لك فينا اهل العلم والرأى من لا اساوى فى علمهم شيئا وانا رجل بدوى فلو رأيت على بن أبى طالب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المختار مقاتل الكفار ومبيد الفجار والليث الكرار والبطل المغوار قال هو معكم فى هذا الجيش فقد سمعت بشجاعته وبراعته وأريد ان انظر اليه فقال له المغيرة قاتلك الله ان الامام على كرم الله وجهه اعظم قدرا من ان يسير بنفسه الى كلب مثلك قال فهل أحد غيره قال نعم مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى هو خليفتنا وعثمان بن عفان وعبد الرحمن وسعيد وسعد وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم وأمراء متفرقين فى الحجاز واليمن والشام والعراق ومصر وكل أمير يقوم بالف مثلك فى الشجاعة والبراعة وغير ذلك وأما سيف الله الامير خالد بن الوليد أمير هذا الجيش ومعه عصابته من الامراء فكانك به وقد اقبل علينا برجال وأى رجال سادات شداد وأمراء امجاد فقال له عند ذلك انى اريد ان اصلح الامر بينى وبينكم واريد قبل الحرب ان انظر الى جماعة مما ذكرت (قال الراوى) رحمه الله وكان عدو الله اراد ان يغدر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم المغيرة منه ذلك قال غداة غد آتيك منهم برجال تنظر اليهم قال ففرح عدو الله واضمر المكر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد الله كيده فى نحره (قال الراوى) ثم وثب المغيرة واصحابه وخرجوا من عند البطلوس وما صدقوا بالنجاة وركبوا خيولهم وامر البطلوس حجابه ونوابه ان يسيروا معهم الى قريب عسكرهم قال ووصل المغيرة وأصحابه الى الامير عياض بن غانم الاشعرى وحدثه بما جرى له مع البطلوس فقال عياض وحق صاحب الروضة والمنبر ما تركهم الا خوفا من سيوفكم وهذا رجل حكيم الا ان الشيطان قد غلب على عقله (قال الراوى) ولم يناموا تلك الليلة الا وقد أخذوا اهبتهم للحرب واستعدوا فلما اصبح الله بالصباح اذن المؤذنون فى عسكر المسلمين فاسبغوا الوضوء وصلوا الصبح ثم ركبوا خيولهم وقد علموا ان العدو مصبحهم وقد عبوا صفوفهم وكانت الجواسيس من العرب يدخلون فى عسكرهم وينقلون الاخبار ووصلت جواسيس عياض ابن غانم اليه واعلموه بذلك وان الروم متأهبون للقتال ورتب غانم جيشه ميمنة وميسرة فجعل فى الميمنة الفضل بن العباس وجعل فى الميسرة أبا أيوب الانصارى وجعل فى القلب القعقاع ابن عمرو التميمى قال حدثنا قيس بن عبد الله قال حدثنا مالك بن رفاعة عن سعيد بن عمرو الغنوى قال حضر أرض البهنسا عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم سبعون بدريا والامراء وأصحاب الرايات نحو ألف وأربعمائة ودفن بارض البهنسا من الصحابة والسادات نحو خمسة آلاف وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) رحمه الله وكان على الرجالة معاذ بن جبل وعلى الساقة والنسوان والصبيان سعد بن عبد القادر والضحاك بن

قيس قال وسار الامير غانم يتخلل الصفوف ويقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف يا اهل الاسلام اعلموا أن الصبر مقرون مع الفرج وان الله مع الصابرين والصابرون هم الغالبون وان الفشل سبب من أسباب الخذلان فمن صبر على حد السيف فاذا قدم على الله اكرم منزلته وشكر سعيه والله يحب الصابرين وصار يقول ذلك لاصحاب الرايات قال وما فرغ الامير غانم من تعبية الصفوف الا وعساكر البطلوس والروم قد أقبلت ومعهم النصارى والفلاحون والعرب المتنصرة وامامهم صليب من الذهب الاحمر زنته خمسة ارطال وفى اربع جوانبه أربع جواهر كالكواكب قال حدثنى سنان بن الحارث الهمدانى عن شداد بن أوس وكان ممن حضر الفتوح الى آخره قال واقبلت الصلبان وأنا أعد صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا تحت كل صليب ألف ومعهم الاقسة والرهبان وهم يتلون الانجيل واكثر اعداء الله فى عسكرهم من الرايات والاعلام فبينما الناس كذلك اذ أقبل بطريق وعليه درع مذهب ولامة حرب وهو يطمطم بلغته وطلب البراز فبرز اليه القعقاع وتعاركا وتجاولا ثم طعنه القعقاع فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فخرج علج آخر وقد غضب لقتل صاحبه وكان من أصحاب الجلوس على السرير مع الملك وطلب البراز فبرز اليه رجل من الازد فمنعه الامير غانم من ذلك وقال اذهب فلست كفؤاله قال فبرز اليه المسيب بن نجيبة الفزارى وضربه ضربة فالتقاها العلج بحجفته فطار السيف من يده وضرب العلج المسيب فضيعها ونظر ان أحدا يناوله سيفا فلم يجد وأراد الرجوع واذا بالقعقاع بن عمرو واقبل وبيده سيف وناوله اياه فكر راجعا وضرب البطريق على عاتقه الايمن اطلع السيف من عاتقه الايسر فانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال وعظم النزال وعدو الله البطلوس راكب على جواد اهداه له صاحب ملك صقلية والبربر يساوى خمسمائة دينار وكان أيام الحصار يصعد به ويرمح على أسوار المدينة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى موضعه وعلى بدنه درع مذهب وفى وسطه منطقة من الجوهر وعلى رأسه تاج تلمع جواهره كالكواكب والصلبان والاعلام مشتبكة على رأسه وقد حمل كردوس من الروم على ميمنة المسلمين فصبروا والهم صبر الكرام ثم حمل كردوس آخر فلله در الفضل ابن العباس واخيه عبد الله واولاد عقيل وعبد الله بن جعفر وسادات بنى هاشم لقد قاتلوا قتالا شديدا وبلوا بلاء حسنا وتقدم الفضل الى حامل الصليب وطعنه فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وسقط الصليب منكسا الى الارض فنظر اليه البطلوس فايقن بالهلاك وهم ان يأخذه فلم يجد لذلك من سبيل قال فاحاطت به المسلمون وصار الفضل وسادات بنى هاشم يذبون ويرجعون الروم عن الصليب ولما رأى الفضل ازدحام النصارى والروم حمل عليهم حملة منكرة واسعفه بنو عمه بالجملة والامراء فقهروا الروم وقتلوا منهم جماعة وازدحم المسلمون على الصليب يريدون أخذه فقال لهم الفضل انه لى دونكم ثم عطف عليه ومال فى ركابه وأخذ الصليب وكر راجعا الى المسلمين وسلمه لعبد الله يسلمه لعبده مقبل وكان راكبا مع المسلمين فاخذه ومضى الى خيمته قال وحمل الفضل بن العباس ثانيا

وحملت الامراء واشتد القتال وعظم النزال وسال الدماء وكثر العرق وازورت الحدق قال ولما رأى عدو الله البطلوس ذلك حمل على المسلمين ومعه طائفة من البطارقة نحو خمسة آلاف وكانوا على جناح الميسرة فقتلوا من المسلمين جماعة وانجرح جماعة وصبر والمم صبر الكرام هذا والفضل رضى الله عنه تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وحمل الامراء جميعهم فلله در القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجيبة الفزارى والبراء بن عازب ومعاذ بن جبل وزيد الخيل لقد قاتلوا قتالا شديدا حتى بقى الدم على دروعهم كقطع اكباد الابل وتوسط المسلمون كتيبة منهم ببطريق عظيم الخلقة كانه برج وحمل عليه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد ان يضربه وسطى عليه واذا بضربة اتته من خلفه اردته عن جواده وسقط والرمح مشتبك فى اضلاعه وخشخشة الرمح فى عظم ظهره ثم جذب الرمح وهو ملق على الارض ونزل جماعة واخذوا سلبه قال فتأملنا من ضرب البطريق فاذا هو زياد بن ابى سفيان رضى الله عنه قال فلما رأى الروم ذلك حملوا حملة منكرة وقامت الحرب على ساق واحد وضربت الاعناق وشخصت الاحداق وتضاربوا بالصفاح وتطاعنوا بالرماح واشتد الكفاح وطمطمت الروم بلغتهم ولم يزالوا فى قتال ونزال حتى غابت الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو مائتين وخمسين ختم الله لهم بالشهادة ونالوا درج السعادة وبات الفريقان يتحارسون والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون على محمد أشرف ولد عدنان قال وان المسلمين اوقدوا النيران واتوا الى مكان المعركة وميزوا القتلى فلما رأى الامراء ما حل بهم وباولادهم بكوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال رحمه الله وقتل من المشركين نحو ألفين وخمسمائة وقتل من خيارهم وعظمائهم نحو عشرين من أرباب الدولة وحاشية الملك وأصحاب السرير فلما رأى البطلوس ذلك صعب عليه وكبر لديه وجلس فى سرادقه وحوله اكابر دولته من حجابه ونوابه وقدم له الطعام والشراب فامتنع عن ذلك ثم التفت الى حجابه وبطارقته ووبخهم توبيخا عظيما وقال مثلكم لا يصلح لخدمة الملوك فاهذا الخوف والفشل الذى دخل فى قلوبكم وتريدون ان تبقوا معبرة عند الملوك بفعالكم هذه فقالوا أيها الملك ان هذا اليوم ما أخذنا فيه اهبتنا وما كنا نظن ان العرب فيهم هذه الشجاعة فقال وما عندكم من الرأى اترضون بالعار والذل ولا سيما وقد أخذ الصليب من أيديكم وخذلتموه فقالوا أيها الملك سوف ترى منا ما يسرك فى غدونكمن لهم كمينا ونخرج لهم ونقاتلهم ويخرج عليهم الكمين ونأمر جماعة يسلسلون انفسهم وهم الرماة كعادة الروم يفعلون ونقاتلهم ولا نمكنهم من مدينتنا ولو قتلنا عن آخرنا فاستوثق الملك منهم بقولهم ثم كتب كتابا وارسله تحت الليل الى بطريق طنجا وقلعة الابراج يسألهم النجدة وكانوا بطارقة شدادا كل بطريق تحت يده عشرة آلاف بطريق من حملة السلاح فلما ورد عليهم الكتاب جهزوا النجدة والاهبة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) رحمه الله واصبح المسلمون صلوا صلاة الصبح وتبادروا الى خيولهم فركبوها ثم صفوا صفوفهم ورتبوا مواقفهم كما كرنا

أولا

أولا وصار الامير غانم يحرض الناس وقد جعل فى مكانه المغيرة بن شعبة وعطفوا على أصحاب الرايات وقال لهم اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة واذا لقيتم العدو فاحملوا حملة واحدة ولا تخافوا ولا ترهبوا ورتب الامراء كاليوم الاول ولم يركبوا حتى دفنوا شهداءهم فى ثيابهم ودمائهم قال فما شعرنا الا والروم قد أقبلوا علينا وطمعوا بلغتهم علينا وانتدب منهم خمسة آلاف فنزلوا عن خيولهم وأرسلوها مع غلمانهم وحفروا لهم حفائر الى أوساطهم ووضعوا غرائر النشاب أى الصناديق بين أيديهم واقسموا بالمسيح لا يزولون ولو قتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة صفوف (قال الراوى) رحمه الله حدثنا سنان بن أبى عبيدة عن زياد عن الحارث عن عبد يغوث وكان من أصحاب الرايات قال فبينما نحن نتأهب للحرب والحملة واذا بالروم قد حملوا علينا حملة واحدة وحملت ميمنتنا واختلط القلب بالقلب ورمت المسلسلة بنشابها فكان يخرج منهم عشرة آلاف سهم كانها تخرج من كبد قوس واحد كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر فجرحت رجالا وقتلت أبطالا وولت خيل العرب نافرة وصبرت جماعة من الامراء وحمل الفضل بن العباس وأخوه وسادات بنى هاشم وكذلك زياد بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجبة الفزارى وجميع الامراء واقتتل الفريقان قتالا شديدا وفشا القتل فى المسلمين وثبت القوم لقتال العرب وعدو الله البطلوس تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وتارة فى القلب وحوله كتائب المشركين قال الراوى فصبرنا صبر الكرام ووطنا أنفسنا على الموت والامراء يحرضون على القتال وقد قتل من الفريقين طائفة الا انه لا يبان فى المشركين لكثرتهم ولم نظن ان القوم لهم كمين اذ خرج للقوم كمين من خلفنا والمسلسلة من بين أيدينا واحاطوا بنا وصرنا بينهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وقتل جماعة من السادة والامراء واخلاط الناس فلله در سادات بنى هاشم وابان بن عثمان بن عفان وقاتل أصحاب الرايات براياتهم وقاتل عدو الله فى القلب وانكى فى المسلمين وقتل رجالا وجندل أبطالا وكلما طلبه فارس من المسلمين لم يجده الا وهو قد صار فى وسط الروم قال فعندها تقدم القعقاع والمسيب بن نجبة الفزارى وقالا قربوا الجمال فى وجوه القوم يا وجوه العرب فاستاقوا الابل وجعلوها بين أيديهم تلقى النشاب وحملوا على المسلسلة وداسوهم بالابل وسنابك الخيل واقبلت الرجالة والرماة يقتلونهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة هذا والروم على حالهم فلما رأى عدو الله ما حل بقومه من فعل المسلمين بهم ازداد طغيانا ولم يزالوا كذلك حتى غابت الشمس ثم أنزل الله نصره على المسلمين فتظاهروا عليهم وتقدم جعفر بن عقيل الى كتيبة من الروم وغاص فى أوساطهم وطعن البطريق المقدم عليهم فقتله فتكاثرت الروم عليه فقتلوه وكذلك فعل أخوه على فقتل منهم جماعة فقتلوه وكذلك زيد بن زياد فقتل منهم جماعة فقتلوه رحمة الله عليهم وعظم النزال واشتد القتال والجاؤهم الى ورائهم فلما رأت الامراء والسادات وبنو هاشم ما حل بهم توثبوا كالاسود الضارية وحملوا على الروم والجاؤهم الى الابواب واقتتلوا قتالا شديدا عند باب الجبل والباب البحرى قال الراوى رحمه الله

تعالى وكانت ليلة لم ترى الصحابة مثلها وقتل الصحابة رضى الله عنهم الوفا وقتل منهم جماعة بظاهر البلد نحو خمسمائة وازيد وتظاهر المسلمون بعد ذلك عليهم والجأوهم الى السور واقتتلوا قتالا شديدا وعظم البلاء وعدو الله يحمى أصحابه وهم فى أشد القتال وكان شعار المسلمين تلك الليلة ينادون يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل وقتل جماعة من المسلمين عند الابواب وعظم النزال وكان يسمع ضرب السيوف على الدرق كالرعد وبريق السيوف كالبرق ولمعان الاسنة كالكواكب واحدقت المسلمون بالروم وعدو الله يحمى قومه تارة يكون عند باب فندوس وتارة يكون عند باب توما فى جماعة من قومه حتى دخل الروم جميعهم ولم يبق الا من انقطع من قومه اوكابه جواده ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فعلوا على الاسوار وضربوا بالنواقيس والبوقات والقرون وغلقوا الابواب ورموا الاقفال فلما أصبح الله بالصباح صلى المسلمون صلاة الصبح واتوا الى موضع المعركة وتفقدوا من قتل منهم فاذاهم خمسمائة وعشرون رجلا من باب توما الى باب فندوس ختم الله لهم بالشهادة قال الراوى ولما رأت المسلمون ذلك بكوا بكاء شديدا واعظم الناس حزنا الامير عياض لاجل من قتل من تحت رايته وكان اكثر الشهداء الاعيان من قريش و بنى هاشم و بنى المطلب و بنى نوفل و بنى عبد شمس فلما رأى مسلم بن عقيل اخوته وما حل بهم و رأى الفضل بن عباس وعبد الله بن جعفر وسادات بنى هاشم ما حل ببنى عمهم نزلوا عن خيولهم وعانقوا شهداءهم واسترجعوا فى مصابهم فعند ذلك انشد همام بن جرير يقول

ياعين أبكى لاتملى من البكا * ودرى دموعا مثل سكب الغمام
وابكى على السادات من نسل هاشم * ومن عصبة المختار خير الانام
وابكى على الليث الهمام ابن عمه * هو جعفر المشكور ليث همام
وابكى على الشهداء لا تغفلى * ما لاح برق او تغنى حمام
فلالقى البطلوس خيراولا * اجناده أهل الصليب اللئام
لنأخذن الثار ياقومنا * بطعن خطى وحد حسام

قال وورى المسلمون شهداءهم ثم ان الامير عياضا فرق الامراء على الابواب فنزل غانم والسادات من بنى هاشم وغيرهم مثل زياد بن أبى سفيان والوليد وأخيه محمد واسامة ابن زيد وأبى أيوب الانصارى وفضالة بن عبيد واوس بن حذيفة وعمرو بن حسين ورافع بن خديج وابى دجانة وجابر بن عبد الله و بقية الامراء قال ونزل القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجبة الفزارى ومثلهم من الامراء بالفى فارس على باب الجبل والمغيرة بن شعبة وابى لبابة والمهلب الطاءى ونظراؤهم من الامراء بالفى فارس عند باب توما قال وعبى القوم آلات الحصار ورتبوها على الاسوار وأقاموا مدة شهر لا يقاتل بعضهم بعضا بل كل يوم يركب البطلوس لعنه الله جواده المقدم ذكره ويلبس لامة حربه ويطلع بالجواد على أعلى السور وحوله المشاة من خلفه وقدامه وبايديهم السيوف المحددة والدرق والدبابيس والاطبار

المذهبة والقسي والنشاب وكان عرض السور يمشي عليه خيالان متكاتفان باللبس الكامل قال هذا ما جرى لهؤلاء واما خالد فانه أرسل عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله ابن عمر الى الفيوم وجرى بينهم وقعات وحروب اختصرنا ذكرها خوف الاطالة فان المقصود الذى عليه مدار هذا الكتاب على فتح البهنسا وما وقع فيها والله أعلم ثم انهزم من انهزم حتى اتصلوا الى مدينة الفيوم وحاصروها اياما قلائل ثم فتحوها وفتحوا الفيوم فى اقل من شهر وأخذوا الاموال والغنائم ورجعوا الى خالد رضى الله عنه وكان مقيما بالتورية كما ذكرنا قال هذا ما جرى لهم واما ابو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى وذو الكلاع الحميرى ومالك الاشتر النخعى فانهم لما ضربوا رقاب القوم كما ذكرنا حاصروا القلعة كما ذكرنا نحو عشرين يوما واقتتلوا قتالا شديدا قال حدثنا قيس بن مالك عن منصور بن رافع عن أبي المنهال وكان من أصحاب مالك الاشتر قال بينما نحن نحاصر القلعة وقد تظاهروا علينا واذا نحن بغبرة وقت الفجر وكانت ليلة مقمرة فلاحت لنا خيل وقعقعة لجم فتبادرنا الى خيولنا فركبناها واتضح النهار وبان واذا عشرون صليبا تحت كل صليب ألف فارس وكان السبب فى ذلك بطريق طحا ذات الاعمدة وبطريق قلعة ذات الابراج وما حولهم لما بلغهم كتاب البطلوس تجهزوا بانفسهم وجمعوا ما حولهم من الروم والنصارى وخرجوا أول الليل خوفا من العرب فاصبحوا الاعلى القلعة والنيل كان فى أول زيادته والمسلمون قد أخذوا المعابر والقناطر التى على البحر اليوسفى فقطعوها وساروا حتى نزلوا على القلعة وكان بلغهم حصارها فلم يشعر المسلمون الا وقد أقبلوا وهجموا عليهم وأتوا الى نحو باب المدينة الشرقى فوجدوا الامير زيادا وأصحابه هنالك (قال) مالك الاشتر يا وجوه العرب اجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعداءكم واستعينوا بالله عليهم هذا والروم صاحوا وطمطموا بلغتهم ورطنوا من أعلى السور وكذلك أهل القلعة دقوا الطبول وضربوا بالنواقيس فلم يزالوا على المسلمين متقابلين وجاءت كتيبة من الروم الى جانب البحر كما ذكرنا نحو ثلاثة آلاف وكان الامير زياد رضى الله عنه فى نحو مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا عليهم وصبروا لهم صبر الكرام وقتل الامير زياد رحمه الله تعالى وقتل معه جماعة من المسلمين ختم الله لهم بالشهادة وركب بقية المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا وصبروا لهم صبر الكرام (قال الراوى) فسمع المسلمون وهم حول المدينة فاتوا الى الجانب الشرقى فوجدوا السيوف مجذوبة والرايات مرفوعة وقد قتل جماعة من المسلمين على شاطئ البحر نحو أربعين رجلا فصاحت المسلمون ما بالكم فاجابهم المسلمون على شاطئ البحر من الجانب الشرقى دهينا ولا تدرون ما فعلوا بنا فعند ذلك هجم القعقاع بفرسه البحر وقال بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انك تعلم اننا أفضل من بنى اسرائيل عندك وقد فرقت لهم البحر وساروا ولم تبتل قوائم فرسه وانحدر الى جانب القلعة وكانت بقرب البحر فاقتحم البحر خلفه نحو من الفى فارس الى أن طلعوا الى البر الشرقى واقتتلوا قتالا شديدا قال فبينما نحن فى أشد القتال واذا بغبرة قد لاحت

وانكشفت عن ألف فارس يقدمهم رفاعة بن زهير المحاربي وهم من أصحاب قيس بن الحارث وكانوا في بلد تسمى بردوها وكانوا صالحوا أهلها فجاءهم رجل من المعاهدين واخبرهم بمسير أهل طحاذات الاعمدة وصاحب قلعة الابراج لقتال المسلمين وعلموا ان البحر حاجز بينهم وبين أصحابهم فاتوا الى الامير قيس بن الحارث واستأذنوه حتى وصلوا وهم في القتال كما ذكرنا فلما رأوا القوم كبروا فاجابوهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم حملوا عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا وكان الفضل بن العباس وزيد بن أبي سفيان ومسلم بن عقيل في جملة من عدى الى البر الشرقي فعندها وثب القعقاع بن عمرو التميمي على بطريق القلعة فقتله وكذلك الفضل بن العباس وثب على بطريق طحاذات الاعمدة فقتله وزياد بن أبي سفيان على بطريق عظيم فقتله فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وهرب منهم جماعة فالجأوهم الى البحر فغرق منهم جماعة كثيرة واسر منهم نحو عن ثلاثة آلاف وأتوا بهم الى نحو السور قريبا منه وضربوا أعناقهم والبطلوس ينظر اليهم هو وأصحابه ودفن الامير زياد الى جانب البحر تحت جدران القلعة ورجعت المسلمون ونصبوا الجسر بالاخشاب والاحجار تتساقط عليهم وهم لا يفكرون حتى عدوا الى الجانب الغربي بأجمعهم واشتد الحصار واقام المسلمون يحاصرون مدينة البهنسا تسعة أشهر (قال الراوي رحمه الله) وان المدينة كان لها باب سر تحت الارض من تحت باب الجبل من عند تل هناك يظن من رآه انه مغارة أو حفر في الجبل وكان يخرج منه عيونه ومن يأتيه بالطعام وغيره سرا تحت ظلام الليل الى ذلك المكان ويخرج الرجل وفرسه على يده الى ظاهر السرب فلاجل هذا لا يعجزهم الحصار وكان اذا احتاج الى أمر مهم يخرج من يثق به من ذلك المكان ويوقد الشمع والفوانيس ليلا ويخرج من يختار من ذلك الباب وكانت الملوك القدماء ما وضعوا ذلك الباب الا لاجل الحصار وكانت عيونه تخرج وتأتيه بالاخبار وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه لما فتح الفيوم صارت الميرة والعلوفة والرز والعسل وغير ذلك يأتي للصحابة من الفيوم ومن الوجه البحري تأتي اليهم الميرة قال فأرسل الامير عياض رضي الله عنه الامير مياس بن حازم وأرسل معه مائتي فارس من المسلمين ومعهم جمال وبغال يأتونهم بما ذكرنا وكان خالد قد ارسل يعلمهم بذلك وانهم يرسلون الى الفيوم ويأخذون ما يحتاجون اليه قال وسار مياس حتى وصل الفيوم وكان عليهم متكلما من قبل خالد الامير عرفجة قال وسار مياس ومن معه حتى قدموا الفيوم وسقوا الجمال والبغال وارادوا الرجوع الى أرض البهنسا حتى وصلوا الى دير هناك في الجبل قال هذا ما جرى لهؤلاء واما عيون البطلوس فاخبروه بذلك فاستدعى ببطريق من أصحاب السر اسمه ميخائيل ابن بطرس وكان معروفا بالشدة والبراعة وأمره أن يأخذ معه ألفا من الروم وينطلقون الى طريق الفيوم ويكمنون لهم في الدير ثم يخرجون عليهم فخرجوا من باب السرب واحدا بعد واحد في ظلام الليل وساروا حتى وصلوا الى الدير واكمنوا هناك حتى رأوا المسلمين فخرجوا عليهم فالتقى الجمعان واصطدم الفريقان وقاتلت المسلمون قتالا شديدا قال الراوي رحمه الله

حدثنا أبو محمد البدوى حدثنا أبو العلا المحاربى (قال) شداد بن أوس وكان
فى خيل مياس قال لما التقى الجمعان وأحاطت بنا أعداء الله وظننا ان المحشر من
ذلك المكان ووطنا انفسنا على الموت وقاتل الامير مياس بعد ان سلم الراية لولده منيع فقاتل
حتى قتل ثم قاتل من بعده مازن حتى قتل ولم تكن غير ساعة حتى قتل من المسلمين نحو مائة
فارس واسروا الباقين (قال) وكان فى القوم عبد الله بن انيس الجهنى رضى الله عنه
أحد سعاة النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك خرج كالريح الهبوب وقام يجرى وكان قد
دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن أمية الضمرى بالقوة والبركة فى المشى
وكانا لا تدركهما الخيل العتاق ولا النجب السوابق فسار حتى اشرف على العسكر وصاح النفير
النفير اركبوا يا مسلمين قال فتواثبت الفرسان اليه وسألوه فقص عليهم القصة فتواثبت
المسلمون الى خيولهم فركبوها وكل يقول أنا أمضى فعندها استدعى الامير عياض بعبد الله بن
جعفر الطيار بن على بن أبى طالب وضم اليه الف فارس من الصحابة رضى الله عنهم من أهل
الشدة وساروا أول الليل ومنهم رجل من المعاهدين يدل بهم الى ان قربوا من قرية هناك بسفح
الجبل فاكمنوا هناك الى ان جن الليل اذ سمعوا حوافر الخيل فتواثبوا الى خيولهم فركبوها
واذا بالروم قد أقبلوا عليهم والاسارى معهم موثوقون بالحبال على ظهور خيولهم وكانت ليلة
مقمرة فصاحت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحمل القوم واقتتلوا
قتالا شديدا فعندها صاح عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يا قوم ايعجز أحدكم عن خصمه
قال فتواثبت الامراء والسادات رضى الله عنهم يقتلون ويأسرون وبادر عبد الله بن جعفر الى
مقدم الجيش لعنه الله وكان عليه درع مصفح فطعنه فى صدره طعنة قرشية هاشمية اطلع
السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الروم ذلك انهزموا
وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فما أصبح الصباح حتى قتل منهم نحو خمسمائة
واسروا الباقين وخلصوا المسلمين من الاسر وغنموا سلاح الروم واموالهم وخيولهم وترك عبد الله
ابن جعفر الاسارى وخمسمائة من المسلمين عند القرية وامرهم أن لا يبرحوا حتى يأتيهم وأمر
عليهم عبد الله بن معقل وساروا حتى أتوا الى محل المعركة ووجدوا القتلى وعندهم نصارى
من المعاهدين يبكون وحلفوا لهم أن لا علم لهم بذلك فنزلوا عن خيولهم وأخرجوا لهم زادا فأكلوا
وواروا شهداءهم وكر عبد الله راجعا الى أصحابه وحملوا رؤس القتلى ورأس عدو الله ميخاييل
امامهم وجنبوا خيولهم واخرجوا لهم زادا فأكلوا وساقوا الاسارى حتى وصلوا الى العسكر
وبالميرة والعلوفة ومعهم من العسل والسليط قال واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
النذير واجابتهم المسلمون الى مثل ذلك وانقلب العسكر والروم على الاسوار ينظرون ما الخبر
فرأوا تلك الرؤس على روس الرماح ورأس عدو الله ميخاييل امامهم فصعب عليهم وكبر لديهم
ولطموا على وجوههم وذهبوا الى البطلوس واعلموه بذلك فصعب عليه واستدعى بجواده
فركبه وصعد على السور حتى اشرف على المسلمين فلما رأى ذلك عظم عليه وقال ما هؤلاء انس
وانما هم جن فلما رأى المسلمون البطلوس أتوا الى الامير فاعلموه بذلك فركب والامراء معه

حتى أتى الى تل هناك عال مقابل باب قندوس واستدعى بالاسارى وأعرض عليهم الاسلام فابوا فضربوا رقابهم والروم ينظرون الى ذلك فغضب عند ذلك البطلوس غضبا شديدا وحمل هما عظيما (قال الراوى) رحمه الله ثم ان عدو الله استشار أصحابه فيما يفعلون وانه يريد الخروج بنفسه والكبسة عليهم قال فنهض اليه بطريق اسمه كراكر وكان فارسا شديدا وقال أنا أيها الملك اكفيك هذا المهم واكبس عليهم لعل أن أنال منهم منالا وأريد معى جماعة شدادا فقال الملك خذ ما شئت وانتدب معه عشرة بطارقة تحت يد كل بطريق ألف وجاؤا الى كنيستهم وفتحوا الانجيل فى وجوههم وساروا الى ان وصلوا الى الابواب والبطلوس يحرضهم ويوصيهم بالهجمة عليهم ماداموا على غفلة ثم أمر الحراس بفتح الباب لهم وهو باب قندوس وكانوا ألف حارس بوابين على الباب وكان للباب ثلاثة ابراج بين كل برجين باب وشراريف وخرجوا وهم مستعدون لذلك والمسلمون على غفلة عما دبر القوم لا يدرون ما يراد بهم وكان على حرس المسلمين تلك الليلة من جهة باب قندوس زائد بن ثابت وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن معقل والبراء بن عازب ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميرى قال الراوى حدثنا عوف بن سعد عن سعد بن طارق الثقفى عن أبى يزيد عن مالك الاشتر قال بينما نسهر تلك الليلة والمسلمون قد هجعوا فى مراقدهم من شدة البرد وكثرة السهر ووضعوا أسلحتهم ومنهم من له ورد يقرأه ومنهم من يصلى اذ رأينا فتح الباب وخرجوا وهم كالسلاهب وبأيديهم الفوانيس ومشاعل النار وحملوا على الجيش فتبادرنا اليهم وصحنا النفير ههنا يا مسلمين ثوروا فقد غدركم القوم فلما سمعت المسلمون الصياح تبادروا وثاروا من مضاجعهم كالاسود الضارية هذا يأخذ سيفه وهذا يأخذ رمحه وهذا عارى الجسد لم يمهل حتى يلبس ثيابه وهذا يشد وسطه بمئزره وهذا عليه قميص واحد وثاروا فى صدور الرجال هذا وعدو الله قد عطف على جماعة من المسلمين قبل أن ينتبهوا ووضع السيف فى اعراضهم فما افاق بعض القوم الا والسيف قد أطاح رأسه وهذا قطع زنده وهذا طعن فى نحره وهذا قد طارت رقبته وكثر الصياح وعظم البلا وكثرت القتلى وعدو الله كراكر عليه ديباجة حمراء مقصبة بالذهب تلمع من فوق الدرع وعلى رأسه بيضة عليها جوهرة تضئ كالكوكب وهو يهدر كالجمل الهائج وهو يطمطم بلغته وخلفه جماعة والذين على الاسوار يصيحونه ويزعقون بشعارهم ويضربون بقرونهم وبوقاتهم وطبولهم واوقدوا مشاعلهم من أعلى السور حتى بقى الليل مثل النهار هذا وقد ثارت الامراء أصحاب النجدة وذو المروآت واعتقلوا بسيوفهم وركبوا خيولهم فمنهم من ركب جواده عريان ومنهم من ركب بسرج بغير لجام ومنهم من أسرع ماشيا فلله در الفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن أبى لهب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان والقعقاع بن عمرو والمسيب بن نجبة الفزارى والمغيرة ومسلم وأبى ذر الغفارى وأبى دجانة وابى امامة وغفار ابن عقبة وأبى زيد العقيلى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وبلوا بلاء عظيما وطعن جماعة من المسلمين وجرح جماعة واما الذين هاجوهم فى أول الوقعة

قتل

قتل منهم جماعة نحو المائتين وثمانين رجلا واقتتل الناس قتالا شديدا وأقبل الفضل بن العباس الى البطريق كرا كر لعنه الله وضربه بالسيف على عاتقه الايمن أطلع السنان يلمع من عاتقه الايسر فوقع يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واتبعه بالحملة ابن عمه عبد الله بن جعفر فقتل بطريقا آخر ولم تكن الاساعة وقد جاءتهم بقية الامراء من على أبوابهم وتركوا مكانهم من يثقون به وساروا الى ان وصلوا اليهم وحملوا عليهم حملة منكرة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة نحوا من ثلاثة آلاف من الروم والنصارى فلما رأى الروم ذلك فروا نحو الباب وتبعهم المسلمون الى الباب فخرج كردوس عظيم من الروم حموا المنهزمين وأسروا المسلمون من الروم نحو ألف ومائتين وخمسين واتوا الى مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم فاذا هم اربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فلما رأى المسلمون ذلك شق عليهم وكبر لديهم واسرعوا تحت الليل وجمعوا الشهداء ودفنوهم فى ثيابهم ودمائهم فى مكان يعرف بالطعى عند مجرى الحصى ومنقع السيل فدفنوهم هناك كل اثنين وكل ثلاثة وكل أربعة وكل خمسة فى قبر وقدموا أهل السابقة وأصحاب القرآن وكان يعرف ذلك المكان بقبور الشهداء الاخيار والدعاء هناك مستجاب مجرب مرارا وتحط هناك الاوزار لمن يكثر من الدعاء والتطوع والاستغفار (قال الراوى) رحمه الله ماحدثت فى هذا الكتاب الاعلى قاعدة الصدق واذكر ماوقع من الامور واحدث عن أصحاب التواريخ وثقات المحدثين من اصحاب السير ومن سماع كلامه كالدرر فهذا كالعقد النفيس فى السلوك والتأسيس لايليق سماعه الالذوى البصائر والعلماء والملوك فانه نزهة الناظر وشرح الخاطر لم يجمع أحد مثله من أهل السير لما فيه من الامثال والعجائب والاخبار الصحيحة المنقولة عن ثقات المحدثين يتلذذ بذلك المستمعون ونرجع الى سياق الحديث (قال الراوى) رحمه الله حدثنا عبد الله بن عبد الواحد القارئ عن ابن سراقة بن نوفل الخزرجى عن أبى لبابة بن المنذر وكان من أصحاب الرايات قال لما وارينا الشهداء ورجعنا الى خيامنا وعدو الله البطلوس قد أغلق الباب وألقى الاقفال وعلوا على الاسوار قال ولما رجع المنهزمون الى البطلوس صعب عليه وكبر لديه واظلمت الدنيا فى وجهه وحمل هما عظيما على من قتل من بطارقته وجماعته ونوى المكائد والمصائب للمسلمين (قال الراوى) رحمه الله ورضى عنه هذا ماجرى لهؤلاء وأما الصحابة رضى الله عنهم فانهم اجتمعوا عند الامير وتذاكروا ماحصل للمسلمين من البطلوس لعنه الله واتفق رأيهم أن يرسلوا الى الامير خالد بن الوليد رضى الله عنه ويسألوه أن يسير اليهم بنفسه ومن معه وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عياض ابن غنم الى الامير خالد بن الوليد اعلم أيها الامير اننا فتحنا الشام والعراق واليمن والحجاز ولم نجد فى الترك والروم والفرس والديلم العن من هذا الملعون بطريق البهنسا البطلوس ولا أكثر منه خداعا ولا مكرا ولا حيلة وانها مدينة آهلة بالخيل حصينة بالرجال وقد خدعونا مرارا وقد قتلوا منا رجالا فانجدنا بنفسك ومن معك من المسلمين والسلام ورحمة الله وبركاته عليكم وطوى

الكتاب وسلمه الى عبد الله بن المنذر فأخذه وأتى به الى الامير خالد فوجده نازلا على التورية فسلم عليه ودفع له الكتاب فلما قراه وفهم ما فيه استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم التفت الى عبد الله وقال قل للامير عياض ان الامير خالدا قادم عليك برجال وأي رجال والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين من المهاجرين والانصار فرجع عبد الله ثاني يوم الى البهنسا ورد الكتاب الى الامير عياض بن غانم قال ثم استدعى الامير خالد بأبي عبد الله الزبير وضم اليه ثلثمائة فارس وأمرهم بالمسير الى أرض البهنسا وقال لهم اذا وصلتم الى أرض البهنسا أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسار الزبير رضي الله عنه فلما ابعدوا دعا بالمقداد بن الاسود وضرار بن الازور ودفع لهما مائتي فارس وأمرهما ان يسيروا على أثرهما وقال لهما لا تزالا حتى يدخل الزبير وابنه ثم استدعى بعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما وضم اليهما مائتي فارس وأمرهما بالمسير على أثر المقداد ثم استدعى بسعيد بن زياد بن عمرو بن نفيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبة بن عامر الفهري ودفع لهما مائتي فارس وأمرهما أن يسيروا وبات الامير خالد تلك الليلة ولما أصبح صلى وسار معه بقية الامراء من المهاجرين والانصار الاخيار رضي الله عنهم قال الراوي رحمه الله وسار الزبير رضي الله عنه بمن معه حتى أشرف على البهنسا فكبر وكبر معه المسلمون وأنشد يقول شعرا

أتيناكم على خيل عتاق * شبيه الريح يوم الاستباق
عليها كل صند يد همام * شديد البأس يوم الحرب واق
نذلكم بها بالسمر لما * نجول بها مع البيض الرقاق
ونقتل كل ملعون وباغ * على الاسلام من أهل النفاق
ونحن حماة دين الله حقا * نقر بان رب العرش باق
وان محمدا خير البرايا * رسول الله للعلياء راق

قال واشرفت الروم على أبواب المدينة ينظرون اليهم من الشواهير فلم يكن الا قليل حتى اشرف عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما وكبر وكبرت المسلمون قال ثم أنشد وجعل يقول

أنا الفارس المشهور للحرب في الوغا * اذل بسيفي كل باغ ومعتد
واحمل في الابطال حملة من له * الى الغاية القصوى اعاظم مقصد
انا ابن أبي بكر الذي شاع ذكره * خليفة خير المرسلين محمد
فيا ويل من عاني حسامي لراسه * ويا ويل من عاجلته بمهند

قال الراوي ثم أشرف من بعده عبد الله بن عمر وكبر وكبرت المسلمون لتكبيره ثم أنشد يقول

أتينا على خيل عتاق وضمر * بكل عمان ذي حداد واسمر
بسد شجاع باع لله نفسه * يرى الموت في الهيجاء الفخر مفخر
نذلكم بالسيف في الحرب والقنا * ونقتل منكم كل باغ ومفتر

قال الراوي رحمه الله ولم يزل كل أمير ينزل بجماعته حتى تكاملوا وتأخر الامير خالد وبقية

الامراء الذين معه ولما باتت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصبحوا قال ضرار بن الازور والامراء للامير غانم اظنكم انتم المحاصرين واعدائكم فى اكل وشرب فما هذا القعاد ثم رجعوا للابواب وضرار ينشد ويقول شعرا

سأضرب فى العلوج بكل عضب * شديد الباس ذى حد صقيل
واضرم فى علو الباب نارا * وارمى القوم بالخطب الجليل
واترك دارهم منهم خرابا * ولم أمهل بذى شيخ كفيل
فويل ثم ويل ثم ويل * لهم منى بمشتد العويل
سأقتل كل باغ كان منهم * بحد السيف والباع الطويل

قال ولم يزل يترنم بهذه الابيات وتراموا بالسهام والمقاليع واقتتلوا قتالا شديدا فاشتدت حمية الروم وجمع الملعون البطارقة من ذوى الشدة والبأس وكان هو فارسا شديدا وبطلا كما ذكرنا وفتح باب الجبل وخرج منه كانه شعلة نار على جواد الخيل والرماة بين يديه يرمون بالنشاب والمجانيق من اعلى الابراج واقتتلوا قتالا شديدا وخرج من المسلمين جماعة وكانت مقتلة عظيمة وبقية الامراء لا يعلمون وانكى من المسلمين جماعة قال فعندها فتحت الامراء أصحاب الرايات وقبل علج عظيم من البطارقة وطلب البراز فبرز اليه المغيرة بن شعبة فحمل عليه البطريق واقتتلا قتالا شديدا فضربه المغيرة بالسيف فطاح من يده وبادر عدو الله الى المغيرة ليضربه واذ بفارس قد اقبل وبيده سيف مجذوب ناوله الى المغيرة واذا هو عبد الرحمن بن أبى بكر فاخذه المغيرة وضرب به البطريق فخادعها وقرب من المغيرة وتجاذبا وكلما أراد المغيرة أن يسطو على العلج يمانع عن نفسه ونظر ابن الازور الى ذلك فترجل عن جواده وسعى بين الصفوف حتى قرب من البطريق وضربه فى حزامه فقطعه فسقط عدو الله وهو ماسك المغيرة الى الارض فعندها تكاثرت الروم على ضرار والمغيرة فارادوا قتلهما واذا بثلاث فوارس قد اقبلوا واخترقوا الصفوف أحدهم عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق والثانى عبد الله بن عمر بن الخطاب والثالث المقداد بن الاسود الكندى رضى الله عنهم فازلوهم عن مراكزهم وقتلوا ثلاثة من الروم وفرقوا الكتائب عنهم وضرب ضرار البطريق فقتله قال ومال عبد الرحمن بن أبى بكر وركب ضرار جوادا من خيل المقتولين واخذوا الاسلاب هذا وعدو الله البطلوس لعنه الله تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وطلب البراز فبرز اليه المقداد بن الاسود الكندى رضى الله عنه وتعاركا وتجاولا وتطاعنا قال المقداد بن الاسود قاتلت ملوكا وفتحت قلاعا ولاقيت حروبا فى الجاهلية والاسلام فلم أر اخدع من البطلوس ولا اشد بأسا ولا اصعب مراسا منه فتقاتلا حتى كل الجوادان والتفت الى وقال ما جرى فرسك كيف تقاتل عليه وهو بلا ثلاثة ارجل قال المقداد فمن شفقتى على جوادى طأطأت رأسى لانظر الى قوائمه فضربنى بالسيف ضربة قوية فقطعت الخودة والرفادة واثرت قليلا فى رأسى فظن الملعون ان خصمه قد قتل فالوى عنانه فاستيقظ المقداد وتبعه فساق جواده المتقدم ذكره وأحاطوا به اصحابه (قال) فبينما الناس

في اشد القتال اذا قبل الامير خالد بن الوليد رضى الله عنه ومعه الامراء المتقدم ذكرهم واعلنوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وفي اوائل القوم خالد وهو ينشد ويقول شعرا

رعى الله صبا للقا جاء يسرع * وصب على الفرسان بالرمح يقرع
ومن باع لله المهيمن نفسه * وكان الى الهيجاء بالامر اطوع
فويلك يا بطلوس من سيف خالد * اذا اشتدت الهيجاء والحرب يرقع
فلا رحم الرحمن بطلوس كافرا * ويلعنه كل الملائك اجمع
فان قدر المولى سأخرب داره * واتركها من بعده وهي بلقع
بجد يمانى اذا ما جذبته * تحن له كل العداة وتخضع

(قال الراوى) رحمه الله ثم ان خالدا رضى الله عنه حمل ومن معه واقتتلوا قتالا شديدا وقاتل البطلوس لعنه الله قتالا شديدا وقتل رجالا وجندل أبطالا فعندها حملت الامراء واصحاب الرايات وذوو المروآت واقتتلوا بين الجبل والباب قريب التل الاحمر قتالا شديدا وعطف خالد على البطلوس وصال عليه وكلما مر الى الميسرة يراوغه الى الميمنة ومن الميمنة الى الميسرة فعندها عطف خالد عليه وحازه بين الصفوف وحمل عليه فعندها فر الى القلب واحاط به اصحابه وقومه ووضعت الامراء السيوف فيهم وتبعه الامير خالد وساق جواده الى الباب واقحمه وتبعه قومه وانهزموا الى الباب ودخلوه وتبعهم المسلمون واقتتلوا عند الباب وقتل من الروم نحو أربعة آلاف ودخلوا الباب واغلقوه واوثقوه بالاقفال وعلوا على الاسوار واسر المسلمون منهم نحو الف وخمسمائة فعرضوهم على الامير خالد وكان فيهم من كبار البطارقة فعرض عليهم الاسلام فامتنعوا فامر بضرب رقابهم وافتقد المسلمون اصحابهم فاذا قد قتل منهم مائتان وثمانون رجلا ختم الله لهم بالشهادة (قال الواقدى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء واما عدو الله البطلوس فانه حمل هما عظيما وحصل له ما لا ينبغى شرحه وأمر بجمع البطارقة فلما اجتمعوا شكى لهم أمر العرب وما لقوا من الحرب وقال لهم فما الرأى عندكم فقالوا كلنا بين يديك فاذا أمرتنا بالقتال قاتلنا على سور بلدنا قال سأدبر لكم أمرا وهو تدبير من خاض الحروب وعرفها ثم امر باجتماع الناس خاصتهم وعامتهم فاجتمعوا اليه الا من بقى على الابواب خوفا من المسلمين فلما تكاملوا واجتمعوا قال انى عزمت أن أهجم على القوم فى هذه الليلة واكبسهم فى أماكنهم والليل مدلهم وانتم أعرف بمسالك بلدكم من غيركم فلا يبقى منكم أحد الا ويتأهب ويخرج معى من بابه ونكبس القوم واخرج أنا بنفسى ومن معى من باب توما وارجو وصولى الى مسرتى والا اموت بحسرتى وابيدهم اول باول لعل ان أصل الى اميرهم فآخذه أسيرا وابلغ مقصدى قالوا حبا وكرامة ثم بعث فرقة الى باب الجبل وفرقة الى باب قندوس وفرقة الى الباب الشرقى وانتدب معه سادات قومه ومن عرف بالشجاعة واخذه معه ثم اقبل على القوم قبل انصرافهم وقال سآمر صاحب الناقوس ان يخفق لكم الناقوس خفقة عند خروجى من الباب فتخرجون جميعا فامتثلوا ما أمرهم به وقاموا ينتظرون الاشارة وأما

صاحب

صاحب الناقوس فاحمله وصعد به على أعلى السور أى البرج وفعل ما أمر به البطلوس فخرج القوم كالسلاهب وخرج البطلوس فى عشرين ألف فارس من الشجعان وهو يوصيهم وقال لهم اسرعوا فى مشيكم فاذا وصلتم الى القوم فاحملوا عليهم ومكنوا السيوف والخناجر من رقابهم ومن صاح منهم الامان فلا تبقوا عليه الان يكون أمير القوم ومن ابصر منكم الصليب الذى اخذ منا فليأخذه ومن أتى به اكرمته ثم أمر صاحب الناقوس أن يضربه فضربه ضربة سمعها أهل الابواب ففتح البوابون وتبادروا للخروج وخرج اللعين وسمعت المسلمون الصوت فبادروا من اماكنهم مسرعين ينفر بعضهم بعضا وهم على يقظة وتبادروا كالاسود الضارية المشتاقة الى فرائسها الم تصل القوم اليهم الا وهم على حذر الا انهم غير مرتبين فتطاول القوم فى ظلام الليل وسمع الامير خالد ذلك العياط فصاح واغوثاه وامحمداه واسلاماه أكيد قومى ورب الكعبة اللهم انظر اليهم بعينك التى لا تنام وانصرهم على عدوهم ولا تسلمهم الى شر خلقك ثم سار خالد وهو مكشوف الراس بلا خودة وعاجلته الزعقة عن لبس السلاح وسار الى قومه وهو ينشد ويقول

فاض دمعى واعترانى حزنى * ضاق صدرى وبرانى شجنى
رب سلم سلم من نزول المحن * وانصر الاسلام ياذا المنن
بالنبى الهاشمى العدنى * أحمد المختار طه المدنى

قال الراوى رحمه الله ورضى عنه ثم وصل الى باب توما ومعه خمسمائة فارس من السادات وأصحاب النجدة مثل الفضل بن العباس والفضل بن أبى لهب وزياد بن أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب والمقداد بن الاسود وزيد بن ثابت وعبد الله بن زيد ومسلم بن عقيل وأبى ذر الغفارى وعبادة بن الصامت وبحر بن مسلم وعقبة بن نافع والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجبة الفزارى رضى الله عنهم وعلت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد طمطموا بلغتهم وتصارخوا عندما استيقظ المسلمون وحمل خالد على القوم ونادى يا مسلمين اتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد ثم حمل فى وسط الروم بمن معه فقتل رجالا وجندل أبطالا وهو مع ذلك مشتغل القلب بالامير عياض وبقية الامراء الذين على الابواب وهو يسمع صراخهم وزعقاتهم (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه حدثنا عبد الله بن عون قال حدثنا جابر بن سنان عن عقبة بن عامر قال كان الروم والنصارى من اعلى السور يرمون بالحجارة والسهام ولاقى المسلمون من عدو الله البطلوس أمرا عظيما لم يروا قبله مثله وكان أول من وصل اليهم البطلوس لعنه الله فصبرت له المسلمون صبر الكرام وقاتل عدو الله البطلوس قتالا شديدا وقال اروني الذى أخذ صليبى بالامس فلما سمع الفضل بن العباس صوته قصد جهته وقال ها أنا صاحبه وغريمك أنا نائب جمعكم وآخذ صليبكم أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه البطلوس عطفة الاسد على فريسته وقال اياك طلبت ثم انفرد له وصادمه فلم تر الناس فى طول الايام ضربا كضربهما فى تلك الليلة ورأى الفضل منه شيئا لم يره فى طول عمره ولم يزالا كذلك الى ان مضى

من الليل شطره وكل قرم مع قرمه ولم يزالا فى كر وفر وضرب ورد لم ير أحد مثله وصبر له الفضل
صبر الكرام ولاح له من عدو الله ضربة فتلقاها فى جحفته فانقطع سيف الفضل وطمع فيه عدو
الله وظن انه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد أقبلا ومن ورائهما كتيبة من الفرسان قد هجموا
على الروم واذا بخولة بنت الازور وأخت ضرار قد حملت على فارسين من الروم فجندلتهما وهى
تجندل فى الابطال وفرسانهم فلحقتها فارسان أحدهما عبد الرحمن بن أبى بكر والثانى عبد الله
ابن جعفر وتبعهما ثلاثة وهم ابان بن عثمان بن عفان فخلصوا خولة بعد ان احاطت الروم بها
وعطفوا على عدو الله البطلوس فكر راجعا فى كردوس من الروم حتى دخل مدينة البهنسا
وقاتلت الروم من الاسوار قتالا شديدا وكان خالد رضى الله عنه تارة يكر عند باب الجبل
وتارة عند باب توما وتارة عند باب قندوس وكان عياض بن غانم الاشعرى عند باب الجبل
فى ذلك الوقت فلبس سلاسه ودنا من القوم ومن معه من الامراء مثل المقداد وضرار بن الازور
وشرحبيل ومسلم وعقيل وزياد وعبد الله بن العباس وعمر بن أبى ذئب وعبد الرحمن بن أبى
هريرة والمسيب والحارث بن مسلم وزيد بن الحارث وأبى ذر الغفارى ومحمد بن مسلمة رضى الله
عنهم فعطفوا نحو الباب وكبروا وكبر القوم من ورائهم فخرج اليهم بطريق عظيم ومعه عشرة
آلاف فارس وكان اسم البطريق يوحنا فاقتتلوا قتالا شديدا فتكاثر الروم على عبد الله بن
عبادة بن الصامت فقاتل قتالا شديدا ورمى بحجر من أعلى الباب فقتله رحمه الله وقتل من
الامراء وفرسان المسلمين عند الباب زهاء ماثتين وقتل من الروم نحو ألف وحمل عياض
والامراء واتقى القوم فصارت الاحجار والسهام تتساقط عليهم وهم لا يولون عنهم فلما
الجأوهم الى الباب واختلطوا بهم خشيت الروم ان يصيبوا أصحابهم بسهامهم وحجارتهم فسكوا
أيديهم وقتل من الروم مقتلة عظيمة وأما خالد فقاتل قتالا شديدا ما رؤى مثله فبينما الناس
كذلك اذ أقبل ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدما وهو جامد عليه كا كباد الابل فقال له خالد
ما وراءك من الاخبار يا ضرار فقال اخبرك يا أبا سليمان انى قتلت فى ليلتى هذه مائة وستين رجلا
وقتل قومى مالا يعد وقد كفيتم من خرج من باب الجبل قال الراوى وكانت ليلة لم ير الناس
مثلها وهجم الامير عياض هو وأصحابه الى داخل الباب واقتتلوا قتالا شديدا ووصلوا الى ساباط
الباب وكان له باب آخر فاغلق من دونهم على كردوس من الروم فقتلوا هناك وتعلق المسلمون
على البرج وقتلوا من فيه وكانوا خمسمائة وقتل فى تلك الليلة هناك نحو ألف وأما باب قندوس
فكان عليه الزبير بن العوام وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص والفضل بن أبى لهب
والمغيرة وجماعة من الامراء فتواثبوا الى الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل من المسلمين نحو مائة
وعشرين رجلا غير الاعيان وأما باب توما كان عليه خالد وخرج منه البطلوس فاقتتل الفريقان
وقتل من المسلمين جماعة نحو مائتين وثمانين رجلا فى المكان المعروف بالمراغة وغلقوا الابواب
واستعدوا للحصار وهذا كان أول فتح قال الراوى رحمه الله حدثنا سنان بن مفرج العجلانى
عن أبى محمد الشاكرى عن زيد بن رافع عن أبى امامة قال وأقام خالد بعد الوقعة على

البهنسا اربعة اشهر لا يقاتلهم ولا يبارزهم فطال عليهم المكث وضجروا فاتوا الى خالد وشاوروه في القتال فاذن لهم وكان جملة من قتل في وقعة الابواب نحو ستمائة فارس ختم الله لهم بالشهادة (قال الراوى) رحمه الله فلما استأذنت الصحابة خالدا في القتال لم يقدر ان يمنعهم ولما أصبحوا اقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع مثله فاشتد الحصار على اهل البهنسا وقالوا للبطلوس ما بقى لنا صبر على القتال والحصار فقال لهم اصبروا واثبتوا لعل ان أكيد العرب بمكيدة ولما اشتد الحصار عليهم أتوا الى بطريق يسمى توما صاحب الباب واتاه السوقة والنصارى والعوام وقالوا له لقد ضاق علينا الحصار فنجعل لك مالا وافتح لنا الباب حتى نأخذ لنا امانا من العرب فاجابهم الى ذلك فصبرهم الى جانب من الليل وفتح لهم الباب فمضى نحو مائتين من تجار البلد وخرجوا من باب البحر وأتوا الى خالد وصالحوه على ان يفتحوا لهم الباب وجعلوا للمسلمين جعلا معلوما واتفقوا على ذلك وكتبوا اسماءهم ورجعوا هذا جرى لهؤلاء وكان الكاتب ابن عم توما حاضرا واسمه ارميا فمضى الى البطلوس واعلمه بذلك فعندها ارسل البطلوس بطريقا يقال له حرقيائيل ومعه الف بطريق وقال اكمنوا واتونى بالخبر على جليته فمضوا وتفرقوا وهم مشاة قريبا من باب توما واذا بهم قد اقبلوا فلما رآهم عرفوهم وفتحوا لهم الباب فدخلوا فعندها تواثبوا اليهم ومسكوهم وسحبوهم الى البطلوس لعنه الله فلما رآهم وبخهم توبيخا عظيما وقال ائتونى بالسياط ونصب اخدودا من حديد ثم ضربهم ضربا شديدا واتى بالنار واحرق جميع اموالهم وامر باحضار البطريق فاحضر بين يديه فاخذهم ومضى الى القصر هو وجميع اعوانه واستدعى بالخشب وصلبهم على أعلى السور وأقاموا هناك يوما وليلة ثم أمر بضرب رقابهم ولوح رؤسهم للمسلمين قال الامير عياض للامير خالد هؤلاء اهل ذمتنا وقد قتلهم البطلوس لعنه الله (قال الراوى) رحمه الله وأما الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه قلق على المسلمين قلقا شديدا فارسل كتابا الى عمرو بن العاص يقول فيه ما سبب انقطاع كتبك عنى وأنا فى قلق على المسلمين وعلى خالد ومن معه واعلم انك لا ترسل لى الا بالفتح والغنائم وان احتاج خالد الى نجدة فارسل الى ابى عبيدة فقد كاتبته بأن يرسل له جنودا من الشام والسلام فلما وصل الكتاب الى عمرو ارسله الى خالد فقال خالد لا نطلب النجدة والمعونة الا من الله تعالى ثم ان خالدا اعظم عليه الامر واشتد الحصار وكان كل يوم يرجع الى المدينة ويقاتل قتالا شديدا وفقد من المسلمين جماعة كثيرة قتلوا بالحجارة والنشاب وهجم عدو الله على المسلمين وكادهم مرارا وقال خالد للامير عياض وللمسلمين لا شك ان لاصحابنا عيونا وجواسيس ثم ان خالدا ركب ومعه الفضل ابن العباس والمقداد وزياد بن ابى سفيان وعياض وطافوا حول العسكر واذا برجل من العرب المتنصرة جالس على قطيفة خارج العسكر فانكر امره خالد وقال له من أى العرب انت فسكت فقال له الامير عياض انطق بالحق من لك من الاهل ههنا فسكت فقال له خذ الماء وتوضأ فلم يحسن ذلك قال له صل فلم يحسن ذلك فضربوه فاقر بأنهم خرجوا ثلاثمائة من باب السرور ردوا وبقى هو فضرب عنقه وانقطعت الجواسيس فكانوا يقاتلون قتالا شديدا وكان

لخالد عبد فى خيمته اسمه فلاح يصنع له كل يوم قرصين من شعير واحد له وواحد للعبد فقعد خالد ثلاثة أيام يأتى السفرة فلم يجد فيها شيئا ولم يكلم العبد وكان عنده بعض تمر يتقوت به حتى فرغ فعند ها قال خالد للعبد يا ولدى قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ولك ثلاثة أيام لم تصنع فيها قرص شعير قال يا سيدى ما قطعت عنك ذلك ولكن اصنع لك كل يوم واعلقه فى طبق الخيمة فلم أجده قال خالد ان لهذا شأنا عظيما ثم قال للعبد قف خلف الخيمة واخف نفسك وانظر من يفعل هذا فلما كان من الغد ركب خالد للقتال وصنع العبد القرصين وأكل قرصا ووضع قرص سيده فكان معتادا ان يشيله له فجاء كلب اسود عظيم من جهة البلد ودخل الخيمة واخذ القرص فى فمه ومضى فتبعه العبد حتى أتى الى سرب يخرج منه الماء يجرى من باب البحر تحت الارض الى تحت سور المدينة من جهة القبلة ويدخل المدينة ويظهر من الجهة البحرية من خارج البلد فلما رآه العبد رجع واعلم الامير خالدا فمضى معه ورأى ذلك ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أتى الى الامراء واعلمهم بذلك وقال لهم أريد منكم مائة رجل قد باعوا انفسهم لله عز وجل فيمضون معى وجماعة شدادا يكونون مقابل الباب فاذا فتحنا الابواب دخلوا الينا فانتدب منهم مائة رجل من خيار القوم منهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وزيد بن ثابت وعقبة بن عامر ومسلم بن عقيل وزياد بن أبى سفيان وأخوه هبار والمسيب بن نجبة وأخوه والمقداد بن الاسود ورافع وأبو رزين العقيلى ومثل هؤلاء السادات قد اقتصرنا فى اسمائهم خوف الاطالة ورتب خالد رضى الله عنه عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام وابنه عبد الله والفضل بن العباس والفضل بن أبى لهب وضرار بن الازور ومثل هؤلاء مقابلين الباب وصبروا الى بعد غروب الشمس وأتوا الى ذلك السرب ودخلوا اليه فى الماء كل واحد بسراويله وسيفه وكان أولهم الامير خالد وكل من دخل يدع سيفه وحجفته مع صاحبه حتى يدخل ويأخذهم حتى دخل ثمانون رجلا ورجع عشرون لم يسعهم السرب وضاق عليهم وولوا وهم متأسفون لما فاتهم من الشهادة والفتح وتوائبت الامراء المذكورون واخفوا نفوسهم تحت الجدار الى جزء من الليل فتبادروا الى الباب فوجدوه موثقا من داخله فعالجوا الاقفال والروم سكارى ففتحوا الباب وذبحوا كل من وجدوه فى دهليز الباب وكانوا ستين رجلا ثم علوا على السور وجماعة منهم اخذوا المفاتيح ففتحوا الباب وثاروا على الروم فقتلوا جماعة منهم فى أعلى البرج وقتلوا بطريق البرج واعلنوا بالتهاليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فاجابهم المسلمون بمثل ذلك ودخلوا من الباب الى سوق المدينة وتبادرت جماعة الى القصر فلما احس عدو الله بذلك وان المسلمين ملكوا عليه الابواب وضع منديلا فى عنقه وخرج وهو يقول الامان الامان وفعل جماعة كذلك فاتى خالد ووضع السيف فيهم وقاده اسيرا وقال له يا عدو الله لا امان لك عندى الان ثم قبض على جماعة من بطارقته ووضع السيف فيهم وقتل من الروم نحو ثلاثة آلاف وقتل من المسلمين فى تلك الليلة فى وسط البلد مائة وأربعة وثمانين رجلا قريبا من سوق المدينة وعند الابواب وعند القصر وجاء عياض ومعه جماعة من الامراء فشكى

اليهم اهـل البلد وقالوا الامان فرق لهم الامير عياض رحمه الله وصار عدو الله يتملق بين ايديهم فغلبوا على رأى خالد حتى صالحوهم على الف ألف مثقال من الذهب الابريز وألف الف أوقية من الفضة البيضا وعشرة آلاف وسق من البر والشعير والجزية من العام القابل وخالد لا يطمئن قلبه الى شئ من ذلك وغلب الامراء على رأيه وجاؤه وقالوا له لقد اضر بنا المقام بهذا البلد فانراك الا اشفق منا علينا ونرى من الرأى ان ترسل الى عمر تعلمه بذلك وهذا الكلب وجماعته موثوقون الى ان يجيء الجواب فعندها كتب خالد كتابا الى عمر ويخبره بذلك فلما بلغه ذلك رد لهم الجواب انهـم يستوثقون منـه بالايمان ويأخـذون منـه ما صالحهم عليه ويتركونه ومن صاح الغوث الغوث اتركوه والا تفر منكم اهل الصعيد ففعل خالد وقلبه نافر واطلقه بعـد ان استوثق منهم بالايمان فى كتبهم المذكورة واطلقوه وشرط عليهم ان لا ينزل عندهم أحد الا من يقبض المـال فخرجوا الى ظاهر المدينة وبقى عنده فضالة بن زيد السلمى وعون بن ساعـد الكندى ومقسوم ابن سعيد الجهنى ومائتان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج الميرة والعلوفة وصار كل يوم يركب و يتردد الى الامراء ووهب وأعطى ولم يترك أميرا الا خادعـه حتى طابت نفوسهم عليه الا خالدا والفضل بن العباس والمقداد وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والزبير بن العوام لم تطب نفوسهم اليـه واقاموا شهرين عـلى ذلك وأرسـل جميع الغلال الى خزينته فى هـذا الزمن وخزن ما يحتاج اليه واستدعى بكبار قومه ومن يثق به واتفق رأيهم عـلى قتل المسلمين والغدر باصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسلم وصبروا الى ان مضى جزء من الليل وهجم عـلى المسلمين على حين غفلة فى ألف بطريق واوثقهم كتافا وجعل فى أفواههـم الاكر وفتح الابواب وادخلهم المدينة وهجم على المسلمين ووضع السيف فيهم وهم رقود فما انتبهوا الا والسيف يقطع فى نحورهـم وكانت وقعة عظيمة وثار خالد بن معه وكان الزبير راقدا فسمع الصياح فقال دهينا ورب الكعبة ثم ركب وركبت معه زوجته وقاتلت النساء قتالا شديدا وعدو الله تارة يكر ميمنة وتارة يكر ميسرة والسيف يعمل والرجال تقتل وكانت ليلة شديدة وصار خالد يقول يا قوم ما قلت لكم ما سمعتم لخالد والتجأ زياد بن أبى سفيان وأخوه هبار وميسرة بن مسروق وفضالة ابن عبـد شمس وعقيب بن يعقوب وعبادة بن تميم وجندبة الكلبى الى تل هناك واحاط بهـم طائفة من الروم من كل مكان فقاتلوا قتالا شديدا وانحدر زياد رضى الله عنه من التل وتبعته أصحابه فاحـدقت بهـم الروم وداروا بهم كدوران السوار بالمعصم وقتلوا زيادا وجميع ما ذكرنا من الامراء وقاتلت نسـبة الانصارية ام ابان واسما بنة ابى بكر ونعمانة ابنـة المنذر ونظائرهن فى تلك الليـلة قتالا شديدا وقتـل جماعة من المسلمين واتى خالد وحمـل عليهم وجعـل يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة قال واطبق عليهم هو وجميع الامراء فهزموهم الى الابواب وقد قتـلوا منهـم مقتلة عظيمة وهرب عـدو الله وتحصن هو وقومه وغلقوا الابواب ولما اصبح أمر بالحصار وامر باحضار المأسورين وصعد بهـم الى اعلى البرج وضرب رقابهم فشق ذلك عـلى المسلمين وصعب عليهم ما فعل عـدو الله باصحابهم واتى خالد رضى الله عنـه ومعه بقية الامراء

الى مكان المعركة فوجدوا الشهداء طروحين ووجدوا زيادا رضى الله عنه وفيه عشرون طعنة بالرمح واربعون ضربة بالسيف والى جانبه اخوه هبار وفى راسه عشرون ضربة بالسيف وواحدة فى فخذه قطعته فبكى خالد عليهم بكاء شديدا وبكت عليهم سائر الامراء وابطال المسلمين ونعاهم الامير خالد بهذه الابيات وهى له خصوصا وانشد يقول شعرا

مهامى دموعى كالسحائب تهمع * وقلبى من فقد الاحبة يفزع
واظلمت الدنيا على نور عبرتى * وكاد فؤادى بالجوى يتقطع
لفقد زياد احرق البين مهجتى * وغاب صوابى وهو فى الارض يصرع
لقد كان فى بحر المعامع صائلا * يزلزل اركان العداء يضعضع
وقد كان مقدام الفوارس كلها * بكل مكان للاعادى مقمع
يحيى الله يوما فيه جانت وفاته * واجفانه من اسهم الدهر تدمع
ايا سيدا من آل هاشم لم يزل * له رتبة بالمجد والجود ترفع
يعز علينا ان نراك معفرا * وراسك من فوق الجنادل تسفع
بجانبك الهبار اضحى مهبرا * طريحا على راس الثرى وهو مطبع
الا لعن الرحمن بطلوس قومه * والعنه مع كل قوم تجمعوا
لقد غدر السادات من آل هاشم * نجوما واقمارا على الناس تطلع

(قال الراوى) ثم بكت المسلمون بكاء شديدا على من قتل منهم من الامراء والابطال وجمعوهم وصلوا عليهم وواروهم فى حفرهم الى جانب التل فاذا هم ثمانون اميرا وثلاثمائة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة (قال الراوى) واقامت المسلمون ثلاث سنين الا انهم يشنون الغارات على السواد والسواحل ومضى القعقاع بن عمرو وهاشم وابو ايوب وعقبة بن نافع الفهرى بالفى فارس وغاروا على برقة ثم عاد وهذا احد الامراء فى فتح المغرب رضى الله عنه قال ولما طال الحصار والمكث على أهل البهنسا اجتمعت المسلمون عند خالد واستشاروه فيما يفعلونه وماذا يكون من الراى فوثب عبد الرزاق الانصارى وعبد بن مازن الدارى وكعب بن نائل السلمى وابو مسعود البدرى وابو سعيد البياضى وقالوا يا قوم قد وهبنا انفسنا لله عز وجل ولعل ان يكون للاسلام فرج واصنعوا منجنيقا واملأوا غرائر قطنا وقالوا يأخذ كل واحد منا سيفه وجحفته ويدخل فى غرارة قطن واذا كان الليل ونامت الحراس القونا على أعلى السور واحدا بعد واحد والمعونة من الله فى فتح الباب كما فتحتم قصر الشمع بمصر ودير النحاس وكما فعلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاستصوبوا رأيهم ولما اصبحوا قطعوا الاخشاب وصنعوا منجنيقا وصنعوا له حبالا واحضروا غرائر وملؤها قطنا والرجال داخلها وصبروا الى الليل ودخل هؤلاء السادات رضى الله عنهم بعد ان جربوا المنجنيق حجرا بعد حجر فسقط على اعلى السور والبرج فشرعوا فى رميهم منهم ابو مسعود البدرى وعبد الرزاق الى ان رموا جميعهم وصاروا فوق اعلى السور ورتب خالد اصحابه على الابواب واما عبد الرزاق واصحابه لما صاروا بأعلى الجدار نزلوا

الى

الى البرج فاذا هو مغلوق والحراس نيام فنزلوا الى الدهليز بين البابين فوجدوهما مغلوقين موثقين فذبحوا البوابين عن آخرهم ووجدوا المفاتيح تحت رأس كبيرهم فى جانب سريره فأخذوهم وفتحوا الابواب واذا بالباب الثانى الذى ينتهى الى القصر مسدود بالحجارة فاحتالوا على قلع حجر بعد حجر فقلعوهم ورموا الاحجار وفتحوا الابواب وكل ذلك فى اقل من ساعة بمعونة الله عز وجل وصعدوا الى البرج فعالجوه وفتحوه وقتلوا جماعة واستيقظ جماعة وثاروا عليهم وخافوا على الباب ان يؤخذ منهم وان يحال بينهم وبينه وهو باب السور الذى بظاهر المدينة ففتحوه وصاحت الروم واستيقظ البطلوس وركب جواده وكان على حذر وركب المسلمون ودخلوا الباب وخرجت البطارقة والبطلوس من قصره وزحفت الروم الى الباب وكان أول من قتل فى ذلك اليوم عبد الرزاق و نان بن مازن وكعب بن نائل السلمى بداخل الباب قال حدثنا قيس بن مازن الحميرى عن عبادة بن سالم السكاسكى عن أبى مسعود البدرى وكان أول من فتح الباب قال ليس هو على هذه الصفة وأخبرنا سالم بن حامد عن أبى عبد الله عن أبى محمد الانصارى عن عبد الله البدرى قال كان أبو محمد الحسنى يقرأ هذا الفتوح بالجامع الغزى العمرى على الشيخ أبى عبد الله حتى بلغ الى هنا وذكر الفتوح وفتح الباب وان الرجال وضعت فى الغرائر قال يا بنى ليس الامر كذلك فقد روى عن ابن مسعود وهو الصحيح عن من فتح الباب قال انهم قطعوا أخشابا ونصبوا سلما للتشاليق عاليا على جدار المدينة وصبروا الى الليل وأسندوه الى الجدار وتسلق منهم أربعون رجلا ومنهم السبعة المذكورون وفتحوا الباب كما ذكرنا واستيقظ الروم وخرجوا اليهم بعد فتح الباب فكان السابق اليهم عبد الرزاق رضى الله عنه فقتلوه وقتلوا معه من ذكرنا اولا وتسابقت المسلمون الى الباب فكان أول من دخل ضرار بن الازور وهو يزعق ويقول هذه الابيات

الجن تفزع يوم الحرب من فزعى * اذا أتيت الى الهيجا بلا جزع
ياويل من صنع الارصاد يخدعنا * ونحن جرثومة الامكار والخدع
لارضين الهى فى جهادهم * وقتل أبطالهم بالسيف والدرع
ياويل كلب العدا البطلوس ان وقعت * عينى عليه فارديه الى النزع
عيب على اذا ما التقيه هنا * وانلق الرأس منه غير مرتدع

ثم دخل من بعده خالد وهو يقول

اليوم يوم الوفا والطعن بالاسل * والضرب بالقضب فى الهامات والقلل
ياويل بطلوس كلب البهنساء اذا * لاقيته بطليق الحد منعدل
ان لم أذقه بكاسات المنون هنا * فلا سلمت ولا بلغت من املى

قال ثم دخل من بعده ذو الكلاع الحميرى وهو يقول

انى لمن حمير العالون فى النسب * أهل الثنا والوفا والجود والحسب

اسد غضافرة سود جحاجحة * نردى الكمات عدا فى الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والطعن همتنا * وذوالكلاع اناعال على الرتب
تبت يدا الروم ماعلموا بان لنا * صوارما تبرى الاعضاء كالعصب

قال ثم دخل من بعده الزبير بن العوام وهو يقول

ايابطلوس ياكلبا لعينا * ويانسل الطغات الارذلين
اتتك حماة دين الله حقا * واولاد الجياد الخيرينا
خيار الناس نسل بنى نذار * كراما فى الاعادى قاطعينا
اذا احتبك العجاج بهم تراهم * بحولك كالسباع الضاربين
ولامنهم جبان قط يهزم * ولانذل فتلقاه حزينا
وليس ترى سوى مقدام قوم * اثار الحرب صنديدا أمينا

قال ثم دخل من بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وهو يقول

اتينا البهنساء بكل قرم * شديد العزم فى يوم النزال
وجيش فاق فى الافاق طرا * على الاعدا بالسمر العوالى

قال ثم دخل من بعده عبد الله بن جعفر وهو يقول

اليوم طاب الطعن فى القتام * والضرب فى الاعناق بالحسام
وانصر الاسلام باهتمام * ولم أزل عن سادتى احامى
انا الشجاع الفارس الهمام * ومردى الاعداء فى الحمام

قال ثم دخل من بعده الفضل بن العباس وهو يقول

الا اننا السادات من آل هاشم * ليوثا كراما ماضيين العزائم
لنا تشهد الابطال فى كل معرك * وتذكرعنا كل أهل المواسم
اذا اشتدت الاهوال واشتبك القنا * فتلقى لنا فى ذاك فعل الضراغم

قال ثم دخل من بعده الفضل بن أبى لهب وهو يقول

لنحوك يابطلوس عزمى قد طلب * بحد حسام كالشهاب اذا التهب
يطير شرار النار من لمعانه * بيد شجاع الخيل ابن أبى لهب
فويلك ياملعون منى اذا سطى * بصارمه يوم الهياج وان وثب

قال ثم دخل من بعده عياض بن غانم الاشعرى وهو يقول

لاانثنى يوم الهياج عن العدا * بمهندى الصمصام الاان قطع
فالويل للبطلوس من سطواتنا * لافرقن بحد سيفى ما قطع

قال ثم دخل من بعده المقداد بن الاسود وهو يقول

انا الكندى والليث الشجاع * واما فى العدا قد طال باعى
وتشهد لى الرجال بكل حرب * وللهيجاء انطبع انطباعى

فوا

فواثارات عبد الله ابنى * عليه باكيا حيران ناع

قال ثم دخل من بعده ابان بن عثمان وهو يقول

نحن الليوث وذو المعروف والكرم * وفى المعامع يوم الحرب والهمم
مجندلون العدا فى كل معترك * وقاهرون لهم فى كل مصطدع
لا يعجبنك يابطلوس جيشك فى * هذا المقام فعنا الكل كالرخم

قال ثم دخل من بعده مسلم بن عقيل وهو يقول

ضنانى الحرب والسهر الطويل * واقلقنى التشهد والعويل
فواثارات جعفر مع على * وما أبدى جوابك يا عقيل
سأقتل بالمهند كل كاب * عسى فى الحرب أن يشفى الغليل

قال ثم دخل من بعده شرحبيل بن حسنة ثم القعقاع بن عمرو التميمى ثم مالك الاشتر ثم عبادة ابن الصامت ثم أبو ذر الغفارى ثم أبو هريرة الدوسى ثم ابنه عبد الرحمن ثم معاذ بن جبل ثم شداد ابن أوس ثم قيس بن هبيرة ثم عقبة بن عامر ثم ابو دجانة الانصارى ثم جابر بن عبد الله ثم البراء ابن عازب ثم النعمان بن بشير ثم سعيد بن زيد أحد العشرة الكرام رضى الله عنهم أجمعين قال ثم الانصار يتلو بعضهم بعضا بهمم وعزائم قال ثم خرجت الروم وقاتلت قتالا شديدا وتواثبت جماعة من الامراء مثل الزبير بن العوام وابنه عبد الله وعبد الرحمن بن أبى بكر الى باب البحر واقتتلوا قتالا شديدا وتقدم عبد الرحمن والزبير الى الباب والروم على اعلى السور ونزل عن جواده وصلى ركعتين والحجارة تتساقط عليه وهو لا ينزعج لذلك وتقدم هو والفضل وعبد الرحمن بن ابى بكر الى الباب وجعلوا السلاسل من فوق وصعدوا الى اعلى البرج وهدموا الشراريف ووضعوا السيف فى الحراس وفتحوا الباب ووثب شرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وابو ذر الغفارى وابو ايوب الانصارى الى باب قندوس ووثب المسيب بن نجبة الفزارى والقعقاع ابن عمرو والامير عياض بن غانم الاشعرى الى باب الجبل وفتحوا الابواب واقتتلوا قتالا شديدا وقاتلت الروم قتال الموت الحمان طلعت الشمس وارتفعت وقاتل عدو الله البطلوس قتالا شديدا وقتل رجالا وجندل أبطالا واقتتلوا فى الازقة والشوارع وبين الابواب وتقدم خالد وهو يصيح واثارات سليمان وطعنه طعنة صادقة فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فوقع يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك ولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون وقتل من الروم نحو ثلاثين ألفا بوسط البلد وأسر منهم عشرون الفا وانشد خالد رضى الله عنه يقول

وبالبهنسا الغرا ابيدت جيوشنا * ثلاث سنين بابها ليس يفتح
ثمانى آلاف عداد جيوشنا * وكل همام من ثمانين يرجح
فما فتحت الا وقد صار جيشنا * ثلاثة آلاف عدادا تسحح
ولم أر فى ارض الصليب كمثلها * ولا جيشها لما على السور يسرح

ولا مر ويوم كمثـل حروبهـا * لان بهـا البطارس ليس مبجح
وكان له جيش وعـدة جيشـه * ثمانون الفا بالحـديد توشح
وكنا غلبناهم ثمانين مرة * يخادعنا البطلوس عنهـم فنصفح
ثلاث مرار نحـن نفتح بابهـا * وترتد للكفر الذميـم وتجنح
وقد لعب الهندى يوم فتوحها * وكانت ايادينا وفى الروم تذبح
ثلاثون الفا قـد فنتها سيوفنـا * وا كبادنا من حرها النار تقـدح
الى ان مـلانا البر والبحر منهـم * وقد شبعت أسد الفلا وترنحوا
وولت ثـلاثون الالوف شواردا * وعشرون الفا منهـم قد تجرحوا
فمنهـم قضى نحبا ومنهم بها طفى * ومنهـم أناس فى المقابر روّح
وبطلوسهـم ذاك لنهـار قتلتـه * وقد كان مقدام الجيوش مرجح
فبادرته فى الحال حـتى تركته * صريعا عليـه الغانيات تنوح
وعاجلتـه فى الراس منى بضربة * فاضحى بها شطرين ملقى رمطرح
وعاد بسيف بن الوليـد مجنـدلا * تمر به كل الحوادث تقلح
ولما فنى بطلوسهم صار جمعهم * كما شبـه أغنام وغاب المسرح
وقد كان فى بحـر الهياج مغلغـلا * تولى سراياقومنا منـه مرح
فلله ما أعـداه قـد كان فارسا * يفوق على جيش عظيم ويربح
وقـد فرحت أكبادنا وترنمت * لعمرك والاكباد بالنصر تفرح
أقمنا بأرض البهنسا بعـد فتحها * ثلاثـين يوما للمـاجـد نصلح
وصرت الى أرض الصعيد معاجلا * بألفين من خيل الصحابة ترمح
من البهنسا لاسوان جمعا فتحتها * بعشر شهور بعدها ليس تلمح
وعندى الثلاثون الذى شاع ذكرهم * وكل فـتى ياصاح بالالف يربح
ورحنا فتحنا الهنـد والسند كله * واسيافنـا فى الغمـد لله تسبح
وفى كل أرض عسكر قد تركته * يقيمون دين الحق والحق يوضح
وهذا كلام ابن الوليد الذى جرى * فكن سامعا معنى الذى لك أشرح
فما مثله فى مجمع الحرب سيد * ولا مثله فى جوهر النظم أفصح
ومن بعد ذا صلوا على أشرف الورى * نبى له كل البرية تجنح
عليـه سلام الله مالاح بارق * وماغرد القمرى اذا الصبح يطفح
وأصحابه والآل والعـترة التى * أقاموا الدين الله والشرك زحزحوا

(قال الراوى) رحمه الله ورضى عنه وصار المسلمون يصعدون الى البيت ويأخـذون الرجال من بين حريمهم من الروم ويقتلونهم حتى كلت سواعـدهم من الذبح وجرى الدم فى الازقـة وصارت القتلى فى الشوارع والاسواق مطروحين وخرجت اليهم النصارى والقبط وهم يبكون

ويقولون

و يقولون نحن أهل ذمتكم ونحن عوام وتجار وسوقة وكنا مغلوبين على أمرنا وقتل خيارنا بأسيافكم فاجبرونا وارحمونا يرحمكم الله وأراد خالد أن يفعل بهم كما فعل بأصحابهم فمنعه الامير عياض وبقية الامراء ويقولون هؤلاء قد صاروا رعيتنا وليس عليهم مقدرة فتركوهم وقالوا بشرط أن تدلونا على من أخفى نفسه فى المغاير والمخابى ومن فر من الباب الشرقى وغرق فى الماء فدلوهم على الجميع ولم يزالوا يقتلون ذلك اليوم كله وفى اليوم الثانى استدعوا بنجارين يعملون عربيات لحمل القتلى من المسلمين وأخذوا دواب أهل السواد من البقر تسحب العربيات والفلاحون عملوا عليهم وصاروا يضعون كل ثمانية وستة وعشرة فى حفيرة ويردون عليهم الرمل حتى صاروا تلالا وأشهروا قبورهم ووضعوهم بدروعهم وثيابهم ودمائهم رضى الله عنهم واخذوا الواح رخام وكتبوا عليها اسماءهم ونزلوها فى مدافن قبورهم ورجعوا الى قتلى أهل البلد فواراهم اهلهم الى قبورهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى ذلك اليوم نحو اربعمائة وازيد الاعيان منهم صاغربن فرقد وعبد الله بن سعيد وعبد الله بن حرملة وعبد الله بن النعمان وعبد الرزاق الانصارى وعبد الرحيم اللخمى وابو حذيفة اليمانى وابو سلمة الثقفى وابو زياد اليربوعى وابو سليمان الدارانى وابن ابى دجانة الانصارى وابو العلا الحضرمى وابو كلثوم الخزاعى وابو مسعود الثقفى وهاشم بن نوفل القرشى وعمارة بن عبد الدار الزهرى ومالك بن الحارث وابو سراقة الجهنى والبقية من اخلاط الناس وقتل عند سوق التمارين نحو عشرين ودفنوا هناك وعند سوق الصابون جماعة كثيرة وقريبا من العطارين فى جانب القبور نحو اربعين وقريب من البحر اليوسفى جماعة عند السور رضى الله عنهم (قال الراوى) ولما وارى المسلمون شهداءهم صعدوا الى قصر البطلوس والى قصور البطارقة ودورهم ومقاصيرهم فوجدوا فيها من آنية الذهب والفضة مالا يوصف ومن المتاع والحلى والحلل واللآلى والنمارق والجواهر والبسط والوسائد والمساند واقتتلت الروم على بغلة محملة عند باب السر فغلبهم المسلمون عليها واخذوها فاذا عليها صندوقان فيهما احجار معادن فاشترى رجل من المسلمين من بيت المال حجرا بستة آلاف دينار فباعه على غشوميته بمائة الف دينار واخذوا بساط البطلوس وكان مثل بساط كسرى سداه حرير وذهب مرصع بالمعادن فارسلوه مع الخمس الى المدينة فجعل لعلى بن ابى طالب فيما حصل له من البساط عشرون الف دينار وغنمت المسلمون غنائم كثيرة من اوانى الذهب والفضة وغير ذلك قال الراوى رحمه الله حدثنا عون بن عبيدة عن عبد الحميد بن ابى امية قال فهدم المسلمون القصر والكنيسة وثلث الدور وفتحوا خزائن البطلوس واستخرجوا جميع ما فيها من الذهب والفضة وغير ذلك ولم يتركوا فيها شيئا ابدا وقسم خالد الغنيمة بين المسلمين فكان للفارس عشرة آلاف مثقال من ذهب والف اوقية من فضة ومن الثياب والملبوس وغير ذلك مالا يوصف ولما دخلوا الكنيسة وراوا تصاويرها وقناديلها الذهب والفضة ومن الستور الحرير المنقوشة والاعمدة وغير ذلك تحيروا وقرأ خالد ما اتخذ الله من ولد الآية وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فصاحت المسلمون

بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقرأ عياض الاشعرى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله واورثناها قوما آخرين واخربوا تلك البيعة وجعلوا بجانبها مسجدا على اعمدة من الرخام مسقوف عليها بتلك الاخشاب وهو الجامع الاول قبل بناء الحسن بن صالح هذا الجامع الآن وبقية الاخشاب والحجارة جعلوا منها مساجد ورباطات قال الراوى) رحمه الله حدثنا عبد الحميد عن قيس بن مهران عن أبى جمدة قال بمدينة البهنسا أربعون رباطا ومن المساجد مالا يعد واخربت الصحابة تلك المعالم وبنوا دورا لانفسهم واحتاطوا بها أماكن وشوارع وأقام خالد ومن معه بمدينة البهنسا يصلحون المساجد والرباطات ويخربون المعالم شهرا كاملا ثم أخرج الخمس وأرسله لعمرو بن العاص ومن معه من المسلمين وهو نازل بمصر على قدر سهامهم وقال له ارسل الخمس مع أبى نعيم الانصارى والفضل بن فضالة وأبى دجانة الى عمر بن الخطاب وهو بالمدينة فلما ورد الكتاب على عمرو بن العاص فرح بذلك فرحا شديدا ثم كتب عمرو لعمر كتابا مع أبى نعيم صحبة كتاب خالد وسير معه ثلاثين صحابيا حتى دخل المدينة ودخل على عمر بن الخطاب فوجد عنده جماعة وقد أخرج لهم قصعا ومناسف من ثريد فلما رآنا عانقنا وتهلل وجهه فرحا وجلسنا كلنا نأكل وهو قائم على رؤسنا متكئ على عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من الاكل ناولته الكتابين فقرأهما وفرح فرحا شديدا ونادى فى الناس الصلاة جامعة فخطب وحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتابين واستدعى بالصحابة وقسم عليهم الغنيمة ولم يترك لاهله درهما ولا دينارا ولا ثوبا رضى الله عنه واخذنى ومضى الى بيته بيت ام كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه وأدخلنى اليه فاذا فيه فراش من اديم حشوه ليف ووسائد من صوف وقطيفة واحدة فجلست فقال لام كلثوم هل عندك شئ من التمر قالت لا الا اللبن الحامض قال ذلك لى فان عندنا ضيفا فحضرت بعكة من سمن وقليل من عسل وفطير مع جارية فأكلت قليلا من المذكور واخرجت الباقى لاصحابى وشرعت أحدثه عن البطلوس وهو تارة يبكى وتارة يضحك من فعله ويبكى على من قتل من المسلمين والامراء وخرجنا الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وجاءت الناس يهرعون يسألون عن أهاليهم منا فاخبرنا عن من مات ومن قتل فضج الناس وأهل المدينة بالبكاء وعلت الاصوات على من قتل وجاءت الناس لعلى ولعقيل ولبنى هاشم يعزونهم فيمن قتل واقمنا بالمدينة سبعة أيام ورجعنا الى مصر بكتاب عمر الى خالد فأمره بالمسير الى الصعيد قال الراوى رحمه الله هذا ماجرى لهؤلاء واما خالد رضى الله عنه فانه بعد شهر ترك الناس من الصحابة بأرض البهنسا من جميع القبائل وخرج بألفى فارس الى ارض الصعيد وكانت القبائل من بنى هاشم وبنى المطلب وبنى مخزوم وبنى عبد الدار وبنى زهرة وبنى نذار وبنى جهينة وبنى مزينة وبنى غفار والاوس والخزرج ومدحج وفهر وطى وخزاعة وكان الامير عليهم مسلم بن عقيل واحتاطوا بالاماكن وجعلوا بالمدينة اسواقا وشوارع وسكن اكثر الصحابة فى جانب البحر اليوسفى وخلوا

بن

من البحر الى الجانب الغربي شارعا واحد الاجل ان تسبح دوابهم في البحر واقام مسلم ابن عقيل والياعليها الى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فتولى محمد بن جعفر ابن أبي طالب بعده ومضى مسلم وترك اولاده واخوته بها ولم يزل في المدينة حتى قتل في خلافة الحسن في الكوفة رضي الله عنه واقام محمد بن جعفر الى خلافة علي رضي الله عنه وتولى عليها بعده علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه الى خلافة معاوية وكان عبد العزيز بن مروان الاموي وتولى بعده طاهر بن عبد الله وكانت قريش والاشراف بالجهة الغربية ويقال لها حارة الاشراف وكان لكل قبيلة حارة قال أبو المنهال لما فتحت مدينة البهنسا كانت آهلة بالجند فاجتمعت السوقة والمتسببون من أهل البلد وكانوا أربعين ألفا (قال الواقدي رحمه الله) حدثنا حامد بن المزيد عن أبي صالح عن ابن نوفل المرادي قال كان بمدينة البهنسا اربعمائة بقال حين فتحها يبيعون البقل وغيره وكانت مدينة عظيمة فلما وقع بين بني أمية وبني هاشم ماوقع أخرجوا منها جماعة وتخلل اكثرها قال وتسلسل اليها جماعة من العربان حتى جاء الحسن واخوته في خلافة بني العباس فعمرجامعا واكثر من الزوايا والرباطات وأقام بها حتى مات رحمه الله قال ورجعنا الى سياق الحديث وخرج خالد بمن معه الى الصعيد ولم يزل يفتح مدينة بعد مدينة الى آخر الصعيد الى عدن وسواكن وليس مقصدنا في هذا الكتاب الافتوح البهنسا خاصة التي عليها مدار فضائل السادات الشهداء لان بتربتها خمسة آلاف صحابي وحضر فتح البهنسا نحو سبعين بدريا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي زيارتها تعظم الاجور وقد زارها جماعة من العراق مثل بشر الحافي وسري السقطي ومالك بن دينار وسحنون وزارها من أقصى المغرب أبو مدين وشعيب وأبو الحجاج وأبو عبد الله وزارها الفضل بن عياض وروي ان أقليم البهنسا اكثر بركة من جميع الارض كلها وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بعد مكة والمدينة والارض المقدسة والطور أرض مباركة الا أرض مصر والبركة هي في الجانب الغربي (قال رحمه الله) ولعلها البهنسا وكان علي بن الحسن يقول انه ليس بارض مصر بالوجه القبلي أرض مباركة ولا اكثر بركة من أرض البهنسا وكان علي النووي اذا أتى أرض البهنسا واتى الجبانة ينزع ثيابه ويتمرغ في الرمل ويقول يالك من بقعة طال ما ثار غبارك في سبيل الله وكان ابو علي الدقاق اذا مر بجبانة البهنسا يقول يالك من بقعة ضمت اعضاء رجال وأي رجال طال ما عرقت وجوههم في سبيل الله وقتلوا في سبيل الله ومرضاته وقيل للحسن بن صالح لم اخترت هذه البلد على غيرها قال كيف لا آوي الى بلد آوى اليها روح الله وكلمته وينزل على جبانتها كل يوم ألف رحمة ولما ولي عبد الله بن طاهر مصر تجهز وأتى الى البهنسا فلما قرب من الجبانة ترجل عن جواده وترجل من معه وكان الوالي عليها عبد الله بن الحسين الجعفري فخرج الى لقائه ماشيا وسلم عليه ولما وصل الى الجبانة قال السلام عليكم يا أحياء الدارين وخير الفريقين ثم التفت الى اصحابه وقال ان هذه الجبانة ينزل

عليها كل يوم مائة رحمة وانها سائرة باهلها الى الجنة ومن زارها تتساقط عنه ذنوبه كما يتساقط الورق من على الشجر فى يوم ريح عاصف وكان عبد الله بعد ذلك كل يوم يخرج حافيا فيزورها حتى مات رحمه الله (قال الراوى) رحمه الله ورضى الله عنه حدثنى رجل من أرض البهنسا من أهل الخير والصلاح يسمى عبد الرحمن بن ظهير قال كان لى جار مسرف على نفسه ومات ودفن قريبا من الشهداء الذين بالجانب الغربى فبينما أنا نائم تلك الليلة فرأيته واذا عليه ثياب من السندس الاخضر وعليه تاج من الجوهر وهو فى قبة من نور وحوله جماعة لم أر أحسن منهم وجها ولا ثوبا متقلدين بسيوف وهو بينهم فسلمت عليهم وقلت له يا هذا القد سرنى ما رأيت من حالك فقال يا هذا لقد نزلت بجوار قوم يحمون النزيل فى الدنيا من العار فكيف لا يحمونه فى الآخرة من النار وقد استوهبونى من العزيز الغفار غافر الذنوب والاوزار واسكننى جنات تجرى من تحتها الانهار قال ذو النون المصرى رضى الله عنه كنت فى كل سنة آتى الى البهنسا وازور الجبانة مما رأيت فى ذلك من الاجر والثواب فحصل لى فى سنة من السنين عارض فمنعنى من زيارتها فبينما أنا نائم ليلة من الليالى اذ رأيت رجالا لم أر أحسن منهم وجوها ولا انقى ثيابا على خيول شهب وبايديهم رايات خضر ووجوههم تتلألأ نورا فسلموا على وقالوا قد اوحشتنا يا ذا النون فى هذه السنة وان لم تزرنا زرناك فقلت لهم من أنتم فقالوا نحن الشهداء الاخيار أصحاب محمد المختار بالبهنسا كنا بأرض الروم لنصرة المسلمين على أعداء الله الكافرين فزرناك لنسلم عليك وننظر ما سبب انقطاعك عنا قال فى أى أرض أنتم قالوا نحن سكان جبانة البهنسا ولك علينا حقوق الزيارة لانك من أهل الاشارة فقال لهم أسادتى انى لاعود وحبل الوصال بيننا ممدود وما كنت أعلم انكم تعلمون من زار وما كنت أظن فى نفسى اننى بهذا المقدار قالوا يا ذا النون اما تعلم ان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وبهذا نطق الكتاب المكنون ثم تركونى ومضوا فاستيقظت وفى قلبى لهيب النار فطوبى لمن زار هؤلاء السادات الاخيار ولقد وضعت فى هذا الكتاب كل نادرة عجيبة وحكاية غريبة وهو كتاب كامل المعانى والبيان عظيم القدر والشان لا يفهمه الا ذو والبصائر والالباب ولا يعقله الا أهل الخطاب ولا يقرأه الا أهل الذوق والمعرفة فهو كالزهر فى الرياض لمن اقتطفه نفع الله به مالكه وكاتبه وقارئه ومستمعه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

بحمدك يا من آثرت أصحاب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم برفيع الدرجات * بدر بدر هذا الكتاب الذى اظهر لنا من خصائصهم الشريفة باهر المعجزات * وبين انهم جاهدوا كما أمرتهم فاظهروا دينك المستقيم واخلصوا فى عبادتك حتى استوجبوا ان يردوا موارد التسنيم وقد وافق تمام طبعه صبيحة يوم عرفة الشريف فجاء بحمد الله على ابهج شكل ظريف منيف وكان ذلك فى عام (سنة ١٢٨٢) من هجرة امام المرسلين عليه وعليهم صلاة وسلام رب العالمين وقوبل بغاية الامكان فى تحريره مع انه كان محتاجا الى تجديد تحبيره وكانت مقابلته على يد الفقير محمد السملوطى وطبع بالمطبعة الكاستليه بمحروسة مصر المحميه



عليها كل يوم مائة رحمة وانها سائرف باهلها الى الجنة ومن زارها تتساقط عنه ذنوبه كما يتساقط
الورق من على الشجر فى يوم ريح عاصف وكان عبد الله بعد ذلك كل يوم يخرج اليها فيزورها
حتى مات رحمه الله (قال الراوى) رحمه الله ورضى الله عنه حدثنى رجل من أرض البهنسا
من أهل الخير والصلاح يسمى عبد الرحمن بن ظهير قال كان لى جار مسرف على نفسه ومات
ودفن قريبا من الشهداء الذين بالجانب الغربى فبينما انا نائم تلك الليلة اذ رأيته واذا عليه
ثياب من السندس الاخضر وعليه تاج من الجوهر وهو فى قبة من نور وحوله جماعة لم أر
أحسن منهم وجوها ولا ثيابا متقلدين بسيوف وهو بينهم فسلمت عليهم وقلت له يا هذا ما سرنى
ما رأيت من حالك فقال يا هذا لقد نزلت بجوار قوم يحمون النزيل فى الدنيا من العار
فكيف لا يحمونه فى الآخرة من النار وقد استوهبونى من العزيز الغفار غافر الذنوب
والاوزار واسكنى جنات تجرى من تحتها الانهار قال ذو النون المصرى رضى الله عنه كنت
فى كل سنة آتى الى البهنسا وازور الجبانة مما رأيت فى ذلك من الاجر والثواب فحصل لى
فى سنة من السنين عارض فمنعنى من زيارتها فبينما انا نائم ليلة من الليالى اذ رأيت رجالا لم أر
أحسن منهم وجوها ولا انقى ثيابا على خيول شهب وبايديهم رايات خضر ووجوههم تتلالا
نوارا فسلموا علىّ وقالوا قد اوحشتنا يا ذا النون فى هذه السنة وان لم تزرنا زرناك فقلت لهم من أنتم
فقالوا نحن الشهداء الاخيار أصحاب محمد المختار بالبهنسا كنا بأرض الروم لنصرة المسلمين على
أعداء الله الكافرين فزرناك لنسلم عليك وننظر ما سبب انقطاعك عنا قال فى أى أرض
أنتم قالوا نحن سكان جبانة البهنسا ولك علينا حقوق الزيارة لانك من أهل الاشارة فقلت لهم
أسادتى انى لا اعود وحبل الوصال بيننا ممدود وما كنت اعلم انكم تعلمون من زار وما كنت أظن
فى نفسى انى بهذا المقدار قالوا يا ذا النون اما تعلم ان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وبهذا
نطق الكتاب المكنون ثم تركونى ومضوا فاستيقظت وفى قلبى لهيب النار فطوبى لمن زار هؤلاء
السادات الاخيار ولقد وضعت فى هذا الكتاب كل نادرة عجيبة وحكاية غريبة وهو كتاب كامل
المعانى والبيان عظيم القدر والشان لا يفهمه الا ذوو البصائر والالباب ولا يعقله الا أهل
الخطاب ولا يقرأه الا أهل الذوق والمعرفة فهو كالزهر فى الرياض لمن اقتطفه نفع الله به مالكه
وكاتبه وقارئه وسمعه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

بحمدك يا من آثرت أصحاب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم برفيع الدرجات * بدر بدر هذا
الكتاب الذى اظهر لنا من خصائصهم الشريفة باهر المعجزات * وبين انهم جاهدوا كما أمرتهم
فاظهروا دينك المستقيم واخلصوا فى عبادتك حتى استوجبوا ان يردوا موارد التسنيم وقد
وافق تمام طبعه وتصحيحه يوم عرفة الشريف فجاء بحمد الله على ابهج شكل ظريف منيف وكان
ذلك فى عام (سنة ١٢٨٢) من هجرة امام المرسلين عليه وعليهم صلاة وسلام رب العالمين
وقوبل بغاية الامكان فى تحريره مع انه كان محتاجا الى تجديد تحبيره وكانت مقابلته على يد
الفقير محمد السملوطى وطبع بالمطبعة الكاستليه بمحروسة مصر المحميه